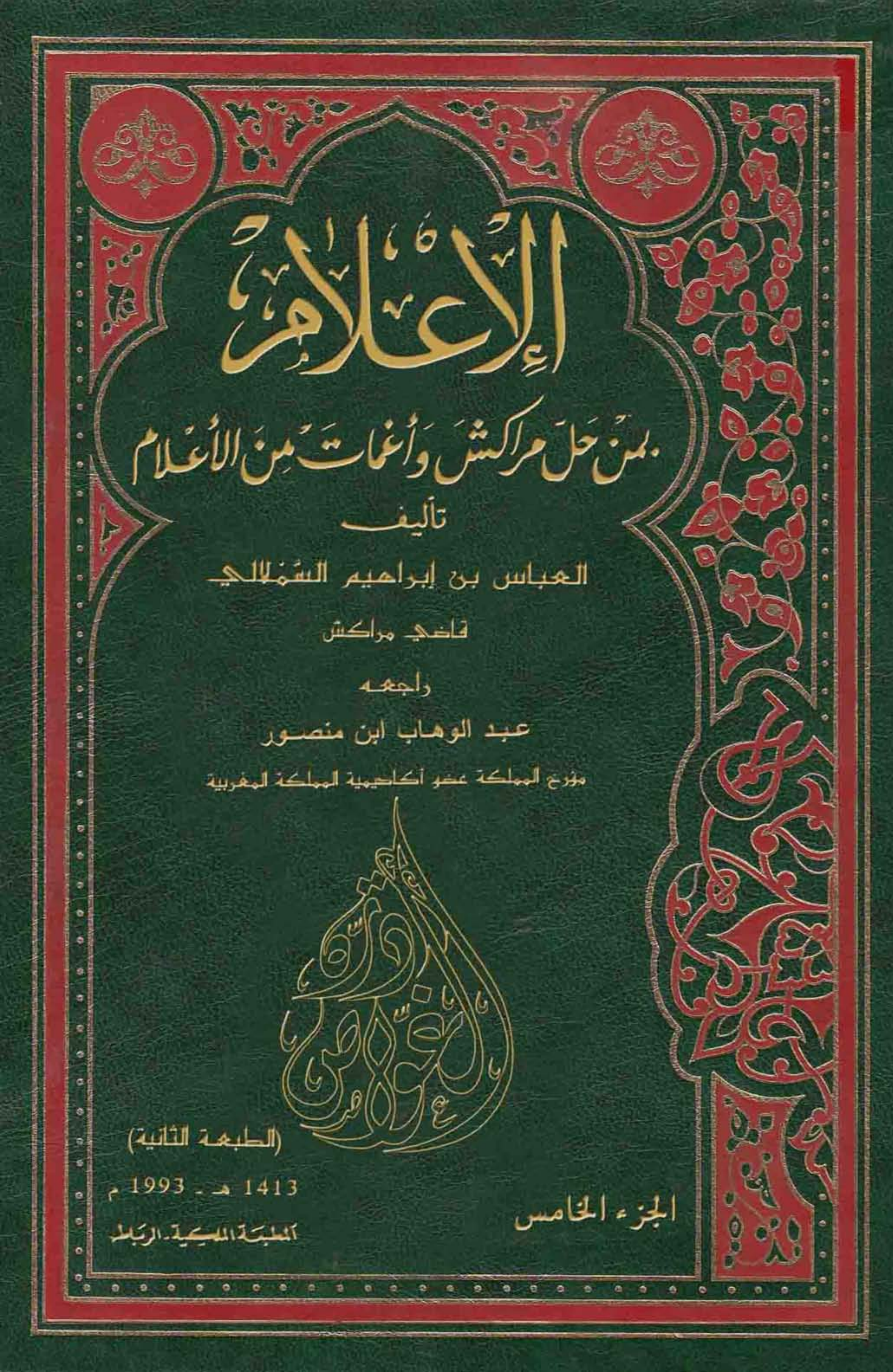

الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء الخامس





العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الخامس

(الطبعة الثانية)
1420هـ - 1999م

المطبعة الملكية - الرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

614) محمد بن عبد الله ابن بطوطة اللواتي الطنجي

محمد ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن إبراهيم ، بن محمد ، بن عبد الرحمان ، بن يوسف ، اللواتي ، الطنجي ، الملقب بشمس الدين، ابن بطوطة، الرحالة المشهور الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الأبر ، ولد بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب سنة 703 وكانت له مشاركة يسيرة في الطب، ولما بلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة سافر من طنجة مسقط رأسه في يوم الخميس الثاني من رجب عام 725 معتمداً حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأخذ يتقلب في بلاد مصر ، والشام ، والعراق ، وعراق العجم ، واليمن ، والهند ، ثم ساح في الأقطار الصينية والتاتارية وأواسط أفريقيا ، أي بلاد السودان ، والأندلس ، وحج عام ستة وعشرين وسبعمئة ، ثم انقلب إلى المغرب ، وفيه أخذ يملي على ابن جزي رحلته التي سماها (**تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار**)، وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمئة ، وكانت مدة ارتحاله خمساً وعشرين سنة ، وهي مشهورة ، وقد اعتنى الأفرنج بترجمتها إلى أكثر لغاتهم الأوروپاوية ، وكان محباً للوقوف على أخبار الأمم ، قال بعضهم : وقد كتب رحلته فأودعها أخباراً مهمة غريبة ، ولكن لا تزال مفقودة ، أما ما نشر منها فهو قسم اختصره العلامة محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي المغربي في مجلد قد طبع وتناقلته الأيدي (1) ، وقد اعتنى

---

1) لا شك أن هذا البعض من الأوربيين الذين يحلو لهم التشكك والتشكيك فى كل شيء ، ولسنا ندرى مستنده فى أن ما نشر من الرحلة انما هو ملخصها ، الا أن يكون ما وقعت اليه الاشارة فى مقدمتها من تنقيح ابن جزى لما أملاه ابن بطوطة وتهذيبه .

الأفرنج برحلته وبحثوا على أصلها فلم يجدوا غير مختصرها فترجموه إلى اللغتين الأنجليزية والفرنسية . انتهى .

قال في الرحلة المذكورة :

ذكر سماعي بدمشق ومن اجازني من اهلها :

سمعت بجامع بني أمية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحلة الآفاق، ملحق الأصاغر بالأكابر ، شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الدين مقريء الصالحي المعروف بابن الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجلساً ، أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمئة ، وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه ، بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي الأصل الدمشقي في جماعة كبيرة ، كتب أسماءهم محمد بن طغريل بن عبد الله بن الغزال الصيرفي بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي لجميع الكتاب من الشيخ الامام سراج الدين الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن المسيح بن عمران الربيعي البغدادي الزبيدي الحنبلي في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين وستمئة بالجامع المظفري بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وباجازته في جميع الكتاب من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الخلف القطيعي المؤرخ ، وعلي بن أبي بكر بن عبد الله بن روبه القلانسي العطار البغدادي ، ومن باب غيرة النساء ووجدهن إلى آخر الكتاب من أبي المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد ابن اللتي الخزاعي البغدادي بسماع أربعتهم من الشيخ سديد الدين أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن إبراهيم السجزي الهروي الصوفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة ببغداد ، قال : أخبرنا الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر بن محمد بن داوود بن أحمد بن معاذ بن سهل ابن الحكم الدؤادي قراءة عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس وستين وأربعمئة قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حموية بن

يوسف بن أيمن السرخسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة احدى وثمانين وثلاثمئة ، قال : أخبرنا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفربري قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست عشرة وثلاثمئة بفربر ، قال : أخبرنا الامام محمد بن إسماعيل البخاري رضى الله عنه سنة ثمان وأربعين ومئتين بفربر ومرة ثانية بعدها سنة ثلاث وخمسين ، وممن أجازني من أهل دمشق إجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سبق إلى ذلك وتلفظ لي به ، ومنهم : الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمئة، ومنهم الشيخ الامام الصالح عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان النجدي ، ومنهم إمام الأئمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الزكي عبد الرحمان بن يوسف المزني الكلبي حافظ الحفاظ ، ومنهم الشيخ الامام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي ، والشيخ الامام الشريف محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العلوى، ومنهم الشيخ الامام المحدث مجد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمئة ، ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الأسكندري ، ومنهم الشيخ الامام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام ، والشيخان الأخوان شمس الدين محمد ، وكمال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ، والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهراء بن سالم الهكاري ، والشيخة الصالحة عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني، والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ، كل هاؤلاء أجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق (I) .

وقال أيضاً :

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا إذذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في النوم ،

I) تحفة النظار ص I03 طبع بيروت .

وهو قاعد بمجلس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة والناس يبايعونه ، فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وجعل يده في يد رسول الله صلى عليه وسلم وقال : أبايعك على كذا وكذا ، وعدد أشياء منها وأن لا أرد من بيتي مسكيناً خائباً ، وكان ذلك آخر كلامه ، فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي : كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقراء مكة ، واليمن ، والزيالعة ، والعراق ، والعجم ، ومصر ، والشام؟ وكنت أراه حينذاك لابساً جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسها في بعض الأوقات ، فلما صليت الصبح غدوت عليه وأعلمته برؤياي فسُر بها وبكى ، وقال لي تلك الجبة أهداها بعض الصالحين لجدي فأنا ألبسها تبركاً ، وما رأيته بعد ذلك يرد سائلا خائباً وكان يأمر خدامه يخبزون الخبز ، ويطبخون الطعام وياتون به إلي بعد صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر ، ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت ، ومَن أراد الأكل في سائر النهار أكل التمر ، ولذلك صحتْ أبدانهم ، وقلَّت فيهم الأمراض والعاهات (1) .

وقال أيضاً لما ذكر جامع الخليفة ببغداد ما نصه :

لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام الصالح مسند العراق سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمئة، قال: أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين علي بن علي بن أبي البدر ، قالت : أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستاني ، قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن شعيب السجزي الصوفي ، قال : أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن المظفر الداودي ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ، عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ، عن عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل الدارمي (2) .

1) تحفة النظار ص 145 طبع بيروت .

2) تحفة النظار ص 319 طبع بيروت .

ثم ذكر المصنف أن السلطان ولاه قضاء دهلي بالهند ، وقال له : إنه أكبر الأشغال عندهم فاعتذر له بأنه على مذهب مالك ، وهؤلاء حنفية ، وأنه لا يعرف اللسان ، فقال له قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنوري لينوبا عنك ويشاوراك وتكون أنت تسجل على العقود ، ثم أحسن إليه ، ومدح السلطان بقصيدة طويلة أولها :

إليك أمير المومنين المبجـــــلا	أتينا نجد السير نحوك في الفـلا
فجئت محلا من علائك زائـــــراً	ومغناك كهف للزيارة آهـــــــلا
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة	لكنتَ لأعلاها إماماً مؤهـــــــلا
فأنت الامام الماجد الأوحد الـذي	سجاياه حتماً أن يقول ويفعــــلا
ولي حاجة" من فيض جودك أرتجي	قضاها وقصدي عند مجدك سُهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكـــــم	فان حياكم ذكره كان أجمــــــلا
فعجل ْ لمن وافى محلك زائـــراً	قضى دينه إن الغريم تعجـــلا (1)

ثم قال المؤلف :

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ، ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع ، فريد الدهر ، ووحيد العصر ، كمال الدين عبد الله القاري ، وكان من الأولياء ، وله كرامات كثيرة قد ذكرت ما شاهدته عند ذكر اسمه ، وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ ، ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين ، وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين ، فكنت أحب أن أواصل ، فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي ، فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير ، وأعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر ، والسلطان إذذاك غائب ببلاد السند (2) .

1) **تحفة النظار** ص 504 طبع بيروت .

2) **تحفة النظار** ص 517 طبع بيروت .

ذكر بعث السلطان عني
وإبايتي عن الرجوع إلى الخدمة واجتهادي في العبادة

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان ، فدخلت عليه في زي الفقراء ، فكلمني أحسن كلام وألطفه ، وأراد مني الرجوع إلى الخدمة ، فأبيت وطلبت منه الاذن في السفر إلى الحجاز فأذن لي فيه ، وانصرفت عنه ، ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة إلى الملك بشير ، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين ، فاعتكفت بها شهر رجب وعشراً من شعبان ، وانتهيت إلى مواصلة خمسة أيام ، وأفطرت بعدها على قليل أرز دون إدام ، وكنت أقرأ القرآن كل يوم وأتهجد بما شاء الله ، وكنت إذا أكلت الطعام آذاني ، فاذا طرحته وجدت الراحة ، وأقمت كذلك أربعين يوماً ثم بعث عني ثانية (١) .

ثم ذكر تزوجه بربيبة السلطانة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي ، فأكرهه الوزير حينئذ على القضاء بسبب اعتراضه على القاضي الذي يأخذ العشر من التركات إذا قسمها على أربابها وإنما له الأجرة يتفق بها مع الورثة . وحين ولي اجتهد في إقامة رسوم الشرع ، ثم انفصل عنهم .

ثم قال عند ذكر رجوعه للمغرب : إنه دخل مراكش ، ثم ذكر الكلام الذي قدمناه عنه فيها في المقدمة (2) .

قال في (الاحاطة) : ولقيته في غرناطة وبتنا معه في بستان أبي القاسم ابن عاصم ، وحدثني في تلك الليلة واليوم بعدها عن تلك البلاد المشرقية وغيرها ، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بقسطنطينية ، وهي على قدر مدينة مسقفة وفيها اثنا عشر سقفاً . قلت وأحاديثه في الغرابة أبعد من

---

١) **تحفة النظار** ص 518 طبع بيروت .

2) انظر ١ : 80 من هذا الكتاب .

هذا غوراً ، وانتقل إلى العدوة فدخل بلاد السودان ، ثم لما تعرف عليه ملك المغرب استدعاه فلحق ببابه وأمر بتدوين رحلته . انتهى (1) .

وقوله وهي على قدر مدينة غلو مفرط ، فلا يصحّ منه إلا قوله مسقفة ، وقد دخلتها سنة 1347 .

وقال الحافظ في (الدرر الكامنة) في ترجمته بعد ذكر كلام ابن الخطيب ما نصه : وقرأت بخط ابن مرزوق أن محمد ابن جزي نمقها وحررها بأمر السلطان أبي عنان ، وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق ، وقال إنه بقي إلى سنة سبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد ، قال ابن مرزوق ولا أعلم أحداً جال البلاد كرحلته ، وكان مع ذلك جواداً محسناً انتهى (2) .

توفي المترجم سنة تسع وسبعين وسبعمئة (3) .

615) محمد بن أحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي (4) من أهل تلمسان ، تلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين . قال في (الديباج) وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم وروى عنهم الحديث مذكورون في مشيخته

---

1) **الاحاطة** (مخطوط) .

2) **الدرر الكامنة** 4 : 100 ع 3804 .

3) ينظر عن ابن بطوطة **دائرة المعارف الاسلامية** 1 : 221 و **الرحالة المسلمون** ص 130 و **الاعلام للزركلي** 7 : 114 .

4) قال فى **تاج العروس** 4 : 185 ما نصه وبنو العجيس كأمير قبيلة من البربر بالمغرب، ومنهم عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد عن ابن عرفة والبلقينى والعراقى ، ومات بتلمسان سنة 848 هـ ، وقد علمت أن هذا اسم المترجم ابن مرزوق العجيسى التلمسانى تعرف بحفيد ابن مرزوق وبابن مرزوق ، ولد سنة 766 واخذ المعروف بالجد لا اسم الحفيد فهو سبق قلم من الحافظ الزبيدى .

وراجع ترجمة الحفيد الذى اسمه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن مرزوق فى ص 50 من ج 7 من (الضوء اللامع) ، كما زاد الزبيدى فى أسماء آباء الجد محمداً ثالثاً فتنبه لذلك .

المسماة (عجالة المستوفز المستجاز . في ذكر مَن سمع من المشايخ دون مَن أجاز ، من أيمــة المغرب والشام والحجاز (1) ، يعني نحو الألفين كما فــي (طبقات النحاة) للسيوطي و (اختصار الديباج) لابن هلال ، فمنهم عز الدين أبو محمد الحسين بن علي الواسطي الخطيب بالمدينة النبوية ، وجمال الدين محمد بن أحمد ابن خلف المطري ، وهو يروي عن عفيف الدين عبد السلام ابن مزروع، وأبي اليمن ابن عساكر وغيره، والشيخ علي بن محمد الحجار الفراش بالحرم النبوي ، وشهاب الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد الصاغاني ، وقاضي المدينة شرف الدين الأسيوطي اللخمي ، والخطيب بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعي الخطيب بالمدينة النبوية ، والشيخ أبي طلحة الزبير بن أبي صعصعة الأسواني ، والشيخ عفيف الدين المطري ، والشيخ أبي البركات أيمن بــن محمد بن محمد بن محمد بن محمد إلى أربعــة عشر جداً كلهم اسمه محمــد التونسي المجاور بالمدينة النبوية ، والشيخين عبد الله وعلي ابني محمد ابن فرحون ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الواحد ابن أبي زكنون التونسي ، وبمكة الشيخ شرف الدين أبي عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي توفي وقــد قارب المئة ، والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الطبري المكي ، والشيخ شرف الدين بن خضر بن عبد الرحمان العجمي ، والشيخ حيدر بن عبد الله المقري ، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأعلا المصري ، والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي ، والشيخ الصالح أبو الوفا خليل بن عبد الرحمان القسطلاني التوزري ، والشيخ الصالح عبد الله بن أسعد اليافعي الحجــة ، انتهت إليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم ، والشيخ فخر الدين عثمان ابن أبي بكر النويري المالكي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني ، والشيخ قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين عبد الله ابن المحب الطبري ، والشيخ جلال الدين محمد بن أحمد الأقشهري التلمساني ، والشيخ سليمان بن يحيى بن سليمان المراكشي السفاح ، وأبي أوس المعروف بابن الدروال التونسي ، وأبي عبد الله ابن القماح ، وشرف الدين عيسى بن

1) توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط .

محمد المغيلي ، وبرهان الدين إبراهيم بن محمد القيسي الصفاقسي ، وخطيب القدس محمد بن أحمد ابن الصائغ ، ومحمد بن علي ابن متيت الأندلسي ، وبرهان الدين بن تاج الدين ابن الفركاح الدمشقي ، وقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد ابن جماعة الكناني قاضي القضاة بالديار المصريــة ، وبالديار المصرية الشيخ علاء الدين إسماعيل بن يوسف الغزنوي ، وتقــي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى السعدي ، والشيخ المصنف قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر القزويني شهير الذكر رفيع القدر ، وقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفي ، والشيخ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحنفي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن منصور الحلبي الجوهري ، والشيخ المعمر شرف الدين يحيى بن أبي الفتوح المقدسي بن المصري ، والشيخ محسن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المعطي القرشي ، وشهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي الحنبلي ، وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري ، وأخيه شمس الدين أبو بكر محمد ، والشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان النفزي الغرناطي ، والشيخ النسابة شهاب الدين أحمد بن أبــي بكر بن طي بن حاتم بــن عبس الزبيري المصري ، تبلغ شيوخه نحواً مــن ألفي شيخ ، وشمس الدين محمد بن عدلان ، وشهاب الدين أحمد بن عبد الله البوشي المالكي ، والشيخ تاج الدين محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية ، وشمس الدين محمد بن كشتغدي بن عبد الله الخطابي الصيرفي ، وعماد الدين محمد بن عالي بن نجم الدمياطي الشافعي ، وتقي الدين صالح بن مختار الأسنوي ، وتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، وبرهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي بن أبي القاسم المعروف بابن بنت الشاذلي ، وبرهان الدين الحكري ، ومَحمد بن جابر الوادآشي ، وأبي القاسم بن علي البراء ، وعز القضاة أبي محمد ناصر الدين بن منصور بن محمد بن منير الأسكندري ، وبتونس المحدث النسابة محمد بن حسن الزبيدي ، وقاضي الجماعة أبــي إسحاق بن عبد الرفيع ، والقاضي أبي محمد بن عبد السلام ، وأبي محمد بن راشد القفصي ، وإمام جامع الزيتونة هارون ، وببجاية الامام العلامة أبــي علي

ناصر الدين المشدالي ، والحافظ بقية زمانه محمد بن عبد الله ابن بالبخت الزواوي ، وأبي عبد الله بن المعتز ، وبتلمسان ابني ْ الامام ، وقاضي الجماعة محمد ابن هدية ، والخطيب أبي محمد المجاطي ، وغيرهم وذكرهم يطول .

ولما انصرف من المشرق وقدم المغرب ، اشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالا خلطه بنفسه ، وجعله مفضى سره ، وإمام جمعته ، وخطيب منبره ، وأمين رسالته ، ورحل بعد أبي الحسن إلى الأندلس ، فاجتذبه سلطانها وأجراه على تلك الوتيرة ، فقلده الخطبة بمسجده ، وأقعده للاقراء بمسجد حضرته ، ثم انصرف عزيزَ الرحلة حتى قدم على ولد السلطان أبي الحسن وارث الملك بعده السلطان أبي عنان فارس ، فكان عنده في محل تجلة ، وبساط قرب ، مجدي التوسط ، ناجع الشفاعة ، وكان بعد أبي عنان عند أخيه السلطان أبي سالم إبراهيم المسمى بالسعيد ، فاستولى على أمر السلطان وخلطه السلطان بنفسه ولم يستأثر ببثه ولا انفرد عنه بما سوى بضع أهله ، بحيث لا يقطع في شيء إلا عن رأيه ، ولا يمحو ويثبت إلا واقفاً عند حده ، فغشيتْ بابه الوفود ، وصرفت إليه الوجوه ، ووقفت عليه الآمال ، وخدمته الأشراف ، وجلبت إلى سدته بضائع العقول والأموال ، وهادته الملوك، فلا تحدو الحداة إلا إليه ، ولا تحطُ الرحال إلا لديه ، ثم انفرد أخيراً ببيت الخلوة ، ومنتبذ المناجاة من دونه مصطب الوزراء ، ووقفت ببابه الأمراء ، قد وسع الكل لحظه ، وشملهم بحسب الترتب والأحوال رعيه ، لكن رضى الناس الغاية التي لا تدرك ، والحسد بين بني آدم قديم ، فلما انقضى أمر هذا السلطان قبض عليهوأجمع الملأ على قتله وضيق عليه وانتهبت أمواله ، واعتقلت رباعه ، وتمادى به الاعتقال والشدة إلى أن شملته عوائد الله تعالى معه في الخلاص من الشدة، وظهرت عليه بركة سلفه قائمة له حجة الكرامة لهم في أمره.

قال ابن الخطيب : أخبرني أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال : عرض لي والدي رحمه الله في النوم فقال : ياولدي اشفعْ في الفقيه ابن مرزوق ، فعينتُ للوجهة في ذلك قاضيَ الحضرة ، فكان في ذلك ابتداء الفرج ،

قال : وحدثني الثقة منخدام السلطان أبي عنان عنه مخبراً عن نفسه ــ يعني السلطان ــ وكان أبو عنان قد غضب عليه ثم أجاره من سخطه عليه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكفى بها جاهاً وحرمة .

قال المؤلف : ثم ترك سبيله وأبيح له ركوب البحر إلى البلاد المشرقية بأهله وولده ، فسار (1) في كنف الستر وتحت جناح الوقاية عام أربعة وستين وسبعمئة .

وتصانيفه عديدة في فنون متنوعة ، وكلها بديعة كثيرة الفائدة تدل على كثرة اطلاعه ، منها (شرح العمدة) في خمس مجلدات جمع فيه بين شرحي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، وتاج الدين الفاكهاني . وأضاف إلى ذلك كثيراً من الفوائد الجليلة النفيسة ، وشرح كتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) ، ولم يكمل ، وتوفي بعد الثمانين وسبعمئة رحمه الله تعالى . انتهى .

وقال في (نيل الابتهاج) شهر بالخطيب وبالجد ابن مرزوق شارح العمدة في الحديث والشفاء ، ذكره ابن فرحون في الأصل إي في (الديباج) وأثنى عليه ، وذكر شيوخه .

ولنذيل هنا بما لم يذكره هنا،قال ابن خلدون: صاحبنا الخطيب محمد بن أحمد ابن مرزوق من أهل تلمسان ، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعُباد ، ومتوارثين خدمة تربته من زمن جدهم خادمه في حياته ، وجده الخامس والسادس أبو بكر ابن مرزوق معروف بالولاية فيهم ، وولد صاحب الترجمة على ما أخبرني عام عشرة وسبعمئة ، ورحل مع والده للشرق سنة ثمان عشرة ، وسمع ببجاية على ناصر الدين ، ولما جاور أبوه بالحرمين رجع هو للقاهرة فأقام وقرأ على البرهان الصفاقسي وأخيه وبرع في الطلب والرواية ، وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين للمغرب ، ولقي السلطان أبا الحسن محاصراً لتلمسان وقد بنى مسجداً عظيماً بالعُباد ، وكان عمه محمد ابن مرزوق خطيباً به على عادتهم ، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد

1) من ساحل بادس باقليم الحسيمة .

مكان عمه ، وسمعه يشيد بذكره في خطبته ويثني عليه ، فقربه وهو مع ذلك يلازم ابني الامام ويلقى أكابر الفضلاء ويأخذ عنهم ، وحضر معه واقعة طريف ، وأرسله للأندلس وقشتالة في الصلح وفك والده المأسور ، ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى وافدين على أبي عنان بفاس مع أمه حظية أبي الحسن ، ثم رجع لتلمسان وأقام بالعُباد وبها يومئذ أبو سعيد عثمان وأخوه أبو ثابت ، والسلطان أبو الحسن بالجزائر ، وقد حشد فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق إليه سراً في الصلح ، فلما اطلع أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه ، فبعثوا من حبس ابن مرزوق ، ثم أجازوه البحر للأندلس ، فنزل على يوسف ابن الأحمر سلطان غرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء ، فبقي عليها حتى استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها ، فنظمه في أكابر أهل مجلسه ، ثم بعثه لتونس عام ثمان ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى ، فردت الخطبة واختفت بتونس ، ووشي لأبي عنان أنه مطلع على مكانها وسخطه وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته ، ولما تولى أبو سالم آثره وجعل الأمور بيده ، فوطىء الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه ، وصرفوا إليه الوجوه ، فلما وثب الوزير عمر بن عبد الله بالسلطان آخر اثنين وستين حبس ابن مرزوق ، ثم أطلقه بعد طلب كثير من أهل الدولة قتله ، فمنعه منهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ، ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته أبي محمد ابن تافراكين ، فأكرموه وولوه خطابة جامع الموحدين ، وأقام بها حتى هلك أبو يحيى سنة سبع وولي ابنه خالد . ثم لما تولى أبو العباس الأمر بعد قتله خالداً وبينه وبين ابن مرزوق شيء لميله مع ابن محمد صاحب بجاية عزله عن الخطبة ، فوجم لها فأجمع الرحلة للشرق وسرحه السلطان ، فركب السفينة للأسكندرية ثم القاهرة ، ولقي أهل العلم وأمراء الدولة، فنفقت بضائعه عندهم، وأوصلوه للسلطان الأشرف فولاه الوظائف العملية موفر المرتبة ، معروف الفضيلة ، مرشحاً للقضاء ، ملازماً للتدريس حتى هلك سنة إحدى وثمانين ، انتهى ملخصاً (1) .

---

1) التعريف بابن خلدون ص 49 .

وقال في (الاحاطة) : كان من طرف دهره ظرفاً وخصوصية ولطافة ، مليح التوسل ، حسن اللقاء ، مبذول البشر ، كثير التودد ، نظيف البزة ، لطيف التأتي ، خير البيت ، طلق الوجه ، خلوب اللسان ، طيب الحديث ، مقدر الألفاظ ، عارفاً بالأبواب ، دربا على صحبة الملوك والأشراف ، ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وده والتعصب لاخوانه ألفاً مألوفاً ، كثير الأتباع غاص المنزل بالطلبة ، منقاداً للدعوة ، بارع الخط أنيقه ، عذب التلاوة متسع الرواية ، مشاركاً في فنون من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدوه السداد في ذلك ، فارس منبر غير جزوع ولاهياب ، رحل إلى المشرق في كنف وحشمة مع والده ، فحج وجاور ولقي الجلة ، ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه ورجع إلى المغرب ، فاشتمل عليه أبو الحسن وجعله مفضى سره ، وإمام جمعه ، وخطيب منبره ، وأمين رسالته ، وقدم الأندلس وسط عام اثنين وخمسين فقلده سلطانها خطبة مسجده وأقعده للاقراء بمدرسته ، ثم صرف عنه جفن بره في أسلوب طماح ودالة ، فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة ، فانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب في شعبان عام أربعة وخمسين ، فاستقر عند أبي عنان في محل تجلة وبساط قربة مشترك الجاه مجدي التوسط (1) .

قال الحافظ ابن حجر : ولما وصل تونس أكرم إكراماً عظيماً ، فخطب ودرس في أكثر المدارس ، ثم قدم القاهرة ، فأكرمه الأشرف شعبان ، ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والنجمية ، وكان حسن الشكل جليل القدر ، مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين انتهى (2) .

قال ابن الخطيب القسنطيني : شيخنا الفقيه الجليل الخطيب ، توفي بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم وأشهب ، له طريق واضح في الحديث ، ولقي أعلاماً ، سمعنا منه البخاري وغيره في مجالس ، وبمجلسه لياقة وجمال، وله شرح جليل على العمدة في الحديث (3) .

---

1) الاحاطة (خطى) مع تصرف .

2) الدرر الكامنة 3 : 450 ع 3476.

3) شرف الطالب ص 373 طبع بيروت .

قلت : وقرأت بخط العالم محمد بن العباس التلمساني ما ملخصه : كتب بعض السادات للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق ، أنه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصه : الحمد لله على كل حال ، خرج الطبري في منسكه ، وأبو حفص الملائي في سيرته ، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو قالا : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التي بأعلا مكة وليس بها يومئذ مقبور ، فقال : يبعث الله من هاهنا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر : مَن هم يارسول الله ؟ فقال : هم الغرباء من أمتي الذين يدفنون هاهنا ، ففي الموضع دفن والدي رحمه الله بعد سماعه الحديث بسبعة أيام ، أفتراه لا يشفع فيمَن أقال عثرة ولده ؟ أفما يشتري هذا بأموال الأرض ؟ أفلا يراعي لي ثمانية وأربعين منبراً في الاسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ؟ أفلا يراعي لي أنه ليس اليوم يوجد مَن يسند أحاديث الصحاح سماعاً من باب اسكندرية إلى البريق والأندلس غيري؟ وقرأت عن نحو مئتين وخمسين شيخاً والله ما أعلمه لكني حرمني الله منه ، فنبذت الاشتغال وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت اللهم غفرانك ، أفلا يراعي لي مجاورة نحو اثني عشر عاماً ؟ وختم القرآن في داخل الكعبة والاحياء في محراب النبي صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم مَن له هذه الوسيلة غيري ؟ أفلا يراعي لي الصلاة بمكة ستاً وعشرين سنة وغربتي بينكم ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم ، مَن ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه ؟ أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله من ذنوبي، ذنوبي أعظم،وربي أعلم ، وربي أرحم والسلام انتهى ، وفيه دليل على قدر الرجل ومكانته ديناً ودنيا .

ورأيت له في بعض المجاميع ما ملخصه : ومن أشياخ والدي سيدي محمد المرشدي لقيته في ارتحالنا للشرق ، وحملني إليه وأنا ابن تسعة عشر سنة ، فنزلنا عنده وقت صلاة الجمعة ، ومن عادته أن لا يتخذ إماماً للمسجد ، وحضر حينئذ من أعلام الفقهاء مَن لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد ،

فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء للتقديم ، فخرج الشيخ فنظر يميناً وشمالا وأنا خلف والدي ، فوقع بصره علي ، فقال لي : يامحمد تعال ، فقمت معه إلى موضع خلوة ، فباحثني في الفروض والشروط والسنن ، قال فتوضأت وأخلصت النية ، فأعجبه وضوئي ، ودخل معي المسجد وقادني للمنبر ، وقال لي : يامحمد ارقَ المنبر ، فقلت له : ياسيدي والله لا أدري ما أقول ، فقال لي ارقه ، وناولني السيف الذي يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ الأذان ، فلما فرغوا ناداني بصوته وقال : يامحمد قم وقل بسم الله ، قال : فقمت وانطلق لساني بما لا أدري ما هو إلا أني أنظر إلى الناس فينظرون إليَّ ويخشعون من وعظي، فأكملت الخطبة ، فلما نزلت قال لي : أحسنت يامحمد ، وقِراك عندنا أن نوليك الخطبة ، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ، ثم سافرنا فحججنا وأراد والدي الجوار ، وأمرني بالرجوع لتلمسان لأونس عمي ، وأمرني بالوقوف على سيدي المرشدي هنالك ، فوقفت عليه وسألني عن والدي فقلت له : يقبل أيديكم ويسلم عليكم ، فقال لي : تقدم يامحمد واستند لهذه النخلة ، فان شعيباً — يعني أبا مدين — عبد الله عندها ثلاث سنين ، ثم دخل خلوته زماناً ، ثم خرج فأمرني بالجلوس بين يديه ، ثم قال : يامحمد أبوك من أحبابنا وإخواننا إلا أنك يامحمد ، إلا أنك يامحمد ... فكانت إشارة منه لما امتحنت به من مخالطة أهل الدنيا والتخليط ، ثم قال : يامحمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك ، أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر الرسول عليه السلام ، وعن يمينه خليل المكي ، وعن يساره أحمد قاضي مكة ، وأما بلدك فسم الله ، فخط دائرة في الأرض ، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلها خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول : تلمسان تلمسان حتى طاف بها مرات ، ثم قال لي يامحمد قد قضى الله الحاجة فيها ، فقلت له : كيف ياسيدي ؟ فقال : ستر الله إن شاء الله على ما فيها من الذراري والحريم ، ويملكها هذا الذي حصرها فهو خيرٌ لهم ، ثم جلس وجلست بين يديه ، فقال لي : ياخطيب ، فقلت : ياسيدي عبدك ومملوكك ، فقال : كن خطيباً أنت الخطيب ، وأخبرني بأمور ، وقال لي لابد أن تخطب بالجانب الغربي

وهو الجامع الأعظم بالأسكندرية ، ثم أعطاني شيئاً من كعيكعات صغار زودني بها وأمرني بالرحيل ، وأما خبر تلمسان فدخلها المريني كما ذكر وستر الله على ما فيها من الذراري والحريم ، وكان هذا المرشدي يتصرف في الولاية كتصرف أبي العباس السبتي نفعنا الله بهما انتهى .

وممن ترجم المترجم الحافظ في (الدرر الكامنة) وترجم فيها أيضاً لسيدي محمد المرشدي ، وذكر من أحواله شيئاً كثيراً فراجعها فيه ، وأنشد من شعر المترجم ابن مرزوق في (الشذرات) هذه الأبيات الأربعة :

أنظر إلى النوار في أغصانـــــه — يحكي النجوم إذا تبدتْ في الحلك
حيَّى أمير المومنين وقال قـــد — عميتْ بصيرة مَن يغيرك مثلــك
يايوسفاً حزت الجمال بأســـره — فمحاسن الأيام تومي هيت لــك
أنت الذي صعدت به أوصافـــه — فيقال فيه إذاً : مليك أو ملَــك

ولصاحب الترجمة تآليف كشرحه الجليل على (عمدة الأحكام) في أسفار خمسة جمع فيها ابن دقيق العيد والفاكهاني مع زوائد ، وشرحه النفيس على الشفا ولم يكمل ، قال في (طبقات المالكية) ، نقلا عن ابن علوان مختصر المدارك ما نصه : قال لي صاحبنا الشيخ الفقيه الخطيب المصنف محمد ابن مرزوق بتونس أنه زار قبره ـ يعني القاضي عياض ـ هناك وقرأ عليه (الشفا) وإنه رآه في النوم ، وأجازه إياه بحق سماعه له من قبره وكتب ذلك ابن مرزوق في إجازاته وجعله من جملة أسانيده ، انتهى المقصود ، وقد نقلناه في ترجمة القاضي عياض الآتية .

رجع لذكر تآليف المترجم :

(الأحكام الصغرى) لعبد الحق ، وشرح فرعيْ ابن الحاجب سماه (إزالة الحاجب ، لفروع ابن الحاجب) ، ولا أدري كمل أم لا ، وبيته بيت علم ودراية ، ودين وولاية ، كعمه وأبيه وجده وجد أبيه ، وكولديه محمد وأحمد وحفيده الامام الناظر الحفيد ابن مرزوق ، وولد حفيده المعروف بالكفيف ، وحفيد حفيده المعروف بالخطيب ، وهو آخر فقهائهم فيما أعلم انتهى .

ومن تآليف المترجم الخطيب محمد الله ابن مرزوق كتابه (المسند الصحيح الحسن ، من أخبار السلطان أبي الحسن) (1) ، و (جنى الجنتين ، في فضل الليلتين) ، وهو من أبدع كتبه بعد أن تكلم على الأحاديث الأربعة التي لم يجدها مسندة أبو عمر بن عبد البر ، وهي في (الموطأ) توهم بعض العلماء أن قول الحافظ أبي عمر بن عبد البر يدل على عدم صحتها وليس كذلك إذ الانفراد لا يقتضي عدم الصحة لا سيما من مثل مالك ، وقد أفردت قديماً جزءاً في إسناد هذه الأربعة الأحاديث ، وقد أسند منها اثنين أحدهما في ذكرى، وغالب ظني الحافظ بن أبي الدنيا في (إقليد التقليد) له وقد بينت أسانيدها في غير هذا المقتضب ، انتهى وقد وصلها ابن الصلاح أيضاً (2) .

616) محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

كان كاتباً عند السلطان أحمد المريني في دولته الأولى ، فلما خلع وولي موسى بن أبي عنان تقرب إليه بسالف المخالصة لأبيه من بني عنان ، فقد كان أعز بطانته ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفعه علي منابر أهل الدولة ، وجعل إليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لأبيه، وكان يفاوضه في مهماته ، ويرجع إليه في أموره حتى غص به أهل الدولة ونما عنه للوزير مسعود بن ماساي أنه يداخل السلطان في نكبته ، وربما سعى عند سلطانه في جماعة من بطانة السلطان أحمد ، فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم ، وكان القاضي إبراهيم اليزناسني من بطانة السلطان أحمد ، وكان يحضر مع ندمائه فحقد له ابن

---

1) توجد منه نسختان فريدتان ، احداهما بمكتبة الاسكوريال قرب مدريد ، والأخرى بالمكتبة العامة بالرباط نقلت اليها من مكتبة تامكروت .

2) وقد طبع منتخب المسند الصحيح الحسن فى مآثر المولى أبى الحسن من النسخة المحفوظة بالخزانة الاسكريالية مع ترجمتها للاستاذ لافى بروفانسال المدرس بالمدرسة العليا الرباطية وهو يباع عند اسيل لاروز الكتبى بباريز والمطبوع العربى اشتمل على نحو 24 صحيفة ومجموعه بالترجمة والتصحيح 82 صحيفة (مؤلف) .

ينظر عن ابن مرزوق الخطيب عدى ما تقدم : **جذوة الاقتباس** ص 140 و **نفح الطيب** 5 : 390 و **الديباج المذهب** ص 305 و **نيل الابتهاج** ص 267 .

أبي عمرو ، وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه ، وجاء بها شنعاء غريبة في القبح ، وسفر عن سلطانه إلى الأندلس ، وكان يمر بمنزل السلطان أحمد ومكان اعتقاله وربما يلقاه فلا يلم له بتحية ولا يوجب له حقاً ، فأحفظ ذلك السلطان ، ولما فرغ من ابن ما ساي ، قبض على ابن أبي عمرو هذا وأودعه السجن ، ثم امتحنه بعد ذلك إلى أن هلك بالسياط ، وحمل إلى داره ، وبينما أهله يحضرونه إلى قبره إذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب بنواحي البلد إبلاغاً في التنكيل ، فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب في سائر المدينة ، ثم ألقي في بعض المزابل ، ثم قبض على حركات بن حسون وكان مجلياً في الفتنة ، وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان إلى سبتة وحركات هذا بتادلة راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به إلى السلطان ، فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد، فتقبض عليه وامتحنه إلى أن هلك ، والله وارث الأرض ومَن عليها .

ترجمه ابن خلدون (1) .

617) محمد بن عثمان ابن الكاس المجدولي

الوزير ، أصله من إحدى بطون بني ورتاجن ، وكان بنو عبد الحق عندما تأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملون منهم في الوزارة ، وربما وقعت بينهم وبين بني إدريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ، ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة بن محلى بمكانه من حصار تلمسان ، وقام بوزارته أياماً وحضر معه واقعة طريف سنة إحدى وأربعين من هذه المئة ، واستشهد فيها ، ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة ممتعاً بحسن الكفالة وسعة الرزق ، وكانت أمه أم ولد ، وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير، فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلا رتبة منه بأولية أبيه وسلفه ، حتى إذا بلغ

---

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 751 طبع بيروت وكانت وفاة ابن أبي عمرو هذا سنة 789 هـ .

أشده واستوى سمت به الخلال ، وجالت أنظار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه ، وقام بوزارته أحسن قيام ، وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه ، وهلك السلطان عبد العزيز ، فنصب الوزير أبو بكر ابنه السعيد للملك صبياً لم يثغر، وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أحمد عليه ما قدمناه ، وقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أحمد مستبداً عليه ، ودفع إليه أمور ملكه ، وشغل بلذاته ، فعانى محمد بن عثمان من أمور الدولة ما عاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم ما مر ، وانفضّ بنو مرين عنه للسلطان أحمد وعنه كما ذكرناه ، ورجعا إلى تازة ، فدخلها السلطان أحمد وفارقهم محمد بن عثمان إلى ولي الدولة ونزمار ابن عريف وهو مقيم بظاهر تازة ، وتذمم له فتجهم له ونزمار وأعرض عنه ، فسار مغذاً إلى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا هنالك قبلة تازة لذمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد بن عبو ، فنزل عليه متذمماً به ، فخادعه وبعث بخبره إلى السلطان ، فجهز إليه عسكراً مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم ، ورزوق بن توقريطت ، والحسن العوفي من الموالي ، فتبرأ منه العرب وأسلموه إليهم ، فجاءوا به وأشهروه يوم دخوله إلى فاس ، واعتقل أياماً وامتحن في سبيل المصادرة حتى استصفي ثم قتل ذبحاً بمحبسه . والله وارث الأرض ومَن عليها .

انتهى من ابن خلدون (1) .

وقال أيضاً في تاريخه ما نص المقصود منه : ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازي ، وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبداً عليه ، والعلامة لابن رضوان كما كانت إلى أن هلك بأزمور في حركة السلطان أحمد إلى مراكش لحصار عبد الرحمان بن أبي يفلوسن بن السلطان أبي علي انتهى .

---

1) **كتاب العبر** (تاريخ ابن خلدون) 7 : 732 .

618) محمد (المنتصر) بن السلطان أحمد المريني

محمد المنتصر بالله أبو زيان أو أبو علي بن أحمد بن إبراهيم بن علي المريني ، قال ابن خلدون : كان السلطان أحمد – يعني والد المترجم – حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر في البحر إلى سلا ، واستوزر له عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجني، وأقام ومربها، ومر به زروق بن توقريطت راجعاً من دكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد ، فتلطف في استدعائه ثم قبض عليه وبعث به لأبيه مقيداً ، فأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ، ثم بعث السلطان إلى ابنه المنتصر بولاية مراكش ، وأن يسير إليها ، فلما وصل إلى مراكش امتنع النائب بالقصبة ، ودس لعبد الحق وزير المنتصر أن النائب قد همّ بقتله ، وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة ، فأجفل بالمنتصر وصعد إلى جبل هنتاتة ، وطير بالخبر إلى السلطان فتغير لأبي ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة ، واستوزر له سعيد بن عبدون ، وبعثه بالكتاب، وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس ، فوصل سعيد بن عبدون إلى مراكش ، ودفع إلى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه ، فأجاب إلى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها ، فدخلها وبعث عن المنتصر ابن السلطان ، واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذي كان بها وسائر شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم (1) .

وأم المترجم هي رقية بنت السلطان أبي عنان ، كان أبيض اللون قويم الأنف أسيل الخدين ، بويع بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمئة ، وسنه يوم بويع خمس سنين ، وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة ، وغرب إلى الأندلس مع أبيه ، فكانت دولته ثلاثاً وأربعين يوماً تحت استبداد الوزير مسعود بن ماسي ، وهذه الدولة له كانت قبل رجوع والده إلى المغرب واستيلائه عليه واستخلافه إياه بمراكش ، لأن والده رجع لملكه في العام الذي بعده سنة 789 (2) .

---

1) كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون) 7 : 744 .

2) روضة النسرين ص 37 .

619) محمد بن القاسم الصيرفي

محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي من أهل النبل والظرف، الشيخ الأديب الفقيه المكتب، كتب عن الأمراء بمراكش، واختص بنظم المولديات بها، قرأ على أبي عثمان بن جرار المقرىء النحوي بمراكش، وأبي العباس بن حسين الغفايري، والخطيب المحدث محمد ابن رشيد، والقاضي أبي الحجاج الطرطوشي، والمقريء أبي الحسن ابن بري، وأبي العباس الفرقشي، وأبي العباس ابن بري، وأبي العباس ابن القراق، وأنشدني من شعره :

مَن لم يفدك بنفعه أو جاهــه	فلأنما أستصنعته مخدومــا
فلتخدم الله الذي مَن أمَّــه	بضمير صدق يلف منه رحيمـا

ومن نثره قوله : أما الكتابة فلفظ نحلة حذفت تاؤه، ومعقل خذلة شرع من غير محله إيتاؤه، وهي خطة استغنى الناس بذيانها عن سحبانها، وعن ملاك أزمة آدابها بجهلة طلابها، فمن يرأسها معهم من ذوي المروآت والهمم، من سائر الأمم، فقد ارتكب الصعاب، وتوى مقعداً من المذلة والهوى انى شاء من سائر الأبواب، فهو ينشد سائليه عن حاله بلسان عذر كليل، وقلب عليل، معتذراً في الضرائر بما قد قيل :

ألا قاتل الله الضرائر إنهــا	تعلم خير الناس شرَّ الطبائــع
وتحمل ذا الطبع الشريف تكرهـاً	على ذلة في عيشة وتصانــع

وكان السفر من مراكش يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الأخيرة، وقصدنا باب الرخاء من أبوابها غلساً لنصابح تربة الشيخ قصد التزود ببركتها فتعذر فتحه وطال به الوقوف وأعيى علاجه، فانصرفنا عنه وفي أنفس بعض المشيعين حزازة من ذلك، فأنشدت منهم الشيخ القاضي أبا محمد الزقندري بديهة :

يامحلا لخلتي وانتخابــي	لم يبح لي الخروج باب الرخــاء
دل أن الرخاء مغتبط بــي	فبحق تبجحي وانتخائــي

فحفظ واستظرف وتحول المحزون إلى ضده ، والله الموفق للأقوال والأعمال بفضلـه .

انتهى من (نفاضة الجراب) (1) .

620) محمد بن عبد الرحمان الكفيف المراكشي

عرف بالضرير ، قال ابن الخطيب القسنطيني في وفياته : توفـي الفقيه الحافظ الأستاذ الجليل المفتي محمد بن عبد الرحمان المراكشي الضرير من أهل بلدنا ببونة في آخر ذي الحجة مكمل سبعة وثمانمئة ، وكانت ولادته سنة تسع وثلاثين وسبعمئة انتهى . وبه ختم الوفيات (2) .

وفي (تاريخ الدولتين) ما نصه : وفي السنة المذكورة — يعني سنة 809 — توفي ببونة الفقيه الشهير الضرير محمد المراكشي ، كان جيد النظم والنثر ، وله في فرس حمراء بعث بهـا إليه المولى أبو زكـرياء ليأتي عليها فأملـى :

وعدوانية من خير نســــــل	تفوق الورد في حسن احمـــرار
أتتني من إمام أمير يحيـــــى	كريم الأصل حفصي النجــــار
لها نغم ولكن لســــــت أدري	أفي المزموم أم في المستعـــار

فكتب إليه أبو يحيى ما نصه : **في المزموم ، انتهى** .

ومن تآليفه (أرجوزة في المنطق) شرحها صاحبه أحمد ابن قنفـذ في سفر سماه (إيضاح المعاني ، وبيان المباني) ، ومن تآليفه (إسمـاع الصـم ، فـي إثبات الشـرف من جهـة الأم) ، تأليـف حسن أمـلاه سنة إحدى وثمانمئة كما وقفت عليه في نسخة صحيحة منه ، ووقع للسخاوي حسبما نقله في التوشيح والنيل عنه أنه أملاه سنة عشر وثمانمئة وليس كذلك لما تقدم من تاريخ وفاته قبل ذلك .

---

1) **نفاضة الجراب** ص 67 .

2) **شرف الطالب** ص 381 .

قلت الذي في (الضوء اللامع) هو قوله : ورأيت له عند البدر بن عبد الوارث المالكي مصنفاً ابتدأه في ذي القعدة سنة إحدى وثمانمئة سماه (إسماع الصم) إلخ ، وقد رتب كتابه المذكور على مقدمة وستة أبواب ، الباب الأول : في الاستدلال من القرآن على إثبات الشرف من قبل الأم ، الباب الثاني : في الاستدلال من السنة على ذلك ، الباب الثالث : في الاستدلال من الاجماع على ذلك ، الباب الرابع : في الاستدلال من النظر على ذلك ، الباب الخامس : فيما يحتج به نفاته والجواب عن ذلك ، الباب السادس : في مسائل من حقوق الشرفاء على الناس ، وحقوق الناس على الشرفاء ، وما يتعلق بذلك ، ثم ذكر في المقدمة أن هذه المسألة لم يحفظ فيها عن مالك شيء ، إلا أنه قال : ثم ذكر مسائل من الحبس على الولد أو الأولاد ، أو ولد الولد ، أو أولاد الأولاد ، ثم نقل عن الروضة الشرف من قبل الأم ثابت ، ثم قال : واختلف فيها علماء تونس وعلماء بجاية رضى الله عن جميعهم سنة 726 قبل ولادتي بنحو ثلاث عشرة سنة ، ومولدي ليلة السابع والعشرين لجمادى الأخيرة سدس الليل الأخير سنة تسع وثلاثين ، وولدت أعمى ، وابتدأت هذا الاملاء ضحى يوم الجمعة السادس لذي القعدة عام أحد وثمانمئة ، قال علماء تونس لا يدعى شريفاً ، وقال علماء بجاية يدعى ، أقول : وهو قول ابن الغماز عن علماء تونس ، وقول تقي الدين ابن دقيق العيد ، وقول أشياخنا بني بادس ، ثم استدل في الباب الأول بقوله تعالى : « ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلاً هدينا » الآيات بعد عيسى عليه السلام من ذرية نوح من جهة أمه عليها السلام ، وبقوله : « رب اجعلني مقيمَ الصلاة ومن ذريتي » لا يقول أحد إن ولد البنات لا يدخل في دعوته ، ثم قال : وفي (جامع المسالك) لابن العربي من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه أولاد بناته من علي وغيره ، واستدل في الباب الثاني بأحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام : وانظر في أي نصاب تضع ولدك ، فان العرق جساس ، وهذا نص على شرف ابن الشريفة ، وخسة ابن الخسيسة ، واستدل في الباب الثالث بانعقاد الاجماع على تحريم نكاح المتصلة به عليه الصلاة والسلام من جهة أم عليه بمقتضى قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » ، فانعقد الاجماع على أنها بعضه ، ومن قال

أن بعضه عليه السلام ليس بشريف فقد تنقصه ، ومَن تنقصه فقد انعقد الاجماع على وجوب قتله ، وبأن المتصل به عليه السلام من جهة أم من ذوي رحمه ، واستدل في الباب الرابع باطراد الانتماء إليه من جهة أب أو أم ، إلا فلا فارق ، ومن فرق يطالب بالدليل من كتاب ، أو سنة ، أو إجماع ، أو لحن خطاب ، أو مجـوى ، أو حصر ، أو خطاب أو استصحاب حال ، ولا واحد منها ، وتعليق الشرف على الميراث فاسد الوضع ، لأنك تثبت بشرف أولاد فاطمة ولا ميراث لأولاد البنت ، وذكر في الخامس حجة القاضي أبي إسحاق بن عبد الرفيع بقوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ، والجواب أن المراد نفي التبني وهذا لا يمنع دعاء الانسان إلى أمه ، ولا الحكم بالشرف لمن متّ إليه عليه السلام بأم حجة أخرى : « يوصيكم الله في أولادكم » ، قال أجمع المسلمون أن ولـد البنات لا يدخلون تحت هـذا اللفظ ، والجواب : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » أجمع المسلمون أن بنات البنات تدخل تحت هذا اللفظ حجة أخرى لقطب وقتنا الامام ابن عرفة رضي الله عنه شرف من متّ بأمه من جهة أمه ، وجهة فاطمة ، وجهة الأب أقوى ، والجواب أن المقتضى المتات إليه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يتفاوت بجهة أب ولا أم ، ثم قال : فان قيل أقررت له بالقطبية ولم أقر له بالعصمة استدراك بعد خروج الكتاب ، فان قيل لم أقررت له بالقطبية قلت حدثني الفقيه محمد ابن مسافر أن أحمد البردعي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه والقطب ابن عرفة عن يمينه وعبد الله ابن تفراكين عن شماله ، فقال لابن عرفة : أنت خليفتي على أمتي ، وقال لابن تفراكين أنت مني أم ابن تفـراكين شريفة ؟ قال رضي الله عنـه : سمعت شيخنا أبن عبد السلام يصرح بتخطئة مثبته متمسكاً بالاجماع على أن نسب الولد هو لأبيه لا لأمه ، قال الضرير المؤلف : وأنا أصرح بتخطئة مَن نفاه متمسكاً بالاجماع على تحريم نكاح بنت الشريفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال إن الشيخ ابن عبد السلام ان سلم مزيته على من أمه ليست بشريفة فذلك لانتسابه بأمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المزية هي الشرف المتنازع فقد نقض تصريحه بتخطئة مثبته ، ثم قال في الباب السادس وهو آخر الأبواب ، قال الضرير المؤلف وفقه الله تعالى : لا

خفاء أن ما ذكرنا يقتضي أن للشرفاء ــ وهم كل من متّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسريان لحمه ودمه الكريمين فيهم ــ فهم بعضه ، وبعضه في وجوب الاجلال ، والتعظيم ، والتعزيز ، والتوقير ، والبر ، والنصيحة كجميعه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وقد تبين من قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، وأبي مالك أنه يدخل فيه مَن متّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم أو أب ، ثم قال : وقد أردت أن أقبل يد مولانا الشريف يحيى بن أحمد بن أبي حامد فمنعني فأنشدته :

أتمنعني اللثم من راحـــــــة نماها إلى الهاشمي الكـــرام
كأني إذا أنا قبلتهـــــا لثمت يديه عليه السـلام

ولما وصلتْ فتوى ابن عبد الربيــع المشار لها أمر ناصر الديــن المشدالي تلميذه الحسن بن حسين البجاوي العمدة المحقق بالجواب ، فألف رسالة رد فيها على ابن عبد الرفيع ، وتوفي الحسن المذكور سنة 754 .

أخذ المترجم عن علماء بني باديس وغيرهم ، وورد تونس ، وحضر مجلس ابن عرفة ، ورأى ما يقع هناك من الأبحاث وقام عنهم ، ونظم بيتين في هجو المجلس قائلا :

وما بال مَن يهجو أخاه بلفظــة لدى الخبر المروي عند الأئمــة
وعلم أصول الفقه والبحث والحجا سوى حال مَن قد ساءه فضل نكتة

فأجابه الشيخ ابن عرفة بقوله :

فباء بفسق قاله سيد أتــــى بصدق وتبيان ووعظ وحكمــة
روى في الصحيح مسلمٌ عن شيوخه سباب لذي الاسلام فسق وحجتي
فكبرى وصغرى ينتجان فسوقــه فبالله أعرضْ عنه وادفعْه باللتي

فقيل له : كيف القياس المذكور ؟ فقال : الهاجي ساب ، وكل ساب فاسق ، فالهاجي فاسق انتهى ، نقله الرصاع . وذكر في البستان لدى ترجمة العلامة سيدي الحسن أبركان أنه قرأ على المترجم بقسنطينة انتهى ، ومن

تآليفه أيضاً منظومة في (البيان) وغيرها ، قال في (كشف الظنون) ضياء الأرواح المقتبس من الصباح أرجوزة للشيخ محمد بن عبد الرحمان المراكشي، وقال في (الكشف) المفتاح، في اختصار المصباح في المعاني والبيان لمحمد بن عبد الله ابن مالك ، وترجيـز المصباح لمحمد بن عبـد الرحمان المراكشي الضرير النحوي أوله : يقول راجي ربه ذي الرحمة إلخ ، وقد التقطه من الحلية والطيبي والنجديهي والصناعتين للعسكري ، وشرح الشقراطيسية للمصري، وتفسير الكوثر لابن البنا خاتمة المحققين ، ثم شرحه املاءً وسماه (ضـوء المصباح ، على ترجيز المصباح) ، أوله الحمد لله وكفى ، ثم ذكره عند ذكر (مفتاح العلوم) .

621) محمد المراكشي

شيخ سيدي عبد الله بن الصالح الزاهد سليمان بن قاسم البحيري التونسي مجيز محمد ابن مرزوق الكفيف من أهل القرن التاسع ، جرى ذكره في فهرسة ابن هلال ، وأظنه والله أعلم هو محمد المراكشي الضرير المترجم قبل ، وقد ترجم لعبد الله المذكور في (النيل) ، ولم يذكر أحداً من أشياخه، واقتصر على التنبيه على أخذ ابن مرزوق عنه وكونه قاضي الأنكحة من معاصري الامام ابن عقاب .

622) محمد بن علي ابن عليوات المصمودي المراكشي

الشيخ الفقيه ، الفقيه ، العالم ، الصالح ، الزاهد ، الأكمل ، الراوي للمصافحة،قال الامام ابن غازي في ذيل فهرسته (التعلل) الذي أجاز فيه لولده ما نصه : ومنهم الشيخ الثبت الزكي الواعية محمد ابن الشيخ الأستاذ الحافظ محمد بن يحيى ابن جابر الغساني المكناسي الدار ، جالسته بها واستفدت منه كثيراً ، وكان معمراً ، ومن أغبط ما أخذته عنه المصافحة المروية من طريق الخضر ، صافحني بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون ، وقال : صافحني والدي الأستاذ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر ، وقال : صافحني

الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الأكمل محمد بن علي المراكشي المعروف بابن عليوات ، وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله في أوائل اثنين وثمانمئة ، وأخبرني أنه صافحه كذلك محمد الصافي ، وصافح محمدَ الصدفي أحمدُ ابن البناء ، وصافح أحمدَ ابن البناء رحمه الله تعالى محمدُ الهزميري أخو عبد الرحمان الهزميري وشيخه ، وصافح محمدَ الهزميري أحمدُ الخضر ، وصافح أحمدَ الخضر سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم وعظم ، وكذلك صافحني الشيخ الأعدل المبارك يحيى بن خالد بن أبي بكر بن يحيى بن خالد ، قال : صافحني والدي المذكور، والشيخ الفقيه المفتي عبدُ الله بن محمد بن موسى ابن معطي العبدوسي ، صافحنا الأستاذ محمد أبن جابر المذكور بمثل السند المذكور ، وقال أحمدُ المنجور في فهرسته وحدثته ـ يعني أحمد المنصور الذهبي ـ أيضاً أيده الله بالحديث المسلسل بالمصافحة ، فقلت له : صافحني الشيخ الامام المحدث عبد الرحمان بن علي السفياني الشهير بسقين العاصمي ، قال : صافحني الشيخ الامام ابن غازي ، ثم قال : وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى في أوائل عام اثنين وثمانين وسبعمئة ، إلى أن قال هذا نص ابن غازي في فهرسته وفيه مخالفة في تاريخ مصافحة شيخ الأستاذ ابن جابر له لما وجدته بظاهر أول ورقة نسخة من نظم أهل الحلية للأستاذ بخط يده ونصه : صافحني سيدي الشيخ الفقيه العالم الصالح المبارك الأكمل محمد بن علي المراكشي بيده المباركة وأمرني أن أشد يدي على يده ، وقال أن معنى ذلك الاشتداد في الدين فشددت ، وأخبرني أنه صافحه كذلك سيدي أبو عبد الله ، وصافح سيدي أبو عبد الله الصدفي سيدي أحمدَ ابن البناء ، وصافح سيدي أحمد ابن البناء سيدي محمد الهزميري أحمدُ الخضر ، وصافح الخضر النبيءُ صلى الله عليه وسلم ، نفعنى الله بمحبتهم ، وحشرني في زمرتهم ، قال هذا وكتبه بخط يده محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن يحيى ابن جابر الغساني جبر الله حاله ، وأصلح باله ، وجعل الجنة مأوى له ، وكانت تلك المصافحة المباركة بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى في أوائل عام اثنين وثمانمئة هـ . فليتأمل ذلك ، انتهى كلام المنجور .

قلت : تأملناه فوجدنا التاريخ متفقاً وهو أوائل عام اثنين وثمانمئة كما تقدم في نقلنا عن ذيل فهرسته ابن غازي من نسخة قديمة جداً فلا مخالفة ولا اعتراض ، ورأيت بخط الصالح سيدي محمد صالح الشرقي في إجازته للشمس محمد التلمساني الشهير بالمنور المترجم في شرح القاموس وألفية السند للشيخ مرتضى ، وبالسند المتقدم إلى سيدي إبراهيم التازي — يعني أنه صافح سيدي أحمد ابن ناصر ، وهو صافحه سيدي عيسى الثعالبي عن سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري ، عن سيدي سعيد المقري ، عن سيدي أحمد حجي ، عن سيدي محمد الوهراني ، عن سيدي إبراهيم التازي ، قال : صافحني سيدي عبد الله العبدوسي وشد يده على يدي وقال : المراد بهذا الشد الاشتداد في تأكيد الصحبة ، قال : صافحني محمد ابن جابر الغساني عن محمد بن علي المراكشي ، وشهرته بابن عليوات ، عن محمد الصدفي ، عن أحمد ابن البناء عن محمد الهزميري ، عن أحمد الخضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى المقصود ، وأصله في فهرسة الامام العياشي (اقتفاء الأثر) ، والامام عبد الله العبدوسي كان يحفظ مختصر مسلم المترجم في (الجذوة) وغيرها ، المتوفي أواخر العشرة الخامسة من القرن التاسع ، ومحمد بن يحيى ابن جابر المذكور هو صاحب (المرقبة العليا في تفسير الرؤيا) من الرجز ، وقفت عليها في مجلد بخط السيد نظمها عام أربعة وثمانمئة ، وتوفي بمكناسة سنة سبع وعشرين وثمانمئة ، وترجمته في (الجذوة) وغيرها ، وصافح عبد الله العبدوسي المذكور سيدي إبراهيم التازي تلميذه في رمضان عام اثنين وثلاثين وثمانمئة كما نقله في (النجم الثاقب) في ترجمة التازي المذكور المتوفي سنة ست وستين وثمانمئة عن فهرسته ، وقال في (المنح البادية) وقال سيدي إبراهيم التازي : وصافحني سيدي إبراهيم العبدوسي وشدَّ على يدي ، وقال : المراد بهذا الشد الاشتداد في تأكيد الصحبة ، قال صافحني محمد ابن جابر الغساني عن محمد بن إبراهيم المراكشي شهرته بابن عليوات عن محمد الصدفي عن أحمد الخضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وسمى المترجم محمد بن إبـراهيم وقال صافحني سيدي إبراهيـم العبدوسي وهو غلط من صاحب المنح ، فالذي في فهرسة التازي المذكور هو ما نصه : الحمد لله وحده دائماً ، يقول كاتبه عبيد الله بن محمد بن موسى العبدوسي صافحت الفقيه الأخ في الله تعالى سيدي إبراهيم بن محمد التازي أخذ الله تعالى بيده ، وكان له بمنه ، وشد يدي على يده ، وقلت له : المراد بهذا الشد الاشتداد في الله وتأكيد الصحبة ، وحدثته بها عن شيخنا الأستاذ محمد ابن جابر الغساني عن الامام الرباني محمد بن علي المصمودي المراكشي وشهرته بابن عليوات إلـى آخر ما تقدم مسقطاً ابـن البناء بين الصدفـي والهزميري ، وروى صاحب (إثمد العينين) المصافحة عن محمد الصدفي عن محمد الهزميري عن الخضر عليه السلام عـن النبي صلى الله عليـه وسلم ، فأسقط أحمد بن البناء بين الصدفي والهزميري ، قال في (المرآة) لعل ذكر ابن البناء فيه من المزيد في متصل الأسانيد انتهى .

قلت : هما روايتان لابن جابر عن ابن عليوات، فمرة ذكر ابن البناء كما في رواية ابن غازي ، ومرة أسقطه كما في رواية العبدوسي عنه ، وأورده كذلك بالاسقاط في (الروضة المقصودة) ، ونص ما في (إثمد العينين) : قـال المؤلف عفـا الله عنـه : دخلت يومـاً على الشيـخ محمد الصدفـي فوجدته يأكل خبزاً ، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام وأعطاني كسرة وقال لي : كلْها وأبشرك ببشارة ، فأخذت شيئاً منها فأكلته ، ثم قال لي : هات يـدك أصافحْك ، فصافحتُه ، فقال لي صافحت سيدي محمد – يعني الهزميري – وصافح سيدي محمدَ الخضرُ ، وصافح الخضرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان ، يد الشيخ ، ويد الخضر ، وتكون أنت بينك وبينه صلى الله عليه وسلم ثلاث أيد ، ففرحت والله بذلك فرحاً شديداً جعلنا الله من أخيار أمته ، وأفاض علينا من بركته انتهى .

623) محمد بن موسى المراكشي (1)

محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله المراكشي الأصل ثم المكي ، الحافظ جمال الدين أبو المحاسن بن موسى ، ولد في ثالث رمضان سنة سبع وثمانين ، وحفظ القرآن وأجاز له وهو صغير قبل التسعين محمد ابن عرفة ، وتقي الدين ابن حاتم ، وناصر الدين ابن الميلق وجماعة ، وتفقه وحبب إليه فن الحديث ، فسمع بمكة على أشياخ مكة كابن صديق ومن دونه ، وعلى القادمين عليها كعلاء الدين الجزري ، وعبد الرحمان الدهقلي ، وشهاب الدين ابن قبيب ، وأخذ علم الحديث عن الشيخ جمال الدين ابن ظهيرة ، والحافظ تقي الدين الفاسي ، والحافظ صلاح الدين الأقفهسي ، وتخرج به في المعرفة في طريق الطلب والعالي والنازل ، ووصل إلى الديار المصرية فسمع من أشياخها ، ثم رحل إلى الشام فأدرك عائشة بنت عبد الله خاتمة أصحاب الحجار ، وجال في رحلته ، فسمع بحلب ، وحماة ، وحمص ، وبعلبك ، والقدس ، والخليل ، وغزة ، والرملة ، وسمع بالأسكندرية وغيرها، ثم رجع وقد كمل معرفته وتخرج بغير واحد من أشياخه منهم الشيخ زين الدين بن الحسين ، وعمل تراجم أشياخه فأفاد فيها ، وخرج لنفسه أربعين متباينة موافقات لكن لم يلتزم فيها السماع ، بل خرج فيها بالاجازة ، ثم دخل اليمن فسمع بها ومدح الناصر فأجازه وولاه مدرسته هناك ، فأقام بتلك البلاد وصار يحج كل سنة ، وكان ذا مروءة وقناعة وصبر على الأذى ، باذلا لكتبه وفوائده ، وكان موصوفاً بصدق اللهجة وقلة الكلام وعدم ما كان عند غيره من أقرانه من اللهو وغيره من صباه إلى أن مات ، فلما كان في سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة قدم حاجاً فعاقهم الريح فخشي فوات الحج ، فركب في البر وأجهد نفسه فأدركه وتوعك ، واستمر مريضاً إلى أن مات في ثامن عشر ذي الحجة ، ودفن بالمعلى .

---

1) هذا الرجل ليس على شرط المؤلف ، فلا علاقة له بمراكش ولا بأغمات الا انحداره من أسرة مراكشية الأصل ، اذ هو مكي ولم ير المغرب قط ، وحقه ألا يثبت في هذا الكتاب .

ترجمه في (إنباء الغمر) ، وذكر في ترجمة مجد الدين صاحب القاموس المترجم في سنة 817 السنة التي مات فيها أنه خرج له المترجم مشيخة وحلاه في حوادث سنة 818 بصاحبنا الحافظ جمال الدين محمد بن موسى المراكشي ثم المكي ، انتهى .

والفهرسة التي خرجها لشيخه الفيروزبادي فيها مروياته الكتب الستة وسنن البيهقي ، ومسند أحمد ، وصحيح ابن حبان ، ومصنف ابن أبي شيبة وغير ذلك على أشياخ عديدة وجم غفير قاله في ترجمته من (أزهار الرياض) ، وترجم الحافظ تقي الدين بن فهد في (ذيل طبقات الحفاظ) للمترجم المكي الشافعي ، فقال : رحلت أنا وهو في سنة ست عشرة إلى اليمن لنسمع على القاضي مجد الدين الفيروزبادي مشيخة خرجها له فلم يتيسر له قراءتها ، انتهى المقصود وترجمه في (الشذرات) .

وقال في (الضوء اللامع) في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد المحسن السبكي الحمصي الشافعي ما نصه : أجاز لابن شيخنا وغيره بأخبار ابن موسى المراكشي وصوابه محمد بن محمد كما في رحلة ابن موسى ، وذكر أيضاً في ترجمة أحمد بن محمد بن أبي بكر المالكي المعروف بابن الدماميني أنه سمع الحديث من التاج ابن موسى، انتهى، وستاتي ترجمة والده موسى . وذكر في (الضوء اللامع) في ترجمة الجمال محمد بن إبراهيم الفوي الأصل المكي الحنفي ، المعروف بالمرشدي المتوفي سنة 839 بمكة أنه خرج له الجمال بن موسى فهرسة بالسماع والاجازة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن إبراهيم المعروف بابن درباس وبابن الشحنة أنه كتب عنه ابن موسى في سنة خمس عشرة ، وذكر في ترجمة أبي البقاء محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشتكي المصري أنه ممن كتب عنه ابن موسى المراكشي كراسة من نظمة ، وذكر في ترجمة الجمال محمد بن أحمد أبو عبادة الصامت أنه أجاز له جماعة باستدعاء من ابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة محمد أخ الذي قبله أنه أجاز له جماعة باستدعاء الجمال المراكشي ، وذكر في ترجمة التقي محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي المالكي شيخ الحرم أنه خرج له الجمال

ابن موسى معجماً مات قبل إكماله ، وقال في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة : وأخذنا عن خلق ممن أخذ دراية ورواية كابن الهمام ، وابـن الاقصرائي ، والزين رضوان ، والأبـي ، والسفطي ، وشعبان ، ومن قبلهـم التقي الفاسي ، وابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف بابن الخياطالجبلي بكسر الجيم ، ثم موحدة ساكنة من بلاد اليمن أنه أجاز له جماعة باستدعاء ابن موسى ، وكان قد صحبه وانتفع به سيما بعد موته ، فان غالب كتبه وأجزائه صارت إليه ، ونقل عـن عقود المقريزي أن الجبلي المذكور استولى على فوائد شيخه الجمال ابن موسى المراكشي وهي جمة كثيرة النفع ، فاستعان بها على ما هو بصدده ، واشتهر لذلك بالمعرفة التامة ، وذكر في ترجمة محمد بن عبد الله المقدسي المعروف بابن الديري أنه أخذ عنه الأيمة ، منهم ولده سعد ، وابن موسى الحافظ ، وذكر في ترجمة الشمس بن عبد الله الصالحي المعروف بابن الملح أنه سمع منه الحافظ ابن موسى ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن عطاء الهروي أنه سمع منه الحافظ ابن موسى وغيره ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد البعلي المعروف بابن الشحرور أنه سمع منه الحافظ ابن موسى في سنة خمس عشرة ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروفبابن القباقبي أنه سمع منه الحافظ ابن موسى ، ووصفه بالشيخ الصالح الامـام العالم ، وفـي ترجمة الشمس محمد بن علي المعروف بابن الزراتيتي أنه سمع منه ابـن موسى الحافظ ، وفي ترجمة الشمس محمد بن محمد سبط التقي السبكي أنه سمع منه الفضلاء كابن موسى ، وذكر في ترجمة الكمال محمد بن محمد الشمني أنه سمع من التاج ابن موسى ، وأنه كتب عنه شيخه العراقي في وفياته وفاة التاج ابـن موسى ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن محمد المعروف بابن شقير أنه سمع منه ابن موسى ، وذكر في ترجمة محمد بن محمد المعروف بابن الجزري في تعداد أشياخه ابن موسى ، وذكر في ترجمة التاج محمد بن محمد المعروف بابن التنسي المالكي أنه سمع منه الحافظ ابـن موسى ، وذكر فـي ترجمة الشمس محمد بن محمد الجوخي أنه سمع منه جزء ابن عرفة ابن موسى ، وفي ترجمة فتح الدين محمد بن محمد السكندري أنه سمع منه سيرة ابن هشام

ابن موسى ، وفي ترجمة محمد بن محمد المعروف بابن القماح أنه سمع من التاج ابن موسى خاتمة مَن يروى حديث السلفي عالياً بالسماع المتصل ، وقال في ترجمة المجد أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي : إنه لقي جمعاً من الفضلاء ، وحمل عنهم شيئاً كثيراً تجمعهم مشيخة تخريج الجمال ابن موسى المراكشي ، وذكر في ترجمة الشمس محمد بن يوسف الكتبي المعروف بالأمشاطي أنه سمع منه الفضلاء كابن موسى انتهى .

وقد عنَّ لي أن أسوق عبارة (الضوء اللامع) في ترجمة المترجم وان كان تقدم بعض ذلك لكونه أتم مساقاً قال فيه بعد ذكر نسبه : أبو البركات وأبو المحاسن المراكشي الأصل ، المكي الشافعي ، سبط العفيف اليافعي ، ويعرف بابن موسى ، ولد في ليلة الأحد ثالث رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمئة بمكة ونشأ بها، فحفظ القرآن، والعمدة، والتنبيه، والمنهاج الفرعيين ، وألفية النحو وغيرها ، وعرض على غير واحد ، ومن شيوخه في العلم بمكة الجمال ابن ظهيرة تفقه به كثيراً وأخذ عنه ، والشمس المعيد أخذ عنه كثيراً في العربية ومتعلقاتها ، وانتفع في العربية كثيراً بزوج أمه خليل ابن هارون الجزائري ، وتفقه أيضاً في المدينة النبوية بالزين المراغي قرأ عليه تأليفه (العمد ، في شرح الزبد) في الفقه ، وأذن له في الافتاء والتدريس ، وأكثر عنه من المرويات في الحرمين ، وكذا أذن له ابن الجزري في ألافتاء والتدريس نظماً ، وأخذ علوم الحديث عن الجمال ابن ظهيرة ، والولي العراقي ، وشيخنا وكذا انتفع بالتقي الفاسي ، وبالصلاح الأقفهسي ، وتمهر في طريق الطلب وأدمن الاشتغال بالفقه وأصوله ، والفرائض ، والحساب ، والعربية ، والعروض والمعاني ، والبيان وغيرها حتى برع ، وتقدم كثيراً في الأدب نظماً ونثراً واشتدت عنايته بالحديث ، وتقدم فيه كثيراً لجودة معرفته بالعلل والرجال المتقدم منهم والمتأخر ، وبالمرويات وتمييز عاليها من نازلها مع الحفظ لكثير من المتون بحيث لم يكن له بالحجاز فيه نظير ، وارتحل سنة أربع عشرة فما بعدها وأكثر من المسموع والشيوخ ، فكان من شيوخه بمكة ابن صديق ، وبالمدينة المراغي ، وبدمشق عائشة ابنة ابن عبد الهادي ، وعبد القادر

الأرموي ، وبالقاهرة ابن الكويك ، وبالأسكندرية الكمال ابن خير ، وببعلبك التاج ابن بردس ، وبحلب حافظها البرهان سبط ابن العجمي ، وبالقدس والخليل جماعة من أصحاب الميدومي ، وبحمص وحماة وغزة والرملة وغيرها كاليمن أخذ فيها عن المجد اللغوي ، وعاد من رحلته الشامية وقد كملت معرفته ، وأجاز له في صغره ابن خلدون ، وابن عرفة ، والنشاوري ، وابن حاتم ، والغياث العاقولي ، والعزيز المليجي ، والعراقي ، والهيثمي ، والمناوي ، وابن الميلق ، والتنوخي ، وابن فرحون ، ومريم الأذرعية وغيرهم ، وصنف شرحاً لنخبة شيخنا ومختصراً مستقلا في علوم الحديث كابن الصلاح وعمل شيئاً على نمط الموضوعات لابن الجوزي ، وشيئاً في تاريخ المدينة النبوية ولم يكمل واحداً منها ، وعمل لكل من المراغي والمجد اللغوي والجمال المرشدي مشيخة ، وكذا شرع في معجم للفاسي كتب منه عدة كراريس في المحمدين ، وعمل أربعين نصفها موافقات وباقيها ابدال لجماعة من الشيوخ ، وأربعين متباينة الأسانيد والمتون كلها موافقات لأصحاب الكتب الستة دالة على سعة مروياته وقوة حفظه ، ولكن مع عدم تقيد فيها بالسماع لم يبيضها ، وترجم شيوخ رحلته في مجلد أفاد فيها ، ودخل اليمن غير مرة منها في سنة عشرين ، وولي بها الاسماع ببعض المدارس بزبيد ، ثم مال إلى استيطانه فانتقل إليه بتعاليقه وأجزائه وكتبه وظهر لفضلائها تميزه في الحديث وغيره فأقبلوا عليه ونوهوا بذكره ، ونما خبره إلى الناصر صاحب اليمن فمال إليه وزاد في بره ، سيما وقد امتدحه بقصائد طنانة ، وتوجه منه في النصف الثاني من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ، فبرز من بعض المراسي القريبة من جدة حين عاقهم الريح في يوم حار ، وركب وسط النهار فرساً عرياً وركضه كثيراً ليدرك الحج ، وكان بدنه ضعيفاً فازداد بذلك ضعفاً ، وأدرك أرض عرفة في آخر ليلة النحر فيما ذكر ، وما أتى مني إلا في آخر يوم النفر الأول لكونه مشى وعيي عن المشي بحيث وصل خبره لأهل منى فتوجه إليه مَن حمله ، ثم نفر منها إلى مكة ولم يزل عليلا وربما أفاق قليلا حتى مات بعد صلاة الصبح يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة منها بعد أن كتب وصيته بخطه في يوم الخميس ودفن بالمعلاة بعد صلاة الجمعة ، وعظم الأسف على فقده ، وقد عظمه الفاسي

جداً ، وقال إنه برع في العلوم ، وتقدم كثيراً في الأدب ، وله فيه النظم الكثير المليح لغوصه على المعاني الحسنة وفي الحديث بحيث لم يكن له فيـه نظير بالحجاز مع حسن الجمع والتأليف والايراد لما يحاوله من النكت والأسئلة والاشكالات ووفور الذكاء وسرعة الكتابـة وملاحتها ونشأته علـى العفاف والصيانة والخير والعناية الكثيرة بفنون العلم والحديث ، وذكره شيخنا في إنبائه فقال : كان ذا مروءة وقناعـة وصبر على الأذى وبذل لكتبـه وفوائده موصوفاً بصدق اللهجة وقلة الكلام وعدم ما كان عند غيره من أقرانه من اللهو وغيره من صباه حتى مات ، وذكره في معجمه وقال إنه أكثر عن شيوخ العصر ، وكتب عني النخبة وشرحها وغير ذلك في سنة خمس عشرة فما بعدها ، وتمهر وتيقظ وكتب تراجم لشيوخه أتقنها ، ووصفه في موضع آخر بالشيخ الامام العالم الفاضل البارع الرحال جمال الدين سليـل السلف الصالحين عمـدة المحدثين نفع الله به ، وأذن له في إقراء علوم الحديث وإفادته لمن أراد علما بثقوب فهمه وشفوف علمه ، وترجمه التقي ابن فهد في معجمه بما تبع فيه التقي الفاسي ، وكذا ترجمه في ذيل طبقات الحفاظ ، والمقريزي في عقوده ، وقـال كان ثقة حجة في نقله وضبطه ، ريض الأخلاق قليل الكلام ، جميل السيرة ، له مروءة وفيه سماح مع قنع بما تيسر وصبر على الأذى ، ورثاه أبو الخير بن عبد القوي بقصيدة أولها :

مَن للمحابر والأقلام والكتــــب بعد ابن موسى ومن للعلم والأدب

ومن نظمه مما كتبه في مشيخة المراغي بعد ذكره لأسانيده :

فـي زي ذي قصر بـــدت لكنه عين السمـــو
فاعجب لها وهي القصيــ ـــرة كيف تنسب للعلـــو

ومما كتبه على بديعة الزين شعبان الآثاري :

وروضة للزين شعبان قــد أربت على زهر حلا في ربيــع
لو لم تبق نسج الحريري لمــا حاكت بهذا النظم رقم البديــع

624) محمد بن سليمان الجزولي

محمد بن سليمان بن داوود بن بشر بن عمران بن أبي بكر الجمال ، الجزولي المغربي ، ثم المكي المالكي ، ولد في سنة ست وثمانمئة أو التي بعدها بجزولة من أعمال المغرب ، ومات أبوه وهو ابن ثمان سنين أو نحوها ، فتجول مع أخيه عيسى بمراكش ، فأكمل بها حفظ القرآن ، وأقام بها ستة عشر عاماً يشتغل في الفقه والعربية والحساب على أبي العباس الحلفاوي وأخيه عبد العزيز قاضيها وآخرين ، ثم انتقل صحبته أيضاً إلى فاس في سنة خمس وثلاثين فأقام بها شهراً اجتمع فيها بعبد الله العبدوسي وغيره ، وكذا دخل صحبته أيضاً تلمسان في أول سنة أربعين ، وأقام بها نحو ثمانية أشهر اجتمع فيها بمحمد ابن مرزوق ، وأبي القاسم العقباني ، وأبي الفضل ابن الامام وآخرين ،ولقي بتونس حين دخلها في سنة أربعين أبا القاسم البرزلي وغيره، وبطرابلس يحيى القدسي ، وبالقاهرة في أواخر سنة أربعين البساطي وغيره، وسمع الحديث في كثير من البلاد ، ودخل مكة في موسم سنة إحدى وأربعين ، ثم سافر منها إلى المدينة فجاور بها إلى اثناء سنة اثنتين ، ثم عاد لمكة وتأهل بها ورزق الأولاد وتصدى للتدريس بهما مع الافتاء ، وأخذ عنه الأماثل ، وعرض عليه ظهيرة الماضي ، وكان بارعاً في الفقه والأصلين متقدماً في العربية مشاركاً في غيرها مع الدين والخير والكرم ذا مال يعامل فيه .

مات بمكة في ضحى يوم الأحد ثامن عشري ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ، وصلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة رحمه الله وإيانا .

أنتهى من (الضوء اللامع) .

625) محمد بن سليمان الجزولي

كتبت في ترجمته في (إظهار الكمال) ما نصه :

ثم الجزولي إمام الناس سيدهم ... بحر العطايا لدى امداده الجاري
بحر المحبة والأشواق في رتب ... عنها الأفاضل قد فازوا باقصار

كفى (الدلائل) عدلا في جلالتـه — منه استمد الورى بطيب أسحـار

شرقاً وغرباً عليه الناس قد عكفوا — عرباً وعجماً لدى العشا والابكـار

قطب الوجود ممده وصالحـــه — أضحت تلاميذه أرباب أذكـــار

هم بالولاية قد فازوا وقد سعدوا — أعظم بأصحابه الأبرار الاخيـــار

وأمتع السمع منك في فضائلـــه — بالممتع الفرد في ورد وإصـــدار

الاعـراب : الأفاضل مبتدأ وجملة فازوا من فعل وفاعل خبره، والجملة الكبرى في محل جر نعت لرتب ، والرابط ضمير عنها وهو متعلـق باقصار وباقصار متعلق بفاز ، وشرقاً وغرباً ظرفان لعكفوا كلدى العشي والابـكار ، وعرباً وعجماً يحتمل أن يكونا حالين من فاعل عكف .

اللـغـة : الجزولي بفتح الجيم وضمها نسبة لجزولة قبيلة بالسوس الأقصى ، والامام مَن ائتم به من رئيس وغيره ، والسيد من السؤدد وهـو الشرف، والبحر الرجل الكريم، والعطايا جمع عطية ما يعطى، والامداد اعطاء المدد، والجاري أي المسترسل ، وبحر المحبة أي كثيرها ، وأقرب حدود المحبة قول الشيخ زروق رضي الله عنه في أحد شروحه للحكم : المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يجد مساغاً للالتفات إلى سواه ، ولا يمكنه الانفكاك عنـه ولا مخالفة مراده ، ولا وجود الاختيار عليه لوجـود سلطان الجمال القاهـر للحقيقة بتجليه المستفيض عليه دون اختيار منه ولا مهلة ، فان مغازلة الجمال لا يشعر بها ، وأخذته لا يقدر عليها وحقيقة ما يتولد عنه لا يعبر عنها تنفـي الاعراض والاغراض وتنفى الحقائق والاعواض فلا يبقى مع غير المحبوب قرار ولا عما سواه اختيار . انتهى .

وراجع كتاب (المحبـة والشوق والأنس والرضى) وهـو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب (احياء علوم الدين) ، وراجع (الشفا)، والمحبة كل المقامات دونها وجميعها مقدمات لها ، والأشواق جمع شوق وهـو الاشتياق نزاع النفس وحركة الهوى، ورتب جمع رتبة وهي المنزلة ، والأفاضل جمع أفضل ، والفوز الظفر بالشيء والاقصار عـن الشيء الانتهاء عنه وعـدم

الوصول إليه، والكفاية الاكتفاء، و (الدلائل) اسم كتابه رضي الله عنه، والعدل الشاهد الثقة ، والجلالة العظمة ، والاستمداد طلب المدد ، واسحار جمع سحر وهو آخر الليل قبيل الصبح ، وطيبه زكاؤه وصفاؤه ، والشرق المشرق حيث تشرق الشمس ، والغرب المغرب حيث تغرب ، وهما قرنا الدنيا ، وراجع الجغرافيا وابن خلدون ، والعكوف على الشيء المواظبة عليه وملازمته ، والعرب أمة تنحصر في ثلاث طبقات ، إرم ، وقحطان ، وعدنان ، فالطبقة الأولى تسمى بالعرب العاربة البائدة ، والثانية العرب المتعربة ، والثالثة العرب المستعربة ، وبقي من العرب طبقة رابعة سماها ابن خلدون العرب المستعجمة، وعنى بهم عرب هذا الجيل الموجود بأكناف المشرق والمغرب حيث تغير إعراب لغتهم واستعجم ، وزعم الهمداني أن ابن قحطان وهو يعرب أول من رفع ونصب وخفض ، فانظر إلى عظيم قدرة الله وباهر حكمته كيف تطورت هذه اللغة في أطوار مختلفة ، فكانت في أول امرها موقوفة ثم عادت اليوم إلى الحالة التي بدأت عليها سنة الله في خلقه ، فان كل ما كان من عالم الكون والفساد لابد أن يعود إلى الحالة التي بدأ عليها في الحين أو بعد حين ، ويدل على هذا الكتاب والسنة وكلام الحكماء والعلماء ، والعجم خلاف العرب ، والعشا بالقصر للضرورة مثل العشيّ كما في (المختار) ، وقال في (القاموس) أول الظلام أو من المغرب إلى العتمة أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر انتهى ، وابكار البكرة بالضم وهي الغدوة كالبكرة محركة ، والقطب قال في (القاموس) سيد القوم وملاك الشيء ومداره ، انتهى ، وقال في (شمس المعرفة) : ومن هنا تعلم أن القطب أي الغوث هو حياة الوجود يمد الله به العلو والسفلية ، ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده حضرته صباغة تصبغ كل من أمله فيما توجه إليه وأم له ما شهدته فيه خلعه عليك وما نسبته إليه صيره إليك ، وهو موجود معين في الأعيان ، وله دائرة وأعوان ، هذه المرتبة المخصوصة بالرجل المخصوص قاعدة اجتماعية باجماع من يعتد باجماعه من السلف ومَن في معناهم من الخلف رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبهذا تعرف سلسلة الأغواث لا يمكن بأن تكون مكررة بأن تتعدى اغواث الوقت الواحد حتى تكاد تجد في كل بلدة أو في كل قرية أو في كل حومة غوثاً في زمان واحد،وأفضل

ما أعطيه الانسان عقل يميز به لقوله صلى الله عليه وسلم لا يعجبنكم إسلام المرء حتى تنظروا إلى كنه عقله ، انتهى . وقال في (يتيمة العقود الوسطى) وأما قولهم القطب لا يكون إلا بمكة فهو صحيح ، لكنه مؤول بوجوه أقربها أن يكون بجسده في المحل الذي أقامه الله فيه وخلقه وروحانيته هي التي تكون بمكة ، الثاني كونه بمكة يعنى أن الدنيا كلها بين عينيه وجسده يسمع جميعها ، فعلى هذا يصح أن يكون مسكنه بمكة أي لا يستقر قلبه بغيرها ، وان كان جسمه بغيرها خصوصاً أهل الخطوة والافراد المتشكلون الذين أكرمهم الله بحقيقة فيتشكلون على صور عديدة فتكون لأحدهم صورة بمكة ، وصورة في مكانه الذي هو حال به كما ذكر ذلك جلال الدين السيوطي في بعض تآليفه ، وسماه (الخبر الدال، على وجود الاقطاب والأبدال)، والآخر سماه (المنجلي،في تطور الولي). انتهى، والصالح من استقامت أحواله ، وصلحت أقواله ، وأضحت أي صارت ، تلاميذه أي مريدوه أرباب أذكار ، قال في (المرقى) : قال الشيخ زروق في التصوف التساعي المرتب على الآية العزيزة وهي قوله تعالى : « التائبون العابـدون الحامدون » إلى آخره ، الوجه الثالث وهو وجه الحامدين وهم أرباب الأذكار المستعدون للطائف الأنوار ، ويقال لهم الأفراد الواصلون إلى أن قال ولهـم وصول خاص لا يدخلون به تحت نظر القطب ، بل يستترون في مقام يقال له المخدع فلا يعلم القطب بهم ولا يطلع على مقامهم ، انتهى المراد منه ، ولا ينافى هذا ما تقدم من أن القطب هو المحيط بعلم الله على الخلق جملة كما هو ظاهر والله أعلم. انتهى كلام (المرقي).وقال في الجزء الثاني من (النفحات الشاذلية) في صحيفة 104 عند ذكر طبقات رجال الغيث العشرة ما نصه : الطبقة التاسعة طبقة الواصلين ، ويسمون بالحكماء ، ويقـال لهم المفردون لما ورد سبـق المفردون ، قيل ما المفردون يارسول الله ؟ قال : هم الذين محا الذكر عنهم أوزارهم يجيؤون يوم القيامة خفافاً لا يحصرهم عدد ولهم وصول خـاص لا يدخلون به تحت نظر القطب ، وهم سياحون في الأرض يسيرون في مقام يقال له المخدع لا يعلمه القطب ولا يطلع على مقامهم ، وشيخ هذا المقام الخضـر عليه السلام ، فلا اطلاع للقطب على شيء مـن أحوال الأفراد الواصليـن ، والحكماء المفردين ، يمسك الله بهم العالم ، وينتظم نظامه إلى أن يختم الولاية

المطلقة بالنور الباهر ، والسر الظاهر ، والنجم الطالع ، سيدنا ومولانا محمد المهدي رضي الله عنه فهو خاتم الأولياء ، انتهى من كلام الشيخ الأكبر ، ولينظر هذا مع ما سبق لك عن العارف الشعراني من أحوال القطب والله أعلم بأسرار عباده ، فان الطفيلي مثلي على موائد أهل هذا الميدان ليس له إلا مجرد فهم ظاهر هذا الكلام ، لكن قد سبق لك أن التشبث بذكرهم وأحوالهم يستوجب نزول الرحمات . انتهى كلام (النفحات) .

والولاية قال في (المرقى) : **تنبيه** ضابط الولي أنه المداوم على أفضل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات ، قيل وهو ضابط الولي الكامل ، وأما أصل الولاية فتحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنية بالشروط المذكورة عند الفقهاء ، انتهى .

والسعادة ضد الشقاوة ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وأعظم بأصحابه فعل تعجب من العظمة وهي الجلالة، والأبرار جمع بَر، وهو الصادق، والأخيار جمع خير وهو المطيع التقي النقي ، والامتاع النفع والسمع يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والفضائل المناقب ، والممتع أي (ممتع الأسماع) كتاب العلامة سيدي المهدي الفاسي ، والفرد المنفرد ، والورد ضد الصدر بفتح الدال ، والاصدار الرجع عن الماء بعد الايراد .

المعنى يارب أجب دعائي بجاه الجزولي الذي أعليته على منصة السيادة والامامة ، وحكمته في بحر العطايا، فأمدَّ من أردت إكرامه وبلغته من حبك وحب حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مقاماً تقاصر عنه الأكابر على علو مقدارهم، ويكفينا دلالة على علو مقامه كتاب (دلائل الخيرات) الذي اشتغلت به الخلائق طلباً للمدد عند صفاء اسحارهم ، وأكبَّ عليه العرب والعجم في المشرق والمغرب لدى العشيِّ والابكار ، وكان صاحبه قطب الوجود وممده وصالحه وأصحابه أرباب الاذكار ، وبالولاية فازوا وسعدوا وتبينت جلالتهم وهم الصادقون المطيعون الأخيار ، فاذا تشوفت وتشوقت يامريد لأخباره ومناقبه

فعليك بكتاب (ممتع الاسماع ، في ذكر الجزولي والتباع) ، فانه اعتنى بايراد ذلك أوائله وأواخره ، وتفرد في جمع أشتات فضائله ومآثره ، قال فيه بعد الخطبة ما نصه :

وبعد فهذا ما تيسر من بعض البعض من التعريف بمؤلف (دلائل الخيرات) للشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه بذكر بعض أحواله وزمانه ومكانه وكلامه وأتباعه رضي الله عنهم ، فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلي بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن حسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويعرف بالجزولي لكونه في عداد جزولة ، وهي قبيلة من البربر بسوس الأقصا ، ويقال جزولة وقزولة بالجيم وبالقاف المعقودة ، وفي (الذيل) لابن عبد الملك القزولي بقاف معقودة مضمومة وزاي وواو مد ولام منسوباً ، انتهى ، ويكتب في نسبه السملالي أيضاً ، وسملالة قبيلة من جزولة ، وينسب إلى سليمان فيقال سيدي محمد بن سليمان ، وهو جد أبيه كما تقدم ، وكثيراً ما ينسب المرء وينتسب قديماً وحديثاً إلى مَن فوق والده المباشر لشهرته أو لحصول التعريف به أكثر ، وقد يوجد في بعض النسخ مَحمد بن سليمان بن أبي بكر بن سليمان ، وفي بعضها مَحمد بن أبي بكر بن سليمان باسقاط الواسطة رأساً ، وهذا النسب الشريف هكذا وجد ، ولعله سقط فيه شيء ، فان عبد الله الكامل لا يعرف في ولده جعفر ، وفي نسخة معتبرة من (دلائل الخيرات) على ظهرها رفع النسب إلى جعفر ، ثم قال بن عبد الله بن حسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب فكتب فيها حسين بالتصغير في الاسمين معاً مع تكبير عبد الله ، فاما أن يكون تكبير عبد الله صواباً وتصغير حسين تحريفاً ويكون موافقاً لما في غيرها فياتي على ذكر جعفر فيها في ولد عبد الله الكامل ما أتى عليه في غيرها مما تقدم ، وإما أن يكون تصغير حسين صواباً ويكون المراد بجعفر الملقب بالحجة ، والذي في غيرها في والده عبيد الله بالتصغير ، ووالده حسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الشهير ،

فيكون على هذا قد سقط في النسخة ذكر علي زين العابدين بين الحسن والحسين ، ولابد منه لأن الحسين السبط لم يعقب إلا منه كما نص عليه ابن خلكان وغيره ، ويكون الشيخ على هذا حسينياً لا حسنياً ، ويكون لما تحرف في غير النسخة المذكورة حسين بالتصغير إلى حسن بالتكبير تحرف عبيد الله فكبر وزيد فيه الوصف بالكامل ، إلا أن في كونه حسينياً بعداً كما يبعد كونه من أولاد جعفر بن الحسن المثني ويكون عبد الله الكامل مزيداً غلطاً ، وفي أولاد إدريس باني فاس جعفر أيضاً ، والذي في كتاب (القرطاس) أن سليمان بن عبد الله الكامل نزل تلمسان واستوطنها فكان له بها أولاد كثيرة ، فكل حسني هنالك من نسل سليمان بن عبد الله بن حسن ، وقد دخل أكثر ولده إلى بلاد لمطة والسوس الأقصا فما يبعد على هذا أن يكون سقط سليمان بين جعفر وعبد الله الكامل ، ويحتمل مع هذا أن يكون هو سليمان المنسوب إليه حيث يقال له سيدي مَحمد بن سليمان ، وليس سليمان بوالده المباشر ، والله أعلم بالصواب ، ويوجد أيضاً في النسب المذكور سليمان بن سعيد بن يعلي ، ويوجد سليمان بن يعلى باسقاط سعيد بينهما .

كان رضي الله عنه من العلما العاملين ، والأئمة المهتدين ، وممن جمع بين شرف الطين والدين ، وشرف العلم والعمل ، والأحوال الربانية الشريفة ، والمقامات العلية المنيفة ، والهمة العالية السماوية ، والاخلاق الزكية الرحمانية ، والطريقة السنية ، والعلم اللدني ، والسر الرباني ، والتصريف النافذ التام من الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وكان قطباً جامعاً، وغوثاً نافعاً مانعاً،وغيثاً هامعاً،ووارثاً رحمانياً،وإماماً ربانياً،أقامه الله في وقته رحمة في العباد، وبركة ونورا في البلاد ، جعله موقع نظره من خلقه، وخزانة سره،ومظهر نفوذ تصريفه ، ومنبع مدده ، وكان فياض المدد والامداد ، كثير النفع للعباد ، وكان عنده الكمياء الخاصة الخالصة التي تقلب الأعيان ، وتحيل نحاس النفوس إبريزاً في أقرب زمان ، فتقلب ظلامها نوراً ، وحزنها سروراً ، وتميط خبث شهواتها وتلطف كثافتها وترفع الهمم وتجمع الهم ، فانتفع به خلق كثيرون ، وتخرج على يده أشياخ مشهورون ، وحييت به البلاد والعباد ، وجدد الطريقة

بالمغرب بعد دروس آثارها ، وخبو أنوارها ، وانتشر به الفقر واللهج بذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سائر بلاد المغرب ، وصار أتباعه في سائر نواحيها قد ذكر بعضهم أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفاً وستمئة وخمسة وستون كلهم ممن نال منه خيراً جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه ، وسيأتي كلامه ، هؤلاء أصحابه الذين أخذوا عنه ، ثم تفرقوا في البلاد فأخذ الناس عنهم ، وانتشرت أتباعهم واشتبكت فروعهم وامتدت إلى هلم جراً ، وحصل بهم نفع كثير عظيم ما لا يوصف ولا يحاط به ، وقد كان كثير من أصحابه أيضاً تصحبه الآلاف من المريدين ، وترد عليه الألف من الزوار والوافدين ، رضي الله عنهم ونفعنا ببركتهم أجمعين .

قال رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أنا زين المرسلين ، وأنت زين الأولياء ، وسيأتي أنه قيل له فضلتك على أهل عصرك، وقيل له ياعبدي مَن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري ، وقال رضي الله عنه معشر الاخوان ليس هنا معكم إلا جسمي ، وأما أنا قد مشيت إليه وصرت معه ، معشر الاخوان تهت ووصلت وصولا لم يصله أحد قط ، وقال رضي الله عنه أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأنوارهم ما بين الستة والأربعة، ومنهم مَن يميل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومنهم مَن يكون بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، وقال رضي الله عنه قيل لي ياعبدي : مَن أراد أن ينظر في وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلينظر في وجهك ، وقال رضي الله عنه لا تقولوا رحمكم الله إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء ، بل آخذه من الملك الحق من غير أرض ولا سماء ، وقال رضي الله عنه معشر المريدين انظروا إلى مولاكم وهو معي ليس لي نظر إلا فيه ، كماله قد عمَّ صدري وعمَّ حياتي وعمني طول حياتي ، كماله قد أفناني عما سواه ، وقال رضي الله عنه معشر المريدين فرحوني بتعظيم ربي وإجلاله وجماله ، أنا معه وأنتم لم تشتغلوا بشيء ، غبت في أنوار كماله ، ومشاهدة جلاله وجماله ، ألا لعنة الله على مَن عبر عن مقام غير

مقامه ، وقال رضي الله عنه يامَن كان ينظر إليَّ في الأرض فانظر إلي في السماء وفي العرش وفوق ذلك ، أما علمتم أن الأقطاب تحتاج إليهم جميع المكونات هم في مقام النبوة يفشون السر ، يامَن كان سعيداً فعليك بالمشي إليهم ولو كان من بغداد ، المشي إليهم نور ورحمة وسر في القلوب ، وقال أيضاً رضي الله عنه : ليس العناية من تعنى بالأموال والأولاد ، وإنما العناية من تعنَّى برب الأرباب ، ليس العزيز مَن تعزز بالأموال والأولاد ، وإنما العزيز مَن تعزز بالله وصفته ، ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسب الجاه ، وإنما العزيز مَن تعزز بالشرف والنسب ، أنا شريف في النسب ، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أقرب إليه من كل ما خلق الله ، وعنايتي في الأزل مصبوغة بالذهب والفضة ، يامَن أراد الذهب والفضة فعليك باتباعنا ومن تبعنا يسكن في أعلا عليين في دار الدنيا والآخرة ، ودولتنا كانت الأمم الماضون تدعو أن يلحقوا بها ، ولكن لا يلحق بها إلا مَن سبقت له السعادة ، ودولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله القاتلين أعداء الله ، ملوك الأرض كلها في يدي وتحت قدمي ، معشر المسلمين ، أما علمتم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قريب مني وحكمه في يدي ، مَن تبعني فهو متبع له ، ومن لم يتبعني فليس بمتبع له ، سمعته صلى الله عليه وسلم يقول أنت المهدي ، مَن أراد أن يسعد فليات إليك ، معشر المسلمين كونوا من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا تكونوا من أعدائه بالتكذيب والنكران والغش والخيانة ، معشر المسلمين خلق الله لكم من يهديكم في آخر الزمان فاحمدوه ، معشر المسلمين لا يبغضنا على دين الله عز وجل إلا مَن ليس له دنيا ولا آخرة ، ولا يحسدنا على طاعة الله عز وجل إلا من ليس له حظ عند الله عز وجل ، وقال رضي الله عنه قيل لي ياعبدي خصصتك بعنايتي في الأزل فلا أحد يصل إلى عنايتك ، ياعبدي سيادتك على أهل المشرق والمغرب الماضين والباقين ، ياعبدي وصلتك إلى مقام لا يصل إليه أحد من الواصلين ، وقال رضي الله عنهقيل لي : ياعبدي تاهت العقول فيما أعطيتك ، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم من قبل اقدامك بالحب والشوق أثبته يوم القيامة بالعفو والصفح ، ياعبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من

كرامتي ، ياعبدي لو كانت الملائكة كتاباً ، والأشجار أقلاماً ، والبحار مداداً لا يكتبون من أحوالك السنيــة إلا مقدار ما يكتب الولد الصغير فــي اللوح من الأسطار ، ياعبدي لايبلغ أحد مقامك من أوليائي سبق ذلك في علم الغيــب عندي ، وعزتي وجلالي لأعطيتك يوم القيامة حكماً على أوليائي ، وقال سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي رضي الله عنه في تاليف له : فلو تكلمنا بطرف من كرامات شيخنا سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله بــرضاه لحارت الأذهان والعقول الزكية فــي معانيها انتهى ، وقوله شيخنا ـ يعني شيخ طريقتهم ، وإلا فهو إنما أخذ عنه بواسطة الشيخ التباع رضي الله عنــه كما يأتي .

وكان الشيخ رضي الله عنه في أول أمره يطلب العلم ، فكــان بفاس بمدرسة الصفارين بها ، وبيته بها مشهور معروف لهذا العهد ، وذكر الشيخ أحمد بابا السوداني في (كفاية المحتاج) أنه كان يحفظ فرعي ابن الحاجب ، وقال غيره إنه كان يحفظ المدونة ، ووصفه أحمــد بابا المذكور في (نيــل الابتهاج) بالعلم والولاية ، ثم قال وألف فــي التصوف ، قال أحمد بابا فــي (كفاية المحتــاج) : خرج من بلاده لقتال كــان بها فدخل فاساً وبها قيــد (دلائل الخيرات) ، وبها لقيه الشيخ أحمد زروق ، انتهى . ويحتمل أنه في هذه السفرة كان يطلب العلم بفاس ، ويحتمل أنها سفرة ثانية ، ويذكر أنه لما كان بالمدرسة المذكورة وكان له بيت يخلو فيه بنفسه لا يدخله معه غيره، فبلغ ذلك والده ببلده فظن أو قيل له لا يسده ويمنع من دخوله إلا لكونه له به مال، فقدم عليه ثم طلب منه أن يدخل ذلك البيت فأجابه إلى ذلك وأدخله إياه ، فرأى حيطانه كلها مكتوباً فيها الموت الموت الموت ، فعلم ما هو فيه ولده ، ورجع على نفسه باللوم يقول : انظر أين هذا وأين نحن ؟ ثم تركه وانصرف إلى بلده .

وذكر أنــه جمع كتابه (دلائــل الخيرات) مــن كتب خزانة جامــع القرويين بفاس ، وقصــد رضي الله عنه فيه كمــا قال الشيخ الامام محمــد العربي بن سيدي يوسف فيما وجدتّه بخطه جمع المروي من ألفاظ الصلاة

والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، عنه صلى عليه وسلم وعن غيره من فضلاء أمته والاقتداء بهم والتبرك باتباعهم وذلك كله لحسن نيته رضي الله عنه ، ويذكر أن سبب جمعه له أنه شاهد من امرأة بفاس أمراً عظيماً من خرق العادة ، فسألها بم بلغت هذا ؟ فقالت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعكف على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجمع كتابه المذكور، ولا شك أنه كان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مبنى طريقه وطريق أتباعه خصوصاً كتاب شيخهم (دلائل الخيرات) فقد كانوا مواظبين عليه ومعتنين به ومستصحبين له ، قال الشيخ الامام محمد القصار رحمه الله : كان محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم ، فقد قيل له فضلتك على عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد ، وساداتنا الشاذلية رضي الله عنهم مخصوصون بزيادة محبة فيه صلى الله عليه وسلم لأن طريقه مبنية على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تفيد ذلك ، وأيضاً فان شيخهم وشيخه من ذريته صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعت فيهما المحبتان الدينية والطينية ، فتضاعفت فيهما المحبة ، فاستمد أصحابه من مادة قوية جداً ، قال سيدنا أحمد المرسي رضي الله عنه : لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ، وكان سيدنا ابن وفا يراه في اليقظة انتهى .

والشيخ صاحب الترجمة شريف أيضاً كما تقدم ، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار شريف أيضاً على ما عند الشيخ القصار وتلميذه الشيخ أحمد بن سيدي يوسف الفاسي وكذا ذكره صاحب (دوحة الناشر ، لمحاسن من كان بالمغرب من أشياخ القرن العاشر) ، ووجدته أيضاً بخط الشيخ محمد العربي في غير (مرآة المحاسن) ، وكذا شيخ سيدي عبد السلام ابن مشيش أيضاً هو شريف ، وهو سيدي عبد الرحمان بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات لسكناه بحارة الزياتين ، فمن كان من هذه الطائفة الجزولية كان في سلسلة خمسة أشياخ شرفاء،أولهم شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار ، وثالثهم شيخ الطريقة

سيدي أبو الحسن الشاذلي ، ورابعهم شيخه القطب عبد السلام ابن مشيش ، وخامسهم شيخه سيدي عبد الرحمان المدني ، فان كان من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين أو سيدي عبد الرحمان أبن ريسون مثلا كان في طريقة ستة شرفاء رضي الله عنهم أجمعين ، وقوله : فضلتك على أهل عصرك وجدته بخط الشيخ القصار أيضاً هكذا ، وقال رضي الله عنه قيل لي : ياعبدي فضلتك على جميع خلقي بكثرة صلاتك على نبيي ، ياعبدي مَن أطاعك من الأولياء فقد أطاعني ، ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني ، ومَن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري ، وقوله على جميع خلقي يعني الذين في عصره ، وذكره صاحب (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان) بلفظ قد فضلتك على أوليائي بكثرة صلاتك على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك خصصتك وآثرتك بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يصلي عليه أحد من العدد ما تصلي عليه أنت صلى الله عليه وسلم ، فالتفضيل واقع بنفس الاكثار من الصلاة والله أعلم .

وقال الشيخ القصار مما وجدته بخطه أيضاً : قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه : عليكم بذكر الله العظيم ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيارة أولياء الله ، ثم وجدته فيما قيد من الكلام عن الشيخ رضي الله عنه بزيادة فـ « بذكر الله تطمئن القلوب » ، وزيارة أولياء الله تعرف الطريق إلى الله ، وقال الشيخ القصار أيضاً رحمه الله : كان سيدي عبد العزيز التباع شيخ الجماعة يلقن لا إلاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ذكر سيدي رضوان ، وقال أيضاً : كان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يزغرت حين ظهر هلال ربيع النبوي على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام انتهى .

وثبت أن رائحة المسك توجد من قبر الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه من كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف الشيخ أبو عبد الله العربي الفاسي رحمه الله في (مرآة المحاسن) ببعضهم فقال : إنه

كان مواظباً على قراءة (دلائل الخيرات) لشيخ المشايخ محمد الجزولي آخذاً ذلك عن مشايخه أتباع الشيخ الجزولي رحم الله جميعهم ورضي عنهم ، وذكروا أن وارث حاله الشيخ سيدي عبد العزيز التباع قدم عله لزيارته بعض الفقراء ومع أحدهم (دلائل الخيرات) فقال الشيخ رائحة (دلائل الخيرات) عندكم يافقراء ، فقال ذلك الفقير الذي هو عنده : نعم هو ياسيدي عندي فناوله إياه فحركه الشيخ في يده ، ثم قال : إنه سقط منه كيت وكيت فقابلوه فوجدوه كما قال ، قال في (المرآة) : وفيه مع كرامة صدق الفراسة مزيد خصوصية بدلائل الخيرات انتهى .

وكتابه المذكور قد نفع الله به العباد ، وأقبل الناس عليه وسار فيهم مسير الشمس والقمر ، واشتهر في البدو والحضر ، وأكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها وسبقيتها ، ويجدون له بركة ونوراً ، قال في (تحفة الاخوان) : وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره ونمو فخره انتهى . وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر ومنه لائح ، وشدة شغفه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتهالكه في حبه منه وأضح ، ولهذا ما وقعت فيه بعض العبارات خارجة في الظاهر عن المضمار فسلمت له لأجل ذلك ، منها قوله : وصل على سيدنا محمد عدد علمك ، وقوله : عدد ما أحاط به علمك ، وأضعاف ذلك ، وقوله : كنت حيث كنت ، قال السيد محمد عبد الله بن عبد الرزاق العثماني رحمة الله عليه : إنه سأل شيخه الامام الكبير سيدي يوسف بن محمد الفاسي رضي الله عنه عن بعض ذلك فقال له في هذا الكتاب ألفاظ لا تحمل على ظاهرها من معروف اللغة ، وإنما سمح له في التعبير بها لما علم من صدق حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهذه الألفاظ وإن لم تكن من كلامه لكنه أدخلها في كتابه على ما فيها من الكلام ، لكن العذر له ما ذكر من الشغف وفرط المحبة، وثبت على نسخة من الكتاب على قوله كنت حيث كنت ما نصه : قال الشيخ رضي الله عنه أي كان على ما يليق بجلاله وجماله ، لا في المكان والجهات ، انتهى .

ويحكى أن بعض الناس كـان عنده (دلائل الخيرات) و (تنبيـه الأنام) فكان إذا وضعهما جعل (دلائل الخيرات) أسفل و (تنبيه الأنام) فوقه ، فاذا خرج ورجع إلى مسكنه وجد (دلائـل الخيرات) فوق (تنبيـه الأنام) ، ووقع ذلك له غير مرة ولم يكن يدخل موضعه غيره ، ثم حدثني مَن أثق به من الطلبة أنه حدثه بذلك مَن وقع له بنفسه ، ويحتمل أنه المحكي عنه أولا ويحتمل أن يكون غيره وأن القضية تعددت ، وسمعت سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الامام العارف بالله واحـد وقته سيدي محمد بـن محمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي رضي الله عنه وعنا به يقول ما معناه أن (دلائل الخيرات) يفيد النور و (تنبيه الأنام) يفيد العلم ، ووجدت بخط الشيخ أبي عبد الله العربي رحمه الله على ظهر نسخته من (دلائل الخيرات) ما نصه : ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ مما جرب لقضاء الحوائج وتفريج الكرب قراءة (دلائل الخيرات) أربعين مرة ويجتهد القارىء أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوماً فان الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

ثم إن الشيخ رضي الله عنه بعد ما كان بفاس رجع منها إلى الساحل فلقي به فيما ذكره الشيخ أحمد بابا في (كفاية المحتاج) أوحد وقته الشيخ محمـد أمغار الصغير ، فأخـذ عنه برباط تيطنفطـر قرية بساحـل بلد أزمور وتعرف الآن بتيط ، وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية ، وقد ذكر التادلي في (التشوف) منهم جماعة ، وقال الشيخ أحمد بن يوسف الفاسي : لم نزل نسمع أنه لقيه ببلاد دكالة ، وأنه أخذ عنه ، وكثيراً ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب ، انتهى . قال فـي (كفاية المحتاج) ثم دخل الخلـوة للعبادة نحو أربعـة عشر عامـاً ، ثم خرج للانتفاع به وله كرامات ، انتهى . وقال بعضهم كان بآسفي ، وكان بها كثير الأوراد مراقباً لله تعالى في جميع أفعاله ، واقفاً عند حدوده ، عاملا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى أن اشتهر بالصلاح وظهرت منه الكرامات مثل المكاشفة وغيرها وتاب على يده هناك خلق كثير ،

وانتشر ذكره في الآفاق ، وأخذ في تربية المريدين ، ثم إنه انتقل من هنالك بعد ظهور ما منّ الله به عليه من البركات وتتابع الخيرات إلى الموضع المسمى بآفوغال من بلاد مطرازة ، فأقام به على حالته من تربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى ، فاستنارت لهم ببركته الأنوار ، وظهرت لهم معالم الأسرار، ولقد ورد عليه من طالبي القرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه خلق كثير ، حتى اجتمع من المريدين بين يديه رحمة الله عليه اثنا عشر ألفاً وستمئة وخمسة وستون كلهم ممن نال منه خيراً جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه ، انتهى . وقال الشيخ القصار أخرج صاحب أسفي الشيخ الجزولي فدعا عليهم ، فسأل منه العفو فقال أربعين سنة فأخذها النصارى بعدها ، قال الشيخ محمد العربي في (مرآة المحاسن) : وكان خروج النصارى منها ورجوعها إلى المسلمين سنة ثمان وأربعين وتسعمئة .

قال البعض المتقدم وتوفي رحمة الله عليه ونفع به هنالك يعني بآفوغال وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة يوم الأربعاء من القعدة الحرام من عام تسعة وستين وثمانمئة ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك انتهى .

وقال الشيخ أحمد بابا في (نيل الابتهاج) قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب : مات مسموماً في الركعة الأولى من صلاة الصبح سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمئة ، انتهى . وقال الشيخ زروق إنه مات مسموماً في صلاة الصبح ، إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية عام سبعين وثمانمئة ، ويأتي كلامه ، وقال الشيخ أحمد الفاسي إنه توفي بعد السبعين وثمانمئة ، ثم قال : وقال لي الشيخ المنجور والله أعلم : إنه توفي سنة اثنتين وسبعين كالقوري ، انتهى . وقال الشيخ الفقيه الحاج الرحال المؤرخ أحمد بن محمد ابن القاضي في (درة الحجال) : إنه توفي في سادس عشر ربيع النبوي سنة خمس وسبعين وثمانمئة ، انتهى . وقال سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي في (بذل المناصحة) : وفاته سنة سبعين وثمانمئة ، انتهى وذكر الشيخ زروق

في كناشه أنه ورد على الفقيه محمد القوري سؤال في شأن عمرو المغيطي بعد قيامه ، وتكلم هو معه فيه وهو لم يقم إلا بعد موت الشيخ الجزولي وبسببه ، فتبين تأخر موت الشيخ القوري عن الشيخ الجزولي فان كانت وفاة القوري سنة اثنتين وسبعين بطل القول بأن وفاة الشيخ الجزولي سنة خمس وسبعين ، فراجع فهرسة الشيخ ابن غازي أو غيرها في وفاة القوري ، والأصح في وفاة الشيخ الجزولي ما قال معاصره الشيخ زروق رضي الله عنه والله أعلم ، ثم وجدت في فهرسة الشيخ أحمد الونشريسي أن الشيخ القوري توفي أواسط القعدة سنة اثنين وسبعين وثمانمئة والله أعلم ، ثم وجدت وفاة القوري عند ابن غازي كما عند الونشريسي بدون ذكر الشهر ، قال في (مرآة المحاسن) وحكي عن الشيخ عبد العزيز التباع أنه قال : قلنا للشيخ في آخر تلك الليلة يعني اللتي مات في صبحها الناس يذكرون فيك أنك الفاطمي ، فخرج وقال : ما يدرون إلا مَن يقطع رقابهم ، والله يسلط عليهم مَن يقطع رقابهم ، فكرر الدعاء مراراً قيل : فكان ظهور دعائه في عمرو المعيطي المعروف بعمرو بن سليمان الذي كان في تلك الجهة ، وهو عمرو المريدي الشيظمي ، وتوفي سنة تسعين وثمانمئة ، ويقال إن نساءه قتلنه امتعاضاً لأجل ما كان عليه من الفساد في الأرض ، وكان قد جمع الجموع وجيش الجيوش بسوس وسفك كثيراً من الدماء ، وأخباره معروفة انتهى . وذكر بعض هذا في غير (المرآة) ، وزاد أن الشيخ رضي الله عنه لم يترك ولداً ذكراً ، وفي (المرآة) أيضاً بعد ذكره أن الشيخ التباع خدم الشيخ الصغير بمنزله من خندق الزيتون سنين عديدة بتوصية الشيخ إياه عليه وأمره بتربيته بعده ، وبإثر موت الشيخ الجزولي كان مجيئه للشيخ محمد الصغير السهلي ، وحينئذ لقي الشيخ أحمد المعروف بزروق ، والشيخ محمد الزيتوني بزاوية بوقطوط (1) من داخل باب الفتوح ، وأظن أن المراد زاوية الحجاج القريبة منها ، وأخبرهما بموت شيخه الجزولي انتهى .

---

1) **زاوية بوقطوط** هى زاوية سيدى على بوغالب الكائنة بحومة صدريوة من راس القليعة بفاس .

والذي في كناش الشيخ زروق رضي الله عنه أنه قال : دخـول سنة سبعين وثمانمئة ، ثم ذكر تعمير الشيخ الزيتوني لزاوية بوقطوط ، ثم قال : وكنت خديماً بها للفقراء فقدم عليها مـن تلامذة سيدي محمـد الجزولي جماعة مع الصغير السهلي وصححوا عندنا موت الجزولي ، قال الصغير : مات في صلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية ، قال : وقلنا له في آخر تلك الليلة أناس يذكرون فيك شأن الفاطمي أو في معنى هذا ، فخرج وقال ما يدرون إلا من يقطع رقابهم ، والله يسلط عليهم مـن يقطع رقابهم ، كرر الـدعاء مرات ، فكان ظهور دعوته في عمرو المعيطي ، ثم قـال : وكان افتتاح أمـره أن قام منتصراً للشيخ في الذين سموه إذ سمه بعض الفقهاء ولم يزل بهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقاتلهم عليها فنصره الله عليهم ، ثم عاد يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه وشيخه ويسميهم جاحدين ويسمي أصحابه المريدين بضم الميم وما أحقهم بالفتح ! ثم ذكر بعض ما كان عليـه هو وأصحابه من الجهل والفساد والخروج عن الحق ، ثم قال أراح الله المسلمين انتهى الغرض منه ، وعلى قولـه الصغير السهلي وقال الصغير : قال فـي (المرآة) : وقد عرف بسيدي الصغير وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ أحمـد زروق كتبه إليه تضمن التعظيم والمواصلة انتهى .

ويذكر أن عمرو المذكور جعل الشيخ رضي الله عنه في تابوت وصار يقاتل به فكان ينصر به حيثما توجه ، وأنه بقي على ذلك عشرين سنة إلـى أن توفي فدفنوا الشيخ رضي الله عنه ، وان ذلك كان الحامل على نقل مـن نقله إلى مراكش ، خافوا أن يثور أحد هنالك فيخرجه من قبره ويقاتلهم به ، فدفنوه عندهم ليامنوا ما يتخوفون من ذلك رضي الله عنه ونفعنا به آمين ، ثم أخبرني بعض الطلبة من أهل سوس ممن يعرف بلاد الشيخ رضي الله عنه أن الذي عند أهل تلك البلاد أن الشيخ رضي الله عنه أنه كان يسكن بتانكـرت مدشر هنالك ببلاد الساحل على واد يعـرف بوادي تانكرت ، قـال : وداره وآثاره به قائمة معروفة إلى الآن معظمة محترمة تقصد وتزار ويتبرك بهـا ،

ووقف هذا المخبر عليها ، وانه من هنالــك ذهب إلى المشرق وتــرك عياله وأولاده به فبقي بالمشرق سبع سنين ، ثم رجع إليه فسأل أهله كيف كان حالهم في غيبته ؟ وكيف كان جيرانهم معهم ؟ فأخبروه بمن كان يحسن إليهم منهم وبمن كان يسيء ، وذكروا له رجلين أحدهما كان يبالغ في اكرامهم واحترامهم ولا يستتر عنهم بشيء ولا يترك أحداً يقرب ساحتهم ولا يجلس بفناء دارهم ، والآخر كان يبغضهم ويؤذيهم ، فدعا للمحسن بخير ، فأولاده الآن جماعة وافرة جداً ، وأولاد المسيء لا يزيدون على الواحد بعد الواحد ، قال : فكان بتانكرت إلى أن مات به ولم يكن يذهب لآفوغال إلا للاقراء والأخذ عنه أو نحو هذا مما لم يعرف هو تحقيقه ، قال بعضهم : يقول إنه مات بآفوغال ، قال بعد موته : احتمله عمرو السياف في تابوت قبل أن يدفن فلا قبر له بتانكرت ، ونقله من وعر الجبل الذي فيه تانكرت إلى السهل ، فكان عنده بمنزل يقال له الربــاط بروضة هنالك من غير دفن ، وكان إذا جنَّه الليل أطاف الحرس بالروضــة يحرسونه من السرق وأوقد عليه كل ليلة رداء ومد زيت بمدهم ليقوى الضوء وينتشر ويبلغ من كل الجهات إلى مسافة بعيدة فيكشف الطرق ومن ياتــي عليها مخافة مــن يذهب بالشيخ بالليــل ، ثم لما فرغ مــن القتال تفرر فــي تاضروت مدشر هنالك بالجبل ودفن به الشيخ هنالك ، قال : ثم اتفق زوجتاه على قتله امتعاضاً وغيرة للاسلام لما كان عليه من الفساد في الأرض ، فرصدتا غفلته وغرته فقتلتاه وهو نائم ، قال : ثم رمت إحداهما بنفسها من كوة هنالك في المسكن الذي كانوا به ، فوصلت إلى الأرض سالمة وأحست أنها كمن تلقاها بيديه وأنزلها إلى الأرض برفق ، وبقيت الأخرى فدخلوا عليها فقتلوها ، وزعم أن عمرو كان تزوج زوجة الشيخ وابنته وانهما اللتان قتلتاه وأن التي قتلت هي زوجة الشيخ ، والتي سلمت هي ابنته ، قال ثم أتى أهل آفوغال فأخرجوا الشيخ من قبره واحتملوه إلى بلدهم بقصد التبرك فدفنوه فبقــي هنالك إلى أن نقل إلى مراكش ، هذا حديث الطالب السوسي ، ويحتمل أن أهل آفوغال انما غلبوا أهل تاضورت عليه لكونه كان عندهم أولا فكانت لهم الحجة عليهم ، فيكون هذا دليل موته ودفنه أولا بآفوغال ، وهو الذي تقدم منصوصاً لبعض المعتبرين ، ويحتمل أيضاً أنه لم يدفن بتاضورت إلا بعد

موت السياف، ويحتمل أنه لم يدفن حتى أتى أهل آفوغال فحملوه،ولهذا تجرأوا على حمله ، إلا أنه ذكر أن قبره بتاضورت معروف مثل الذي بآفوغال والله أعلم .

وما ذكر من تروج عمرو زوجة الشيخ وابنته وأنهما اللتان قتلتاه، فالذى عند الشيخ زروق كما تقدم أن الذي قتله امرأته وربيبته ولم يذكر أنه تزوج زوجة الشيخ ولا ابنته ، وأما قول صاحب (المرآة) ، ويقال إن نساءه قتلنه فمحتمل لأن يكون كلهن أزواجه وأن يكون غير ذلك والله أعلم .

قال أحمد بابا في (كفاية المحتاج) : ولما نقل جسده بعد سبع وسبعين سنة وجدوه لم يتغير منه شيء ، أنتهى ، وقال في (مرءاة المحاسن) : ولما ولي الشرفاء ملك مراكش نقلوا الشيخ محمد الجزولي إلى مراكش ودفنوه بها ، فقبره الآن بها بعد اثنتين وستين سنة من موته ، وكانت ولايتهم سنة ثلاثين وتسعمئة ، والسلطان إذذاك منهم أحمد المعروف بالأعرج وهو أولهم وهو الذي نقله ، ثم انتزع منه الملك أخوه أبو الاملاك محمد الشيخ ، وذكروا أنهم لما أخرجوا الشيخ من قبره بسوس وجدوه بحاله حين توفي ، ولم تعدُ عليه الأرض ولم يغير طول الزمان شيئاً من أحواله ، واثر الحلق من شعر لحيته ورأسه ظاهر كحاله يوم موته رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ، انتهى . وهكذا نعرف هذا أيضاً من عند غيره من كونه لم تعد عليه الأرض ، وكونه كان قريب عهد بالحلق وهو حقيق بذلك رضي الله عنه ، فقد جمع بين الصديقية العظمى والشهادة ، لأنه مات مسموماً كما تقدم ، وذكروا أنه لما أخرجوه من قبره وضع الأمير أو غيره بأمره أصبعه على وجهه حاصراً بها ، فحصر الدم عما تحتها ، فلما رفع أصبعه رجع الدم كما يقع ذلك من الحي رضي الله عنه ونفعنا به ، وتقدم ذكر الحامل لهم على نقله ، وقيل إن الحامل لهم عليه أنه ذكر لهم أن تحته كنزاً فتعللوا للحفر عليه بالنقل إلى بلدهم والله أعلم . ودفن برياض العروس داخل مدينة مراكش ، وبني عليه بيت ، وقبره عليه جلالة عظيمة ،ومهابة كبيرة ، وسطوة ظاهرة ، والناس يزدحمون عليه ويكثرون من قراءة (دلائل الخيرات) عنده ويقصدونه في حاجاتهم فتقضى بإذن الله عز وجل رضي الله عنه ونفعنا ببركاته .

قال في (المرآة):وكان الشيخ محمد الجزولي يقص شعر التائب، وأخذ بذلك أصحابه بعده، فلما جاء الشيخ محمد الخروبي إلى المغرب الأقصى لقي بعض مشايخ الطائفة الجزولية فأنكر عليهم ذلك وقال:إنه بدعة،فقالوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم لعله باذن والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم يعم أتباعه ، والأذن للولي لا يعم أتباعه هكذا قيل عنه ، وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أجوبته لا بأس بقص شعر التائب، وذكره البرزلي في نوازله ، وليست كل بدعة مذمومة ، وإن كانت مذمومة فلا إذن بعد النبوءة ينسخ ذمها فلينظر في ذلك ، انتهى . ويمكن أن يوجه كلام الخروبي بأن قص الشعر في الأصل مباح ، فاذا قص شعر التائب عن إذن وعري عن جعله من أركان التوبة أو سنة الطريق فلا بأس به ، لأن قص الشعر في الأصل مباح كما ذكرنا والمباح هو محل الاذن للأولياء ، وإذا فعل بقصد التوبة وجعل من أركانها وشرائطها ومن شعار الطريقة وسنتها كان بدعة ، وهي بدعة في الدين لأنها من الزيادة فيه بما ليس منه ، فهي مذمومة على هذا والله أعلم ، لكن يبقى أن قص الشعر للتوبة أمر مختلف فيه كما يأتي ولا إنكار في مختلف فيه إلا أن يضعف مدرك التحليل جداً ، فيسقط عن حد الاعتبار أو يكون الانكار على سبيل الارشاد والتعليم للأخذ بالاحتياط،والخروج من الخلاف، وارتكاب الكمال لا سيما وطريق القوم مبنية على ذلك ، ويحتمل أنه لم يطلع على القول بالجواز ولم يطلع على المنصوص في المسألة ، وإنما كره لهم التعلق بالرسوم الظاهرة والتقيد بها مما لم يجيء به سنة والله أعلم ، ثم وجه ما كان يفعله أولئك الأتباع من التبرك بآثار شيخهم ومن تقدمهم مع التقليد لمن أجاز ذلك ، كما يحتمل تقليد المجيز والتبرك بآثار مَن تقدم أيضاً فعل شيخهم أيضاً والله أعلم .

ثم بعد هذا اطلعت للشيخ صاحب الترجمة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه على ما نصه : سألني بعض الفقهاء : الحمد لله الذي لم تزل مشيئته ظاهرة في الوجود ، سبحانه وتعالى يخص مَن يشاء بما يشاء من عباده وهو الودود ، أما بعد معشر الفقهاء ، بلغني عنكم أنكم أنكرتم على عبد

الكريم المنزاري أشياء ومن معه من المريدين المحبين ، وحكمتم عليهم بالجهل والكفر وغير ذلك من غير دليل من كتاب ولا من سنة ، واتبعتم أهوء الذين لا يعلمون ، وعصيتم الله في طرد الفقراء الزائرين ، ليس هذا من فعل أهل العلم الزاهدين في الجاه والرياسة والذي نفس محمد بيده ما أتوكم إلا ليجلبوا أهل السعادة من المريدين إلى هذه الطريقة المعنوية والموهوبية من الملك الخلاق وأنكرتم عليهم اقبال المخلوقات فانظروا رحمكم الله في قوله تعالى:« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا » وأنكرتم عليهم حلق الرأس وتعرية رأس الفقير ، ثم ذكر أموراً أخرى لم أجد جوابها في النسخة التي كتبت منها ، ثم قال : فنقول وبالله التوفيق ان حلاق الشعر جائز في الشعر للتائب ولغير التائب لقوله صلى الله عليه وسلم : « من كانت له وفرة من شعر ، فليكرمها وإلا فلينزعها » ، وقد حلق رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام أحسنت ، وقال الصوفية قوله عليه السلام أحسنت دليل على أن الحلاق جائز وأفضل ، ومن أراد أن ينظر فيما ذكرناه فلينظر كتاب (معدن الجواهر) لأبي محمد صالح ، وقال أبو محمد بن عمر المغربي في كتاب (أحكام الفطرة) حلق الرأس للكافر إذا أسلم جائز لقوله عليه السلام للكافر الذي أسلم بين يديه: أحلق عنك شعر الكفر،قال شيخ الدين العسقلاني: هذا حديث قوي أخرجه أبو داوود وغيره وفي حلق الرأس للتائب إذا تاب على يد الشيخ اتباع لسنة المشايخ ، وقد اصطلح على ذلك جماعة من المشايخ ، وأما تعرية الرأس فجائز وممنوع ، قال بعض العارفين : تعرية الرأس للمريد بين يدي شيخه نور ، فخاب من قام في التعرض لمن أراد الدخول في النور ، وأما تعرية الرأس فللولي سنة وللفقهاء بدعة .

انتهى ما وجدته من جوابه رضي الله عنه .

وقال أيضاً رضي الله عنه: قال لي سيدنا أبو العباس الخضر عليه السلام: يانعم الحبيب،أمرت أن تصرف أصحابك في البلدان ليجلبوا لك أهل السعادة من الرجال والنساء ، وقال أبو العباس يانعم الحبيب إن أردت أن تقصص سبعين

ألف مرة فافعل ، فان في كل مرة يزيد ذلك نوراً وبرهاناً وبياناً ببركة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فطوبى لمن جعلت يدك على رأسه ، والذي عند البرزلي في نوازله أنه قال : وسئل تقي الدين — يعنى ابن تيمية — عن سنده في الخرقة ثم ذكر جوابه فيه ، وأما لبس القلنسوة أو العمامة أو التوب ، فمن الأشياخ من استحسن ذلك بمنزلة خلع الملوك وألحق به بعضهم جز شيء من الشعر ، ولم ير الآخرون هذا إذ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كسا ثوباً ولا جز شعراً ولا ثبت ذلك في الذين خلفوا ، ثم قال البرزلي : وما ذكر من حلق شعر التائب سئل عنه عز الدين ، ونص السؤال ما يعتاده الوعاظ من قصٍ بعض الشعر لمن تاب من ذنوبه على أيديهم ومن حلق جميع الرأس هل لهم مستند في ذلك أم لا ؟ وان كان بدعة هل هي جائزة أم لا ؟ فأجاب أما حلق الشعر في غير نسك فان كان لمرض فهو ضرب من التداوى المأمور به ، وإن كان لغير عذر فهو مباح والمساعدة عليه محبوبة إن كان تداوياً وجائزاً إن كان مباحاً وكان الغالب على الصحابة رضي الله عنهم قص الشعر ، ولذلك كان الحلق من شعار الخوارج ، وليس تعاطي ذلك بمحرم ، وأما القص فهو على وفق ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وليس ذلك من أركان التوبة ولا شرطاً من شروطها ، والبدع أضرب فذكرها ، ثم قال : وقص الشعر على وفق السنة ليس بمكروه ولا معدود في البدع ، وأما الحلق الذي تمس الحاجة إليه فلا بأس به أيضاً ، وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلام وقد حلق بعض رأسه فقال : هلا حلقتم كله أو تركتم كله ، قال البرزلي : أما حلق الشعر لغير ضرورة فقد تقدم أن ظاهر المذهب جوازه ، وجعله الطرطوشي من البدع المنهي عنها لما تقدم من حديث سيماهم التحليق وان كان للتوبة فمنهم من قال إنه بدعة لأنه لم يرد عنه عليه السلام أنه أمر أحدا أو فعله له ، ومنهم من أجازه أو قاسه على حلق الرأس للحاجة أو أنه شعر الذنوب فينبغي زواله كما أمر الكافر بالغسل في حديث ثمامة في بعض طرقه كما أمر أن يفارق جلاسه وثيابه وأثاثه وأنفاسه ، ويصوم لكي يزول لحم الحرام ويخلفه الحلال ، ولهذا يأمر الشيخ التائب بصوم أربعين يوماً ، وقد ذكر اللخمي في الحج أن الحلق على ثلاثة أقسام فانظره ، وأخرج الامام أحمد،

وأبو داوود، عن أبي كليب الجهني، عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتاه ليبايعه ، فقال له : ألق أو قال له : احلق عنك شعر الكفر واختتن ، وفي اختصار ابن ليون للرسالة العلمية للششتري : وأما حلق الرأس ففي التنزيل « محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون » والسر في حلقه للحج التذلل وترك الزينة وهي سيرة الفقراء مع ما في حلقه من ترك المؤونة والخفة في الطهـر وإزالة الأذى ، وكان أكثر السلف يحلقون رؤوسهم ، وحلق علي رضى الله عنه بالموسى ، وفي (الاحياء) فلا بأس بحلقه لمن أراد النظافة، انتهى، وقالوا لا يلزم من كونه من سيما الخـوارج أن يكون ممنـوعاً وما قاله الطرطوشي تقـدم ، وقال ابن العربي الشعر في الرأس زينة وحلقه بدعة ويجوز أن يتخذ جمة وهو ما أحاط بمنابت الشعر ، ووفرة وهو ما زاد على ذلك إلى شحمة الأذنين ، وأن يكون أطول من ذلك ، ويكره الفزع وهو أن يحلق البعض ويترك البعض ، وفي (المواهب اللدنية) للشهاب القسطلاني : ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة فيما علمته ، فتبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية فيباح لـه إزالته ، انتهى ، أتيت بهذا كله على سبيل المناسبة لكلام البرزلي والشيخ صاحب الترجمة تتميماً للفائدة ، انظر (حاشية الحطاب على الرسالة) فقد أطال في المسألة ، ونقل كلام ابن عبد البر في (التمهيد) والقرطبي والزناتي والجزولي وصاحب المدخل وغيرهم ، وممن أنكر حلق الرأس للتوبة أبـو الحسن الصغير في تأليفه الشهير لكن في جملة أمور يجعلها أقوام من مؤكد أعمالهم وأركان توبتهم وشعار طريقتهم مـع المخالفة للسنة وقصد مجـرد الترؤس والاستتباع والطمع في الخلق والاستيناس بهم والادبار عن الحق ، والشيخ الذي أنكر عليه الشيخ الخروبي المشار إليه بقول صاحب (المرآة) بعض مشايخ الطائفة الجزولية هو سيدي أبو عمرو القسطلي المراكشي رضي الله عنه فيما بلغني أو أحد مَن أنكر عليه الخروبي ، ولعل ذلك كان في قدمة الخروبي الثانية إذ كانت له إلى المغرب قدمتان : الأولى فـي أيام السلطان أحمد بن محمد الوطاسي المريني ، والآخرة في أيام السلطان محمد الشيخ سفيراً بينه وبين سلطان الترك سليمان شاه صاحب القسطنطينية العظمى ،

وذلك سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، وبلغني أن أحمد بن عبد الله بو مَحلَّى له كلام في الرد على الخروبي ، والمدافعة عن شيخ شيخه سيدي أبي عمرو ، ثم طالعت كلامه في ذلك والله أعلم بالمقاصد والنيات ، والموفق بمنه للصواب.

وفي (دوحة الناشر) لمحمد ابن عسكر السريفي الشفشاوني عن شيخه سيدي عبد الله بن محمد الهبطي : كان الشيخ القطب محمد الجزولي يربي أصحابه بقصيدة الشيخ أبي الحجاج الضرير في أصول الدين ، وكان الشيخ عبد العزيز التباع يربى أصحابه بالمباحث الأصلية للشيخ العارف ابن البنا السرقسطي ، وكان سيدي عبد الله الغزواني يربي أصحابه بقصيدة الشيخ الشريشي وكنت أنا أقرؤها عليه ، وكان يصورها له ، انتهى .

وعلى ذكر ما كان يربي به الشيخ الغزواني ، قال الشيخ القصار : كان سلوك الشيخ الغزواني بسورة طه حتى توفي وهي في لوحه ، انتهى .

وذكر في مناقب أبي يعقوب البادسي : أن سيدي عبد الله الغزواني كان يقرأ في اللوح الواحد خمسة أشهر أو ستة أشهر ، وكل مرة يمر به يرقى إلى مقام المعرفة . انتهى .

وطريقة الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه شاذلية ، ويقال إنه ورث القطبانية بهذه البلاد وغلبة حال الغنى بالله وظهور الكرامات وانطلاق اللسان بالدعوى من غير توقف ولا احتشام ، كما أشار إليه الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده شأن عامة متأخري الشاذلية رضي الله عنهم ، ومن ذلك الاشارة للقطابة والخلافة والوراثة ونحو ذلك .

وقال الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي في تأليف له ليس في الوجود أعلا من طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي تداركنا الله برضاهما آمين .

ثم قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي ومولانا علي شيخ الطريقة الشاذلية ، وهي طريقة شيخنا سيدي محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه ، فاتصلت إليه بصحة التواتر خلف عن سلف

إلى زمانه ومنه إلى سيدي ، ومن سيدي إلينا ، ومنا إلى من شاء الله إلى قيام الساعة ، وقال أيضاً : وقد تكلم على السر الرباني والعلم اللدني والنور النبوي أو نحو هذا مما اندثر من أول الكلام ، وأظهره الله في الوجود على طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأظهر دوامه إلى الآن على طريقة سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه وأمداده من الطريقة الشاذلية ، انتهى .

واختلفوا من أي طريق يتصل بالشيخ الشاذلي رضي الله عنه فقيل إن سيدي محمد أمغار المذكور أخذ عن سيدي سعيد الهرتناني عن سيدي عبد الرحمان الرجراجي ، وأقام بحرم الله عشرين سنة عن سيدي أبي الفضل الهندي ، عن سيدي عنوس البدوي راعي الابل ، عن الامام أحمد القرافي ، عن أبي عبد الله المغربي ، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وهو الذي بخط سيدي علي صالح شيخ الجماعة التباعية بفاس ، وهو الذي مشى عليه الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن يوسف الوزروالي في نظمه المشهور ، وذكره ابن عسكر في (دوحة الناشر) عن شيخه الولي يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي ، وهو من أصحاب الشيخ الغزواني ، والشيخ أبو عيسى ، والحطاب المكي وغيرهم ، وعن الحافظ الراوية أحمد بن محمد العبادي التلمساني باجازة أبيه له في ذلك ، وذكر عن شيخه أبي الحجاج الفجيجي أن الشيخ القرافي المذكور في (السلسلة) أخذ عن الشيخ أحمد المرسي أيضاً ، ثم قال : لكن أكثر ما ينتهي السند إلى الشيخ عبد الرحمان المدني وذكر لي السيد أحمد بن عبد الرحمان الشريف وغيره : أن الفقيه الخطيب أبا علي حرزوز المكناسي نقل للشيخ سعيد بن أبي بكر الرجراجي هذه السلسلة النورانية من خزانة السلطان أحمد الوطاسي وقد أهديت إليه من الديار المصرية ، وفيها أن الشيخ عبد الرحمان المدني أخذها عن تقي الدين الصوفي المعروف بالفتى بالتصغير ، كان سمى نفسه بذلك احتقاراً لها ، ثم ذكر باقي السند كما في (النبذة المفيدة) ، والسند المذكور

- أعني سند الشيخ الجزولي - إلى الشيخ الشاذلي هو الذي وجدت عند أتباع سيدي محمد بن عمر المختاري أيضاً ، وهو الذي عند الشيخ أحمد بن أبي القاسم الصومعي على ما نقل عنه ، وقال الشيخ أحمد ابن الشيخ سيدي يوسف الفاسي : هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر وشيوخهم الذين هم في معد أشياخنا وأشياخ أشياخنا ، كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي فيما رأيته بخطه ، إلا أنه قال عن الامام القرافي ولم يسمه ولم أر عندهم غيره ، ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحداً سوى الشيخ محمد أمغار ، فلم نزل نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي ببلاد دكالة وأنه أخذ عنه ، وكثيراً ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب ، وأما الامام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة، والقواعد ، وشرح الأربعين ، وشرح المحصول وغيرها ؟ والتاريخ يقبله إن كان هو المراد ، وأما المغربي فلم نجد له ذكراً في (لطائف المنن) ، ولا في كتاب ابن االصباغ ، وكتاب السيد الشريف أبي محمد عبد النور ، ولا شك أنهم لم يستوفوا ذكر أصحاب الشيخ أبي الحسن ، وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقين والأولياء ، ثم رحل إلى مصر وأخذ عنه عالم من الناس ، وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : ياعلي انتقل إلى الديار المصرية تربُ بها أربعين صديقاً ، ولم يذكرهم . انتهى .

وفي (دوحة الناشر) أن عبد الرحمان الرجراجي المذكور في السلسلة هو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس ، وقبره بواد شوشاوه ، وقد انتهى مقامه إلى القطبانية انتهى .

وقوله أبو زيد والياس -أي ابن الياس - فان من لغة أهل تلك البلاد جعل الواو مكان لفظة ابن فيقولون في محمد بن أحمد ، محمد واحمد . وفي أحمد بن علي ، أحمد وعلي . وهكذا ، والذي عند سيدي عبد الله الغزواني في جواب له نظماً ونثراً أن الشيخ الجزولي رضي الله عنه أخذ عن سيدي عبد

العزيز العجمي بالجامع الأزهر من مصر عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، ولا مانع من أن يتصل به من كلا الطريقين لكن قال صاحب (المرآة) : إن التاريخ يأبى أن تكون الواسطة بينهما رجلا واحداً ، فان الشيخ الجزولي توفي سنة سبعين وثمانمئة ، والشيخ الشاذلي توفي سنة ست وخمسين وستمئة ، وقال أخوه الشيخ أحمد ابن أبي المحاسن هذه الطريق لا تخلو من انقطاع لبعد ما بين العجمي والشاذلي ، وقال عمهما الشيخ الامام العارف بالله عبد الرحمان بن محمد رضي الله عنه بعد كتبه كلام الشيخ الغزواني في طرة على كلام المرابي الآتي ، يعني انه اتصل به بلا شك من غير تكلف تعيين طريق ذلك ، وعلى هذا يتنزل كلام ابن عطاء الله المسوق هنا من كتاب (اللطائف) له والله أعلم انتهى .

وقد قال أحمد بن موسى المرابي في كتابه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتنان) بعد أن ذكر الشيخ الغزواني ، وشيخه سيدي عبد العزيز ، وشيخه سيدي محمد بن سليمان اعلم أنا لا نشك في تحقق نسبة هؤلاء الأئمة إلى الامام الشاذلي وطريقته، بل نقطع بذلك قطعاً لا تصور معه لريب أصلا،إنما خفي علينا أعيان الأشياخ بعد وكيفية الاتصال به، لكن ليس هذا الخفاء بالذي يوجب تغييراً في مذهب أو تكديراً لمشرب ، وسأتلو عليك في هذا نبأ يسهل عليك من خطبه، ويجلو عليك نقاب ريبه ، ثم نقل قول الشيخ ابن عطاء الله في (لطائف المنن) أن طريقة الشيخ أبي الحسن تنسب إلى الشيخ سيدي عبد السلام ابن مشيش عن الشيخ عبد الرحمان المدني ، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ثم قوله عن شيخه سيدي أبي العباس طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة إلى آخر كلامه ، فكتب عليه سيدي عبد الرحمان كلام سيدي عبد الله الغزواني حسبما في جوابه للشيخ ناصر الدين اللقاني ، ثم قال : يعني انه اتصل به بلا شك الكلام السابق ، وللشيخ رضي الله عنه كلام كثير في الطريق فمنه قوله من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن وينتهى عما كان يفعل من الشر ، ويفعل الخير ما أستطاع منه بقدر الاجتهاد ، ويهجر الفجار ، ويحب الأخيار ، ويتبع سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوالى أولياء الله ، ويعادي أعداء الله تعالى ، ويداوم على ذكر

الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يبغض أحداً من أهل الايمان ، ولا يترك الصلاة في أوقاتها ، ولا يفسد العمل بالرياء ، ولا يتكبر ولا يتجبر ، ولا يعجب بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله ، ويكون كلامه حكمة وصمته تفكراً ونظره اعتبارا ، وفرحه بالله وبأوليائه وبأنبيائه ، وحزنه على نفسه وما يصدر منها، ولا يكون لأماً ولا بهاتاً ولا محباً في المال ، ويحب أهل الخير ويصاحبهم ، ويجتنب أهل الشر ويجانبهم ، ويحب المساكين والفقراء ، ويكون منهم ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه فأول العلوم النافعة العلم بالله وبصفاته ، ثم العلم بأحكام الله وبأمره ، ثم العلم بآفات الأرواح ، ثم العلم بآفات الأسرار ، ثم العلم بآفات النظر ، ثم العلم بآداب المجالسة ، ثم العلم بآداب المراقبة ، ثم العلم بآداب المشاهدة ، ثم العلم بآداب المحادثة ، ثم العلم بآداب المكالمة ، ثم العلم بآداب الاستماع ، ثم العلم بآداب الالهام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه قوله: لا تشتغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، ولكن اشتغلوا بتعظيم علام الغيوب أي لا تقصدوا بعبادتكم مخالفة النفوس ، ولا تصفية القلوب ، فاذا اشتغلتم بذلك كان معبودكم مقصودكم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ، لأن كل من اشتغل بمخالفة نفسه أو تصفية قلبه فليس بعابد لله تعالى ، وهذا الشرح لكلام الشيخ رضي الله عنه يحتمل انه من كلامه أو من كلام بعض أصحابه رضي الله عنهم لأني وجدته مذكوراً مع كلامه فيما قيد عنه ، ومن كلامه أيضاً رضي عنه أن للتوبة تسع علامات وهي : الحسرة ، والندامة ، والانابة ، والخشوع ، والتواضع ، والابتهال ، والمداومة على الذكر ، والرضى بالقضاء، وحسن الظن بالمولى . وقال أيضاً رضي الله عنه : أيها المريد اعلم أن سبعة تقطع عن الارتقاء بالتوبة ، وهي الحقد ، والحسد ، والعجب ، والرياء ، والكبر، وحب المحمدة ، ولذة الرياسة . واعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق : الافتخار بالعلم ، وسوء الخلق ، وسوء الظن بالخلق . وقال أيضاً رضي الله عنه : الأولياء يحسنون الظن بعباد الله ، وعامة العلماء يسيؤون الظن بعباد الله ، العامة ينظرون إلى ظلمة أنفسهم المائلة إلى

الشهوات الشيطانية ، فحجبهم ذلك عن شهود المخصوصين المختارين المجذوبين بتأديب الله وإحسانه ، فمثلهم كمثل رجل أصبح أعمى العينين وهو يحسب ظلام الليل ، وقال أيضاً رضي الله عنه الشيخ الواصل : حبل الله في أرضه فمن تعلق به وصل ، وأما غير الواصلين فمن تعلق به انقطع ، والواصل الذي يأخذ العلم من الله بلا واسطة ، ثم قال : والمقطوع هو الذي سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله ، فدعاؤه على الحقيقة انما هو للمجاهدة فقط ، لأنه لم يصل إلى المشاهدة ، والواصل الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال ولم يشغله شيء عن الملك الحق ، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام من تبعه تعلم وتنور وفهم ما لم يفهم غيره من اتباع المقطوعين ، وقال أيضاً رضي الله عنه : ليس كل داع وجب اتباعه ، والداعي على الحقيقة هو الذي يدعو إلى الله على بصيرة قال الله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ، على بصيرة » أي معاينة ، وقال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلي » ، وقال تعالى في حق المقطوعين : « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » وهم كثيرون والذين يعلمون قليلون ، وقال أيضاً رضي الله عنه اكتبوا ما سمعتم مني فاني واسطة بينكم وبين الحق ، الحق يلهم والعبد يفهم ، من ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق لأن فيه منفعة الغير،وقال أيضاً رضي الله عنه:قلت لربي إلاهي خصصتني بسرك ولولا كرمك وفضلك ما نلته ، ولولا حلمك لهلكت بافشائه، فقيل له : السر سري والكرم كرمي والفضل فضلي والحلم حلمي ياعبدي أمرتك بافشائه ، قلت : يارب ما الحكمة في افشائه ؟ فقيل لي : الحكمة في افشائه إظهار قدرتي رغماً على أنوف المتكبرين ، وبشارة لقلوب السالكين ، وانساً لقلوب الواصلين ، وقال أيضاً رضي الله عنه : أيا مَن تحلى بكثرة الحلل وكثرة الحكم فعليك بذكره لا إلاه إلا الله أيها المريد احذف الألف واللام تجد لذة عبادتك، وتشاهد ربك، احذف الألف واللام، فاذا حذفته كنت من أهل اليقين ومن أهل الشهود ، إذا رميت بلام النفي وراء ظهرك أثبتت لله الصفة الكاملة ، وإذا رميت بها الوجود دخلت في الصفة الكاملة فاذا قلت : لا إلاه اجتمع الوجود كله في هذه الهاء ، وإذا قلت : إلا الله طلعت من أعلا الموجودات

إلى دنو الرب قال الله العظيم : « ثم دنا فتدلى » ، فاذا قلت لا إلاه كنت فانياً عن جميع الموجودات وإذا قلت إلا الله كنت باقياً ببقاء ربك ، فاذا قلت لا إلاه رفعت الهمة الأولى إلى الرب ، وإذا قلت إلا الله غابت صفاتك بصفاته وتحلت ذاتك بذاته فكنت فانيا عما سواه فاذا قلت لا إلاه كنت متحيراً بوجودك لا تدري أين تمشي ولا أين تمضي ، فاذا كنت على هذه الصفة أثبتت الصفة القديمة لله ، وإذا أثبتت له الصفة القديمة فتقول إلا الله ، فاذا قلت لا إلاه نظرت إلى الوجود بعين الفناء ، وإذا قلت إلا الله نظرت إلى الله بعين البقاء فيكون ذكرك مستوياً مع قلبك ، الجسم للفناء ، والقلب للبقاء ، والقلب للفناء، والسر للبقاء ، والسر للفناء ، والرب للبقاء كان الله في تجلياته محيطاً بجميع الاشياء استنارت قلوب العارفين بنوره وانسهم بقربه ، أيها المريد فعليك بقربه يامسكين تكن حياً أبداً، انتهى. فقال سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي على قوله أوله: أيامَن تحلَّى بكثرة الحلل الخ ، في هذا الكلام الترقية من حال الأبرار إلى حالة المقربين ، فان الابرار مطلبهم ما عند الله ، ومطلب المقربين الله لا غيره ، وقال على قوله بعده : أيها المريد احذف الألف واللام الخ ، أشار بحذف الألف واللام للفناء فانه السبيل إلى المشاهدة وذلك حاصل من النفي للشعور بغير الله وعند ذلك يشاهد الله كما في إشارة إن لم تكن تراه ، لكن الألف واللام متجه حذفه في اسم الجلالة ، وأما الهيللة فالمتجه التعبير بحذف لام الألف والاشارة بالحذف إلى كون الذاكر هو المذكور بورود مادة الحق على القلب فيمتحي العبد وكسبه ويكون الله ذاكراً لنفسه ، وتلك موهبة محضة قد انطوى فيها وانحذف وجود العبد وكسبه ، لكن ان بقي مع ذلك شعور بالوارد كان العبد من أهل اليقين والمشاهدة ولم يكن من أهل الاستغراق حتى يفنى عن الشعور بالكلية فحينئذ يكون إما من أهل الجمع المطلق والاتحاد المحقق ، أو من أهل البقاء إذا مد بسره فيكون ذاكراً ربه بربه من غير شعور بوجوده ولا بكسبه ، وإنما يجرى ذلك عليه ، وإلى هذا كله يشير كلامه بعد فانظره فان ما بعده يشير إلى شرح ما قبله ، انتهى .

وقال الشيخ أيضاً رضي الله عنه عن ربه تعالى : ياعبدي لا تستكثر ما أعطيتك من حديثي وكلامي وقد كلمتك في الأزل قبل وجودك ، وجددت لك الفهم بعد وجودك ، ونورت قلبك قبل وجودك ، وطهرت سرك بعد وجودك ، وأطلعتك على مكنون علمي ، وشرفتك على خصوص خلقي ، وألهمتك الاستماع مني ، وحكمتك على خيار خلقي ، ومعط لك غاية السر ياعبدي العلماء كلهم في قبضتك .

وقال أيضاً رضي الله عنه عن ربه عز وجل : ياعبدي استضاء نورك بنوري وعلمك بعلمي فقلت : يارب ما نوري ؟ فقال لي : نورك عقلك ونوري إلهامي ، فقلت : يارب وما علمي وما علمك ؟ فقيل لي : علمك فهمك وعلمي امدادي ، وقال أيضاً رضي الله عنه : قل للعلماء طوبى لكم ان كنتم مخلصين ، لا ينفع عمل بلا إخلاص ، وقال أيضاً رضي الله عنه : العارفون بالله أقوام أصلحوا فلما أصلحوا أخلصوا ، فلما أخلصوا قربوا ، فلما قربوا دخلوا ، فلما دخلوا نزلوا واستقروا ، فلما استقروا تمكنوا وطلبوا ، فلما طلبوا وجدوا ، فلما وجدوا شاهدوا ، فلما شاهدوا دهشوا ، فلما دهشوا طاشوا ، فلما طاشوا ماتوا ، فلما ماتوا فاتوا ، فلما فاتوا عاشوا ، فلما عاشوا تكلموا مع الحي الذي لا يموت ، فلما تكلموا استأنسوا فهذه صفة العارفين الشاربين المحبة والمكاشفة المقربة على بساط الانس والمشاهدة في السالك والمجذوب .

وقال رضي الله عنه : الأولياء يستفتون قلوبهم ولهم علامة بينهم وبين ربهم ولا يأكلون إلا ما أقبلت عليه قلوبهم ، وإذا علم الله منهم الاضطرار فجائز أن يزين لهم طعاماً فيدخلون عليه بحسن اليقين ، وقال أيضاً رضي الله عنه قيل لي قل للمريدين لاتذنبوا بالاسرار ، فقلت : وما ذنب الأسرار ؟ فقيل : الالتفات ، فقلت : الالتفات عمن ، فقيل : الالتفات عنك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : قيل لي ياعبدي حرض أصحابك من لم يفتح له على يديك لم يفتح عليه أبداً .

وقال أيضاً رضي الله عنه : آداب المريد مع شيخه عشرون : خمسة منها في حال الجلوس ، وخمسة في حال الغيبة عنه ، وخمسة في حال ذكره ،

وخمسة في حال محبته ، فأما الخمسة التي في حال الجلوس فهي : السكينة والوقار ، والهيبة ، والحياء ، والخوف . والخمسة التي في حال الغيبة عنه فهي : المراقبة نحوه ، والافتقار إليه ، والتواضع ، والاستمساك بعنايته ، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم . والخمسة التي في حال ذكره فهي : النظر إليه ، والرجاء فيه ، والاستنصار ببركته ، والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة . والخمسة التي في حال المحبة فهي : مداومة الحب ، ومداومة الشوق ، والحمى نحوه ، والهيج ، والانذهال من الاشتياق إليه ، فذلك كله يأتيك من جهة الشيخ ، وفي محل آخر بعد قوله : والحمى نحوه والهيج لديه والهز من الاشتياق .

وقال أيضاً رضي الله عنه : من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه ، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب .

وقال أيضاً رضي الله عنه : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح . ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : يريدون الياقوت بأضرب الحديد ، يريدون مقامات الرجال بأعمال الجهال ، يريدون أحوال الأبرار بأعمال الفجار .

وقال أيضاً رضي الله عنه : قيل لي قل للمريدين يتأدبوا بآداب السنة أن يقولوا عند القيام من المجالس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلاه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، وقال أيضاً رضي الله عنه : مخالطة العموم تذهب بنور القلوب وهيبة الوجه ، من مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لا نور له ، فليجتهد العاقل في مخالطة الخصوص ، وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم ، وصفاء القلب ، وسلامة الصدور ، وقال أيضاً رضي الله عنه : اهربوا من مجالس الفجار ، مَن جلس مع الفجار قسا قلبه ، ومن جالس الأبرار استنار قلبه ، ومَن استنار قلبُه جال روحه .

وقـال أيضاً رضي الله عنه : العلم دواء والجهل داء ، العلم ولايـة والجهل عداوة ، العلم صفة المومنين والجهل صفة الكافرين .

وقال أيضاً رضي الله عنه : ياطالب الولاية بالصدق والرعاية ، الصدق مع الله نور ، والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وضياع حقوقه حرمان، والغفلة عن ذكره خسران .

وقـال أيضاً رضـي الله عنه : القلـوب جنة ، والأذكار أشجـار ، ومعرفة معاني الاسماء مـاء ، ومشاهدة الجـلال والجمـال والكمال ثمـار ، وسماع الحديث والكلام ثمار في ثمار . وقال أيضاً رضي الله عنه : لكل ذكر فكر ، ولكل فكر نور ، ولكل نور سر ، ولكل سر عبادة ، ولكل عبادة حضور ، ولكل حضور شهود ، ولكل شهود هيبة ، ولكل هيبة تعظيم ، ولكل تعظيـم تنزيه ، ولكل تنزيه تحميد ، ولكل تحميد تقريب ، ولكل تقريب حديث ، ولكل حديث فهم ، ولكل فهم لذة ، ولكل لذة شوق ومن لم يسلك هذه المقامات فعليه بمجالسة أهلها .

وقـال أيضاً رضي الله عنـه وقد سأله رجـل : ياسيدي مـن أي شيء يأتينا الوسواس ؟ فقال له يأتيك من جهة الشيطان ، والشيطان يأتيك من جهـة الجهل ، والجهل يأتيك من قلة التعليم ، وقلة التعليم تأتيك مـن جهة الكبر ، والكبر يأتيك من جهة العجب ، والعجب يأتيك من جهة الرياسة ، والرياسة تأتيك من جهة الطمع ، والطمع يأتيك من جهة الحصر ، والحصر يأتيك من حب الدنيا ، وحب الدنيا يأتيك من طول الأمل ، وطول الأمل يأتيك من جهة الغفلة ، والغفلة تأتيك من ظلمة القلب ، وظلمة القلب تأتيك من قلة الذكر ، وقلة الذكر تأتيك من قلة التفكير ، وقلة التفكير تأتيك من كثـرة السهو ، وكثرة السهو تأتيك من مصاحبة أهل اللهو ، ومصاحبة أهل اللهو

تأتيك من جهة الحمق ، والحمق يأتيك من قلة العقل ، قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل همْ أضل » .

وقال أيضاً رضي الله عنه : الوسواس يأتيك من مجالسة أهل السوء .

وقال أيضاً رضي الله عنه : في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق أولها : لا ينام من الليل إلا قليلا ،
محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق أولها : لا ينام من الليل إلا قليلا ،
وذلك من علامة المحبين ، والثانية لا يشتكي من حر ولا برد وذلك من علامة الصابرين ، والثالثة إذا مات لم يترك بعده ما يورث عنه وذلك من علامة الزاهدين ، والرابعة لا يغضب ولا يحقد وذلك من علامة المومنين ، والخامسة لا يخزن خزيناً ولا يحتمل عريناً وذلك من علامة الموقنين ، والسادسة إذا أعطي شيئاً أكله وقنع، وذلك من علامة القانعين، والسابعة ليس له موضع معلوم يأوى إليه وذلك من علامة السائحين ، والثامنة أي موضع وجد نام فيه وذلك من علامة الراضين ، والتاسعة اذا عرف مولاه لم ينكره وان ضربه وجوعه وذلك من علامة العارفين ، والعاشرة لا يزال جائعاً وذلك من علامة الصالحين إلى غير هذا مما جمع عنه رضي الله عنه ونفعنا به .

وله أيضاً رضي الله عنه حزبه المعروف بحزب الجزولي المسمى بـ (حزب سبحان الدائم لا يزول) وذلك أوله وكذا ما قبله العزيز ذو الجلال إلى آخر الكلمات المقرونة بكلمة الشهادة وآخر كلامه وجمع المؤمنين ، وأما ما بعده من قوله أهل المجد والتعظيم إلى قوله ثم نختم بالسلام على النبي الشفيع ، فمن كلام كبير تلامذته سيدي محمد بن العمري المعروف بالصغير السهلي وقوله بركة الخضر ياإلاهي إلى تمام ذكر اسم الجلالة أصله من كلام تلميذه أيضاً الشيخ أحمد بن عمر الحارثي ، وأقرهم الشيخ على قراءته مع زيادات لغيره في ذلك التوسل ، ومَن يقرأه من أتباع الشيخ وغيرهم يقرأه

بزيادة الشيخين وغيرهما والحزب برمته من شعار أتباع الشيخ والمنتسبين إليه ووظائفهم وأورادهم يقرؤونه بعد صلاة الصبح ، وله صولة ظاهرة وقوة باهرة وبركة واضحة ، وتحصين عظيم من الآفات العارضة .

وقال في (مرآة المحسن) : وسمعت قديماً أنه لما كان السلطان محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء يتوهم من مشايخ الفقراء لدخوله للملك من بابهم ، عزم خديمُه علي الجرماطي على أخذ زاوية سيدي علي اللهبي أحد الطائفة الجزولية من أصحاب سيدي عمر الحصيني فجاء ليلا في خيله ، فلما قصد الحلة وجد بينه وبينها سوراً فدار به فلم يجد له باباً فرجع ، فلما شاعت القصة وبلغت سيدي علي اللهبي قال : ما عندي سور إلا حزب الجزولي يعني هذا أو مضموماً لحزب الفلاح ، أما حزب فلان بمعنى أصحابه وجماعته فقليل الاستعمال في العرف العام انتهى .

وقوله لدخوله للملك من بابهم قال في (دوحة الناشر) في ترجمة الشيخ العلامة الولي الجليل عبد الله بن عمر المدغري من أصحاب الشيخ زروق والشيخ عبد العزيز القسنطيني ،وكان السلطان محمد الشيخ وأخوه أحمد من تلامذته ، وبسببه كانت دعوتهما ، حدثني الوزير المعظم محمد بن الأمير عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ الشريف قال : لما غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ عبد الله بذلك ، فكتب إليه وهو يقول أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي :

غاض الوفاء فما تلقاه في أحد   وأعوز الصدقُ في الأخبار والقسم

فعكف السلطان على حفظ ديوان المتنبي حتى علق بحفظه كله ، ولم يعزب عنه بيت واحد .

وذكر أيضاً في ترجمة الشيخ المشار إليه بالولاية الكبرى والخصوصية العظمى، محمد بن المبارك من أحواز رباط ماسة من قبائل المصامدة الذي أمر قبائل السوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أحمد وأخيه

الشيخ ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد ، فكان من أمرهما ما هو معلوم .

وقال في ترجمة الشيخ عبد الكريم الفلاح وكان السلطان أحمد بن محمد الشريف وأخوه محمد الشيـــخ يأتيان إلى زيارته بزاويتـــه ، انتهى .

وفي نسخة من الحزب المذكور قال كاتبها بعد نسبة الحزب للشيـــخ قال : وما واظب عليه إلا ولي ومبارك وكأن القائل هو الشيخ ، وقال الشيخ الامام أحمد ابن الشيخ الامام العارف بالله يوسف الفاسي ، والشيخ الامام أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي فيما وجدت بخطهما : يحكى أن الشيخ رضي الله عنه ألف الحزب لأهل داره وعياله يقرأونه في الدار ، وهـــو الظاهر لمن تأمل كلامه فيه ، فانه كثيراً ما فيه من اعطاء الوصل حكم الوقف ، وكثيراً يعبر فيه بلغة الوقت ولسان العصر من قوله : ياقريب يامجيب جـــب دعانا بفضلك وغير ذلك ، وكثيراً ما فيه أيضاً من الألفاظ بحسب ما يليـــق بالنوع الذي هو منه من أنواع الطبوع كقوله في بعض الفواصل قدم ، وفي أخرى عزز ، وفي أخرى ذلل، وفي أخرى عظم إلى غير ذلك مما مد فيه المقصور أو قصر فيه الممدود ، أو سكن المتحرك ، أو حرك الساكن ، وبهذا يظهر لك وجه صنعه رضي الله عنه والله الموفق بمنه .

زاد أبو العباس ومع هذا فما رأينا أحداً واظب على قراءته إلا وجد له بركة ونوراً في قلبه، انتهى .

ومما وجدته بخط الشيخ أبي العباس من الكلام على هذا الحزب أن قال : عادة الذين يقرأون هذا الذكر ، يعنى العزيز ذو الجلال الخ ، وما بعده من الحزب أن تقرأ الطائفة جملة ، ثم ترد عليها طائفة أخرى ، قال : ولهذا فصلنا بين كل جملة بحرف الباء بالقلم الهندي التي هي علامة على اثنين ، أنتهـــى .

وانما كانت قراءته كما ذكر لأنه موضوع على مراعاة الطبوع والألحان والأوزان كما تقدمت الاشارة إليه ، وقد سبقه إلى وضع الحزب على مراعاة ما ذكر الشيخ القطب سيدي علي بن وفا رضي الله عنه قال في (المواهب

اللدنية) في آخر كلامه على السماع آخر المقصد التاسع : فزبدة السماع تلطيف السر ، ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلوب المريدين وترويحاً لأسرار السالكين ، فان النفس كما قدمناه لها حظ من الألحان ، فاذا قبلت هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفائقة ، والأوزان الرائقة تشربتها العروق وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفي المحمدي ، فاثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقيته من موارد هذه اللطائف عوارف العوارف ، انتهى .

وفي (مفتاح الفلاح) وان كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بطريقة واحدة موزونة ، ثم ذكر أن ذلك أكثر تأثيراً وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده ، انتهى .

وقال الشيخ أبو عبد الله الزواوي صاحب كتاب (عنوان أهل السر المصون) عند كلامه على آداب الذكر : الثاني والعشرون أن يستمع بعضهم من بعض في الذكر ، فان كان الشيخ فبغنته ينطقون كلهم، وان لم يكن فبغنة أحسنهم صوتاً ويحتفظون على ذلك جداً حتى يكون صوتهم كأنه من لهاة واحدة يخرج، فان ذلك له أثر في القلوب وتزيين الصوت بالذكر من السنة ، انتهى .

وبخط الشيخ أبي العباس أيضاً قوله : حضير إما أن يقال فيه ما ذكرنا أول الحزب وهو الظاهر ، يعني من كونه ألفه لأهل داره وعياله إلى آخر ما تقدم ، وإما أن يقال عدل عن صيغة فاعل المقيسة في حضر ، وبابه إلى صيغة فعيل لقصد المبالغة المنبيء عنها فعيل لا يقال انما يحسن ذلك فيما يقبل التفاوت نحو حافظ وحفيظ وعالم وعليم ، وأما الحضور ونحوه فلا تفاوت فيه لأنا نقول المراد من المبالغة دوام الحضور ، كل وقت وقت ، ولحظة لحظة، وهذا لا يؤخذ من قولك حاضر ، لأن فاعل للعروض والتجدد كثيراً ، وأيضاً صيغة المبالغة ينساق الذهن بها لا ستحضار قيوميته وحياطته المؤذنين للانتباه واليقظة المفضيتين إلى انتحال الخيرات وارتكاب القربات ، فيحصل بذلك المراد ما لا يحصل من الصيغة الأصلية والله أعلم بالصواب . انتهى .

وقال الشيخ أبو العباس والشيخ أبو الطيب أيضاً قوله يعلم جهلنا هكذا هو وغيره اصلاح ، وفيه معنى لطيف رائق فانه ينبىء عن قوة جهلنا وتراكمه ، وذلك هو اللائق بنا بيان ذلك أنه جعل جهلنا موصوفاً بالجهل بقرينة إضافة التعليم إليه ، ففيه مجاز عقلي مكنى ، إذا المجاز العقلي قسمان صريح كقوله جهل جاهل ، وشعر شاعر ، وكناية كقولك سل الهموم فانه مجاز عقلي حيث جعل الهموم مخزونة بقرينة إضافة التسلية إليها ، وقول الشيخ ان يعلم جهلنا من قبيل سل الهموم ، فانه جعل الجهل جاهلا بدليل إضافة التعليم إليه ، وهذا مطروق عند أرباب المعاني والله الموفق بمنه انتهى .

وقد رأيت فيما مضى على هذا الحزب شرحاً للشيخ سيدي عبد الوارث اليالصوتي رضي الله عنه ، وللشيخ أيضاً رضي الله عنه حزب الفلاح الذي أوله : « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » الآية ، قال في (المرآة) : والتزمه أتباعه ، وشاع عند غيرهم كثيراً، انتهى، وأخبرت أن عليه شرحاً جليلا ممتعاً للشيخ أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلى الصومعي رحمه الله، وهو أعني الحزب مجموع آيات وأذكار لها فضائل ونفع ودفع، وردت بها أحاديث وآثار ، وقوله فيه أفضل ما هو أهله هو الثابت في الحزب ، وكذلك تلقته الطائفة الجزولية وثبت بخط الشيخ سعيد الدكالي اليرزقي من أصحاب الشيخ ، وأنكره بعض الناس بأن هذا حديث ولم تثبت لفظة أفضل فيه ، وبأن معناه أفضل مما هو أهله لأنه على معنى من ، ولا يجوز أن يسأل له أفضل مما هو أهله ، وقد نادى الناس عليه بالنكير ، منهم الشيخ الامام المقريء الخطيب ، مفتي مراكش محمد بن الأستاذ يوسف الترغي ، والشيخ أبو الطيب الحسن بن مهدي الزياتي ، والشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، والشيخ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، وشيخ جماعتهم الامام محمد القصار وغيرهم ، ونقل في (مرآة المحاسن) شئياً من كلامهم ، وزاد المسألة إيضاحاً وحاصل ذلك عدم تسليم أنه لم يرد لفظ أفضل في الحديث فقد ورد في حديث ضعيف ، والضعيف يعمل به في نحو هذا ، على أن مثل هذا من الكلام الواضح المعنى ، يكتفي بالاعتماد فيه على صحة معناه ووضوحه ، ولا يلزم الذاكر أو الداعي أو المصلي بنحو ما

ورد أن لا يزيد ، وقد زاد غير واحد من الصحابة ومن بعدهم ، والممنوع نسبة الزيادة له صلى الله عليه وسلم ، ولفظ أفضل هنا مضاف إلى معرفة لا إلى نكرة كما توهم ، ونظيره أعطى زيداً أحسن ثيابه عندك اذا كان له عندك ثلاثة أثواب متفاضلة ، أي أعطه الثوب الذي هو أحسن من كل ثوب من الثياب المذكورة ، قيس حسنه بحسن هذا الثوب المعطى ، وليس المراد أعطاه ثوباً أحسن من الثياب المذكورة فيكون رابعاً وهذا في غاية الوضوح لا يخفى على ذي فطرة سليمة ، وكتب الشيخ أبو العباس الفاسي ، والشيخ أبو الطيب الزياتي أيضاً على قوله : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء الخ ، أي أعوذ بسم الله الذي لا يضر مع العوذ به شيء ، فبان أن لفظ اسم من قوله مع اسمه زائد كقوله : (إلى الحول ثم اسم السلام عليكم) البيت ، وان الهاء فيه عائدة على المصدر المفهوم من الفعل المطوي في صدر الكلام ملاحظاً معه معموله ، ولذا صرحنا به في قولنا مع العوذ به ، انتهى . وهذا على أن الموصول واقع على لفظ اسم واما على أنه واقع على الجلالة ، فالضمير في اسمه عائد على الجلالة ولا اشكال والله أعلم .

ومن دعائه رضي الله عنه اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، ووهب لنا صحيح المعاملة بيننا وبينك على السنة والجماعة وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقروناً بالعفو في الدارين يارب العالمين .

انتهى كلام (الممتع) في ترجمة الشيخ رضي الله عنه .

والعجب من صاحب (جذوة الاقتباس) كيف لم يقف فيها على وفاة القطب الجزولي وقد قصر غاية التقصير في ترجمته ، وما كان ينبغي له ذلك قال فيها : محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني دفين مركش : دخل مدينة فاس بقصد قراءة العلم وتحصيله ، وكان يسكن بمدرسة الحلفاويين وبها ألف كتابه المسمى بـ (دلائل الخيرات) ولم أقف على وفاته ، وقول سيدي المهدي في (الممتع) في ذكر سلسلة الأشياخ عن تقي الدين الصوفي

المعروف بالفُتي بالتصغير ، انتهى ، هكذا وجدته في نسختين منه الأولى بخط اليد ، والثانية بالطبع بالفتى بالمثناة بعد الفاء ، وكذلك في صحيفة 5 مـن (الدوحة) والمشهور بالفقير بالقاف بعد الفاء .

راجع ترجمته في (ترياق المحبين) ، وفي (شجرة الارشاد) ، وفي (الوظائف الاحمدية) ، و (أم البراهين) ، و (جلاء الصدور) لابن جلال ، و (تاريخ ابن حماد) ، وفي صحيفة 8 من (العقود الجوهرية) ، ثم وجدت صاحب (الممتع) ذكر في كتابه (تحفة أهل الصديقية) أن في (الدوحة) مكتوباً بالقلم المعروف بالفتى بالفاء مقدمة على التاء ، ثم قال : وضبط داعي الفلاح تقيا الفقير بفتح القاف معاً بالترجمة ، ونص على التصغير في اللفظتين أيضاً كما في (النبذة) انتهى .

وقال الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن الطيب القادري في اختصارها المسمى بـ (الطرفة في اختصار التحفة) ما نصه : والمعتمد ما ذكره تقي الذين أبو عبد الله محمد سبط الشاذلي في (النبذة المفيدة) ، وفي كتابه (شفاء الغليل) ، وذكر غير واحد أنه وجد بخط ابن عطاء الله ، وذكره سبط المرصفي في (داعي الفلاح) أنه وجد بخط الشيخ محمد الحنفي واعتمده واقتصر عليه ، أي المرصفي ، وقـال سيدي ابراهيم المواهبي انها طريقـة مشهورة وهو أن سيدي عبد الرحمان المدني أخذ عن القطب تقي الدين الفقير المشهور بتقي الفقير بالتصغير فيهما أنتهى .

وقال في (المعزى) في الباب السابع بعد أن ذكر أن الامام الغزالي صاحب (الاحياء) بقي في قبره من سنة خمس وخمسمئة إلى عام ثلاثة عشر وخمسمئة ، نقل منه ووجد لم يكن به بأس كما قيل ، كأنه كما طرح في قبره ، وان شهداء أحد بعد ست وأربعين سنة نقلوا وهم رطب ينثنون إذا ثنيتهم ، ويجلسون إذا أجلستهم ما نصه : ومن عجيب إمام الطائفة المغربية أبي عبد الله الجزولي المتقدم الذكر أنه بقي في التابوت الذي جعله فيه عمرو بـن سليمان المغيطي سبعاً وسبعين سنة ، وانه على حاله كما هو ، وما ذلك على الله بعزيز .

وأعجب من هذا أن عمراً هذا وجد كذلك ولعله ادركته بركة هـذا الشيخ مع ما كان فيه ،والفضل بيد الله ، انتهى .

ونص ما تقدم له رحمه الله في الباب المذكور .

وأمـا سيدي مَحمد بـن سليمان السمـلالي الجزولي تـوفي عام سبعين من القرن التاسع بعد أن مشي فيما زعموا إلى طنجة فلقي امرأة صالحة وقالت له : يامحمداً إلى أين تريد ؟ لأهل المغرب بك حاجة ، فأتى مدينة فاس فألف فيها كتابه (دلائل الخيرات) ، وقد أوقفني بعض الأخيار علـى السارية التي كان يكتب بها في جامع القرويين ، ثم ارتحل إلى مراكش فلقي سيدي عبد العزيز وهو صبي صغير فتفرس فيه الولاية ، وله ناصية لصغره على عادة الصبيان فقال له اختباراً وأراد أن يقف على حقيقة ظنه ، فقال له : ما اسمك ، قال : عبد العزيز ، قال : يابني أنا ضيفك لله ، قال : على بركة الله تعالى قم معي إلى أبي ، فأتى إلى والـده وكانوا يسكنون بالقصر مـن مراكش ، فقال له : ياأبت هذا الفقير قال لي أنا ضيفكم لله ، فقال له : مرحباً يابني بضيف الله نكرمه لله تعالى ، فلما أصبح ارتحل إلى الساحل فلقيه شيخه الذي أخذ عنه وهو أبو عبد الله ابن أمغار من أحفاد بني أمغار أهل تيط عين القرية المعروفة ، فهم يتوارثون الصلاح كما يتوارث الناس المال ، فبقـي بالساحل أربع عشرة سنة ، وورده فيها سلكتان في (دلائل الخيرات) ومئة ألف بسم الله الرحمان الرحيم ، وسلكة يختمها كل ليلة، وربع السلكة مـن القرآن أيضاً إلى أن أذن له في الخروج للخلق ، بل كلف عليه ذلك فظهر في رباط آسفي فحضره رئيسها ، وخاف منه على عادة أبناء الدنيا خوفاً ممـن يزاحمهم على دنياهم، فبعث إليه : أن اخرج عني أو أخرج عنك، فقال له الشيخ: أنا الذي أخرج عنك ، ولكن حتى أنت على أثري ، فكانت ول كرامة ظهرت له فسلط الله عليه ولد أخيه فعزله من الامارة وتحيل في قتله فيما زعموا .

نزل سيـدي محمد بن سليمـان بالموضع المعـروف بآفغال ببـلاد رجراجة ، فبقي ما يقرب من سبع سنين حتى توفي فيه ، ودفن به حتى رفعه عمرو المغيطي من هنالك وجعله في تابوت ، وذهب إلى موضع يسمى تزروت ببلاد حاحة ودفنه بها .

قـال سيدي أحمد زروق رحمـه الله : كنت خادماً للفقراء بزاويـة أبي قطوط بفاس على يد شيخنا الزيتوني عام سبعين ، فورد علينا الصغير السفياني في جماعة من الفقـراء أصحاب الشيخ سيدي مَحمد بـن سليمان الجزولي فأخبرونا بموته وصح عندنا ذلك ، قال الصغير : مات في صـلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى ، أو قال في الركعة الثانية في السجدة الأولى منها ، وقلنا في آخر تلك الليلة : الناس يذكرون فيـك شأن الفاطمي أو ما في معنى هذا فخرج وقال : ما يدرون إلا من يقطع رقابهم ، وكرر الدعاء مراراً ، فكان ظهور دعوته في عمرو المغيطي المعروف بعمرو بن سليمان السياف المتسلط قال : بلغني ليلة أن الفقيه أبا عبد الله القورى جاءه سؤال في شأنه فبادرت إليه أن أراه فقال لي : خرج من يدي ، فقلت له : ما مقتضاه ، قال : مداره على أنه يقول أحكام القرآن والسنة ارتفعت ، ولم يبق إلا ما قال له قبله عن ربه ، قال أبو العباس زروق : وشاع من أمره أنه يقول انه وارث النبوءة ، وأن له أحكاماً تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام ، وان الخضر حي ونبي مرسول ، وأنه يلقاه ويأخذ عنه ، بل يدعي ذلك من هو دونه من تلامذته ، وقال بعض أهل الصدق والعدالة في الأخبار : رأيته في حياة الشيخ يأتيه بألواح فيها كلام كثير منسوب إلى الخضر ، فلا يقول له شيئاً في ذلك غير أنه أثنى عليه مرة قال : وكان افتتاح أمره أنه قام منتصراً للشيخ في الذين سموه إذ سمه بعض الفقهاء ولم يزل بهم حتى قتلهم ، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقتلهم عليها ، فنصره الله عليهم ، ثم يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه ويسميهم بالجاحدين ، ويسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال أبو العباس زروق كلاماً كثيراً في عمرو المغيطي أضربنا عنه اختصاراً ، ومات عام تسعين من القرن التاسع ، وكانت اللتان قتلتاه امرأته وربيبته ، وبقي سيدي مَحمد في تابوت في تازروت الذي جعله عمرو المغيطي إلى سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، نقله السلطان أحمد إلى مراكش من تازروت ودفنه بروضة أبي عبد الله البقوري المتقدم الذكر ، وأخـذ كما تقدم عن الشيخ عبـد الرحمان الـرجراجي عن السيـد الامام الهندي ، عن سيدي عنوس البدوي ، عن سيدي القرافي ، عن سيدي أبي عبد

الله المغربي ، عن السيد الامام الكبير القدر والمقام الجامع الفرد سيدي أبي الحسن الشاذلي ، عن الشيخ العارف المحقق أبي محمد سيدي عبد السلام بن بشيش بالباء الموحدة من أسفل ، وحدثني بعض أهل الصدق والعدالة بأنه ابن مشيش بالميم لقب في صغره ابن منصور بن إبراهيم الحسني الادريسي الغماري المالكي الصوفي ، عن الشيخ العارف الشريف عبد الرحمان المدني العطار المعروف بالزيات نسبة لسكناه بحومة الزياتين ، ويعرف بالزيات عن الشيخ تقي الدين الفقير بالتصغير الصوفي العراقي ، عن الشيخ الامام فخر الدين ، عن الشيخ نور الدين أبي الحسن علي ، عن الشيخ تاج الدين ، عن الشيخ شمس الدين الذي كان بأرض الترك من بلاد العجم ، عن الشيخ زين الدين القزويني ، عن الشيخ إبراهيم البصري ، عن الشيخ أبي القاسم المرواني ، عن الشيخ القطب أبي محمد سعيد ، عن الشيخ أبي محمد فتح الله السعودي ، عن الشيخ سعد الدين الغزواني ، عن أبي محمد جابر ، عن أبي علي الحسن وكنيته الصحيحة أبو محمد الحسن السبط الشهيد بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء ، أخذ عن جده سيد المرسلين وتخرج على يد والده باب مدينة العلم (1) .

انتهى كلام (المعزي) . ثم أطال رضي الله عنه في بقية الطرق وتبيين رجالها ، نفعنا الله ببركاتهم .

راجع صحيفة 4 من (الدوحة) عند ذكر أشياخ شيخ مؤلفها الشريف الفجيجي سيدي يوسف ، ولله در القائل .

لي خمسة أطفي بهم	حر الخطوب الحاطمه
خير الأنام وعلي	وابناهما وفاطمه
وخمسة أحفادهم	أولو الطوايا السالمه
القطب إدريس الذي	له المزايا الدائمه
وابن مشيش نجله	محيي القلوب النائمة

1) يعنى على بن أبى طالب ، الذى يروى أن النبى قال فى حقه : انا مدينة العلم وعلى بابها .

والشاذلي تلميـــــــذه ذو المنقبات القائمــــــه
والجيلاني من نفســــــه في ذي الجلال هائمــــه
وابن سليمان الجــــزو لي ذو المعالي اللازمــــه
ياربنــا بجاههــــــم جد لي بحسن الخاتمــــه

وقال الحلفاوي في (شمس المعرفة) في الباب الأول ما نصه : ومن ذلك ما حدثني به من يوثق بحديثه أن سيدي عبد الكريم الفلاح بعثه أبوه في حال صغره لزيارة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي ، فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه ، وقد كانت له قصة من شعر في رأسه فأخذ الشيخ المقص وجز تلك القصة ، فلما رجع سيدي الفلاح من عنده جعل يدور على أبويه ويقول لهما : إكسى أكرام تكيرطنوا بلغة البربر ، معناه أزال لي الفقير قصتي ، قال : فكان كلما استفهمه أحد عنها يكرر تلك اللفظة إلى غير ذلك من الشهادات الصادرة عن حق اليقين من الاغوات المقربين انتهى .

وقال العلامة الهداجي في (الروض) بعد أن ذكر جملة من ترجمــة القطب الجزولي ومن كلامه ما نصه : ومع هذا كله فان جميع ما صدر منهم رضي الله عنهم من نحو هذا الكلام يعني أنا كذا الخ ، إنما هو من باب التحدث بالنعم مع الشكر عليها من دون فخر ولا عجب ، والا فالخوف من الله لا يزال معهم دائماً .

ومما ينسب إليه رضي الله عنه وذلك يدل على شدة خوفه قوله :

إذا شهدت يوم العقاب جوارحــــي فكيف خلاصي من ظهور قبائحــــي
إذا قالت العينان تذكر ساعـــــة نظرت بها للمنكرات القبائـــــح
وقال لساني كم لفظت بباطـــــل وكنت إلى العصيان أول رائـــح
وقالت يداي كم تناولت مأثمــــا فواأسفي ان كنت غير مسامـــــح
وقالت لي الرجلان محرم ما مشت إليه ولم تسمع مقالة ناصـــــح
فاني إلى نار تلظي وقودهــــــا أساق ذليلا خاسراً غير رابــــح
فان منَّ ذو الاحسان بالعفو والرضى نجوت والا كنت رهن قبائـــــح

وقال في (يتيمة العقود الوسطى) عن سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) ما نصه : وذكر يعني جده سيدي محمد المعطي بن عبد الخالق في ذلك المحل، أي من تأليفه المحتوي على ما ينيف على اثنين وسبعين علماً سبب جمع سيدي مَحمد بن سليمان لـ (دلائل ألخيرات) ، وذلك أنه مر بامرأة فوجدها تطير في جو السماء ، فقال لها : بمَ نلت هذه المرتبة ، فقالت له : بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

ثم قال صاحب (اليتيمة) في ترجمة القطب الجزولي بعد كلام ما نصه : وانتشر ذكره في سائر الآفاق والاقطار والأقاليم والأدوار ، وظهرت على يد الخوارق العظيمة ، والكرامات الجسيمة ، والمناقب الفخيمة التي تحار فيها الأذهان ، وتستلذها الاسماع والآذان ، وكان واقفاً على حدود الله عاملا بكتاب الله ، محافظاً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثير الأوراد من ذكر الله ، وكان ورده فيما ذكروا ختمة من القرآن ونصف بين الليل والنهار ، وفدية من بسم الله الرحمان الرحيم ، و (دليل الخيرات) مرتين بين ليله والنهار ، انتهى ، وفيه مخالفة مع ما تقدم . ثم قال : وله تأليف في في التصوف .

ثم قال : وله هذه الدرة الكريمة ، والجوهرة الفخيمة ، والمنحة العظيمة الطيبة الذكر السنية الفخر ، الجليلة القدر ، الكثيرة العز والذخر ، العظيمة الثواب والأجر، التي سما قدرها، وعلا فخرها، وانتشر في سائر الأقطار والأمصار ذكرها ، المسمى بـ (دلائل الخيرات ، ولوائح الأنوار والمسرات) وقد كثر الانتفاع به في طريق الله ، وعم نفعه العظيم لعباد الله ، فشاع ذكره في الأقطار شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ، وفي الحرمين الشريفين ، وبيت المقدس، وعم وقوع الاقبال عليه في كل حضرة ومجلس ، ومن كثرة انتفاع الناس به أنه لا يتركه إلا من لا يحسن قراءته ولا يغفل عنه إلا من لم يرد الله هدأيته ، وقد شرحه الأئمة الأعلام والأجلة العظام بشروح عديدة وذكروا له أسراراً وفوائد جليلة مفيدة ، فممن شرحه العالم العلامة المحدث الفهامة سيدي مهدي الفاسي ، وكذا ابن عمه سيدي عبد الرحمان الفاسي ، وقد عمل عليه سيدي

المهدي الفاسي ثلاثة شروح : الكبير ، والوسط ، والصغير ، وكلهم رأيتهم موجودين بأيدي الناس ولا سيما في مدينة فاس ، وحشي عليه سيدي عبد الرحمان حاشية عجيبة ، وسيدي العربي أيضاً حشى عليه ، وسيدي إبراهيم الفجيجي شرحه شرحاً ظريفاً مختصراً لطيفاً اقتصر على حل ألفاظه ولم يبحث على شيء من مشكلات افهامه هذا ما وقفنا عليه من شروحه ، انتهى .

وقال في (اليتيمة) أيضاً بعد إيراد كلام (الممتع) في نسب القطب الجزولي نفعنا الله تعالى به ما نصه : قلت ورأيت في (روضة الأزهار ، في نسب ذرية النبي المختار) حين تكلم على شرفاء سملالة من سوس ، قال : واما شرفاء سملالة فجدهم بالاجماع سيدي سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله الشريف بن جندوز بن عبد الرحمان بن أحمد بن جعفر بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ووجدت أيضاً في مختصر الامام سيدي محمد ابن جزي الأندلسي الذي اختصره من كتاب الامام الفقيه ، العلامة النزيه سيدي عبد الله ؟ بن عيسى بن محمد ابن خلدون التونسي رحمه الله وغفر ذنوبه حيث ذكر خلافة الاطرش لما أطلق السيف في العباسيين فقال : بعد كلام له : وفر إلى المغرب الأقصا من سوس بجزولة أولاد مولاي يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن إبراهيم الجندوز بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن الحسن بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فتحصل من هذا أن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي سليماني حسني بغير تصغير والله أعلم .

وقال في (اليتيمة) أيضاً عن سيدي محمد صالح ما نصه : وقال لي: قال الاشياخ : ما أفلح مَن أفلح إلا بقراءة حزب الفلاح ، وقال لي هو وردهم الذي ترك لهم سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي مع (دلائل الخيرات) يقرؤونه على قدر ما استطاعوا ، فمن قدر منهم على ختمه كله في النهار فليفعل ، ومن قدر على قراءته ثلثاً في كل يوم فتلك الطريقة المثلى ويبدؤه يوم السبت يقرأ منه ثلثاً ، ويوم الأحد ثلثاً ، ويوم الاثنين يختمه ، ويوم الثلاء أيضاً يقرأ منه

ثلثاً ، ويوم الأربعاء ثلثاً ، ويوم الخميس يختمه ، ويوم الجمعة يختمه كلــه وهذه الطريقة من سنة الأشياخ من أصحاب الجزولي إلى وقتنا هذا ، وهكذا أخذته عن الشيخ سيدي محمد صالح رحمه الله بهذه الكيفية وكذلك أيضاً حزب الفلاح يقرأ بعد صلاة الصبح ، وما زال مَن ينتسب إلى الشيخ الجزولي وأتباعه كالشيخ عبد العزيز التباع إلى وقتنا يقرؤهم على هذه الحالة ، ثم قال فيها : قلت وقد كان الشيخ الجزولي رضي الله عنه كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وطريقته مبنية على ذلك ، وكذلك طريقة اتباعه مــن وقته إلى زمننا هذا ، وقد ظهرت ثمرة ذلك في الشيخ الكامل سيدي المعطي بن الصالح ، ففتح غوامض تلك الأنوار ، وفتق كمائم تلك الأزهار ، واستخرج نفائس أسرارها وبهج رياض أنوارها ، وطيب نوافح ثمارها في كتابه السني الأسرار ، العظيم المقدار ، المؤلف في الصلاة على النبي المختار ، وأصحابه الأطهار، المسمى بـ (ذخيرة المحتاج، في الصلاة على صاحب اللواء والتاج)، فأبدأ فيه وأعاد ، وأحسن فيه وأجاد ، وانتشر خبره في البلدان ، وشاع ذكره في الأوطان ، وفاح طيبه في المغارب والمشارق ، حتى عرفه الوضيع والشريف والقاطن والطارق ، ووصل إلى مكة والمدينة الشريفة ، وحبست للاقراء منها أسفار رائقة وأجزاء لطيفة ، وكذلك في بيت المقدس المعظم وكل مكان يرفع فيه قدر النبي صلى الله عليه وسلم ويعظم ، فجزى الله عنا مؤلفه أفضل المجازاة، وأكرمه في الآخرة بمواهب الخيرات ونوافح السعادات آمين ، آمين ، آمين ، انتهــى .

ثم قال : وأحوال الشيخ يعني سيدي محمد المعطى صاحب (الذخيرة) في هذا المعنى كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلــم وما منعه من افشائهــا إلا التحفظ على السر النبوي ، ويحيل ذلك على المرائي الواقعة في ذلك المعنى ، فكم واحد يأتي للشيخ ويخبره بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم جالساً معه ومتحدثاً معه ، وقائلاله ويقول : قيدوا هذه الرؤية، وكان يحكي لنا هذه الحكاية عن بعض المادحين من أهل المشرق ، يقال له أبو الاطباق ، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويتكلم معه ويفشي سره في ذلك للناس ، فحجب فقيل له : انك أفشيت ذلك للناس فلذلك حجبت ، ولعل المانع للشيخ من تصريحه

بالرؤيا وبما قال له النبي صلى الله عليه وسلم هو ما ذكرنا ، فلذلك كان يحيل على مرائي الناس وله قدوة بمن فات قبله وهم كثيرون مثل ابن أبي جمرة ، وابن الفارض ، وابن سبعين وهو أولى منهم بذلك لكثرة مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتداخله في أوصافه المعنوية ومشاهدته لكمالاته الحسية، وكان يذكر الشيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي كثيراً بذلك ويقول : تحضر بركته ان شاء الله ، وكتب الشيخ تشهد بذلك وسنذكر بعض أحوال الشيخ في هذا المعنى فيما يأتي ان شاء الله ، انتهى .

اللهم أحضرْ معنا بركاته في الحياة وبعد الممات ، وأصحبنا دائماً السلامة والمعافاة ، ياأرحم الراحمين .

وفي (المحاضرات) اليوسية (1) ما نصه : وحدثني بمراكش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهشتوكي قال : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أني دخلت مقام الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي ، فاذا هو جالس وهو يقول : مَن كانت له إلى الله حاجة فليأتنا ، قال : فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة وشق عليهم ذلك كثيراً ، وكان قوم ذهبوا إليه وعزموا أن يسعوا في اذايتي فجئت إليه فقلت : انك قلت كذا وكذا ، وها أنا في هاتين الحاجتين ، قال : فقضي الله الحاجتين معاً ، انتهى .

وقال الشيخ مرتضى في (شرح الاحياء) عند ذكر الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه : ومن القصار الكتاب المسمى بـ (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار) للقطب أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي قدس سره وكان في أواخر الثمانمئة (2) ، وكان في عصره رجل آخر بشيراز ألف كتاباً وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة إلا أن الله سبحانه وتعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولي ما لم يعط لغيره ، فولعت به الخاصة والعامة ، وخدموه بشروح وحواش ، وماذاك الا

______

1) **المحاضرات** ص 1 61 .

2) صوابه في أواخر التسعمئة (مؤلف) .

لحسن نيته وخلوص باطنه في حبه صلى الله عليه وسلم ، وقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول : اذا أردت أن تعرف مقام الرجل في القَبول عند الله تعالى فانظر إلى مؤلفاته أو تلامذته (1) انتهى .

ثم قال بعد ذكر الصلاة المشيشية : ولكن المريد اذا لم يقتصر على هذه الصيغة وتشوفت نفسه للزيادة فليلازم قراءة (دلائل الخيرات) وختمه في كل يوم جمعة يشرع فيه من أول النهار ويختمه قبل الزوال ففيه الكفاية ، فان كان مشغولا بالكسب فليقتصر على الربع منه ، فان كل ربع منه مشتمل على خمسمئة صيغة وهذا القدر أوسط المراتب في حق المشتغل ، انتهى .

وقال في (كشف الظنون) لما ذكر هذا الكتاب ما نصه :

وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، يواظب بقراءته في المشارق والمغارب ، لا سيما في بلاد الروم ، وعليه شرح ممزوج لطيف للشيخ سيدي المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي القصري سماه (مطالع المسرات ، بجلاء دلائل الخيرات) وللدلائل اختلاف في النسخ لكثرة روايتهن عن المؤلف رحمه الله ، لكن المعتبر نسخة الشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي ، وكان من أكبر أصحابه ، وكان المؤلف صححها قبل وفاته بثمان سنين ، يعني ضحى يوم الجمعة سادس ربيع الأول سنة اثنين وستين وثمانمئة ، ولها شروح أخرى لكن المعتمد شرح الفاسي المذكور (2) ، أنتهى .

إن أنت لازمت الصلاة على الذي ... صلى عليه الله في الآيات
وجعلتها ورداً عليك مؤكداً ... لاحت عليك دلائل الخيرات

غيره :

بدلائل الخيرات كن متمسكاً ... والزم قراءتها تنل ما تبتغي
فشوارق الأنوار لائحة بها ... والترك منك لها أخى لا ينبغي

---

1) شرح الاحياء 3 : 289 .

2) كشف الظنون 1 : 495 .

غـيـره :

يتلقون مَن يؤم حماهـــم   بوجوه من التقي نيـــرات
يالها أوجها يلوح عليهـــا   كل يوم دلائل الخيـــرات

وسمى من شروح (الدلائل) في بعض النسخ المطبوعة اثنا عشر شرحاً ، ولخص في (مطالع المسرات) ترجمة الشيخ باختصار ، وذكر الصاوي في شرح صلوات شيخه في صحيفة 4 قضية سبب تأليف (الدلائل) كما في غيره ، وذكره سيدي حسن الحمزاوي في (بلوغ المسرات) وزاد ما نصه : وكفى بهذا الكتاب شرفاً حيث بلغ في الانتفاع والقبول ما تحار فيه العقول ولا يحصى ، كيف لا وقد أخذه بعض العارفين عن سيد العالمين صلى الله عليه وسلم .

قال شيخ مشايخنا وأشياخهم الامام السجاعي في حاشيته لهذا الكتاب نقلا عن شيخه القطب الغوث الامام الحفني قال : أخذت هذا الكتاب بطريق الظاهر عن شيخنا العلامة محمد البديري الدمياطي وهو عن القطب الغوث محمد بن أحمد المكناسي إلى آخر السند ، عن المؤلف قال : وأخذته بطريق الباطن عن ولي الله سيدي محمد العربي التلمساني قال : أخذته بطريق الباطن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الامام السجاعي المذكور : وقد أخذته أيضاً عن شيخنا الملاذ الأفخم والسيد الأكرم الشيخ عبد الوهاب العفيفي وهو يرويه عن سيدي محمد الأندلسي ، وهو قد أخذه بطريق الباطن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، رضى الله عنه ورضى عنا به ، ووفقنا للقيام لخدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وأزواجه وذريته ، وسلم وشرف وعظم كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، انتهى .

ولله در التساوتي إذ قال في نظم رجال (الممتع) :

وبابن سليمان الجزولي مَحمـــد   يكون ابتدائي سيد الكل هاديـــا

انتهى ، ولم يزد في شرحه على كونه أشهر من أن يعرف به ، وذكر وفاتــه .

وممن ترجم للشيخ رضي الله عنه العشماوي رحمه الله تعالى ، وقــد تقدم في ترجمة القاضي عياض عن (المعزي) أن الشيخ الجزولي ممن يجاب الدعاء عند قبره ، وممن ترجم له أيضاً صاحب (نيل الابتهاج) واختصاره (كفاية المحتاج) فيهما ونظم نسبه في (الاشراف ، علــى نسب الاقطاب الاربعــة الاشراف) وهم : مولانا عبد القادر الجيلاني ، ومولانا عبد السلام ابن مشيش، وسيدي أبو الحسن الشاذلي ، وسيدنا محمد بــن سليمان الجزولــي رضي الله عنهم .

وقال العلامة سيدي محمد الصغير الافراني في (فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث) في النمط الثالث منه ما نصه : وقال ابن الصلاح : الدعاء الملحون إن كان لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه، ذكره في فتاويه، انتهى من كتاب (الاذكار) للشامي .

انتهى كلام الأجهوري .

فتأمل قوله الدعاء الملحون الخ ، فان فيه رخصة عظيمة اذ ظاهره كان الدعاء مأثوراً أم لا ، وحينئذ فيشمل نحو كتاب (دلائل الخيرات) فان الصلوات الأدعية التي فيه مرفوعة وموقوفة ما بين حديث عنه عليه الصلاة والسلام ، أو أثر عن أصحابه أو عن التابعين ، ومع ذلك فان العامة يقرؤونه ولا معرفة لهم بالعربية ، فيصحفون ذلك غاية التصحيف ويلحنون أقبح اللحن ، فلولا هذه الرخصة التي نبه عليها ابن الصلاح رحمه الله تعالى لمنعوا من ذلك وكان أجرهم وزراً ، وإذا حصلت الرخصة في هذا النوع من الحديث قيل بها في غيره من باب لا فارق لأن الحديث يتعبد بتلاوته كما يتعبد بتلاوة القرآن ، والضرورة الشرعية تدعو لقراءته كما تدعو للادعية المأثورة ، ثم قال : فقد تحصل لنا من هذه الادلة كلها أن اللحن في الحديث فيه رخصة وسعة لبعض أهل العلم ، وأن من أراد قراءة الكتب الحديثية كـ (الصحيحين) و (الشمائل) مثلا ،

ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك بها في خاصة نفسه أو يسمعها لقـوم بقصد التبرك فليطلب نسخة من ذلك تكون صحيحة مقابلة مضبوطة وما اعتراه من اللحن فيها فلا يواخذ به إن شاء الله ، واما ان كان بقصد التصدر وطلب العلو فلا يحل ، ومن هذا المعنى قراءة (دلائل الخيرات) و (تنبيه الانام) فانهما اشتملا على أحاديث كثيرة ولم تزل العامة لاهجين بقراءتها من غير نكير عليهم مـن العلما في ذلك ، ومـا ذاك الا لأن العلمـاء رأوا في ذلك سعـة .

وبما ذكرناه تعلم أن ما نسب للشيخ سيدي المهدي الفاسي شارح (دلائل الخيرات) من أن الأولى للعامة ان يبتدءوا في قراءة (دلائل الخيرات) من الأسماء النبوية ولا يقرأ فصل فضائل الصـلاة على النبي صـلى الله عليه وسلم لاشتماله على أحاديث ، فربما لحنوها محمول على الأفضل والا ففيه ما سمعت ، ثم قال : فقد تحصل لنا الترخيص في ترك تجويد القرآن والحديث كما قاله الأئمة رضي الله عنهم ، انتهى بلفظه .

وقال شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم السباعي العلامة أبقاه الله تعالى بالسلامة ، في الكتاب الثاني من (البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفنـن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن) في ترجمة القائد الطالب أبي العباس أحمد بوستة ما نصه : من جملة حسناته أنه نشر (دلائل الخيرات) في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للجزولي في جميع الآفاق ، كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ (الدلائل) ثم يجمع عدداً ثم يسفره ويجلده ، وحيثما جاءت الاركاب من الآفاق يعطيهم عدداً من النسخ مجاناً يأمرهم بالذهاب بها واعطائها لمن يستحقها حتى انتشرت في الأقطار كالصحاري ونحوها ، ثم زاد أن جعل للعميان الملازميـن مقام أبي العبـاس السبتي خراجاً على حفظه ، فلم يبرحوا أن حفظوه عن ظاهر قلب ، وبعد ذلك تنافس في حفظه المبصرون فهو السبب في ذلك ، ثم عمد إلى أنفس بساتينه فحبَّسه على من يقرؤه تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة فاطلع عليه السلطان مولانا عبد الرحمان فأمضاه ، انتهى .

وذكر الشيخ سيدي حسن العـدوي الحمزاوي في ترجمة العـارف الشعراني في الجزء الثاني من (النفحات الشاذلية) أنه رتب بعد تاريخ سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف بيسير اثني عشر من أفاضل أهل العلم والصلاح لقراءة (دلائل الخيرات) كل ليلة اثنين وجمعة ، وجعل لكل شخص منهم في السنة اثني عشر ريالا من الريالات المصرية ، وذكر له السيد أمين الحلواني بشرى منامية ، وهي أنه لبس في المسجد النبـوي إزاراً ورداء ، وذكر لـه الشيخ عبد الله الاسكندراني أنه قد استلم مفتـاح الروضة الشريفة سيـدي حسن المذكور وهو الذي يدخل الامانة على سيد الانام عليه الصلاة والسلام ومعه مساعد متابع له ، ثم أوقع الله تصديق الرؤيا الأولى والثانية ووقف محل سكناه على تلك الوظيفة المنيفة بعد أن قال له ولي مجذوب عن منزله بيت النبي والامام الحسين .

وقـال في (المجـد الطارف والتالـد) بعد ذكـره رضي الله عنـه ما نصه : ولاشك أن الشرف وشيج العراقة فـي سملالة من قديم ، لكونهـم آووا الأدارسة والسليمانيين بعد اجلائهم وخلعهم شارة الشرف واختفائهـم في القبائل ولبسهم عباءة البداوة واستوائهم مع العامة حتى نسوا نسبهم ، ثم ذكر ان من مشاهيرهم بعد الجزولي القطب سيدي أحمد بن موسى ، وسيدي رحال البدلي ، ثم قال فيه أيضاً : وذكر الوطاسي صاحب (روضة الأزهار ، فـي نسب آل النبي المختار) أنه تلاقى مع الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي راجعاً من الحج وأنه أقام ثلاث سنين أو أربعاً فـي الحرم الشريف النبـوي معتكفاً على قراءة كتابه (دلائل الخيرات) الذي ألفه ، ثم قال : ومات ولا عقب له ، انتهى .

ولم يزد فـي (الكواكب السيارة) فـي ترجمته على ذكر بعض مـا في (الممتع) ، وراجع ص 161 من الجزء الثاني من (الاستقصا) في ترجمة ثورة عمرو بن سليمان السياف ببلاد السوس وشيء من أخباره .

خاتمـة :

مـن كرامات القطب الجزولي رضي الله عنـه أن بعض مـن احتـرم به لما أخرج كرها عليه من ضريحه الشريف رأى بعضهم مناما الشيخ رمى بيدي وجلي من أخرجه في طنجير يغلي بباب قبته ، فأصبح المتجرىء المذكور معطل الجوارح المذكورة ، وما زال يبلى بالمصائب والعياذ بالله من التجرىء على أوليائه ، فان الله تعالى يغار لهم ، وهذه القضية وقعت في عصرنا أصحبنا الله تعالى السلامة والعافية في الدارين ، وأدام ستره علينا آمين .

ثم اعلم أن العلامة اليفرني ذكر في (درر الحجال) ما نصه : وهذا معتمدي لما استشارني خليفة مراكش عام ثلاث وثلاثين ومئة وألف في البناء على الشيخ الجزولي فاذنت له وحسنته له ، وكان قاضي البلد ومفتيها منعاه من ذلك ، فعمل الخليفة بمقتضى إشارتي واحتفل في البناء ، والحاصل أن البناء على الصالحين من تعظيم حرمات الله المأمور به ، فلا ينبغي اليوم إنكاره لجريان العمل به في كل بلد قديماً وحديثاً .

ونص ما أشار إليه الفصل الحادي والعشرون في حكم بناء القباب على قبور الأولياء ، وحكم جعـل كساوي الحرير عـلى ضرائحهم ، وإيقـاد الشموع والمصابيح فيها ، أما تشييد القباب ورفع البناء على قبور الصالحين فمعلوم في كتب الفقه ما في البناء على القبر من الكلام ، وقال الشيخ أبـو عبد الله الحاكم في مستدركه اثر تصحيحه أحاديث النهي على البناء والكتب على القبور ليس العمل عليها ، فان أئمة المسلمين شرقاً وغرباً مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذه الخلف عن السلف ، قال البرزلي : فيكون اجماعاً لحديث لا تجتمع أمتي على ضلالة ، قال وفي (فتاوي ابن قداح) إن جعل على قبر أهل الخير فخفيف ، انتهى ، وقد رخص كثير من العلماء في زخرفة المساجد مع ثبوت النهي عنها ، وهو مذهب الحنيفة اذا وقع ذلك على سبيل التعظيم ، وقال العلامة ابن المنير في حاشية البخاري لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صوناً لها عن الاستهانة انتهى .

وقال المناوي في كبيره : ومما ينبغي التنبه لـه أنا إذا رأينا مـن الأمراء مثلا من زخرف المساجد لا ننهاه عنه كما قاله بعض أيمة الحنابلة ، فان النفوس لا تترك شيئاً إلا لشيء ولا ينبغي ترك خير إلا لمثله أو خير منه ، فزخرفة المساجد انما ينهى عنها بقصد العمل الصالح وقد يفعلها بعض الناس ويكون له فيها أجر عظيم لجهة قصده وتعظيمه لبيوت الله فلا ننهاه عنها إلا أن علمنا أنه يتركها الى خير منها ، وقد يحسن من الناس ما يقبح من المؤمـن المسدد ، ولهذا قيل للامام أحمد ابن حنبل : ان بعض الأمراء أنفقوا علـى مصحف نحو ألف دينار فقال : دعهم فان هذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب مع أن مذهبه أن تحلية المصحف مكروهة ، فهؤلاء إن لم يفعلوا ذلك والا اعتاضوا بفساد لاصلاح فيه ، انتهى .

إلـحـاق :

تقدم ان المحبة كل المقامات دونها الخ وهذا أحد قولين ، قال في الفصل 20 من الباب الثاني من (ابتهاج القلوب) عند ذكر ترجمة سيـدي إبراهيم الصياد تلميذ سيدي أبي المحاسن ما نصه : وقد قال السيد ابن عطاء الله رضي الله عنه : واعلم أن المحبة هي أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل العلم أيهما أتم ، مقام المحبة أم مقام الرضى ؟ وان كان الذي نقول به أن مقام الرضى أتم ، لأن المحبة ربما حكم سلطانها عـلى المحب وقوي عليـه وجود الشغف ، فأداه ذلك الى طلب ما لا يليق بمقامه ، ألا ترى أن المحب يريـد دوام شهود الحبيب ، والراضي من الله راض عنه أشهده عنه أم حجبه ، انتهى .

وتقدم أن أرباب الاذكار المفردين لهم وصول خاص الخ .

ونقل في (ابتهاج القلوب) عن الحاتمي ما نصه : ولا تكون المبايعة في الوقت إلا له خاصة ، ثم قال : وأول مبايع له العقل، ثم النفس ، ثم المقدمون من عمار السماوات والأرض من الملائكة المسخرة ، ثم الارواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسادها بالموت ، ثم الجن ، ثم المولدات ، وذلك أن كل ما سبح الله من مكان ومتمكن ، ومحل وحال فيه يبايعه الا العالون من الملائكة والافراد

من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب ، وما له فيهم تصرف فهم كمل مثله مؤهلون لما ناله من القطبية لكن لما كان الامر لا يقتضي ان يكون في الزمان الا واحد يقوم بذلك الامر تعين ذلك الواحد لا بالاولية ولكن بسبق العلم فيه بان يكون الوالي وفي المفردين من يكون اكبر منه في العلم بالله هـ والمولدات من جملتها الجماد انتهى كلام (ابتهاج القلوب).وقد راجعت (الفتوحات المكية) فوجدته ذكره في الباب السادس والثلاثين وثلاثمئة في معرفة منزل مبايعة النبات القطب صاحب الوقت في كل زمان وهو من الحضرة المحمدية وذلك في صحيفة 181 من الجزء الثالث منها فراجع تمامه،وتقدم نقل (الممتع) عن أبي العباس بن سيدي يوسف الفاسي هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر الخ وقد ذكره عنه أخوه تلميذه مؤلف (مرآة المحاسن) في 193 منها ، ثم وقفت على كلام أبي العباس المذكور في تأليفه (المنح الصافية، في الاسانيد اليوسفية) عند ذكر الشيخ عبد الحق الزرهوني تلميذ سيدي الصغير السهلي ، وتقدم نقله انه اتصل به بلا شك الخ وفي (ابتهاج القلوب) قبيل الباب الثاني ما نصه بعد ذكر الشيخ الجزولي رضي الله عنه:واما سلسلته فمذكورة في (المرآة)، وموجودة عند الناس من طريق شيخه أبي عبد الله امغار الا أن فيها مجاهيل وقد تكلم على ذلك في المرءاة والظاهر أن تلقيه من النبوءة دون واسطة لكثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم القائمة مقام الشيخ وان لقي شيخا فزيادة على ذلك ومن بركة ذلك له من المناثر والبركات ما ليس لغيره حتى أنه أتى في وقته بما لم يات به غيره وجدد الطريق بعد دروسها وخلف الاتباع الاجلة منتشرين في كل قطر وبلاد ما لا ينبغي أن يكون الا لولد النبوءة ورأس المحبين المتصلين بها حسا ومعنى وظاهراً وباطناً نفعنا الله به هـ .

وكلام (المرآة) الذي أشار اليه معقود في فصل في صحيفة 193 هـ .

وقال في (ابتهاج القلوب) في القسم الثاني في سلسلة الطريق أواخر الفصل من الباب الثاني بعد ذكر سند التلقين ما نصه وعلى ذلك فلا اشكال أن يكون القرافي هو العالم المشهور أو غيره وكذا من لم يكن فيها من أهل الطريق فيجوز أن يكون فيها اتصال التلقين فقط ، انتهى ، وتقدم قوله الى غير هذا مما جمع عنه الخ .

قال شارح (المقصورة) وكلامه يعني ـ الشيخ الجزولي ـ رضي الله عنه أكثر من أن يحاط به أو يحصر وقد كنت رأيت في زمن الصبا تأليفاً في كلامه وكراماته لم أعثر الآن عليه ثم قال وقدره رضي الله عنه كبير سني ، وأمره واضح جلي ، واتباعه في كل بلاد نفع الله بهم العباد وخلف من المشايخ جماعة وافرة الخ ، انتهى .

وتقدم قول سيدي صالح الشرقي ما أفلح من أفلح الا بقراءة حزب الفلاح، وهذا حزب الفلاح: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيراً ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، جزى الله عنا سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله ثلاثاً، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ثلاثاً، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً، سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثلاثا، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي ، وما جنيته على نفسي ، وأتوب اليه ثلاثا . لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع مرات ، لا إله إلا الله ، سيدنا محمد رسول الله مرة ، ثبتنا يارب بقولها ، وانفعنا يارب بفضلها ، واجعلنا من خيار أهلها ، واحشرنا في زمرة قومها ثلاثاً ، آمين ، آمين ، آمين ، رب العالمين مـــرة . كمل بحمد الله .

وقد ذكر في (تحفة الاخوان) العلامة الطاهري ما نصه :

ومـن كراماته رضـي الله عنه مـا أخبرني به سيدي ومـولاي قاسم في هذا المعنى قال لي رحمه الله كنت أعرف رجلا من أصحاب سيدي محمد ابن ناصر رحمه الله ، وكان أخذ عنه ولازمه إلى أن مات ، فلم يستخلف من بعده أحدا لا ولده سيدي احمد ولا غيره ، وظهر له انه حصل على شيء وانه استغنى عن معرفة الاشياخ ، فتولته الشياطين ، وصحبه الجان وجعلوا ينصحونـه في

زعمه ويطلعونه على العجائب مما هو مخصوص بجنسهم ، ويطوفونه على قبائلهم حتى كان يعرف جما غفيراً منهم ، فركن لذلك وفتن به وشغله عن ورده وعبادته وجعل يكثر من لغو الكلام والفضول ويهرتل ولا يعلم ما يقول ، قال مولاي قاسم رحمه الله : فكان ذلك الرجل يحدثني بما وقع له لما تحقق ذلك من نفسه ولما سبق له من السعادة ببركة شيخه ، قال لي لما اشتد علي الحال جعلت أرقى على الآكام والجبال ، وانادي بأعلى صوتي الغياث الغياث يا أولياء الله ، الغياث الغياث تشفعت لكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر ويعين كل مَن يعرف من الأولياء باسمه ، ويكثر من النداء على شيخه ، قال فبينما أنادي في بعض الأيام إذ أقبلت علي كتيبة من الخيل ، فلما دنت مني جاءني عدو من الجن كان يعرفني وخطفني ووضعني على عنقه وفر بي أمامهم ، فجعلت الكتيبة من الخيل تتبعنا وهو يسبق أمامهم وهم في طلبه يسمع جريهم وصياحهم وجعلوا يتأخرون عنا زمرا زمرا حتى لم يبق في طلبنا الا أربعة رجال أثنان منهم على فرسين أحدهما أدهم والآخر أشهب واثنان طائران . قال فخاض بي البحر فخاضوا في طلبه فخرج الى البر فتبعونا ، فلما تحقق الهلاك وتعذر له منهم الفكاك رماني وفر أمامهم فلحقوه وقتلوه وجاءوا بي . فقلت لهم نشدتكم الله أخبروني من أنتم الذين تفضل الله عليَّ بهم ؟ قال : فقال له صاحب الفرس الأشهب : أنا عبد السلام بن مشيش ، وقال صاحب الأدهم : أنا أبو يعزى ، وقال أحد الطيور : أنا محمد بن سيمان الجزولي أو قال أبو سلهام ، الشك من مولاي قاسم رحمه الله ، قال : والغالب عى ظني أنه قال : أبو سلهام ، وقال الرابع : أنا عبد الله بن إبراهيم — يعني شيخنا مولانا عبد الله الشريف — نفعنا الله به وحشرنا في زمرته .

انتهى ما كتبت في (إظهار الكمال) .

وقال في (الروضة المقصودة) : ومن ذلك كتاب (دلائل الخيرات) للشيخ مَحمد الجزولي ، وهو كتاب كاسمه (دلائل الخيرات) عم الوجود بأنوار البركات ، واتصل عموم النفع به في أقاليم الاسلام ، وأكب الناس على قراءته من الخاص والعام ، ومن بركاته ما وجد على ظهر نسخة منه بخط الشيخ أبي حامد العربي الفاسي رحمه الله ، ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ أن

مما جرب لقضاء الحوائج وتفريج الكرب قراءة (دلائل الخيرات) أربعين مرة ، ويجتهد القاريء أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوماً فان الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

انتهى من خطه بواسطة مولانا الوالد رحمه الله .

وفي مدحه يقول الامام الرحالة الصالح عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي رحمه الله :

عليك بما يحويه هذا المؤلـــف ... ففيه غنى الدارين إن كنت تعـرف
فلازمه واستمسك به إن تكن فتـى ... لديك إلى حب الرسول تشـــوف
حوى صلوات طيبات كثيـــرة ... على المصطفى أزهارها منه تقطـف
فمنها الذي قد انشأته أيمـــة ... وأخرى أتت فيما رووه وصنفـوا
(دلائل خيرات) فوائد نعمـــة ... شوارق أنوار بها تتشـــرف
ينابيع رحمة موارد حكمـــة ... حدائق جنات من الله تزلـــف
وجامعها فرد الزمان وغوثـــه ... أقر له بالفضل من هو منصـــف
له في مقامات اليقين تمكـــن ... وسر خفى في المعارف يلطـــف
جزاه إلاه العرش عن جمعة الـذي ... به يترقى السالك المتصـــوف
فلا تعدون عيناك عنه فانـــه ... كتاب بأنوار الفضائل يعـــرف
لقارئه الحسنى غداً وزيـــادة ... وقرب مكين بالمواهب ينطـــف

وفيــه أيضاً يقول البركة عبد السلام بــن الطيب القادري الحسني رحمه الله :

كتاب (دلائل الخيـــرات) ورد ... بعذب وروده تشفي الصـــدور
وفيه شوارق الأنوار تبـــدو ... فيعلو الناسكين به ســـرور
يفيد محبة الهادي وشوقـــاً ... يكون به لحضرته العبـــور
تنعم في رياض الأنس منهـــا ... تجنك من معارفها قصـــور
ويخدمك الوجود وما حـــواه ... وتحنو في الجنان عليك حـــور
ألا لا تعدون عيناك عنـــه ... ولازمه ففيه هدى ونـــور

يروى أن من دعا بهذه الأبيات بقلب فارغ ، حاضر مع الله سبحانه عقب الفراغ من قراءة (دلائل الخيرات) استجاب الله دعوته :

ياخالق الخلق يارب العباد ومَــن	قد قال في محكم التنزيل ادعوني
إني دعوتك مضطراً فخذ بيــــدي	ياجامع الأمر بين الكاف والنــون
اطلق سراحي وامنن بالخلاص كما	نجيت من ظلمات البحر ذا النــون
وقال خير الورى ياأزمة انفرجــي	فجاءه النصر والتمكين في الحيــن
يارب أدعوك تعفو اليوم عن زلــل	فان أجرك أجر غير ممنـــــون

وللناس روايات في قراءته ، فمنهم مــن يبتدئه من أوله قصداً إلــى التبرك بجميع الكتاب من البسملة إلى وهو حسبنا ونعم الوكيل في آخــره ، مع ما في ذلك من زيادة الاطلاع على فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليكون على بصيرة فيما هو آخذ فيه،ومنهم من يبتدئه من أسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظراً إلى أنه المحل الأول للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، يذكرها بعد كل من أسمائه فلا يفوته هذا العدد الكثير ، ومنهم من يبتدئه من فصل في كيفية الصلاة نظراً إلى أنه المحل المقصود للشروع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم منهم من يرجع إلى الأسماء ليجعلها خاتمتــه قصداً إلى التبرك بها، ومنهم من يتركها رأساً نظراً إلى أنها خارجة عن المقصود وهو من فصل الكيفية ، ولكن الأفضل وهو الشائع إما ابتداؤه من أوله للتبرك بجميعه ، وإما من الأسماء بتقديمها لأن ذكرها أولا كالتصور له صلى الله عليه وسلم باحضار أسمائه وما بعد ذلك من كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليــه وسلم تصديق ، والتصور مقدم على التصديق ، وأيضاً مخالفة صنيع المؤلف رضي الله عنه مما لا يحسن والله أعلم .

والذي كان سيدنا الشيخ رضي الله عنــه ونفعنا به يفعله من ذلــك الابتداء من فصل الكيفية ، إلا أنه يقدم قبله قراءة الخطبة حتى يقف على قوله ، وبعد ، مع أنه كان يستحسن إذا سئل في ذلك ما هو الأفضل مما ذكرناه ، وكأن الرواية الحاصلة عنده في عالي أسانيده هو ما كان يفعله والله أعلم .

وكان نفعنا الله به يرى أن أشمل صلاة في (دلائل الخيرات) من جميع صلواته هي قوله : اللهم صل على سيدنا محمد نبيك ، وسيدنا إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك وأصفيائك من أهل أرضك وسمائك إلى قوله : كفضلك على جميع خلقك ، فيكون الحض عليها أولى من الاقتصار ، قال إن أهل المخفية وجماعة يحضون على اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله الخ ، ويعني بأهل المخفية الشيخ العارف أحمد بن عبد الله معن الذي كان بحومة المخفية وأتباعه القادة كأبي عيسى المهدي بن أحمد الفاسي ، والأخوين أبي محمد عبد السلام وأبي محمد العربي ابني القطب القادري الحسني وغيرهم ، نفع الله بجميعهم .

وبالجملة إن الشيخ نفع الله به ، كان له من العناية بهذا الكتاب ما لم يكن لأحد ، والحض للغير جملة وتفصيلا ، وله جامع في تحقيق الرواية والدراية ، وله أجوبة عن بعض مشكلاته كانت ترفع إليه أسئلتها ممن يشار إليه بكمال الخصوصية ، فمن ذلك جواب عن قوله : وصل على سيدنا محمد شاباً زكياً الخ ، قال فيه ما نصه : إن فيه إشكالا من جهة أن فعل الطلب إنما يتعلق بالمستقبل ، وكونه شاباً زكياً قد مضى وانقطع ، فكيف تطلب الصلاة عليه في تلك الحال ؟ ومثل هذا يرد على قول من قال : اللهم بجميع الشؤون في عالم الظهور والبطون الخ ، وفي شرح (دلائل الخيرات) شاباً حال من المجرور ، أي صل عليه الآن قدر ما يسعه من الصلاة زمان كان شاباً ، أو صل عليه الآن صلاة تناسبه وتليق به إذ كان شاباً ، أو المقصود المبالغة في الطلب وطلب الكثرة ، وإحاطة الصلاة به وشمولها إياه من غير اعتبار ما يدل عليه اللفظ وإن كان معنى الصلاة الثناء فلا اشكال والله أعلم ، لأن المرء يثني عليه في شبابه بعد ذهابه ، انتهى وهذا الأخير عندي متعين والله أعلم .

انتهى وكتبه في (الطرة) .

ورأيت بخط سيدنا الشيخ نفعنا الله به ما نصه : اعلم أن الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سليمان الجزولي نفعنا الله به قد صار قطب السبق إلى هذا المرام ، ونفع الله بتابعيه الخاص والعام ، حتى لقد رفع في الفضل

ارتفاع الشمس وقت الهاجرة ، وحصل الناس منه على خير الدنيا ونفع الآخرة، فله مزيد الفضل بالتحقيق على جل من سلك هذا الطريق وقد قالوا قراءة (دلائل الخيرات) تورث النور ، وقراءة (تنبيه الأنام) تورث العلم .

ومما قيل في مدحه :

كتاب (دلائل الخيرات) حصن	شديد للنجاة من الهوان
فلازم درسه دابا وواظب	عليه كل يوم
تجد بركاته ذخرا وتجني	قطوفا من مواهبه دواني

وجملة ما فيه من الصلوات من قوله في كيفية الصلاة على النبي الخ 541 صلاة على عد نحو اللهم الفضل والفضيلة ، والشرف والوسيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمنزلة الشامخة صلاة أيضاً واحدة ، وان تكررت المعاطيف ففي الربع الأول 182 ، وفي الربع الثاني 69 ، وفي الثالث 109 ، وفي الرابع 81 .

ومما يقال قبل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني نويت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امتثال أمرك ، وتصديق نبيك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، ومحبة فيه وشوقاً إليه ، وكونه أهلا لذلك فتقبلها مني ، اللهم بفضلك وأزل حجاب الغفلة عن قلبي واجعلني من عبادك الصالحين ، اللهم زده شرفاً على شرفه الذي أوليته ، وعزاً على عزه الذي أعطيته ، ونوراً على نوره الذي منه خلقته ، واعل مقامه في مقام النبيئين ، ودرجته في درجات المرسلين ، وأسألك رضاك ورضاه يارب العالمين مع العافية الدائمة ، والموت على الكتاب والسنة والجماعة ، وكلمة الشهادة على تحقيقها من غير تبديل ولا تغيير، واغفر لي ما ارتكبته بفضلك ياأرحم الراحمين.

وقال في (درة المفاخر) :

القول في القطب الجزولي السري	منه إلى الرسول خير البشر
أما الجزولي عمدة الأقطاب	وركن أهل السر والأنجاب
فمن صحيح بيت أهل المصطفى	نسبه شمس فما به خفا

سر القلوب وشموس المعرفه
وجامع من العلي كل صفه

مخصص بالقرب والعنايه
وبكمال العز والنهايه

ولابن عبد الله وهو جعفر
قد رفعوه وهو فيه نظر

بينه الجد بنص نظمه
وها أنا أذكره برسمه

ووصل جعفر بعبد الله
يشكل أمره لذي انتباه

لأن عبد الله ليس يذكر
عند تعدد بنيه جعفر

وعلهم اكماله قد تركوا
وان جعفراً عليهم يدرك

أو أنه وقع قبل جعفر
وبعد عبد الله اسقاط عمر

فبعض هذا نسب الشيخ حوى
ووقع التحريف ممن قد روى

قلت وهذا واضح شهير
له نظائر فلا يضير

فلم تزل زيادة الآباء
ونقصها يعرف باستقراء

في رفع أهل النسب المسلم
إذا حكاه مَن به لم يعلم

قد صرحوا بأنه لا يقدح
في نسب له امتياز واضح

نص عليه البارع القصار
والكل من بعد إليه صاروا

ومات هذا السيد الجزولي
وهو يصلي الصبح في المنقول

نصف ربيع النبوي سبعينا
بعد ثمانمئة سنينا

وقال في (السر الظاهر) بعد إيراد كلام المسناوي في (النصرة) في نسب الشيخ الجزولي ما نصه :ولم يعين هو ولا شيخه ، يعني مؤلف (الدر السني) رحمهم الله المسقط ولا محله ، ثم لا يحتمل أن يكون جعفر هو ابن الحسن المثني وزيد بينهما عبد الله لأنه لم يعقب إلا من الحسن المثلث نص عليه ابن حزم ، وجعفر هذا أعقب هنا من إسماعيل بن جعفر ، ولا يحتمل أن يكون المسقط هو سليمان ومحله بين جعفر وعبد الله لأن سليمان هذا في أبنائه جعفر وانما كان له محمد لا غير ، ومنه عقبه كما نص عليه ابن حزم أيضاً وغيره ، وانظر هل يحتمل أن يكون عبد الله هو ابن الحسن المثلث والمسقط هو الحسن ؟ اذ عبد الله هذا عد ابن حزم من أولاده جعفراً ، وهذا الاحتمال هو الذي كان يستقربه مولانا الوالد كما رأيته بخطه غير أني لست على وثوق في كون جعفر بن عبد الله هذا له إسماعيل بعد البحث عنه ما أمكن والله أعلم .

وقال في (السلوة) : ومنهم الولي الصالح ذو الهدى الواضح سيدي الصديق الفلالي كان رحمه الله أمياً ، وكان يحفظ (دلائل الخيرات) عن ظهر قلب ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه إياه مناماً كان يقف عليه فيعلمه صلاة منه ، فيستيقظ فيجد نفسه قد حفظها ، ثم يقف عليه فيعلمه صلاة أخرى ، وهكذا حتى حفظه بتمامه ، وكانت حرفته الدباغة ، وكان فقيراً ولا يقبل من أحد شيئاً فقيل له في ذلك فقال : طريقتنا مبنية على هذا ، فان قبضنا سلبنا ، وكانت له مكاشفات صريحة وكرامات عديدة ، أخذ عن الولي الصالح سيدي الحاج الجيلاني الطراف حرفة دفين خارج باب الشريعة، وكان يقول فيه شيخه المذكور فلان يرى ما لا نراه .

توفي رحمه الله بالطاعون يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان المعظم سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ، ودفن قريباً من ضريح سيدي محمد ابن عباد نفعنا الله به .

وممن ترجم له الحضيكي في كتاب (المناقب) ، وقال في (الطريفة والتالدة) ما نصه : فقد بلغ بعض أولياء المغرب وأظنه الجزولي من العز إلى أن كانت بلغته تنعل بالفضة وتغسل بماء الورد انتهى . وللشيخ أبي رأس محمد بن أحمد المعسكري تخريج أحاديث (دلائل الخيرات) .

626) محمد بن إبراهيم ابن الخضري الهنتاتي

محمد بن إبراهيم بن علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن عبد الله أصيل الدين ، أبو الفتح بن البرهان أبي إسحاق الهنتاتي ، بفتح الهاء ثم نون ساكنة وفوقانيتين بينهما ألف ، نسبة لبلدة بمراكش ، المراكشي الموحدي نسبة إلى الموحدين القبيلة الشهيرة بالمغرب ، المصرى المولد والدار المالكي الشاذلي ، ويعرف بابن الخضري بمعجمتين مضمومة ثم مفتوحة ، ولد كما قال لي في ليلة الأربعاء سادس عشري المحرم سنة أربع وثمانين وسبعمئة ، وكتبه مرة بخطه سنة اثنتين وتسعين وقيل ثمان وثمانين أو أربع وتسعين

بخط جامع ابن طولون ، وقال المقريزي في عقوده بعد أن أسقط من نسبه عثمان أنه بظاهر القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشري المحرم سنة ثمان وسبعين فالله أعلم، ونشأ فحفظ القرآن وتلا به لعدة قراء على التقي الدجوي ، والغماري ، وأبي عمر ، وعلي النور على أخي بهرام ، وحفظ (العمدة) و (الالمام) لابن دقيق العيد ، والشاطبيتين ، والطوالع في أصـول الدين ، وابن الجلاب والرسالـة كلاهما في الفقه ، والحاجبية ، والملحة ، وغالب ألفية ابن مالك والتلخيص في المعاني ، والقصيدة الغافقية وغيرها ، وعرض على السراج البلقيني ، والتاج بهرام ، والغماري ، والبشكالسي في آخرين ، وتفقه بأبي حفص عمر التلمساني والشمس البساطي ، وأخذ العربية عن سعد الدين الخادم والغماري ، والمنطق عن عثمان الشغري ، ولازم العز ابن جماعة في فنونه وخدمه سنين وانتفع به ، وسمع الحديث على الشهاب الجوهري ، والمطرز ، والغماري ، والشرف ابن الكويك ، بل أخبر أنه سمع على ابن أبي المجد ، والفرسيسي والتقي الدجوي فالله أعلم ، وحدث وأفاد ودرس وأعاد ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء ، ونادم الأعيان ، واشتهر بالمجون الزائد والتهتك ، وخلع العذار وخفة الروح وسرعة الادراك مع التقدم في السن ، لكنه كان يحكى أنه استعمل البلادر كل ذلك مع الفضيلة التامة ، والمشاركة في النحو واللغة والفقه والطب والهيأة وقد ولي قديماً تدريس الفقه بجامع الكاكم والقراسنقرية والحسنية والحديث فيما زعم بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية ، والتصدير بجامع عمرو وغير ذلك ، وباشر الشهادة بالمفرد والخاص وغيرهما ، وحج بضع عشرة حجة أولها في سنة أربع عشرة وآخرها بعد الستين ، وكتب عنه ابن فهد في توجهه سنة خمسين ، وهو ممن قرض لابن ناهض نظم سيرة المؤيد وقد كتبت عنه قديماً من نظمه ونثره ، واسمعت ابني عليه ولم يكن بحجة ، وذكره المقريزي في عقوده وانه لزم ابن جماعة فأخذ عنه عدة علوم ما بين منطق وجدل وغيرهما وشارك في الفقه وأصوله والطب والنجوم ، ثم أقبل على طلب الدنيا ولو استمر على الاشتغال لجاد وساد لما عنده من الذكاء والفطنة ، وسرعة الحفظ وجودة التصور وهو مع ذلك يجيد الشعر ويغوص على معانيه ولا يكاد يخفى عليه من

دقائقه الا اليسير ، صحبني قديماً وتردد إلي مراراً وترافقنا في الحج سنة خمس وعشرين فما علمت إلا خيراً وفيه دعابة ، وعنده مجون وخفة روح تستحسن ولا تستهجن . ثم روي عنه أن شيخه العز ابن جماعة حكى له أنه كثيراً ما كان يحوك في صدره الوقوف على كلام ابن عربي من أصحابه والتابعين له ليعرف ما عندهم فيه ، قال : فرأيته ليلة في المنام ، فقال لي : اقرأ كتبي على هذا وأشار لشخص فنظرت إليه وعرفته واستيقظت ، فمكثت مدة طويلة ثم سمعت بأن شخصاً يسمى محمد بن عادل بن محمود التبريزي ، ويعرف بشيرين قد ورد ونزل مدرسة السلطان حسن وهو يدعى معرفة كتب ابن عربي ويحققها فمضيت إليه ، فلما وقع بصري عليه رأيت كأنه الشخص الذي أرانيه ابن عربي في منامي ، فتعجبت بحيث ظهرت إمارة التعجب علي ، وتأنيت في السير إليه قليلا فسألني عن السبب، فأخبرته فأخبرني أنه أيضاً رأى ابن عربي في النوم، وإنه أمره بالمسير لمصر لاقراء شخص، وأشار إليه وهو أشبه الناس بك، قال: وحينئذ قرأت عليه،فلما انتهت القراءة وعلمت ما هم عليه تجهز وقال : قد حصل ما جئنا بسببه ولم يقم وأن والده إبراهيم قال له : سمعت من لفظ البرهان الجعبري بميعاده في زاويته خارج باب النصر يقول : كان الجمال ابن هشام معتقداً ، يعني فيه ممن يواظب ميعاده ، فلامه أبو حيان على ذلك فقال له : امش معي واسمع كلامه ، ففعل فوقع منه في بعض كلامه لحن فأنكره أبو حيان بقلبه ، فقام الجعبري قائما وهو ينشد :

سر الخليقة كائن في المعدن ... بحقائق الأرواح لا بالألسن
والجوهر الشفاف خير يقيننا ... إذ كانت الاصداف ما لم يجبن
ما ذا يفيد أخا لسان معرب ... أن يلقى خالقه بقلب ألكن
فاذا ظهرت برسم ما أخفيته ... فقل الصواب ولو تكن بالأرسن

انتهى والله أعلم بصحتهما .

مات في أوائل رجب سنة اثنتين وسبعين ، وقد جاز التسعين على أحد الاقوال عفا الله عنه .

ومما كتبته عنه قوله :

إن غاب أو زار كان القلب في تعب	لا خير في عشقه إن جاء أو سارا
قال العواذل قد أتعبت من شغف	على الحبيب فقد حملت أوزارا

انتهى من (الضوء اللامع) .

وقوله نسبة لبلدة بمراكش لما ذكر الهنتاتي فاعلم ان درب هنتاتة هو من حارة القصور بمراكش ، والبلدة في اللغة هي كل مكان عامراً كان أو غامراً (1) .

627) **محمد بن سعيد الصنهاجي** ، ثم المراكشي ممن عرض عليه الجمال محمد بن إبراهيم المعروف بابن ظهيرة ، المتولد سنة 859 عالم الحجاز، وأجازه ، ذكره في (الضوء اللامع) في ترجمة تلميذه ابن ظهيرة المذكور .

628) **محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني خاتمة المحققين ، الامام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ، ممن له بسطة في الفهم والتقدم ، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين ، وقع له بسبب لك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات وألزمهم الذل ، بل قتلهم وهدم كنائسهم ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصنوني قاضي توات ، وراسلوا في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فكتب في ذلك الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي كتابة مطولة بصواب رأي صاحب الترجمة ، ووافقه عليه الامام السنوسي ، كما كتب السنوسي له رسالة :

من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية الاسلامية ،

---

1) هذا الرجل ليس على شرط المؤلف ، لأنه ليس من اهل المغرب ولم يدخل مراكش ولا اغمات ، ومن حقه أن لا يذكر في هذا الكتاب .

وعمارة القلب بالايمان السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته ، وبارك في دينه ودنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الايمانية ، والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلهم الله كنيسة في بلاد الاسلام ، وحرصكم على هدمها وتوقف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الاهواء فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه ، فلم أر من وفق لاجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ، ولم يلتفت لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني من مداهنة من يتقي شوكته سوى الشيخ الامام القدوة ، الحافظ المحقق علم الاعلام محمد بن عبد الجليل التنسي أمتع الله به ، قد أمد لابانة الحق ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهماً وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس ، انتهـى .

وممن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس ، وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس ، وابن زكري مفتي تلمسان ، والقاضي أبو زكرياء يحيى ابن أبي البركات الغماري ، وعبد الرحمان ابن سبع التلمساني ، وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات ، أمر صاحب الترجمة جماعته فلبسـوا آلات الحرب وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ولم يتناطح فيها عنزان ، ثم قال لهم : من قتل يهودياً فله عليّ سبع مثاقيل ، وجرى في ذلك أمور ، فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود ومن ينصر اليهود ، ثم دخل بلاد اهر ، ودخل بلاد تكدة وأجتمـع بصاحبها وأقرا أهلها وانتفعوا به ، ثم دخل بلاد كنو وكشن من بلاد السودان ، واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه ، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقرر لهـم أحكام الشـرع وقواعده ، ثم رحـل لبلاد التكرور فوصل إلى بلـدة كاغو وأجتمع بسلطانها ساكسي محمد الحاج وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف ، وألف

له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود ، فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات بكاغو حينئذ ، فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئاً ، فرجع عن ذلك وأمر باطلاقهم ورحل لتوات ، فتوفي هناك سنة تسع وتسعمئة ، ويقال إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه فعمِي مكانه ، وكان رحمه الله مقداماً على الأمور جسوراً ، جريء القلب ، فصيح اللسان ، محباً في السنة ، جالياً نظاراً محققاً ، له تآليف منها (البدر المنير ، في علوم التفسير) ، و (مصباح الأرواح ، في أصول الفلاح) كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرضاه ، وشرحِ مختصر خليل مزجاً سماه (مغني النيل) اقتصر فيه جداً وصل فيه للقسم بين الزوجات ، وله عليه قطع آخر من البيوعات وغيرها ، بل قيل أنه شرح ثلاثة أرباع المختصر ، وحاشية عليه سماها (اكليل المغني) وقف صاحب النيل منها إلى التيمم ، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب ، فبحث فيه مع ابن عبد السلام وخليل سماه (أفهام الانحال) ، وتأليفاً في المنهيات ، ومختصر (تلخيص المفتاح) وشرحه ، و (مفتاح النظر) في علم الحديث فيه ابحاث مع النووي في تقريبه ، وشرح الجمل في المنطق ، ومقدمة فيه ، ومنظومة فيه سماها (فتح الوهاب) وثلاثة شروح عليها وقد شرحها والد صاحب (النيل) بشرح حسن استوفى فيه ، وله أيضاً (تنبيه الغافلين ، عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين) ، وشرح (خطبة المختصر) ، ومقدمة في العربية وكتاب (الفتح المبين) ، وفهرسة مروياته ، وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة ورويها في مدحه صلى الله عليه وسلم .

أخذ عن الامام عبد الرحمان الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير وغيرهما ، وأخذ عنه جماعة كالفقيه السيد أحمد ، والفقيه العاقب الانصمني ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم .

وقال في (النيل) : ووقعت له مراسلة مع الجلال السيوطي في علم المنطق فمما كتب للسيوطي فيه قوله :

سمعت بأمر ما سمعت بمثلــــه — وكل حديث حكمه حكم أصلــــه
أيمكن أن المرء في العلم حجـــة — وينهي عن الفرقان في بعض قوله ؟
هل المنطق المعني إلا عبـــارة — عن الحق أو تحقيقه حين جهلـه ؟
معانيه في كل الكلام وهل تـرى — دليلا صحيحاً لا يرد لشكلـــه ؟
أريني هداك الله منه قضيــــة — على غير هذا تنفها عن محلـــه
ودع عنك ابداه كفور وذمــــه — رجال وان اثبت صحة نقلــــه
خذ الحق حتى من كفور ولا تقـم — دليلا على شخص بمذهب مثلـه
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن — به لا بهم إذ هم هداة لاجلـــه
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هـم — وكم عالم بالشرع باح بفضلـه ؟

في أبيات تركتها فأجابه السيوطي بقوله :

حمدت إلاه العرش شكراً لفضلـه — وأهدي صلاة للنبي وأهلـــه
عجبت لنظم ما سمعت بمثلــه — أتاني عن حبر أقر بنبلــــه
تعجب مني حين ألفت مبدعـــاً — كتاباً جموعاً فيه جم بنقلـــه
أقرر فيه النهي عن علم منطـــق — وما قاله الاعلام من ذم شكلــه
وسماه بالفرقان ياليت لم يقــل — فذا وصف قرآن كريم لفضلـــه
وقال به فيما يقرر رأيــــه — مقالا عجيباً نائياً عن محلــــه
ودع عنك ابداه كفور وبعـــد ذا — هو الحق حتى من كفور بختلــه
وقد جاءت الآثار في ذم من حـوى — علوم يهود أو نصارى لأجلـــه
يعزز به علماً لديه وانــــه — يعذب تعذيباً يليق بفعلـــه
وقد منع المختار فاروق صحبــه — وقد خط لوحاً بين توراة أهلـه
وقد جاء من نهي اتباع لكافـــر — وان كان ذاك الأمر حقاً بأصلـه
أقمت دليلا بالحديث ولم أقـــم — دليلا على شخص بمذهب مثلـه
سلام على هذا الامام فكم لـــه — لديَّ ثناء واعتراف بفضلـــه

انتهـى .

وذكـر الكنتي فـي كتاب (التوحيد) لـه أن المترجم جال فـي بلاد التكرور والمغرب الأقصى وحلاه بالشيخ القطب الكامل ، وعنه أخذ جده سيدي عمر الملقب بالشيخ وذكر بعض كراماته لما توجه معه إلى الحج وأنه لما أشرف على المدينة ارتجل قصيدته العجيبة التي مطلعها :

بشراك ياقلب هذا سيد الأمـــم   وهذه حضرة المختار في الحـــرم

فلما قام عند الروضة ليدخلها هم الوكلاء بها بمنعه فقال :

ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي   فالعبد ضيف ، وضيف الله لم يضم

فاهتزت عند ذاك الروضة الشريفة وانفتح بابها ، وفر الوكلاء لعظم ما رأوا فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه وهو يقول لهم : لست هنالك فلا تشغلوني عما أنا بصدده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فانها عين الرحمة ، ومنبع الحكمة ، وأصل الهداية .

ونص القصيدة الدالة على غوصه على المعارف :

بشراك ياقلب هذا سيد الأمـــم   وهذه حضرة المختار في الحـرم
وهذه الروضة الغراء طاهـــرة   وهذه القبة الخضراء كالعلــــم
وقبر المصطفى الهادي وحجرتـه   وصحبه وبقيع دائر بهــــــم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها   وسل تنل كل ما ترجوه من كـرم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي   فالعبد ضيف وضيف الله لم يضـم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي   يامن لقاصده أمن من النقــــم
ياسيدي يارسول الله خذ بيـــدي   فبحر جودك مورود لكل ظمـــي
ياسيد الرسل يامن ضيف ساحته   يبيت بالأمن في خير وفي نعـــم
ياأكرم الخلق من حاف ومنتعــل   ياأفضل الناس في ذات وفي شيم
ياأشرف الأنبيا يامن شفاعتـــه   عمت على الخلق في الوجدان والعدم
ياصفوة الله يامولى مكارمـــــه   عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقير إلى عفو ومرحمـــــة   وأنت أدرى بما في القلب من ألـم

وقد أتيتك أرجو منك مكرمـــة فأنت أهل التقي والجود والكـرم
فالحال يغني عن الشكوى اليك وقد عرفت حالي وان لم أحكيه بفـم
فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقـد أودى به الكسر مما نال من جـرم
ياأحمد ، ياأبا بكر ، وياعمـر ، نزيلكم في أمان غير منهضـم
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكـم سعياً على الرأس لا سعياً على القدم
أتى من أم القرى يرجو القرى كرماً فان قبلتم فاني مفلح بكـم
فان قبلتم فاني مفلح بكـم في زورة واقتراب وافر القسـم
يامن أجل ملوك الأرض قاطبـة في باب أفضلهم من أصغر الخـدم
فهل عسى نظرة منكم لزائركـم يغني بها عن جميع الخلق كلهـم
محمد وضجيعاه الذين بهـم طبنا وغبنا من الخسران والنـدم
يارب ، يارب يامولاي عبدك فـي باب الرجا يرتجي أمناً من النقـم
فجد عليه بما يرجوه من كـرم فقد توسل في الدنيا بحقهـم
ثم الصلاة وتسليم الالاه علـى هذا النبي رفيع القدر والشيـم
محمد المصطفى والآل ، ثم علـى أصحابه ما سرى ركب لربعهـم

انتهى وسدتاتي بقية ما يتعلق به في ترجمة تلميذه الكنتي المذكور ، وترجمه في (طبقات المالكية) أيضاً ، وترجمه في (الدوحة) 95 ، وذكر أنه كان له ستة ممالك يحفظون تهذيب البرادعي ، وترجمه الحضيكي في كتـاب (المناقب) ، ووقفت على تأليفه في أهل الذمة وهو في نحو كراس 1 مـن القالب الرباعي ذكر فيه فصولا 3 : الفصل الأول فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكافرين ، الفصل الثاني فيما يلزم أهل الذمة من الصغار والجزية ، الثالث فيما عليه يهود في هذا الزمان في أكثر البلدان من الجرأة والطغيـان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان .

629) محمد القائم بأمر الله السعدي

قال ابن القاضي فـي (درة السلوك) : لم يزل أسلاف السعديـين مقيمين بدرعة إلى أن نشأ منهم محمد القائم بأمر الله ، فنشأ على عفاف وصلاح وحج البيت الحرام وكـان مجاب الدعوة ، لقـي جماعة من العلماء الاعـلام

والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين ، أخبرني بعض الفضلاء أنه لقي رجلا صالحاً بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤياً ، وهي أن أسدين خرجا من احليله ، فتبعهما الناس إلى أن دخلا صومعة ووقف هو ببابها فعبرت له رؤياه بأنه سيكون لولديه شأن ، وأنهما يملكان الناس، ثم رجع إلى الغرب معلناً بالدعوة فيقول في كل محفل أن ولديه سيملكان الغرب وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ثقة بخبر الرجل الصالح وبرؤياه المذكورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمئة .

قال صاحب (زهرة الشماريخ) ما صورته أن سبب قيام محمد القائم أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ، ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى أظلم الجو واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون في أمر مريج لعدم أمير تجتمع عليه كلمة الاسلام ، لأن بني وطاس فشلت ريحهم يومئذ في بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم بالسوس إلا الاسم مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وأصيلة وحجر بادس وغيرها من ثغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من تفاقم الأحوال ، وكثرة الأهوال وطمع العدو في بلادهم ، ذهبو الى الشيخ الصالح محمد بن مبارك الأقاوي نسبة الى آقا من بلاد السوس ، فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتثار الجماعة وكلب العدو على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم عليه ، فامتنع من ذلك وقال : إن رجلا من الأشراف بتاجمدارت من درعة يقول انه لولديه شأن ، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق بمقصودكم فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان .

وقال اليفرني رأيت بخط الفقيه العلامة عبد الرحمان ابن شيخ الجماعة عبد القادر الفاسي ما صورته :

ذكر لنا الوالد عن سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي أن ابتداء دولة الشرفاء بالسوس أن بعض السادات ، وهو سيدي بركات توسط في فداء بعض الأسارى ، وأراد أن يكون مع النصارى اتفاق على

أن لا يحبسوا أسيراً فكلمهم في ذلك فقالوا له : حتى يكون لكم أمير ، فان ملككم قد ذهب واضمحل ، قال ثم ان بعض أهل السوس ساروا إلى قبيلة جسيمة يكتالون الطعام ، فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم وبضاعتهم ، فذهبوا إلى شيخهم وكان ذا حزم وتدبير ، فرد عليهم كل ما ضاع لهم حتى لم يبق لهم شيء ، فلما رجعوا إلى بلادهم قالوا : ان هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم ، فامتنع واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الأمر للدين ، ودلهم على رجل شريف كان مؤذناً بدرعة ، فقال لهم : إن كان ولابد فاقصدوا الشريف الفلاني فانه يذكر أن ولديه يملكان المغرب ، فقصدوه وحملوه إلى بلادهم وبايعوه وفرضوا له من المؤونة ما يكفيه وأولاده وبقي هنالك في نحر العدو انتهى .

ويروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقول إلا بالمال، احتال بأن أمر أهل السوس أن يأتوه ببيضة لكل كانون (1) فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لا تحصى لأن الناس استهونوا أمر البيضة، فلما اجتمع عنده البيض ، أمر أن كل من أتى ببيضة يأتي بدلها بدرهم ، ففعلوا فاجتمع من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوي به جيشه ، وكانت تلك أول نائبة (2) فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي أن الأمير محمد القائم لما اجتمع بالشيخ ابن مبارك ببلده آقا وذلك سنة خمسة عشرة وتسعمئة على ما مر ، فاوضه في شأنه ، ثم عاد إلى مقره من درعة ، ثم في سنة ست عشرة بعدها بعث إليه فقهاء المصامدة ، وشيوخ القبائل ودعوه إلى توليته عليهم وتسليم الأمر اليه ، فلبى دعوتهم وجاء الى قرية يقال لها تدسى قرب ردانة ، فبايعه الناس بها وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة انتهى .

1) أى لكل موقد ، يعبرون بذلك عن المنزل .

2) النائبة : الضريبة ، وما زالت الكلمة مستعملة على قلة فى فاس وبعض المدن .

وقد ساق منويل أولية هذه الدولة مساقاً غريباً ولا يخلو عن فائدة ، فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ويكون كالشرح لما مضى ، أو يأتي من أخبار هذه الدولة ، قال : لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي — يعني البرتغالي — أميراً بفاس ظهر في درعة رجل شريف ، يعني محمد القائم بأمر الله ، قال : وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفقر والخمول ، ولم يكن من بيت الرياسة ، وكان له اطلاع على تواريخ قطره وعوائد جيلـه واخلاقهم وطباعهم ورأى ما وصل اليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف ، وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فاعمل في ذلك فكره ومكره وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتعاض لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومَحمد الى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة ورجاحة ، ومعرفة بادارة الكلام ، فظهـر لهم ناموس في تلك البـلاد وأحبهم الناس لا سيما أحمد ومَحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بفاس وهـي يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد في مجلس بالقرويين لتدريس العلم ، فاكتسب بذلك جاهاً ، وتقرب مَحمد إلى السلطان حتى صار مؤدباً لأولاده وبقيا على ذلك مدة وهما في ذلك كله يتحببان إلى الناس ويسعيان في مذاهب الشهرة ، والبرتغال في أثناء ذلك ملح على الثغور واستلابها من أهلها ولم تكن تقـوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الأخوين أحمد ومَحمد إلى أن ندبا السلطان وهو محمد البرتغالي إلى المناداة بالجهاد اظهاراً للنصح وهما يسران حسوا في ارتغـاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطـان لا غير ، فاغتر السلطـان بنصحهما وقال لهما : لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة فأجاباه الى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستنفران الناس في نواحي المغرب إلى الجهاد ويحضان الناس عليه ويخطبان بذلك في المحافل ويعظان وتتبعا الحواضر والبوادي، وتقريا الاحياء والمداشر والقرى الى أن وصلا الى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد لكبير ، فاجتمعا بهما وذاكراهما في أمرهما وأنهما قد أشرفا على المراد وكادا يلجان الملك من بابه ، لأن أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم ، فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الأب وأولاده في نشر معايب الدولة للعامة ويقررون ذلك بفصاحتهم ووجاهتهم وما أوتوه مـن

القبول وعضدهم على ذلك شيوخ البلاد ، وتبعهم الناس واجتمعوا عليهم من كل جهة وصار حالهم ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا اليه بعد .

وقال في (نشر المثاني) كان السبب في قيام الشرفاء الزيدانيين واستبدادهم بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد ، فاتفق أن خرج الشريفان مَحمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفدا على الوطاسي تلقاهما بالرحب وأقبل عليهما لأجل قيامهما بالجهاد وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة فرجعا إلى جهادهما ثم عادا إليه مرة أخرى فاعطاهما مثل ذلك ، وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور ، وصارا يكتبان إلى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لأنفسهما انتهى .

قال منويل وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الاقصا ودرعة واعمالهما وصاروا يرفعون إليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايعوهم ونهض هؤلاء الأشراف إلى ردانة فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم زحفوا الى أكدير لحرب البرتغال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيعون أنهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين إذ لم يتأت لهم إذذاك التصريح بخلع السلطان .

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة تجاوزوا جبل درن الى بلاد حاحة والشياظمة ، ثم دخلوا بسيط عبدة . وكان بآسفي رجل متنصر إسمه يحيى ابن تاعفوفت احتمى بالبرتغال من السلطان، وكان معروفاً بالشجاعة، واتصل خبره بطاغية البرتغال منويل فولاه على النصارى وعلى أتباعه من المسلمين تأليفا له ، ولما زحف الأشراف إلى بلاد عبده كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاراه معركتان شديدتان ، وكان الظهور فيهما ليحيي ، لكن أحمد الأعرج تدارك أمره فوراً وجمع عسكراً آخر وخطبهم ووعظهم وزحف الى يحيى المذكور، ففضه وفضّ نصاراه الى أن انجحروا بآسفي وأغلقوه عليهم ، وأتيح لأحمد عليهم

ما لم يتقدم لغيره فيهم ، فبذلك تأتي له أن يتناول ملك المغرب ، ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يعجبه ذلك ، وظهر له أن ما كان أحمد وأخوه يحاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ، وحقق له ذلك ما فعلوه من تحصين ردانة مع ما كان لأبيهم من نفوذ الكلمة بالسوس ، وكان في هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر بوشنتوف ، وكان مستبداً على الوطاسي ويبذل له شيئاً تافهاً يتقيه به ، ولما مر به هؤلاء الأشراف في أول أمرهم داعين الى الجهاد أحسن إليهم غاية ، ولما أوقعوا وقعة آسفي أبرموا أمرهم مع ناصر أبي شنتوف وأظهروا له المحبة والموالاة ، وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يداً واحدة عليه ، فأسعفهم وقدموا مراكش ، فدخلوها مرة ثانية وأحسن إليهم ، وبعد أيام خرجوا به للصيد فسموه في خبز صغير يسمى القريشلات فهلك للحين وصفا للاشراف مراكش وأعمالها اذ كان أهلها قد أحبوهم وشرهوا اليهم ، ولما تم لهم أمر درعة والسوس ومراكش ، تسمى أحمد باسم الأمير واستخلف أخاه مَحمد الشيخ ، ولما اتصل الخبر بالوطاسي وأنهم استولوا على مراكش أقلقه ذلك ، ومن مكر أحمد بعث إليه يقول ما أنا إلا واحد من عمالك وما كان يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفاً ومع ذلك لم يطمئن اليه ، ثم هلك الوطاسي وولي مكانه ابنه أحمد وانقسمت مملكة المغرب ، فصار فاس للوطاسي ، ومراكش وأعمالها لأحمد الأعرج ، وردانة والسوس ودرعة لمحمد الشيخ ، وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب البرتغال قرب آسفي ، ولما رأى أحمد الوطاسي استفحال أمر الاشراف وأنهم أمسكوا عنه ما وعدوا بأدائه عزم على حربهم ، فجمع عسكراً عظيماً وزحف إلى مراكش فتحصن أحمد الأعرج بها ، وقدم عليه أخوه ، فظاهره على عدوه ، وفي أثناء حصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بأن أهل فاس قد قاموا عليه وبايعوا بعض إخوته ، فرجع إلى فاس وقبض على أخيه الثائر عليه ، ثم كرَّ إلى مراكش بعسكر أعظم من الأول وفي هذه المرة برز اليه الأشراف خارج البلد ثم تقدموا إليه ، فكان اللقاء على أبي عقبة من تادلة ، ووقعت بينهم حروب هائلة لأن الوطاسيين كانوا

يرون أن هذه الحروب هي الفيصل بينهم وبين عدوهم ، والاشراف كذلك ، وحضر هذه الحرب محمد ابن الأحمر سلطان الأندلس المخلوع ، وأبلى بلاء حسناً حتى قتل ، وكان الظهور للأشراف ، ورجع الوطاسي مفلولا إلى فاس، وترك محلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الوقعة استولى الأشراف على فيلالة وملكوا أكدير وآسفي وأزمور ، لأن البرتغال كانوا قد تخلوا عنه ، ثم عن قريب حدث بين الأخوين النفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب إلى فيلالة فاستولى عليها واقتطعها عن عمه محمد الشيخ ، ثم زحف الشيخ إلى فاس فحاصرها إلى أن قبض على الوطاسيين وغربهم الى درعة .

انتهى كلام منويل .

ثم نرجع إلى سياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرني وغيره.

أخبار الأمير محمد القائم في الجهاد وما هيأ الله له من النصر فيه

لما استتب أمر الأمير محمد القائم ، واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ، ندب الناس إلى مقارعة البرتغال وجهاده ونفيهم عن ثغور المغرب وبلاده، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين ، فصمدوا معه إلى النصارى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للأمير محمد الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها ، وأعاد كلمة الاسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطائره الميمون ونقيبته ، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيماً ومكانة ، ولما فصل من جهاده عاد إلى محله المذكور من تيدسي ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيماً بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمئة ، فرجع الى مكانه من تيدسي واطمأنت به دارها ، وأزال الله عنه ما كان أزعجه منها ، والله غالب على أمره .

عقد الأمير محمد القائم ولاية العهد لابنه أحمد الأعرج رحمه الله تعالى

قد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التي رآها الأمير محمد القائم في شأن ولديه وأنهما يملكان المغرب ، وفي معنى ذلك أيضاً ما يحكى شائعاً أن ولدي محمد المذكور وهما أحمد الأعرج ومحمد الشيخ كانا يقرآن في مكتب وهما صبيان فدخل ديك فوثب على رأس كل منهما وصرخ ، فاول ذلك مؤدبهما بأنهما سيكون لهما شأن ، فمن أجل هذا ونحوه كان والدهما يعلن بأن أمر المغرب صائر إليهما ، فلما قضى الله ببيعته واجتماع الناس عليه ، واطمأنت به في البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام والقرار ، ندب الناس إلى بيعته أكبر ولديه وهو الأمير أحمد المعروف بالأعرج فبايعوه وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما نذكره إن شاء الله .

انتقال الأمير محمد القائم إلى آفغال من بلاد حاحة ووفاته بها رحمه الله

ثم ان محمد القائم وفد عليه أشياخ حاحة والشياظمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه ، فشكوا إليه أمر البرتغال ببلادهم وشدة شوكته ، واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل إليهم هو وولده ولي العهد المذكور ، فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أحمد الى الموضع المعروف بآفغال من بلاد حاحة ، وترك ولده الأصغر محمد الشيخ بالسوس يرتب الأمور ويمهد المملكة ويباكر العدو بالقتال ويراوحه ، واستمر الامير محمد القائم بمكانه من آفغال مسموع الكلمة متبوع العقب إلى أن توفي به سنة ثلاث وعشرين وتسعمئة ، ودفن هنالك بازاء ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه الى أن نقل إلى مراكش بنقل الشيخ المذكور (1) .

630) محمد بن محمد الشيخ المعروف بالبرتغالي الوطاسي

لما توفي السلطان محمد بويع ابنه محمد البرتغالي في سنة عشر وتسعمئة ، وكان نصارى سبتة وطنجة وأصيلة قد استحوذوا على بلاد الهبط ، وضايقوا المسلمين بها حتى ألجؤوهم الى قصر كتامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد

---

1) هذه الترجمة منقولة بالحرف من الاستقصا 5 : 6 طبع الدار البيضاء .

عني بجهادهم وترديد الغزو إليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعدية بها سنة خمسة عشر وتسعمئة على ما نذكره ان شاء الله .

استيلاء البرتغال على ثغر آسفي حرسه الله

قال منويل : كان البرتغال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفي ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور ، فزحفوا إليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كثير من البرتغال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفي وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتغال وأسلموها إليهم على الأمان ، فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كرة المسلمين عليهم فكان كذلك ، فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ، ووقع بينهم وبين البرتغال حرب شديدة كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتغال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شكوادره من مادرة بالعسكر والزاد ، فقويت نفوس البرتغال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتغال لينتهزوا فيهم الفرصة ، فكرّ المسلمون عليهم واستلبوهم ، وهذا أول حصار كان على آسفي ، ثم بعد سنين قلائل ، زحف المسلمون إليها أيضاً ومعهم عدد من المدافع وقاتلوا قتالا صعباً ، وزحفوا إلى السور فهدموا منه ثلمة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج على العادة، ثم رحل المسلمون من غير فتح، وأعرضوا عنها مدة لم يحدّثوا أنفسهم بقتال ، وعمرت آسفي بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور وكانوا يسقون منها الحبوب ويحملونها في السفن إلى بلادهم، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين ، ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة .

وقال الشيخ محمد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) ما نصه : قرأت بخط شيخنا محمد القصار أن صاحب آسفي أخرج الشيخ محمد بن سليمان الجزولي عنها فدعا عليهم فسئل منه العفو ، فقال : أربعين سنة ، فأخذها النصارى بعدها ، انتهى .

وهذا يقتضي أن استيلائهم عليها كان في حدود عشر وتسعمئة ، لأن وفاة الشيخ الجزولي رحمه الله كانت في سنة سبعين وثمانمئة كما مر ، وعند الفرنج ما يقتضي أن استيلائهم عليها كان بعد ذلك بسنتين أو ثلاث والله أعلم .

زحف السلطان محمد البرتغالي الى أصيلة

قال منويل : لما أفضى الأمر إلى السلطان محمد بــن محمد الشيخ الوطاسي ، أراد أن يأخذ بثأره من البرتغال الذين أسروه سبع سنين ، فزحف إلى أصيلة في حدود أربع عشرة وتسعمئة وحاصرها وطال قتاله عليها ، ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاماً ، واقتتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ، ثم جاء المدد الى البرتغال من طنجة وجبل طــارق ، فقويت نفوسهم وخــرج المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بهــا إلا الخرابات ، ثم جد البرتغال في اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر إلى أن رجعت للمسلمين .

استيلاء البرتغال على ثغر ازمور حرسه الله

قال منويل : بعث طاغية البرتغال سنة أربعة عشر وتسعمئة إلى ثغر أزمور شكوا دره فيها ألفان من العسكر وأربعمئة خيالة، فدافعهم زيان الوطاسي ابن عم السلطان وشتت مراكب البرتغال في الساحل وتكســر جلها ، وعاث فيها المسلمون ورجع الباقي مفلولا ، ثم بعد أربع سنين بعث إليها الطاغيــة منويل شكوادره فيها عشرون ألفاً من العسكر ، وألفان وسبعمئة خيالة ، فانتهوا إلى أزمور وحاصروها بحراً ، وزحفوا إليها من الجديدة براً ، ووقعت حرب شديدة بينهم وبين أهل أزمور وأهل البادية ، ثم انهزم المسلمون وخرجوا من باب تركه لهم البرتغال قصداً ، قال : لأنه يقال في المثل الفار منك في الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها ، وقال في (النزهة) : كان نزول النصارى بأزمور سنة أربعة عشر وتسعمئة ، قال : وفي هذه السنة بنى النصارى حجر بادس ، وفي أواخــر المحرم منها أخذ النصارى يعني ــ الاصبنيول ــ مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم إلا أسير أو قتيل إلى أن أعادها الله للاسلام على يد الأتراك في حدود العشرين ومئة وألف انتهى .

قلت : أهل أزمور يزعمون أن استيلاء البرتغال على مدينتهم كان متكرراً ، وسياتي ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان محمد ما وقفت عليه في تاريخ البرتغاليين من أن السلطان المذكور كتب لطاغيتهم منويل يطلب منه أن يتقدم بالوصاة لأصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بعثهما إلى الجزائر ، ثم منها إلى تونس ، وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب ، فكرر إليه الكتاب ثانياً في القضية المذكورة وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معاً مترجمين بلغته ، وذكر أن تاريخ الأول منهما الثالث والعشرون من جمادى سنة عشرين وتسعمئة ، وتاريخ الثاني الثامن والعشرون من ذي القعدة من السنة هـ .

استيلاء البرتغال على ثغر المعمورة حرسه الله

قال في (نشر المثاني) : إن الذي اختطّ حصن المعمورة هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدي ، قال : ولما كان زمان منويل البرتغالي ، بلغه أن ميناء المعمورة جيدة وبلادها نفاعة ، فبعث إليها طائفة من جنده فوصلوا إلى ساحلها ونزلوا في البر المقابل لها وبنوا هنالك برجاً لحصارها ، ثم اردفهم ملكهم بعمارة تشتمل على مئتي مركب مشحونة بثمانية آلاف من المقاتلة ، قال : وكان خروج هذه العمارة من مدينة إشبونة في اليوم الثالث عشر من يونيو العجمي سنة ألف وخمسمئة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة تقريباً سنة إحدى وعشرين وتسعمئة ، فوافت ميناء المعمورة في الثالث والعشرين من يونيو المذكور ، وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياماً ، وبلغ الخبر بذلك إلى السلطان محمد البرتغالي ، فبعث أخاه الناصر صريخاً في جيش كثيف ، فوصل سادس غشت من السنة المذكورة وقاتل البرتغال قتالا شديداً وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين فهزموهم واستولوا على المعمورة ، وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود بها الآن ، واستمروا بها نحو خمس سنين ، ثم استرجعها المسلمون منهم في دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم .

وفي السنة التي استولوا على المعمورة رجعوا إلى موضع مدينة آنفا فشرعوا في بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء وبقوا بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل على ما زعم منويل .

أخبار السلطان محمد البرتغالي مع الشيخ عبد الله الغزواني رضي الله عنه

أصل الشيخ عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش من غزوان قبيلة من عرب تامسنا ، وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس فحصلت له إرادة فسافر الى مراكش ولازم الشيخ التباع وتخرج به ، ثم انتقل الى بلاد الهبط ، فنزل بها على قبيلة يقال لهم بنو فزنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره وعظم صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج إليها بقصد الغارة على نصارى أصيلة ، وكان معه في هذه الحركة الشيخ محمد ابن غازي الامام المشهور ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشي على الدولة عاقبة أمره واغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسي السفياني الأصل ، وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال ويخرج في بعوثهم قاضياً ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك في نفس السلطان فبعث إليه ، فحضر ، وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاحناوت وجعله في سلسلة وبعث به إلى فاس ، وتقدم في شأنه الى ابن شقرون صاحب شرطته بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فبينما هو كذلك ، اذ مر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعرجوا به على الشيخ ابن غازي كي يعوده ويؤدى حقه فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه : احفظوا وصيتي فاني راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك ، قالوا له ياسيدي ما عندك باس ، فقال : إن الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني ولياً من أوليائه ، وقد أرانيه الساعة ، فدلني ذلك على انقضاء الأجل ، فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به .

هكذا ساق هذا الخبر صاحب (الدوحة) في ترجمتي الشيخين المذكورين، وكانت وفاة ابن غازي أواخر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمئة .

وقال صاحب (المرآة) عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزواني ما نصه : فتحرك الشيخ الغزواني لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهام ، فعرض له العروسي قائد القصر الكبير وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدوم الشيخ إلى فاس دار الملك أذذاك ، فقال له الشيخ : طاعة السلطان واجبة ، وقال للزائرين معه : بلغت النية فتوجه الشيخ إلى فاس من ذلك المكان وكلما بات في منزل ذهبت جماعة من الذين معه فلم يصل معه إلا القليل ، وكان الشيخ عبد الوارث اليالصوتي إذذاك ساكناً بفاس ، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه اليالصوتي المذكور فسلم عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه ، اشترى خبزاً وعنباً وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني المكناسي ، وهو مؤلف (المجالس المكناسية) ، فوجدهم في المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون ، ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد فقال له : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ قال أبو البقاء : فتكلمت أنا وقلت : إن هذا الرجل قد نزل بلداً عظيمة المناكر وأخذت أعدد مناكرها ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى ، وشننه من أبى ، فقام القاضي وركب الى دار السلطان ثم رجع إلى منزله ، فبات ومن الغد ركب إلى دار السلطان أيضاً ومعه الشيخ الغزواني ، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان ، وكان فيه صاحب تازة وهو أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وإمام صلاته قال صاحب (المرآة) : ولم يسم لنا فقال للشيخ : ما هذا الذي يذكر عنك ؟ فقال له الشيخ : أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتك، فاستشاط الكاتب غضباً فقال له أخو السلطان : هؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة يشير إلى ما في الحكم ، فقال له السلطان : من أين تعرف هذا ؟ فقال له: من سيدي محمد بن عبد الرحيم ابن يجبش ، ففرح السلطان بمعرفة أخيه

ذلك وقال للشيخ : نحن نريد قربك وأن تكون معنا في هذه المدينة فقال له على بركة الله ، فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح ، وأقام هنالك ما شاء الله ، قيل سبع سنين إلى أن كانت سنة تعذر فيها المطر ، وأخذ الناس في استخراج السواقي للحرث ، فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث إليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدال المشددة على لغة العامة ، وقال له نحن أحق بتلك الساقية ، فقال له الشيخ : خذها ، وأخذ في الرحيل إلى مراكش ، ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفة في يده وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش ويقول ايايا سلطنة إلى مراكش ، قال صاحب (المرآة) هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي ، قال : وآخنيف معروف ، وهو نوع من البرانيس السود ، ومعنى ـ أيا بلغة ـ عامة المغرب سيري معي ، وموضع بني فزنكار أظنه تاصروت ، فان بها رسماً منسوباً إليه إلى الآن ، وانه منزله الذي كان يأوي إليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصيرة إلى تلميذه الشيخ محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب ، ولعل سنة إخراج السواقي هي سنة ست وعشرين وتسعمئة ، فانه قد تعذر فيها المطر ، وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمئة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس إلى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ ، والله أعلم .

نهوض السلطان محمد البرتغالي إلى مراكش ومحاصرته أحمد الأعرج السعدي بها

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمئة ، وما زال أمرهم في الزيادة إلى أن كانت دولة أحمد الأعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفتك بنصارى السوس ، فكاتبه أمراء هنتاتة أصحاب مراكش ودخلوا في طاعته ، فانتقل إليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمئة ، ولما اتصل خبره بالسلطان محمد وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل في جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر،

كذا في (النزهة) ، والذي عند غيره أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور ، ولما رأى أحمد السعدي ما لا قبَل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة ، فتقدم السلطان محمد ونصب الأنفاض على مراكش، ودام الحصار عليها أياماً ، فيحكى أنه قيل للشيخ عبد الله الغزواني ، وكان قد استوطن مراكش يومئذ أن أهل مراكش سئموا الحصار ، فركب الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس ، فوجد رماة السلطان محمد يرمون مَن على الأسوار من أهل البلد ، فوقف الشيخ ينظر رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التي عليه ، والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء ، فقبض عليها بيده وقال : هذه خاتمة حربهم ، ثم رجع إلى منزله ، فوردت الأنباء على السلطان محمد في تلك الليلة بأن بني عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح من الغد راحلا إلى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ، ولم يعد لبني وطاس وصول بعدها إلى مراكش ولا إلى أعمالها ، والله تعالى أعلم .

ذكر وزراء السلطان محمد الوطاسي وما قيل فيهم

كان من جملة وزرائه ابن عمه المسعود الناصر ، وهو الذي زحف معه إلى مراكش على ما في النزهة ، وكان من جملة وزرائه القائمين بأمره أخوه الناصر بن محمد المعروف عند عامة فاس بأبي علاقة وبالكَديد على ما مر ، قال في (الجذوة) لقب بذلك لكثرة سفك الدماء وإقدامه عليه ، فكان يقتل الناس ويجزرهم كثيراً ، وكذا بمكناسة أيام وزراته بها ، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورآه ، وتوفي الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمئة .

وفاة السلطان محمد الوطاسي رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد البرتغالي سنة احدى وثلاثين وتسعمئة على ما في (الجذوة) ، ويؤخذ من (النزهة) أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم ، وولي الأمر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده إليه .

انتهى من (الاستقصا) (1) .

---

1) الاستقصا 4 : 140 طبع الدار البيضاء .

631) محمد بن عبد الرحمان الوقاد

محمد الوقاد بن عبد الرحمان بن علي بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الامام أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري،

كان بمراكش مع ولده الامام المجتهد ، حلاه المنجور بالفاضل الأجل الأستاذ ، توفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة ، وخلف ولده أحمد ، ومن جملة أولاده علي ، انتهى .

وترجم في (السلوة) لجديه عمر وعبد السلام ، وستأتي ترجمة والده عبد الرحمان ، وترجم الحضيكي في طبقاته لمحمد بن أحمد بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد نزيل ردانة ولولده عبد الرحمان بن محمد بن أحمد .

632) مَحمد بن عيسى الكبير الفهدي السفياني الأصل ثم المختاري ،

نزيل مكناسة الزيتون ، الشيخ الولي الكبير ، الجليل الشهير ، شيخ الطائفة العيسوية بالمغرب ، وكانت آية في المحبة والأدب ، كما أن المسناوية غاية في اتباع السنة من مشايخ القرن العاشر ، المربي العارف بالله تعالى مورد المريدين ، ومفيد المسترشدين ، صاحب الافادة ، والتنويه والاشادة .

وكان رضي الله عنه من فحول المشايخ الداعين إلى حضرة الحق ، أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي ، قال في (الدوحة) في ترجمته : سمعت بالتواتر من أهل مكناسة أيام سكناي بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ ، وكان تلميذه شيخنا يوسف بن أبي مهدي يقول : سيدي ابن عيسى هو الأكسير الذي لا نظير له ، قال لي : ولقد حضرت عنده يوماً وقد جاء تلميذه الشيخ أبو الرواين وقال له : ياسيدي ، إني جعلت زمام نفسي بيدك ، وقد شغفت بحب النساء ، فان لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى في هذه الليلة ، يعني نفسه ، ووالله حتى أفعل ، فقال الشيخ اذهب وافعل ما شئت ، فان الله قادر على أن لا تفعل ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله

سبحانه ، قال : فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر ، فقلنا له مالك هكذا ؟ فقال شاهدت العجب البارحة ، فقلنا له وما ذلك ؟ قال ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي لما سبق من يميني بالأمس ، فأتت فما كان إلا أن وصلت إليَّ وهممت بمواقعتها فاذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي ، فبقيت مستلقياً على ظهري كالميت لا أقدر على نطق ولا حركة حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله ياأبا الرواين ؟ فقلت بصوت خفي : أنا تائب لله ، فقال قم إلى صلاة الصبح ، فنهضت فاذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال ، فلما دخلت على الشيخ قال : ياأبا الرواين ما فعلت ؟ فقلت ياسيدي من يكون في رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية ، فقال الحمد لله على تأييده ورحمته ، ثم قال لنا أبو الرواين مَن لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو غرر ، فقضينا من أمره العجب ، ثم قال في (الدوحة) وعلى الجملة فهو أحد المشايخ الذين يقتدى بهم ، ويهتدي بهديهم ، انتهى .

وحكي عن الشيخ سيدي سعيد بن أبي بكر أنه لما حضر جنازته أخبر أصحابه أنه ما مات حتى تقطب ، وفي (المرآة) أنه أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي وعلى يديه كان فتح له ، وأخذ بعده وبأمره عن الشيخ عبد العزيز التباع ، وعلى يديه كان تكميله ، انتهى .

وفي (الاصليت) لأحمد بن أبي مُحلَّى أن الشيخ ابن عيسى أظنه لما توفي شيخه الحارثي ذهب لأخيه التباع ، فقال له : إن أخي الحارثي قد صفى درهمك ولكنه ما طبعه ، وغير المطبوع في السوق قد لا يجوز ، اذهب فقد طبعته لك ، فلما مرَّ بالسيد الصغير السهلي وهو يرعى البقر ، وكان في البادية ربما رعاها ، قال له : أعد علي مقالة أخي التباع فحكاها له، ثم دار دورة حواليه فقال له ما معناه : هلا قال لك ها أنت وربك فمن عنده امتلا ابن عيسي مدداً حتى كان منه ما كان ، سمعت هذه الحكاية بالمعنى من أستاذي رضي الله عنه ، يعني سيدي محمد بن مبارك الزعري ، ولكني اختصرتها وهي أطول من ذلك ، انتهى .

قال في (الدوحة) : وتوفي رحمة الله عليه في أول العشرة الرابعة يعني من المئة العاشرة ، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة من ناحية الغرب رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وقد منَّ الله تعالى علي بزيارته حين حللت مكناسة الزيتون في أواخر ربيع الثاني عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف ، وقبته هائلة مشيدة مملوءة الأنوار ، ظاهرة الأسرار .

ترجمه في (المرآة) ، و (الدوحة) ، و (الممتع) وغيرها .

633) **محمد بن داوود الشاوي** ، من أولاد بو رزق ، ثم أولاد بو زيري ، من الشاوية ، دفين أزراق من تادلة الشهير الجذب ، القوي الحب ، من مشايخ القرن العاشر ، عروس الفضلاء الأخيار ، ونخبة المحبين من الأولياء الأبرار ، شيخ من مشايخ الصوفية ، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع بمراكش ، وانتفع الناس به ، وكثر التائبون إلى الله على يده ، وله مآثر جمة ، ومناقب كثيرة مشهورة ، وقد تقدم خبر بدء صحبته للشيخ التباع في ترجمة الشيخ الغزواني ، قال في (المرآة) : وكان الشيخ علي بن إبراهيم البوزيدي نزيل أجرض ودفينه شاركه في صحبة الشيخ عبد العزيز ، ثم سلب له الارادة كحال البداية وتسبب في مجيئه إلى أزراق ، وسمعت أنها كانت سنة غلاء بتامسنا ، فلما جاء سيدي محمد بن داوود فوض إليه سيدي علي جميع أموره ووضع مفاتيح الأهراء بيده ، وصار كواحد من تلامذته ، انتهى .

ويقال أن كل واحد منهما أخبر صاحبه باقتراب أجله في شعر من الملحون متغنياً به يحفظه متفقرة أهل تلك البلاد ، فماتا متقاربين رضي الله عنهما .

ترجمه في (الدوحة) و (الممتع) (1) .

634) مَحمد الحران بن محمد المهدي السعدي

مَحمد المدعو بالحران بن السلطان محمد المهدي الملقب بالشيخ بن محمد القائم الحسني السعدي ، هو أنجب أولاده رحمه الله ، وهو

1) تنظر الترجمة الوافية للشيخ محمد بن عيسى فى **اتحاف اعلام الناس** 4 : 11 .

الذي كان يتقدم للحروب ، ولم يفتح لأبيه من البلاد إلا ما فتح على يده ، وهو الذي كان يناديه سيدي أبو الرواين ويقول قبل أن يكون للأشراف ذكر ياحران جيء فاني قد أعطيتك الغرب ! فلم يفقه الناس قوله إلى أن ظهر مولاي محمد الحـران .

توفي قتيلا على تلمسان عام ستة وخمسين وتسعمئة .

قال المنجور في فهرسته : حضرت يوماً مجلس أمير المومنين محمد الشيخ وقد حضر عنده أولاده الصناديد الأمراء المولى محمد الحران ، والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيختنا الامام محمد اليسيتْني ، فلما نظر إليهم حول أبيهم أنشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصريني كأنمـا بنيَّ حواليَّ الأسود الحـوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم . انتهى ، ونقله في (النـزهـة) .

635) **محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المنشأ**، نزيل الجزائر، ودفين خارجها ، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف والصلاح، واقفاً على أغراضهم، جمع في التصوف والأذكار والأوراد كتباً ، منها : شرح الحكم لابن عطاء الله ، ورسالة ردّ فيها على الشيخ أبي عمرو القسطلي المراكشي لما قدم المترجم إلى مراكش سنة إحدى وستين وتسعمئة في شأن عقد المهادنة بين السلطان محمد المهدي الشيخ ودولة الترك وتحديد البلاد ، وقد أكرم السلطان وفادته ، ولم تظهر ثمرة لمقدمه ، وأنكر المترجم في هذه الرسالة على الشيخ أبي عمرو المذكور حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، وقال إنه بدعة فقالوا له : إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله بإذن والاذن له لا يعمكم ، فـان الاذن للنبي يعـم أتباعـه ، والاذن للـولي لا يعم أتباعـه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث إليه بهذه الرسالة التي أقذع فيها له ، وقد ذكرها وجوابها الزروالي في تأليفه ، وحدث بعض الجزائريين أنه رأى تفسيراً له على القرآن العظيم بجزائر مزغنة وغير ذلك ، وكان جماعاً للكتب ، خطيباً

بالجزائر ، وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان ، استعملوه في السفارة بينهم وبين محمد المهدي الشريف الحسني مرتين ، فورد المغرب فأخذ عنه كثير من أهله ، ودخل مدينة فاس وأجاز فيها لمحمد الحضري الوزروالي في تاريخ سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم .

أخذ عن محمد بن عبد الله الزيتوني ، وعن أحمد بن أحمد زروق ، وعن عمر العطاوي الراشدى عن عبد الجليل بن محمد الراشدي ، ومحمد ابن مرزوق ، وابن زكرياء المغراوي ، وعبد الرحمان الثعالبي . وأخذ أيضاً الخروبي عن عمر ابن زيان المديوني ، عن محمد بن يوسف السنوسي ، عن إبراهيم التازي صاحب وهران عن محمد بن واضح الشلبي .

قال في (الجذوة) : أجاز لي عنه شيخنا محمد بن يوسف الترغي ، ومحمد بن أحمد الحضري وعاينت إجازته للشيخين معاً .

توفي بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين وتسعمئة ، لأن الوباء الذي كان بمدينة فاس عام خمسة وستين ، أنظر هل سبق من الجزائر أو من مدينة فاس ؟ انتهى .

وله شرح على الصلاة المشيشية نقل منه في (المنح الصفية) .

وقال في (المرآة) : وأخذ أيضاً الشيخ أبو النعيم سيدي رضوان الجنوى عن سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفين خارجها ، وتوفي سنة ثلاث وستين وتسعمئة كالذي قبله ، يعني سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ، قاله سيدي رضوان وهو أي الطرابلسي واسع العلم والمعرفة ، شهير الذكر ، وله التآليف العديدة ، انتهى المقصود منه .

ووقفت على شرحه لأصول الطريقة للشيخ زروق ، وقال الشيخ حسن العجمي في (رسالة الطرق الصوفية) المفتتح بالطريقة المحمدية قال عند ذكرها : مبناها على متابعة السنة في الأقوال والأفعال . والاشتغال بالصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم أن تفصيل السنن يطول ، ومن أنفع الكتب ان شاء الله تعالى لمن أراد الله له الجري على هذه المحجة الشريفة كتاب (كفاية المريد) للشيخ محمد بن علي الخروبي ، فانه بين فيه ذلك أحسن بيان ، ولذا قال مؤلفه في بعض كتبه : إن كتابنا (كفاية المريد) واجب على كل سالك تحصيله انتهى .

و (رسالة الطرق الصوفية) في نحو ثلاثة كراريس ونصف من القالب الرباعي أتمها في ذي القعدة عام 1073 ، كما أن رسالة المترجم لأبي عمرو المراكشي هي في نحو ورقة من القالب الكبير وقفت عليهما .

636) محمد المهدي بن محمد (القائم بأمر الله) السعدي

محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الأمير محمد القائم بأمر الله السعدي الحسني، كانت ولادة المترجم السلطان أبي عبد الله سنة ست وتسعين وثمانمئة، ويلقب بالشيخ وبـ «أمغار» وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي، لقبه به غير واحد أيمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة، وعني بالعلم في صغره وتعلق بأهدابه ، فأخذه عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه إلى درجة الرسوخ (1) .

وقال في (المنتقى المقصور) ما نصه :

كان ملكاً شجاعاً مقداماً متفنناً أديباً حافظا ، قال : حدثني شيخنا أبو راشد ، أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة ، وحسن السيرة والمخابرة ، نقي الشيبة ، عظيم الهيبة ، حسن السيرة ، سالم السريرة ، وقال لي : ما رأيت بعد شيخي علي بن هارون أحفظ منه للمقطعات الشعرية ، والملح النثرية ،وكثيراً ما كان ينشد :

الناس كالناس والأيام واحدة ... والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

---

1) العبارة من الاستقصا 5 : 19 طبع الدار البيضاء .

وقال لي : كان حافظاً للقرآن ، وكان فهمه له جيداً ، ويحفظ ديوان المتنبي على ظهر قلبه ، وكان حافظاً لصحيح البخاري ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول في (فتح الباري) لابن حجر : ما صنف في الاسلام مثله ، وكان عارفاً بالتفسير والفقه وغير ذلك .

أخذ العلم عن أبي الحسن بن عثمان الجزولي أحد تلاميذ الشيخ ابن غازي وأحمد الونشريسي .

توفي في اثنين وثلاثين وتسعمئة .

وحدثني عنه أيضاً أبو راشد أنه كان يحض على المشورة ويقول : لا سيما في حق الملك ، وينشد :

ومن جهلت نفسه قـــــدره رأى غيره منه ما لا يـــــرى

وكان يقول : ينبغي للملك أن يكون طويل الأمل ، فان طول الأمـل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح ، لأن الرعية تصلح بطول أمله .

وحدثني عنه أنـه كان يقول : من طول أملـه أخذ تلمسان وسبتـة وغيرهما ، وكان رحمه الله يطيل الأمل كثيراً . ومن مآثره رضي الله عنه ما كان يأمر به من بناء القناطر كالجسر العظيم الذي على وادي سبو ، والجسر العظيم الذي على وادي أم الربيع ، وغير ذلك من الحسنات .

حدثني شيخنا أبو راشد بحكاية عن الامام الشيخ المهدي أنه كان يحدثهم عن شيخه أبي علي المذكور ، أنه لما أكمل قراءته على الشيخ ابن غازي وأراد الرجوع إلى وطنه ، فجاء إلى الشيـخ ليودعه فأخذ الشيخ بيـده اليمنى وقال : استودع الله دينك وأمانتك ، وخواتم عملك ، ثم قال الشيخ بعد ذلك : الآن أجزأت فاس أي ولدت الاناث ، ومثله على تأويل قوله تعالى « وجعلـوا له من عباده جزءاً » ، أي إناثاً ، ثم ذكر من تلامذة ابن غازي أبا عبد الله الانفاسي الكفيف المتوفي سنة سبع وعشرين وتسعمئة ، وهـو الذي ذيل بيتاً مـن الاقدمين ، والبيت هو :

لقد هتكت قلبي سهام جفونهـــــا كما هتك اللخمي مذهب مالـــــك

فقال الكفيف : وصال على الأوصال بالقد الى آخر الابيات الثلاثة ، والشيخ محمد غازي ولد الشيخ ابـن غازى سارد البخاري لأبيه ، والشيـخ عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي والد الشيخ المؤلف أحمد المتولـد سنة ثمان وثمانين وثمانمئة ، المتوفي سنة 974 ، والشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله العبسي .

ثم قال : وأخذ والد مولانا أيضاً رضي الله عنه عن عبد الله بن عمـر المطغري ـ مطغرة سجلماسة ـ أحد تلامذة الشيخ ابن غازي والامام القوري ، والشيخ علي بن هارون ، وممن شاركه في ابن غازي عبد الرحمان البردعـي الجذامي الأندلسي ، كان مع الشيخ ابن غازي عند قبر الولي الصالح سيدي محمد بن عباد ، فأنشد بيتين في شجرة لوز كانت هنالك في ابان نورها .

توفي البردعي في حدود العشرين وتسعمئة .

وقال : لما وقف على أبيات ابن حجر ، والعيني ، في صومعة المؤيدية بالقاهرة المعزية كالتنكيت عليهما :

كلاكما أحسن التعريض حين هجا وقال قولا بديعا رائقاً بهجـــــــا
فاستغفرا الله ياشيخي وانتدبـــــا لتوبة وطريق الحق فانتهجــــــا

قال : وأما والد مولانا رضي الله تعالى عنه ، فتوفي سنة أربع وستين وتسعمئـة .

ووصف المترجم في (المرآة) بأنه ماهد دولة الشرفاء ، وأبو الاملاك ، وذكـر في (الدوحـة) : أنه كان يـأتي لزيارة الشيـخ سيدي عبد الكريـم الفلاح بزاويته ، وذكر المنجور في فهرسته : أنه كان قارىء التفسير علـى الشيـخ اليستنـي بين يدي أمير المومنين العالم العامل المقدس المجاهـد مـولاي مَحمد الشيخ المهـدي ، وأنـه لما مـات الشيـخ اليسيتني يـوم الاربعاء ستة عشر من المحرم فاتح تسعة وخمسين، ورفع خبره مع ولده الفقيه

محمد إليه ، وجده يقرأ وِرْدَه بحمام المريني ، خرج وهو يبكي بصوت عال يفجع من سمعه حتى رأوا فيه العجب ، وما سكت إلا بعد مدة لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين ، وحضر جنازته ، وسالت دموعه عليه أيضاً حين الدفن .

ثم قال : حضرت يوماً بمجلس أمير المومنين المذكور ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد : مولانا محمد الحران ، ومولانا عبد القادر ، ومولانا عبد الله ، فلما نظر شيخنا يعني اليسيتني ، أنشد بيت (تلخيص المفتاح) :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما . بني حوالي الأسود الحوارد

فأعجب ذلك مولانا السلطان وأولاده الكرام رحمة الله تعالى على جميعهم.

ثم قال : وندبه – يعني اليسيتني – الى شرح المختصر أمير المومنين الفقيه المتفنن في الدين المقدس المرحوم مولانا محمد الشيخ المهدي الشريف الحسني ، انتهى في الشرح المذكور إلى النواقض أو قريب منها فقطع الموت ، انتهى .

غريبة

جعل في (شذور الذهب،في خير نسب) النسابة الشريف سيدي التهامي ابن رحمون العلمي الملوك السعديين من ذرية سيدنا عثمان بن عفان من زوجتنا مولاتنا رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، والشرف ثابت لهم لان الشرف من قبل الأم ثابت الى يوم النفخ في الصور هكذا قال .

فتح حصن فونتي وآسفي وزمور وماقيل في ذلك (1)

ولما استقل السلطان محمد الشيخ بأمر السوس ، واجتمعت كلمته عليه ، صرف عزمه الى جهاد العدو الذي بثغوره وحصونه ، وأرهف حده لتطهيرها من بقايا شغبه وزبونه ، فانتصر عليهم ، واستأصل شافتهم ، وقطع من تلك النواحي دابرهم ، وحسم آفتهم .

1) ابتداء من هذا العنوان ينقل المؤلف من **الاستقصا** 5 : 19 .

قال ابن القاضي : كان الشيخ ، رحمه الله ، ماضي العزيمة ، قـوي الشكيمة ، عظيم الهيبة ، كثير الغزوات ، ذا همة عالية وشهامة غالبة ، قعد قواعد الملك، وأسس مبانيه وأحيى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت عظيم في الجهاد ، ويد بيضاء في الاسلام ، فتح حصـن النصارى بالسوس يعني فونتي بعد ان أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة . وكان منصـوراً بالرعب حتى تركوا له آسفي وأزمـور وأصيلة من غيـر قتال ولا إيجاف عليهم انتهى .

ونحو هذا في تاريخ البرتغاليين زاد مؤرخهم : ان ذلك كان بـاذن طاغيتهم صاحب لشبونة ، وقد تقدم نحو هذا في أخبار الأعرج والجواب عنه ، وكان فتح فونتي سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، كما في (النزهة) ، وفتـح آسفي سنة ثمان وأربعين بعدها كما في (المرآة) وعند البرتغاليين ان ذلك كان سنة ألف وخمسمئة واثنتين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجـري .

وفي (النزهة) لما أخلى النصارى أزمور تسارع إليها جماعة مـن الفقراء ، منهم الشيخ عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ، والشيخ عبد الله بن ساسي دفين تانسيفت قرب مراكش ، فقعدوا بها يحرسونها حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع اليها العدو ، فاذا بـه قد رجع واقتحمها عليهم وأسرهم الى أن افتكّهم المسلمون .

قال منويل : كان فداؤهما بألفي ريال ومئتي ريال بالتثنية فيهما ، ولما افتدى الشيخ الكوش ، وعزم على الخروج وكان أسيراً عند امرأة نصرانيـة ناولته كتباً للمسلمين وقالت له : هـذه كتب كانت عندي ولا حاجة لي بهـا فخذها اليك ! فأخذها وخرج بها في قفة على رأسه فكان مـن جملتها كتاب (تنبيه الانام) الموضوع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور انتهى .

بناء حصن أكدير

قال الشيخ أحمد ابن القاضي في كتابه (المنتقى المقصور) : كانت للأمير السلطان محمد الشيخ مآثر حسنة منها : انه أول من اختط مرسى أكدير بالسوس الأقصا سنة سبع وأربعين وتسعمئة ، لما أجلى النصارى من الموضع المعروف بفونتى على مقربة من أكدير المذكور ، وكان له في اختطاطه رأي مصيب وفراسة تامة .

استيلاء السلطان محمد الشيخ على مراكش وتجديد البيعة له بها

كان السلطان محمد الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالأمر قد أقام بالبلاد السوسية مثابراً على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها وكانت مراكش في هذه المدة توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ما ذا يؤول، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمئة . فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها ، وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلة الى وادي نول ، والله غالب على أمره .

نهوض السلطان محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك

لما استولى السلطان محمد الشيخ على مراكش ، وصفت له أعمالها ، طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره ، وقطع جرثومة الوطاسيين من سائر أقطاره ، فجمع الجموع وتقدم بها إلى أعمال فاس، فلم يزل يستفتحها بلداً بلداً ، ومصرا مصراً إلى أن أتى عليها أجمع ، وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون ، فانه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمئة بعد حصار وقتال كبير .

حصار السلطان محمد الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد الونشريسي رحمه الله

كان السلطان محمد الشيخ قد ألح على فاس بالقتال ، وحاصرها حصاراً طويلا ، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك فقيل له : لا سبيل لك إليها ، ولا يبايعك أهلها إلا اذا بايعك ابن الونشريسي ، يعنون الشيخ الفقيه عبد الواحد بن أحمد الونشريسي رحمه الله . فبعث إليه السلطان المذكور سراً ووعده ومنّاه ، فقال له الشيخ عبد الواحد : بيعة هذا السلطان ، يعني أحمد الوطاسي ، في رقبتي ولا يحلُّ لي خلعها الا لموجب شرعي ، وهو غير موجود ، وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب الى أهل فاس يقول لهم : اني ان دخلت فاساً صلحاً ملأتها عدلا ، وإن دخلتها عنوة ملأتها قتلا ، فأجابه ابن الونشريسي بأبيات أغلظ له فيها منها قوله :

كذبت وربِّ البيت ما تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى

كذا في (النزهة) قلت : وهذا البيت من أبيات قديمة ، والونشريسي انما تمثل به لا غير . فقد ذكر العلامة ابن خلدون في أخبار بني صالح بن منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لأول الفتح ، أن عبيد الله المهدي صاحب أفريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوه الى أمره ، وكتب له في أسفل كتابه :

فان تستقيموا أستقمْ لصلاحكم وان تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنواً وأملؤها قتلا

فأجابه سعيد بن صالح بأبيات من نظم شاعره الطليطلي نصها :

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمان من قولك الفصلا
وما أنت الا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا بدين محمد وقد جعل الرحمان همتك السفلى

فلعل الشيخ كتب لأهل فاس بالبيتين الأولين ، والونشريسي كان مطلعاً على القضية فأجابه بجوابها ، ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الونشريسي ودس الى جماعة من المتلصصة بأن يأخذوه ويأتوا به الى محلته محبوساً من غير قتل ، وكان الشيخ عبد الواحد يقرأ صحيح البخاري بجامع القرويين بين العشاءين، وينقل عليه كلام ابن حجر في (فتح الباري) ويستوفيه لأنه شرط المحبس ، فقال له ابنه : ياأبت إني قد سمعت أن اللصوص أرادوا الفتك بك في هذه الليلة فلو تأخرت عن القراءة ، فقال له الشيخ : أين وقفنا البارحة ؟ قال على كتاب القدر ، قال : فكيف نفر من القدر ؟ إذاً اذهب بنا إلى المجلس .

فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد الواحد من باب الشماعين أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص وأرادوا حمله ، فأخذ باحدى عضادتي الباب ، فضرب أحدهم يده فقطعها وأجهز عليه الباقون ، فقتلوه بباب المسجد المذكور في السابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمئة .

قال الشيخ المنجور في فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح محمد بن إبراهيم المدعو بأبي شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد في المنام بعد مقتله ، فسأله عن حاله فأنشأ يقول :

لقد عمني رضوان ربي وفضلــه	ولم أرَ إلا الخير في وحشة القبر
وإني أسأل الالاه بفضلــه	ليحفظني يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيـرة	كنشر الكتاب والمرور على الجسر

استيلاء السلطان محمد الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريبهم الـى مراكش

ثم ان السلطان محمد الشيخ جد في حصار فاس ، وألح عليها بالقتال إلى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في (الدوحة) : لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس ، جاءه الشيخ أبو الروain المجذوب وقال له : اشتر مني فاسا بخمسمئة دينار ، فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان » هذا شيء لم تأت به الشريعة، فقال : والله لا دخلتها هذه السنة ، فبقي أشهراً والأمر لا يزداد إلا شدة ، فقال ابن السلطان وهو الأمير عبد القادر ابن الشيخ لأبيه : ياأبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى ، ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر فقال له : ادفع المال ، فدفعه اليه فقال له : عند تمام السنة يقضي الله الحاجة ، وأمري بأمـره سبحانه ، ثم إن الشيخ أبـا الروايـن فرق المال مـن يومه ولـم يمسك منه لنفسـه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة ، فدخل فاسا كما قال ، انتهى .

وقال صاحب (الممتع) : والشيخ أبو الرواين هذا كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بني وطاس عنه ، فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان النصارى على المسلمين ، جعل ينادى : « ياحران جيء فاني قد أعطيتك الغرب » ! وذلك قبل ظهور السعديين ولم يكن الناس يدرون ما يقول ، حتى ظهر الحران ، وهو أحد أولاد السلطان محمد الشيخ ، وهو الذي كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده ، وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمئة ، ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع ، وبعث بهم مصفدين الى مراكش عدا أبا حسون منهم ، فانه فر الى الجزائر مستجيراً بتركها حسبما مر .

وقال اليفرني : لما دخل الشيخ حضرة فاس ، دخلها وعليه وعلى أصحابه الدراعات الصفر ، وسمة البداوة لائحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التأدب بآدب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم ، يعني حتى رسخ فيهم ذلـك ، والله أعلم .

نهوض السلطان محمد الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه عليها

قد كان استيلاء حسن بن خير الدين التركي على تلمسان وانقراض دولـة بني زيان منها سنـة اثنتين وخمسيـن وتسعمئة ، فلما فتـح محمد الشيخ حضرة فاس في التاريخ المتقدم تاقت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الأوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه ، مع أنهم أجانب عن هذا الاقليم ، ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم ، لاسيما وقد فر اليهم عدو من أعدائه وعيص من أعياص اقتاله ، وهو أبو حسون الوطاسي فرأى الشيخ من الرأي واظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدءوه ، فنهض من فاس قاصداً تلمسان في جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر ، وقـُتل في محاصرتها ولده الحران ، وكان ناباً من أنيابه وسيفاً من سيوفـه .

ثم استولى الشيخ على تلمسان،ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمئة ، ونفى الترك عنها ، وانتشر حكمه في أعمالها الى وادي شلف واتسعت خطة مملكته بالمغرب ودانت له البلاد .

ثم كر الاتراك ، وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ، ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ، فأقام مرابطاً عليها أياماً فامتنعت عليه وأقلع عنها ، ولم يعاود غزوها بعد ذلك ، وخلص أمرها الى الترك .

امتحان السلطان محمد الشيخ أرباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمئة أمر السلطان محمد الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشيخة خوفاً على ملكه منهم لما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة ، والوقوف عند إشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه مـن عباراتهم ، ألا تـرى أن بيعـة والده محمد القائـم لم تنعقد إلا بهـم ؟ ولا ولج بيت الملك الا من بابهم ؟ فامتحن جماعة منهم ، كالشيخ أبي محمد الكوش فأخلى زاويته بمراكش ، وأمر برحيله الى فاس .

وفـــي (الدوحة) لما امتحن السلطان محمد الشيخ زوايا المغرب ، قيل للحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعاديع التي على وادى مضى (1) من عمل القصر ألا تخشى من هذا السلطان ؟ فقال : انما الخشية من الله ، ومع هذا فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقي متروك لمن طلبه .

وكان السلطان المذكـور يطالب أرباب الزوايا بودائع بني مريـن ويتهمهم بها ، وبعث خديمه يوماً الى الشيخ سعيد بن أبي بكر المشنزائـي دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك ، فوجـده جالساً بناحية زاويته يضفـر الدوم ، واذا بطائر لعله اللقلاق سلح أمامه ، فما رفع سعيد بصره حتى سقط الطائر ميتاً ، فتطاير الريش ، فلما رأى الخديم ذلك ذلك فزع وولى هارباً .

قاله في (الممتع) والله تعالى أعلم .

وفادة الامام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي من جانب دولة الترك في شأن قسم البلاد وتحديدها

لما كان السلطـان محمد الشيـخ ما كان من غزوه لتلمسان مرتين ، وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البـلاد عينت دولة الترك من جانبهـا الفقيه الصالح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفينهـا للوفادة على السلطان المذكور في شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة إحدى وخمسين وتسعمئة في هـذا الغرض ، فأكرم السلطان محمد وفادته ، إلا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفـــي (المرآة) ان محمد الخروبي قـدم المغرب الأقصى مرتيـن في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصا ، فأخذ عنـه كثير من أهل المغرب الأقصا وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله .

---

1) **وادى مضى** هو الوادى الذى يقع الى الشمال من قرية سوق أربعاء الغرب عند الخروج منها مباشرة ، وعليه ملاحات مهمة ، ومدينة القصر الكبير هى أقرب مدينة اليه فلهذا عد من عملها . وقبل تمصير القصر الكبير كان الجغرافيون يجعلونه من عمل طنجة .

وفي قدمة الخروبي هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبي عمرو القسطلي دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم ، إنه بدعة ، فقالوا له إن الشيخ الجزولي كان يفعله ، فقال لهم : لعله باذن ، والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولي لا يعم أتباعه ، وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة اقذع له فيها ، وقد وقفت عليها رحم الله الجميع بمنه .

توفي الخروبي هذا سنة ثلاث وستين وتسعمئة ، ودفن خارج الجزائر والله أعلم . وقد تقدمت ترجمته .

قدوم أبي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه محمد الشيخ عنها

قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان محمد الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمئة ، وقبضه على بني وطاس ، وفرار أبي حسون الى الجزائر ، فلم يزل أبو حسون عند تركها إلى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركماني ، فاستولى على فاس في ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمئة . ونفي محمد الشيخ عنها .

عود السلطان محمد الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها

لما فر السلطان محمد الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل الى مراكش صرف عزمه لقتال أبي حسون ، فاستنفر قبائل السوس وجمع الجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبي حسون حروب شديدة ، كان في آخرها الظفر للشيخ فقتل أبا حسون ، واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمئة ، وفي (الدوحة) أن دخول أبي حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمئة وعود السلطان الشيخ إليها واستيلاؤه عليها كان في ذي القعدة سنة ستين أيضاً والله تعالى أعلم .

مقتل الفقيهين عبد الوهاب الزقاق وأبي علي حرزوز والسبب في ذلك

لما استولى السلطان محمد الشيخ على فاس في هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق ، لأنه اتهمه بالميل إلى أبي حسون ، ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له : اختر بأي شيء تموت ؟ فقال له الفقيه : اختر أنت بنفسك ؟ فان المرء مقتول بما قتل به ! فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشاقور ! فكان من حكمة الله وعدله في خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضاً كما سيأتي .

وفي كتاب (خلاصة الاثر) أن الشيخ الزقاق كان يقول : « من قتل سوسياً كان كمن قتل مجوسياً » ، فلما قبض عليه الشيخ قال له : أأنت زق الضلال ؟ فقال له : لا والله ، بل أنا زق العلم والهداية ، ثم قتله .

وأمر أيضاً بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبي علي حرزوز المكناسي لكلام بلغه عنه بأنه كان يذكره في خطبه ، ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه ، ويقول في خطبته : جاءكم أهل السوس الاقصا البعاد ، ثم يذكر الشيخ ويقول : « وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ، ولبيس المهاد » في كلام غير هذا ، وكان مقتل الفقيهين المذكورين في ذي القعدة سنة احدى وستين وتسعمئة .

ترتيب السلطان محمد الشيخ أمر دولته وما قيل في ذلك

قال اليفرني : كان السلطان محمد الشيخ مولعاً بتدبير الرعية مستيقظاً في أمره ، حازماً غير متوقف في سفك الدماء . قال : ويحكى أنه لما دخل فاساً دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة ، فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق بأخلاقهم .

وذكر أن ملك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل ، فقاسم الزرهوني فانه رتب للسلطان محمد الشيخ هيأة السلاطين في ملابسهم ، ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم وكيفية مثولهم بين أيديهم . وأما المرأة فالعريفة بنت خجو فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم ، وحالاتهم في الطعام

واللباس ، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة، وازداد في عيون العامة رونقاً وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضرية ، لأن أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة .

قالوا : ولم يزل محمد الشيخ يـدور على مدن المغرب وأمصـاره ، ويطيل الاقامة بفاس .

قال في (المنتقى) : ومن مآثره أنه بنى جسر وادي سبو ، وجسر وادي أم الربيع ، وتقدم بناؤه حصن أكدير والله تعالى أعلم .

وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة

قد اختلف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحاً أو غير ذلك؟ وعلى القول بأنها فتحت عنوة فهي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقـه ، وأول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المومن بن علي وتبعه بنوه على ذلك ، وقفا نهجهم بنو مرين وفي الظهير الذي كتبه السلطان أبو زيان المريني لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك ، ولما جـاء السعديون من بعدهـم سلكوا هذا السبيل أيضاً .

وقول اليفرني : أن محمد الشيخ أول مـن أحدث النائبة بالمغـرب ، يحمل على انه أول من أحدثها على الوجه الآتي بيانه : وذلك أنه لما صفـا للسلطان محمد الشيخ ، أمر المغرب واستأصل جرثومة بني وطاس منـه ، التفت إلى ترتيب ملكه ، وتهذيب اعطافه ، وتأسيس أمور دولته ، كما قلنا .

فمن ذلك أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فـي لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفاً ولا مشروفاً حتى أرباب الزوايا والمنتسبين ومنهم : أولاد الشيخ خالد المصمودي مع ما كان لأبيهم من الشهرة بالولايـة والصيت في بلاده ، وكان قدر هذه النائبة صحفة من الشعير وعشرين مداً من السمن وكبشاً لكل أربع نوائب ، وكانت تفرض في زمان الشيخ على الكوانين وتوظف على حسب السكان وتدفع بأعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالـب

بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوّم تلك الاعيان بسعر الوقت ، وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الأمر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم مثقال ذرة .

مراسلة السلطان سليمان العثماني للسلطان محمد الشيخ وما نشأ عن ذلك

قد قدمنا ما كان من غص السلطان محمد الشيخ بمكان الترك من تلمسان والغرب الأوسط وأنه غزاهم مرتين ، وقدم الامام محمد الخروبي ساعياً في الهدنة فلم يرجع بطائل ، وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : « لابد لي أن أغزو مصر ، وأخرج الترك من أحجارها » ، وكان يطلق لسانه في السلطان سليمان العثماني ويسميه بسلطان الحواتة لأن الترك كانوا أصحاب أساطيل ، وسفر في البحر ، فأُنهي ذلك الى السلطان سليمان ، فبعث اليه برسله ، فهذا سبب المراسلة على ما في (النزهة) ، وأشبه بالصواب ما حكاه بعضهم ، قال : لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان العثماني ، واستيلاء السعديين على ملك المغرب الأقصا كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ويلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب ، وبعث إليه بذلك رسولا في البحر ، فانتهى الى الجزائر ، ومنها قدم الى مراكش في البر .

ولما وصل إلى السلطان محمد الشيخ أنزله على كبير الاتراك في محلته صالح باي المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى الشيخ من بقايا القادمين مع أبي حسون فضمهم اليه وجعلهم جنداً على حدة ، وسماهم اليكشارية بالياء ، ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركي معناه : العسكر الجديد ، ولما قرأ السلطان محمد الشيخ كتاب السلطان سليمان ، ووجد فيه أنه يدعو له على منابر المغرب ، ويكتب اسمه على سكته كما كان بنو وطاس حمي وأبرق وأرعدد ، وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب فقال : لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر ان شاء الله ، وحينئذ اكتب لسلطان القوارب ، فخرج الرسول من عنده مذعوراً يلتفت وراءه الى أن وصل الى سلطانه وكان من أمره ما نذكره .

قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني واغتيالهم للسلطان محمد الشيخ رحمه الله

لما خرج رسول السلطان سليمان العثماني من عند السلطان محمد الشيخ ، ووصل الجزائر ، ركب البحر الى القسطنطينية فانتهى اليها ، واجتمع بالوزير المعروف عندهم بالصدر الأعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب، فأنهى الوزير ذلك الى السلطان سليمان ، فأمره أن يهيىء العمارة والعساكر لغزو المغرب ، فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثني عشر رجلا من فتاك الترك ، وبذلوا لهم اثني عشر ألف دينار ، وكتبوا لهم كتاباً الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعدوه بالمال والمنصب إن هو نصح في اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه (1) .

وفي (النزهة) أن صالحاً هذا كان من ترك الجزائر ، جاء في جملة الطائفة الموجهين لاغتيال الشيخ والله أعلم .

ثم دخل الوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال له : هذا أمر سهل ، لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربي الذي أساء الأدب على السلطان يأتي رأسه إلى بين يديك ، فاستصوب رأيهم ، وشكر سعيهم ، وأمر بتوجيه الجماعة المعينة في البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون إلى مراكش في البر ، ففعلوا .

ولما وصلوا الى الجزائر هيأوا أسباباً واشتروا بغالا ، وساروا إلى فاس في هيأة التجار ، فباعوا بها أسبابهم وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية ، انزلهم عنده ، ودبر الحيلة في أمرهم الى أن توجهت له .

وفي (النزهة) أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر إلى مراكش مظهرين أنهم فروا من سلطانهم ورغبوا في خدمة الشيخ والاستيجار به ، ثم

---

1) نفس الخطة التى اشير بها على هارون الرشيد العباسى لاغتيال الامام ادريس بن عبد الله الكامل ملك المغرب .

أن صالحاً الكاهية دخل على السلطان محمد الشيخ وقال : يامولاي ان جماعة من أعيان جند الجزائر سمعوا بمقامنا عندك ، ومنزلتنا منك ، فرغبوا في جوارك ، والتشرف بخدمتك ، وليس فوقهم من جند الجزائر أحد ، وهم ان شاء الله السبب في تملكها ، فأمره بادخالهم عليه ، ولما مثلوا بين يديه ، رأى وجوهاً حساناً ، وأجساماً عظاماً ، فأكبرهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فأفرغه في قالب المحبة والنصح ، واجتهاد في الطاعة والخدمة حتي خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فأمره باكرامهم ، وأن يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقبيل يده على عادة الترك في ذلك . وصار الشيخ يبعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة في الأمور المهمة ، ليتبصروا في البلاد ويعرفوا الناس ، وكان يوصي الأشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة وهو في بعض حركاته بجبل درن بموضع يقال له آكلكال بظاهر ردانة ، فولجوا عليه خباءه ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه في مخلاة ملأوها نخالة وملحاً ، وخاضوا به احشاء الظلمات وسلكوا طريق درعة وسجلماسة ، كأنهم ارسال تلمسان ، ليلا يفطن بهم أحد من أهل تلك البلاد ، ثم أدركوا ببعض الطريق ، فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ، ونجا الباقون بالرأس وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتي مراكش : علي بن أبي بكر السكتاني ، والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بأن الترك قتلوا السلطان واستراب الناس بجميع من بقي منهم بالمغرب ، أغلق إخوانهم الذين كانوا بردانة أبوابها ، واقتسموا الأموال واستعدوا للحصار ، ولما بويع ابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض في العساكر الى ردانة للأخذ بثأر أبيه من الترك الذين بها ، فحاصرهم مدة ، ولما لم يقدر منهم على شيء أعمل الحيلة بأن أظهر الرحلة عنهم ، وأشاع أنه راجع إلى فاس لثائر قام بها ، ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه ليلا ، والعيون موضوعة عليهم بكل جهة ، الى أن شارفوا محلة السلطان الغالب بالله ، فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع إلى ردانة تحيزوا إلى الجبل ،

وبنوا به قياطينهم وجعلوا عليها المتارزات (1) من الأحجار وتحصنوا بها ، وأحاطت بهم العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ، ولم يؤخذ منهم أسير ، وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفاً ومئتين .

وما الذين نجوا بالرأس فانتهوا الى الجزائر ، وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فأوصلوا الرأس الى الصدر الأعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فأمر به أن يجعل في شبكة نحاس ويعلق على باب القلعة ، فبقي هنالك إلى أن شفع في إنزاله ودفنه ابناه عبد الملك المعتصم ، وأحمد المنصور ، حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان مستعديين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتي .

وكان مقتل الشيخ رحمه الله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وستين وتسعمئة .

ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد علي بن أبي بكر أزناك بادر بقتل أحمد الأعرج المخلوع وأولاده ذكوراً وإناثاً ، كباراً وصغاراً ، خشية أن يخرجه أهل مراكش فيبايعوه ، ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم ، فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الولي الشهير بمقربة من ضريح الشيخ الجزولي ، وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى (قبور الاشراف) .

وأما السلطان محمد الشيخ فانهم حملوا جثته الى مراكش فدفنت بها قبلي جامع المنصور بروضة السعديين ، وقبره شهير بها إلى الآن .

ومما نقش على رخامة قبره هذه الابيات :

حي ضريحاً تعمدته رحمات	وظللت لحده منها غمامات
واستنشقن نفحة التقديس منه فقد	هبّت من الخلد لي منها نسيمات
بحر به كورت شمس الهدى فكست	من أجلها السبعة الارضين ظلمات

1) اى المتاريس ج متراس ، ما يتترس به المقاتلون من حجارة وغيرها ، ويسمى في عامية المغاربة اشبار .

يامهجة غالها غول الردى قنصـــا ... وأثبتت سهمها فيها المنيــــات
دكت لموتك أطواد العلا صعقـــا ... وارتج من بعدك السبع السماوات
وشيعت نعشك المزجي الى عـدن ... من الملائك ألحان وأصـــوات
يارحمة الله عاطيه سلاف رضـــا ... تدور منها عليه الدهر كاســات
قضى فوافق في التاريخ منه حـلى ... دار إمام الهدى المهدي جنـــات

بقية أخبار السلطان محمد الشيخ وسيرته

كان السلطان محمد الشيخ يلقب من الألقاب السلطانية بالمهـدي ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وعنى بالعلم في صغره ، وتعلق بأهدابه ، فأخذ عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة في الأحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مراراً ، وله حواش على التفسير ، وذلك مما يدل على غزارة علمه ، كان يحفظ ديوان المتنبي ، سببه ما ذكره في (الدوحة) قال : أخبرني الوزير المعظم محمد بن الأمير عبد القادر بـن السلطان محمد الشيـخ الشريف قال : لمـا غدرت قبيلة المنابهة بجدي السلطان المذكور ، وأنجاه الله من غدرتهم ، عرف الشيخ أبا محمد عبد الله بن عمر بذلك ، فكتب اليه يقول : أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي ؟

غاض الوفاء فما تلقاه في عـــدة ... وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

قال : فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى حفظه كله ، ولم يعزب عنه بيت واحد ، انتهى .

وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور ، وهو عبد الله بن عمر المضغري ، الفقيه الفرضي الحاسب فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ، ولما عاد إلى درعة ، سأله فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقـال : وجدت فقهاءهم عـلى ضعيف الفتاوي ، وفقراءهم على عظيم الدعاوي ، وعامتهم على كثير المساوي .

ومن وزرائه : الرئيس علي بن أبي بكر آصناك الحاحي ، وموسى بن أبي جمدى العمري وغيرهم .

ومن قضاته بفاس : علي بن أحمد الخصاصي ، وبمراكش علي بن أبي بكر السكتاني رحم الله الجميع .

وكان للسلطان محمد الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم محمد المعروف بالحران القتيل على تلمسان ، ومنهم عبد الله الغالب بالله ، وعبد الملك الغازي ، وأحمد المنصور ، وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بعد أبيهم ، ومنهم الوزير عبد القادر ، وتوفي في حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمئة .

وفي (نشر المثاني) : أنه قتل مخنوقاً بأمر أخيه عبد الله الغالب بالله سنة خمس وسبعين وتسعمئة والله أعلم . ومنهم عثمان ، وعبد المومن ، وعمر وغيرهم .

637) **محمد . . . الحساني** الفقيه المالكي المفتي بمراكش المحروسة ، توفي بالوباء سنة خمس وستين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) ، وهذا ليس هو ولد المفتي سيدي عبد الواحد العلوي ، فسيأتي أنه توفي سنة 1009 هـ .

وقال في الدوحة (1)

محمد الحساني ، الفقيه الحافظ المطلع المفتي ، نشأ بدرعة ، وقرأ الفقه على عدة من المشايخ ، وكان كثير الحفظ والمطالعة والمعرفة بأسماء الكتب ونسبتها ، لم أر مثله في ذلك ، تولى خطبة الفتوى بحضرة مراكش بعد

---

1) **دوحة الناشر** ص 70 طبع فاس .

وقد نقل المؤلف ترجمة محمد الحسني هذا مرتين ، مرة نقل الترجمة من **درة الحجال** ومرة اخرى من **دوحة الناشر** ، لكنه استدرك هذا التكرار ونبه عليه فيما كتبه على هامش النسخة المطبوعة بفاس من الجزء الرابع في صحيفة 386 مشيرا الى ان الحساني نسبة الى بني حسان قبيلة من غمارة ، وقد صحف الى حسني في **درة الحجال** .

موت أبي الحسن السجتاني ، ومات أواخر سنة خمس وستين مطعوناً في الوباء المشهور الذي وقع في تلك السنة ، لقيته وشاركته في مسائل عدة ، فرأيت من حفظه ، وكثرة اطلاعه على مظان المسائل في الدواوين العجب رحمه الله .

وقال في (لقط الفرائد) ما نصه : محمد الحساني مفتي مراكش وخطيبها توفي سنة خمس وستين وتسعمئة هـ .

وترجمه الحضيكي في كتاب (المناقب) .

638) محمد بن عبد القادر السعدي

محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ السعدي ، وزير عمه مولاي عبد الله الغالب بالله .

كان رحمه الله أميراً جليلا فقيهاً من أنبل وزرائه وألطفهم مسلكاً ، وأخفهم روحاً ، له عارضة في النظم والنثر ، وذكر صاحبنا عبد الله بن محمد الفاسي رحمه الله في كتابه (الاعلام بمن مضى وغبر ، من أهل القرن الحادي عشر) ما صورته : قدم الوزير محمد بن عبد القادر من مراكش لفاس صانها الله ، ومعه الفقيه قاضي الجماعة عبد الواحد الحُميْدي ، ومعه الفقيه الامام أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، وتلظى للشوق في جوانحهم أوار :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... اذا دنت الديار من الديار

أنشد الوزير لنفسه بديهة :

اخلاي هذا المستقى وربوعه ... وهذي نواعير البلاد تنوح
وذاك المصلى مسرح الشوق والأبى ... وهذي منازل الديار تلوح

فقال القاضي الحميدي أيضاً بديهة :

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد ... فهي عوان طرفهن جموح
يمسن كاملود من الروض يانع ... شذاهن من حول الديار يفوح

وقال أحمد المنجور مذيلا أيضاً بديهة :

ويرفلن في الحلات يرقمن بالحـلا وفيهن أنواع الجمال وضــــوح
يبادرن ترقيع الكدى بمحاجـــر لاقبال حب طال منه نــــزوح

ولما بلغت الابيات للشيخ الامام الاستاذ أحمد الزموري ، قال مذيلا أيـضـاً :

تأمل إلى الحسناء تحت نقابهـــا كشمس بدت تحت السحاب تلوح
تجلت ربوع المستقى بجمالهـــا ووافت الى تلك القباب تـــروح

وجعل بعضهم البيتيــن الأولين للامام سيدي عبد الواحد بن أحمـد الشريف السجلماسي ، وكان كاتباً عند الوزير المذكور ، ويجعل موضع أخلاي أمولاي والبيتين بعدهما للوزير ، والمستقى بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية وبعدها قاف مقصورة اسم بستان معروف .

ونظير هذا ما ذكر صاحبنا المذكور فـي اعلامه ، قال كان الوزيـر المذكور مع كاتبه الامام سيدي عبـد الواحد الشريف في بعض الأسفـار ، وأرسلت السماء غيثها المدرار ، فقال الوزير :

لله أشكو غداة السيح اذ ركــدت يسرى المطايا وحادي الريح يحدونا

فأجابه كاتبه المذكور :

والغيم في الأفق قد أرخى ذوائبه بأسهم الودق لا ينفك يرمينـــا

فقال الوزير :

حتى استوى الماء في الآكام واستترت معالم الرشد لا خِرّيت يهدينـــا
فظلت الخيل في الامواج سابحــة سبح الأساطيل ليت الدهر يرضينا

فأجابه الكاتب أيضاً رحمه الله :

والنفس في قلق لبين مألفهـــا والشوق يجذبنا والحال يقصينـا

فقال الوزير المذكور رحمه الله :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنـــا   حتى غدا الطير فوق الصرح يشفينا

وأخبار هذا الوزير رحمه الله كثيرة ، ومحاسنه أثيرة ، وخصاله السنية عظيمة خطيرة .

توفي رحمه الله في العشرين من جمادى الثانية عام خمسة وسبعين وتسعمئة بموحدة (1) .

639) محمد بن سعيد

محمد بن سعيد بـن أبي القاسم بن محمد بـن عمر بن حمامة بـن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سليمان بن سمير بن بحر بن يعقوب بن فاضل ، كان بمراكش سنة ست وسبعين وتسعمئة ، نقل هذا في (اليتيمة) من خط الفقيه العلامة سيدي محمد بن المبارك التادلي الورديغي ، كان عالماً صالحـاً .

قال فيه الشيخ سيدي محمد بن ناصر : الى الرجل المومن الصالح وهو دفين فاس ، وهذا الفقيه هو جد أولاد سيدي سعيد الموجودين الآن من أولاد الشيخ سيدي أبي القاسم ، وقد كان هو وأخوه سيدي عبد الله بن سعيد عالمين عاملين ، على سنن أهل الخير والدين ، كما سمعنا من أحفادهم .

انتهى من (اليتيمة) .

640) محمد بـن الحسن العريبـي الشاوي . الفقيـه من اصحـاب سيدي يوسف الفاسي ، سافر مـع الشيـخ المذكور في سنة سبـع وسبعيـن وتسعمئة أو بعدها بيسير ، مـع جماعة من أصحابه منهم الولـي الفاضل سيدي جابر بن مخلوف الرياحي وغيره قاصديـن لزيارة أولياء الله

1) **درة الحجال** 2 : 212 ع 658 طبع تونس ، وفيها انه توفي مخنوقاً .

تعالى ، فبلغوا مراكش ، وزاروا من بها ، ولما كانوا في بلاد دكالة عند الجبل الأخضر رآهم قوم من قاطعي الطريق ، فقصدوهم ، فلما وصلوا إليهم عموا عنهم إلا فرس الشيخ وكانت أنثى ، رأوها صخرة فرأوا الحجر حجراً حجراً فكان القطاع يتساءلون أين ذهبوا ؟ فيقول بعضهم : كانوا عند هذا الحجر يحسبون الفرس حجراً ! فطمس الله على أعينهم ، فذهبوا ، وكفى الله أولياءه .

ذكره في (مرآة المحاسن) والحجر بالكسر الفرس الأنثى .

641) **محمد بن عبد النعيم الحامدي** امام جامع المنصور ، توفي سنة **ثمان وسبعين وتسعمئة .**

ذكره في (لقط الفرائد) .

642) محمد بن علي ابن عسكر

محمد بن علي بن عمر بن حسين بن مصباح الشريف الحسني السريفي ، عرف بابن عسكر ، قاضي شفشاون الشيخ الامام ، العلامة الصوفي الهمام ، الحافظ المسند الراوية ، ألف (دوحة الناشر ، لمحاسن مَن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر) وهي فهرسة ذكر فيها جميع من لقيه بالمغرب من مشايخ . وأخذ عنه رواية أو قراءة عليه أو استفاد منه بركة منذ نشأ الى تاريخ كتبها ، وعرف فيها بالمشاهير من أهل القرن المذكور بالمغرب ، وإن لم يدرك البعض منهم ولا عاصره ، فممن لقيه من المشايخ وانتفع به : الشريف سيدي يوسف الفجيجي أجازه بسلسلة الاشياخ النورانية ، والشيخ سيدي عبد الوارث اليالصوتي صحبه سبع سنين ونيفاً ، وقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد في الفقه ، ورجز ابن سينا في الطب والمباحث الاصلية في علم التصوف ، ورائية الشريشي فيه ، وانتفع بصحبته ، وقرأ عليه المعاملات ، والشيخ سيدي عبد الله الهبطي صحبه مدة مديدة ، وانتفع بصحبته ظاهراً وباطناً ، وكان يؤثره كثيراً ويقول : انه مصحوب بالتأييد ، وأخذ عنه رضي

الله عنه علوماً كثيرة منها : علم الكلام ، وعلم المعاملات ، وفنون التصوف ، وأخذ عليه العهد ، كما أخذه عليه شيخه سيدي عبد الله الغزواني ، وروى عنه سلسلة المشايخ من طريقه وجعله امامه ووسيلته الى خالقه .

قال سيدي محمد الصغير بن عبد الله الهبطي في الفصل الخامس عشر من (المعرب الفصيح ، عن سيرة شيخ الرضا النصيح) في تعداد من أخذ عن والده المذكور ما نصه :

ومنهم القاضي الذي لا ينكر	محمد أخو الدهاء عسكر
فهو المعين والثمين والنفيس	والأجود الفطين الندب الرئيس
وان يكن أتى بذنب ظاهر	فقلبه عن الشكوك طاهر
وهو بشيخه الذكي معتصم	وحبله من حبله لم ينفصم
رأيته في النوم ذا بشاره	وهيأة حسنة وشاره

ومنهم الشيخ أبو القاسم بن علي ابن خجو ، لقيه وزاره بموضع يقال له سعادة في قنة جبل بني حسان من بلاد غمارة ، وأخذ عنه جملة مباركة ودعا له بخير ، وامتحنه بمسألة من العلم في صغره ، وقال لمن حضر : إن هذا الفتى قوي الادراك ، لا يرضى بحرفة التقليد في دينه ، والشيخ أبو القاسم بن عبد الله الشريف الحسني امام جامع تازروت صحبه أوقاتاً وانتفع به ، والشيخ أحمد الشاعر اليجمي من بني يجم من حوز تطوان أخذ عنه علم التاريخ والاعتبار ، والشيخ سيدي عبد العزيز السجلماسي أجازه بفهرسته ، وأجاز ولديه معه : علي ، وعبد الكريم ، ومنهم الشيخ محمد الأندلسي نزيل مراكش ، لقيه مراراً ، ومنهم سيدي أحمد بن أحمد العبادي أجازه وغيرهم .

ثم أنه قتل رحمه الله في غزوة وادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى 986 ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطانته ، فدخل معه بلاد العدو فوجد بين جيف النصارى قتيلا ، وتكلم الناس في أمره ، حتى قيل أنه وجد على شماله مستدبراً للقبلة ، فلذلك اعتذر عنه ولد شيخه الهبطي في الأبيات المتقدمة .

تنبيه

يوافق المترجم في الاسم والشهرة بابن عسكر قاضي بغداد محمد بن عبد الرحمان شارح ارشاد والده المترجم هو ووالده مع أخيه أبي عبد الله في (الديباج) .

643) محمد (المتوكل على الله) بن عبد الله (الغالب بالله) السعدي

محمد المتوكل على الله المسلوخ المعروف بالأكحل بن السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي .

لما توفي والده بمراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولي عهده، فاجتمع أهل الحل والعقد بمراكش ، واستأنفوا له البيعة وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة احدى وثمانين وتسعمئة ، فباكعه أهل فاس وتم أمره (1) .

قال ابن القاضي في (شرح درة السلوك) : أمه أم ولد ، ويعرف عند العامة بالمسلوخ لأنه سلخ جلده ، وحشى تبناً ، وكان مما وقع في أيامه أنه كان بين المسلمين وبين نصارى طنجة ، وقعة بالرملة المسماة بأبي غاص من فحص طنجة ، قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة ، وفي هذه الوقعة استشهد الشيخ عيسى بن الحسن المصباحي دفين الدعادع (1) على وادي مضى من عمل القصر ، فانه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور ، فدفن بازاء قبر أبيه في الروضة التي هنالك، واستمر أمر محمد المتوكل منتظماً إلى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن محمد الشيخ بجيش الترك فنثر سلكه ، وبدد ملكه ، ويقال : أنه كان أضمر الفتك بعميه أحمد وعبد الملك ، ففرّا منه الى ناحية الترك، وذلك انه التقى الجمعان بخندق الريحان على مقربة من وادي الشراط من أحواز

---

1) الاستقصا 5 : 57 طبع الدار البيضاء .

1) هذا الموضع يعرف الآن بـ (سوق) اربعاء سيدي عيسى ، وفيه محطة السكة الحديدية (مؤلف) .

الرباط ، ففر الى مراكش ، ثم فر منها الى جبل درن وأسلم لأحمد نائباً عن أخيه مراكش ، ثم رجع من سوس بطائفة من الصعاليك إلى مراكش ، ودخلها وبايعه أهلها ، إلا أنه لم يتمكن من القصبة لكون عبد الملك ترك بها أخته الست مريم في نحو ثلاثة آلاف من الرماة ، فتحصنوا بها ، فرجع عبد الملك إلى مراكش ، واجتمع بالوزير عبد العزيز الوزكيتي . ففر المتوكل من مراكش الى السوس فتبعه المنصور ، وانتصر عليه في وقعة تينزرت ، وفي وقعة أساطين المنصور، مع أن جيش المنصور ثلاثة آلاف ، والمتوكل في نحو ستين ألفاً .

قال في (النزهة) بعد ذكر المترجم : كان متكبراً غير مبال بأحد ، ولا متوقفاً في الدماء ، شديد العسف على الرعية ، وكان مع ذلك فقيهاً عالما مشاركا في الفنون ، أديباً مجيدا قوي العارضة نظماً ونثرا .

ومن شعره في الغزل :

خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا ... فحلا عقالي قد أضر بي الربط
ولا تحفلوا من لام أو من تلوما ... فان بحار اللوم ليس لها شط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه الامام احمد الزموري رحمه الله ، فقال :

ألا فاعجبوا من عاذل لي اغربا ... فكم ذاد عن عيني كراها وأذهبا
وفي شرعتي حل الخلاعة مذهبا ... (خليلي ما يخفى انحصارى عن الصبا
فحلا عقالي قد أضر بيَّ الربط)
ألا فارعووا عن عذل صب تظلما ... وبالبين صار القلب منه متيما
وألحاظه تنهل من عبرة دما ... (ولا تحفلوا مَن لام أو مَن تلوما
فان بحار اللوم ليس لها شط)

ومن شعره أيضاً قوله :

فقم بنا نصطبح صهباء صافية ... في وجهها عسجد في وجهها نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقا ... فان تأخير أوقات الصبا غلط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه الزموري قال :

كم شادن بسهام اللحظ آونـــة رمى فؤادي وكم حوراء سافكـــة
وفي العقار اغتنم دأبا مسالمـــة (فقم بنا نصطبح صهباء صافيـــة
في وجهها عسجد في وجهها نقط)

وخل عن عاذل باللوم قد نطقـــا ودع سبيل الذي عن مذهبي انطلقا
لا يعرف الشوق إلا والتزم أرقـــا (وانهض إليها على رغم العدا قلقا
فان تأخير أوقات الصبا غلـــط)

وله بيتان آخران خمسهما الفقيه المذكور ونص التخميس والأصل :

استخبروا خبري بعد انفصالهـــم قد أضرمت بالحشا نار بعادهـــم
واصبوتي لم تر نفسي بغيرهـــم (ساروا فسار فؤادي أثر ظعنهـــم
وخلفوني نحيل الجسم حيرانـــا)

قد كان صفو حياتي يوم قربهـــم ولوعتي في اقتراب من بساطهـــم
والآن ابقيت في فيفا غرامهـــم (لا افترَّ ثغرُ الثرى من بعد بينهمُ
ولا سقى هاطل ورداً وريحانـــا)

ولم تطل خلافته رحمه الله .

ثم قال : وكان خليفته بمراكش القائد علي بن شقراء وحاجبه أحمد بن حمو الدرعي ، وكاتبه يونس بن سليمان التاملي ، وعلي بن أبي بكر ، وغيرهما

ثم قال : وكان مولانا محمد بن عبد الله عفا الله عنا وعنه ، لما ضاق ذرعا بعمه عبد الملك ولم يجد منه ملجـأ ولا مفراً ، ذهب لطاغية النصارى عظيـم نصارى بردقيس (1) ، فاستصرخ به واستغاثه على عمه ، وبعث معه جيوشـاً كثـيرة ، ومن هناك كتب مولاي محمد رسالة إلى أعيـان المغرب مـن علمائـه وأشرافه وذوي الرأي فيه ، يخطىء عليهم في نكث بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعي وقال لهم : ما استصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة

1) اي البرتغال حسب النطق المغربي (برطقيس)

من المسلمين ، وقد قال العلماء : يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه ، وهددهم في رسالته وأبرق وأرعد ، وعدد وأوعد ، وقال : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، وسمى المستغاث بهم أهل العدوة ، واستنكف عن تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك ، برسالة دافعة لجيش أباطيله ، وفاضحة لركيك تأويله ، وهذا نص تلك الرسالة المذكورة ، حرفاً حرفاً .

الحمد لله كما يجب لجلاله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وأرساله ، والرضى عن آله، وأصحابه الذين هاجروا لدين الاسلام، وهجروا دين الكفر، فما نصروه ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد فهذا جواب من كافة أهل المغرب من الشرفاء والعلماء والصلحاء، والأجناد والرؤساء ، وفقهم الله ، لمولانا مَحمد بن مولانا عبد الله السعدي رحمه الله ، عن كتابه الذي استدعاهم فيه لحكم الكتاب ، واستدل بحججه الواهية الاطناب ، المتنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب : لو رجعت على نفسك باللوم والعتاب ، لعلمت أنك المحجوج المصاب ، فقولك خلعنا بيعتك التي التزمناها وطوقنا اعناقنا وعقدناها ، والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا عن سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على نهج الشرع وطريقه ، وعلى الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بأدلة الشرع وسننه ونعينه .

نعم كنت سلطاننا بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الأموال والذخائر والعدة والعدد والحصون ما لم يتهيأ مثله لأحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله ، وحصون بلادهم ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا ، وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا ، فلما وصل اليك ذلك ألقت اليك العباد اعنتها ، وملكتك أزمتها ، غير مبدلين ولا مغيرين ،

ولا باغين ولا منكرين ، إلى أن قام عليك عمك بحجتك التي لا يمكنك جحدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له بدفعها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها .

وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل بها جندا من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من ألويتك وبنودك ، فما هو الا أن جرى القتال وحضر النزال ، رجعت على عقباك هاربا هروب مطرود القناص ، وجنودك تناديك ولات حين مناص .

فتركت عددك ومحلتك بكل ما فيها ، وخلفتها لعدوك ينهبها ويسبيها ، وهربت على مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونك لم تركتنا ؟ فلم تلتفت اليهم ، وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الاموال ، والاعداد الوافرة من الرجال ، والأسوار المرتفعة المانعة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها وأيدي العادية من السفهاء والمفسدين تريد أن تمتدّ إلى الحريم والأولاد ، والطارف والتلاد ، ولا دافع عن الضعفاء والمساكين الا الله سبحانه الذى قال في مثلهم ومَن اصدق من الله قيلا « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » ، فما أمكنهم بعد هروبك عنهم واسلامك لهم فوضى ، الا النظر في أمرهم وأعمال الفكر في التدبير على أنفسهم .

فبينما هم كذلك ، اذا بعمك وجنده على باب مدينتهم قائما بحجته ، سالكاً في ذلك سبيل أبيه رحمة الله وبحجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم وظهر ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، إذ كان مولانا مَحمد الجد الاكبر عهد لأولاده مولانا احمد ومولانا محمد الشيخ واخوانهما الا يتولى الخلافة منهم ولا من أولادهم الا الاكبر فالاكبر ، فالتزموا ذلك ، الى أن كبر أولادهم ، فطلب جدك من أخيه الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الأمر وانتظم ، فعهد لوالدك الذي كان أكبر أولاده ، فلم ينازعه احد في ذلك الى أن ألقى والدك رحمه الله ذلك لك ، وعهد اليك ، فلم ينازعك احد ، فأبى الله الا أن يحق الحق ، فأعطى ملكه لعمك الذى هو أكبركم بعد أبيك .

فان سلمت هذا فأي حجة تدلي بها ؟ وأي طريق تعتمد عليها ؟ وان أنكرت هذا ، فلا أمر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجدك من قبله ، لثبوتها لعمكم مولاي أحمد ، إذ لا حجة حينئذ لجدك في القيام على اخيه مولانا احمد ، فخلافته صحيحة لبيعة جدك له ، فلم يبق الا التغلب الذي تدلى به في مسألة عمك وفي قيامه عليك ، فان كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك ، فحجتك أبين في السقوط ، لعدم ثبوت الخلافة لمن أعدها لك ، اذ المعدوم شرعاً كالمعدوم حسا ، فلم يبق بينكم إلا (والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا) !

فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجد رحمة الله عليه في خلافته لعمك القائم عليها ، اذ هو أكبركم في هذا التاريخ ، فان قلت : ان ما عقده الجد غير صحيح ، قلنا قد ذكر الامام الماوردي رحمه الله في كتاب (الاحكام السلطانية) له ، في باب عقد الخلافة : ان عبد الملك بن مروان رتبها في الأكبر فالأكبر من بنيه فلم ينازعه أحد في ذلك .

فان قلت فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا سكوت العلماء وهم من هم في زمانه هو الحجة ، اذ لا يمكن لهم أن يسكتوا على باطل ، واقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل ، واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذى هو حجة الله في أرضه .

وكان أيضاً من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب (الامارة) ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر يوم القيامة لواء ، يقال هذه غدرة فلان بن فلان ». الا وأي غادر أعظم غدرا من أمير عامة غدرهم وتركهم فوضى ؟ قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتاب (اكمال المعلم ، على شرح مسلم) ، يعني ولم ينصح ، ولم يوف بالعقد الذى تقلده من أمرهم ، وفي الباب نفسه عنه عليه السلام ما نصه : « ما من أمير استرعاه الله رعيته فلم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمئة عام».

وفي كتاب (الاكمال) بنفسه قال القاضي : والذي عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم ، فلهم أن يتفقوا على امام يبايعونه ويستخلفونه عليهم ، ينصف بعضهم من بعض ، ويقيم لهم الحدود ، فلما أسلمتهم وأصبحوا بغير امام وعمك يدلي بحجته التى ذكرنا لك ، مع ما حفظوه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك لهم ، وبقوا فوضى مهملين ، لم يسعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم ، فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التي لا يسعك جحدها الا على على وجه المكابرة ، فاطمأن الناس وسكنوا ، وانفتحت السبل ، وأقيمت الحدود ، وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التي التزموها لك ، قلنا : انما يلزمهم القتال لو أنك أقمت بين اظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعي ، لأن القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس على رأيه ، ولا يمكنك أيضا جحدها .

إيه ! ثم وصلت مراكش الغراء التي تجبى اليها الأموال من البوادي والامصار ، وتشد اليها الرحال من سائر النواحي والاقطار ، فلقيك أهلها بالرحب والسرور ، وأنواع الفرح والحبور ، فوجدت خزائنها تتموج ، ملأى من كل شيء ، فأما أسوارها ورجالها فهي كما قيل تربة الولي ، والبرج البني ودرج الحلي ، فحللتها وتمكنت من أموالها وخزائنها ، ووافقك أهلها فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك في سلطانك ولا نكروا . فطلبت أيضاً قتال عمك وجندت جنودا لا يجمعها ديوان حافظ ، ولا يحيط بعدها لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل وراءك في السيول ، والرماة ملأت الهضاب والتلول ، فما كان حديثك الا أن وقع القتال ، وحضر الضرب والطعان والنزال ، فبادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا الرؤساء من أجنادك القادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدى المنايا ، فتركت أيضاً محلتك بما فيها من حريمك وأموالك ، وعدتك ورجالك ، ثم أسرعت هاربا لمراكش ، فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك لست ببعلها ، فعملوا على القتال معك ، والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدرتهم وغدرت

بناتك ونساءك وأخواتك وعماتــك ، وخرجت عنهم مــن القصبة ، وتركتهم لا بواب لهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فيالها من مصيبة مــا أعظمها ، ومن داهية ما أدهمها ولولا فضل الله ولطفه ، ووعده بتطهير أهــل البيت ، لامتدت اليهم أيــدي السفلة من الفَسَقة ، فأي حجــة تبقى لك بعد هــذا ؟ وأي كلام لك بين الرجال ياهذا ؟ .

ثم جاءها عمك أيضا بما سلف من الحجج فوجد أهلها في لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية فانقذهم الله به أيضاً ، فبايعوا عمك واطمأنوا وسكنوا ، ثم هربت الى الجبل عند صاحبه ، فصرت في نهب أموال الرعية ، وسفك دمائهم ،وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصغرين بحكم القرآن ، الداخلين تحت عهد سيد الثقلين في الأمن والأمان ، فانت وإياهم في استيلائك وظلمك كما قيــل :

ان هو مستولياً عــلى احـــــــد   إلا على أضعف المجانيـــــــــن

ولم تبال بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « انا خصيم من ظلم ذمياً يوم القيامة » ، ثم خربت العامر ، وافسدت ما شيد الاسلاف للاسلام من المآثر، فلما رأى أهل السوس الاقصا ذلك ، أيقنوا أنك انما قصدت خراب الاسلام وأهله ، فتنكب عنك أهل الدين والعلم منهم ، وبقيت كما قيل : في خلف كجلد الأجــرب .

فان قلت إن أولئك الخلق لم يبايعوا عمك فتنقض منهم ما قررناه ، قلنا لم يطعن في خلافة أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد عملت من الناس والأجماع على صحة بيعته ، ويسمى من تخلف عنها باغياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ،فقتله أصحاب معاوية رضي الله عنه ، والحديث من اعـــلام نبوءته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما أجمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يعد خلاف مَن خالفه خلافاً .

وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديث قبل التحزب مع عدو الدين ، والأخذ في التخليط العظيم على المسلمين ، بان اتفقت معهم على دخول اصيلة

وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله ويالرسول الله هذه المصيبة التى احدثتها ، وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد .

ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك اليهم ، ورضيت بجوارهم وموالاتهم ، كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، قال أبو حيان رحمه الله : أي لا تنصروهم ، ولا تنتصروا بهم ، وفي كتاب (القضاء) من نوازل الامام البرزلي رحمه الله : أن أمير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله استفتى علماء زمانه رضوان الله عليهم ، وهم من هم في استنصار ابن عباد الاندلسي بالكتب الى الافرنج أن يعينه على المسلمين فأجابه جلهم رضي الله عنهم بردته وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها احروية مناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ، بناء على انه متى طرأ الكفر وجب العزل .

وناهيك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بالسمع والطاعة ، وما أفتى به العلماء رضوان الله عليهم من ردة من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلي في وجوب خلعك وسقوط بيعتك ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه في حكمه : « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » .

وأما قولك في النصارى: انك رجعت الى أهل العدوة واستنكفت ان تسميهم بالنصارى ففيه المقت الذى لا يخفى ، وقولك رجعت اليهم حين عدمت النصرة من المسلمين ، ففيه خطآن يخطر عندهما غضب الرب جل جلاله ، أحدهما أنك اعتقدت أن المسلمين على ضلال ، وأن الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى دمرهم الله ، والعياذ بالله ، والثاني أنك استعنت بالكفار على المسلمين ، وفي الحديث أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحد شفرة ، فقال له : يامحمد ، جئت لانصرك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ان كنت تومن بالله واليوم

الآخر ، فقال لا أفعل ، فقال له عليه السلام : اني لا أستعين بمشرك ، وما سمعته من قول العلماء رضي الله عنهم في الاستعانة بهم انما هو بأن تجعلهم خدمة لازبال الدواب ونحو ذلك ، لا مقاتلة ، فاما الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر إلا على بال من قلبه وراء لسانه .

وقولك يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه ، وجعلك قولك هذا قضية انتجت لك دليلا بجواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، ففي ذلك من مصادمته للقرءان ما لا يخفى ، وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله .

وقولك : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » ، إيه أنت مع الله ورسوله ومع حزبه ؟ فتأمل ما قلت ! وفي الحديث « يتكلم احدكم بالكلمة تهوي به في النار سبعين خريفاً ».

ولما سمعت جنود الله وانصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك هذا حملتهم الغيرة الاسلامية ، والحمية الايمانية ، وتجدد لهم نور الايمان ، وأشرق عليهم شعار الايقان ، فمن قائل يقول : سترون ما أصنع عند اللقاء ، ومن قائل : « ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ، ومن قائل يقول : انما قصد التشفى في المسلمين ، اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال القبيحة ، الى غير ذلك ، فجزاهم الله عن الاسلام خيرا ، ورضي الله عنهم وبارك فيهم ، فلله درهم من رجال وفرسان ، وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما غير قلوبهم على الدين لكان كافيا في صحة ايمانهم ، وعظيم ايقانهم ، فقد بلغ نور غضبهم في الله سبحانه ساق العرش ، والحب في الله والبغض في الله من قواعد الايمان .

وقولك أيضاً متبرياً من حول الله وقوته : فان لم تفعلوا فالسيف ، فهو كلام هذيان يدل على قلة حياء قائله فقط ، أسيفك هذا نبا وانت مع المسلمين نيفاً وعشرين معركة لم تثبت فيها راية ! ثم زال نبوه الآن بالكفار ، فهذه

اضحوكة فتأملها ، واما ما نسبتم لامام دار الهجرة فكفاك عجزا أن تعين لنـا نصا جليا نعتمد عليه ، واما ما نسبته للحنفية من أكل الميتة عند الضرورة واباحة الغصة بخمر فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان فعدولك عن ذلك الى نص الحنفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضي الله عنه ، وهو النجم الثاقب .

وأما قولك : أنتم أهل بغي وعناد ، فلا نسلم لك ذلك ، الا لو أقمت بين اظهرنا وقاتلت معنا حتى ترى انسلمك أم لا ؟ فاما اذ هربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا علينا ، على أنك في كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء رضوان الله عليهم : من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير . وذلك معزو لزعيم الفقهاء ورئيس العلماء أبي الوليد ابن رشد والقاضي أبي الفضل عياض رحمهما الله .

وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ؟ كيف وقع لامرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ؟ هل حصلوا على شيء مما قصدوه ؟ أو بلغوا شيئاً مما أملوه ؟ على أن أكثـر العلماء حكمـوا بردتهم ، ففاتتهم الدنيا والآخرة والعياذ بالله .

وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ الملك بجيوشهم ، وأني لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : لن تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا ، وعنه عليه الصلاة والسلام: سيقاتل آخر هذه الامة الدجال . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « سألت ربي ثلاثا ، فاعطاني اثنين ، ومنعني واحدة . سألته الا يهلكهم بسنين كسني يوسف فاعطانيها ، وسألته الا يغلبهم عدوهم الكافر فاعطانيها ، وسألته أن لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها » ، والكل عليك واياك نعني .

وما ذكرت لك عـن عمك المنصور ، فاعلـم أنه لما بلغه خبـرك ، واستنصارك بالكفار ، عقد ألويته المنصورة بالله في وسط جامـع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مئة ختمة وصحيح البخاري ، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، والدعاء له وللاسلام بالنصر والتمكين ، والفتح الشامل الشامخ المنير ، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء قد انفتحت لذلك ، وقضي ما هنالك .

وبلغه كتابك الذي كان هذا جواباً عنه وهو بوسط الجامع ، ومعه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيـه البركة ، ولولا ان الشـرع العزيز أمر بتعظيم جيوش الاسلام وجنود أهل الايمان والمباهاة بها ، والافتخار بكثرتها ، لما قررنا لكم أمرها ، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها وكذلك هم لا اعتماد لهم وله الا على حول الله وقوته ، ونصره وتأييده،والناس على دين الملك، وقد قاتلك في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة ، ثم لم تنصر لك فيها راية ، فأي شؤم ونحس حلا بديار الروم ؟ فالله لك ولهم بالمرصاد .

فارجع الى الله يامسكين ، وتب اليه فانه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين ، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، وهذه نصيحة ان قبلتها وموعظة ان وفقت اليها ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيـم ، وهو نعم المولى ونعـم النصيـر ، وهـو حسبنا ونعم الوكيـل والسلام (1) .

ذكر الخبر عن غزوة وادى المخازن وما وقع فيها للمسلمين من النصر المبين

قال في (المنتقى) : هـذه الغزوة من الغزوات العظيمة والوقائـع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر .

---

1) أورد الناصرى الرسالة فى الاستقصا 5 : 70 طبع الدار البيضاء .

حدثني شيخنا يعقوب اليدري عمن يثق به أن الرجل من حاضرى ذلك المعترك يستبق للنصراني لينتهز به الفرصة فما يصله حتى يجده ميتاً ، انتهى .

وكان خروج النصارى في هذه الوقعة بجيوش حافلة وجموع عديدة يقال أنهم كانوا زهاء مئة ألف وخمسة وعشرين ألف مقاتل ، وقصدوا هلاك المغرب وحصر المسلمين ، وإدارة رحى الهوان على أهل الدين ، فعظم ذلك على الناس ، وامتلأت قلوبهم رعبا ، وصدورهم كرباً ، وبلغت القلوب الحناجر، واشتعلت على أهل القلوب نيران الهواجر الى أن أتاح لهم نصر دينه ، واعلاء كلمته ، وظهر من لطيف صنع الله تعالى ما لم يخطر لأحد ببال ، وسبب ذلك كله أن محمد بن عبد الله لما دخل طنجة قصد الطاغية واستصرخه على عمه ، وطلب منه المعونة ، فشرط عليه الطاغية أن يكون للنصارى جميع السواحل ، وله هو ما وراء ذلك كله ، فقبل ذلك منه محمد بن عبد الله والتزمه ، واسم هذه الطاغية سبستيان البرتغالي ويقال پرتقيس (2) ، فخرجوا بجيوش وافرة وسلف بيان نهايته حسبما أنهاه ابن القاضي ، والذي عند غيره : أنهم كانوا نحوا من ستين ألفاً .

وقال في (المنتقى) : وعدد الكفرة مئة ألف وخمسة وعشرون ألفا ، الخمس والعشرون بقيت في السفن ، والمئة ألف حضرت للقتال ، أسر بعضهم وقتل الباقي ، انتهى .

وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمئة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التي يجرونها مثتين ، فشنوا الغارات على أهل السواحل ، فاعلم أهلها السلطان عبد الملك ، وكان بمراكش وشكوا له كلب العدو عليهم . فكتب عبد الملك من مراكش ان سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر الى العدوة ، فان ثبتت الى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع ، والا فأنت كلب ابن كلب . فلما بلغه الكتاب غضب وشاور أصحابه

2) أي البرتغالي بلغة عوام المغرب .

هل نقعد هنا حتى يلتحق بنا من خلفنا من أصحابنا ؟ فقال لهم محمد بن عبد الله : الرأي أن نتقدم ونملك تطوان والقصر والعرائش ، ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من الذخائر ، فاعجب ذلك الرأي أهل الديوان ولـم يعجبه هو ، وكتب عبد الملك إلى أخيـه أحمد أن يخرج مـن فاس وأحوازها بالجيوش ويتهيأ للقتال .

وكتب عبد الملك للطاغية : انى رحلت اليك ست عشرة مرحلة ، أما ترحل الي واحدة ؟ فرحل العدو من موضع يقال له تهدارت ونزل على وادي المخازن بمقربة من قصر كتامة ، وكان من عبد الملك مكيدة ، ثم ان الطاغية قطع بجيوشه وعبر جسر الوادي ، ونزل من هذه العدوة ، فأمر عبد الملـك بالقنطرة ان تهدم ووجه لها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادي لا مشرع له ، ثم زحف عبد الملك الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله المسومة ، وانضاف له من المتطوعة كل من رغب في الأجر ، وطمع في الشهادة ، واقبل الناس سراعاً من الآفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل ، وكان ممن حضر من الاعيان سيدي يوسف الفاسي وغيره ، وسمعت أن الشيخ سيدي أبا العباس السبتي رحمه الله رئي فيها جهارا على فرس أشهب وهو يحض الناس على التقدم ، ولا يستنكر مثل هـذا ، فان الشهداء أحياء عنـد ربهم فالتقت الفئتـان ، وزحف بعضهم الـى بعض ، وحمـي الوطيس ، واسـود الجو بنقع الجياد ودخان مدافع البارود ، واشتد القتال ، وكثر الضرب والطعن، واستمر النزال ، فلما قامت الحرب على ساق ، والتفت الساق بالساق ، توفي عبد الملك عند الصدمة الأولى ، وعند ما أضرمت نار القتال، وكان من قضاء الله السابـق ولطفه السابغ أنه لـم يطلع على وفاته أحـد ، إلا صاحبه ومـولاه رضوان العلج فانه كتم موته وصار يختلف الى الخباء ويقول : ان الامير يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا أن يتقدم ، وفلانا أن يتأخر ، وهكذا ...

وقال شارح (الزهرة) : ولما مات عبد الملك لم يظهر الذي كـان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ويقول للجند : الملك

يأمركم بالتقدم الى الكفرة ، وعلم ايضاً بموته أخوه المنصور فكتمها ، والناس كذلك في المناضلة ، ومنادمة القواضب ، واحتساء كؤوس الحمام ، إلى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم الدهر ، واثمرت كمائم رماحهم زهور الظفر ، فولى المشركون الادبار ، ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف في رقابهم ، ففروا ولات حين فرار ، وقتـل سبستيان البرتغالي ، غريقاً في الوادي ، وقصد النصارى للقنطرة فلم يجدوا لها أثرا ، فكان ذلك من أكبر الاسباب فى هلاكهم ، وأعظم الحبائل في اقتناصهم ، ولم ينج من الروم الا عدد نزر ، وشرذمة قليلة ، وبحث في القتلى عن محمد بن عبد الله فوجد غريقا في الوادى ، وذلك أنه لما رأى الهزيمة ألقى بنفسه فيه ، ورام قطعة فغرق فيه ، فاستخرجه الغواصون فسلخ جلده ، وحشى تبنا ، وطيف بهم فى مراكش وغيرهـا .

قال في (المنتقى) : وكان قدر المقاتلة خمسا وأربعين درجة ، أو اثنين وخمسين درجة على ما حدثني به بعض الموقتين ، انتهى .

وتوفي عبد الملك في زوال اليوم المذكور ، وبايع الناس أخاه أحمد المنصـور .

قال في (درة الحجال) : فانظر لحكمة الله الواحد القهار ، أهلك الله ثلاثة ملوك فى يوم واحد وهم : عبد الملك ، وابن أخيه محمد بن عبد الله ، والطاغية سبستيان ، وأقام واحدا وهو أحمد المنصور .

ولمـا بلغت الهزيمة الى الطاغيـة الأعظم بعث إلى المنصور بعـد استبداده بالملك ورجوعه لفاس كما سياتى ، يلتمس منه الفداء لمن بقى في يده من الاسارى ، ففداهم ، وجمع في ذلك أموالا سنية .

وذكر بعضهم أن الاسارى الذين وقع فداؤهم لما توجهوا الى بلادهم ، ووصلوا لملكهم قال لهم الطاغية:لِمَ لمْ تأخذوا القصر والعرائش وتطوان قبل ان يصل ملكهم اليكم ؟ فقالوا له : امتنع من ذلك الأمير الذى بعثته علينا ، فأمر بهم فاحرقوا جميعاً .

غريبة وفيها مضحكة

ذكر بعضهم أن النصارى دمرهم الله لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة، وفني مَن فنِي منهم فيها، ورأى اساقفتهم قلة الزوج وخلاء البلاد لكثرة من مات منهم ، أباحوا للعامة فاحشة الزنى ليكثر التناسل ، ويخلف ما هلك منهم ، ورأوا ذلك من نصرة دينهم ، وتقويم ملتهم ،أخزاهم الله تعالى ودمرهم ، انتهى .

644) محمد بن محمد الحسني السجلماسي

محمد بن محمد بن أبي القاسم الشريف الحسني السجلماسي الفقيه الخطيب المشارك النحوي المتفنن ، له تقييد على ألفيه ابن مالك في النحو .

أخذ بمدينة فاس عن محمد ابن مجبر المسارى ، وقيد عنه على الألفية ، وعن أحمد بن علي المنجور .

توفي بمدينة مراكش سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، ترجمه في (الجذوة) .

فائدة

المترجم أول من خطب بجامع الاشراف بمراكش ، كما في (الصفوة) في ترجمة ابن عمه مولاي عبد الواحد مفتيها ، وأخذ عنه قاضيها عيسى السجتاني .

645) محمد (شقرون) بن هبة الله الوجديجي التلمساني

محمد بن هبة أو هبة الله الوجديجي ، الملقب شقرون التلمساني نزيل فاس ، الشيخ الامام المفتي العالم العلامة المشارك المتفنن ، ترب الفقيه محمد ابن جلال ، ومشاركه في شيوخه ، كان رحمه الله عارفا بالاصلين والبيان ، والمنطق والفرائض والحساب ، نافذا في الفروع ، منطبعاً معها ، يحسن النوازل ويقوم على مختصر ابن الحاجب أتم قيام ، وله شرح على رجز إبراهيم التلمساني المعروف بالتلمسانية في الفرائض ، وكان شيخ الفتيا وامامها الاكبر، عالم الزمان وفارس المنابر وعروس الكراسي،

حائزا أوصاف الكمال سمتاً وعلماً وبلاغة وفصاحة وسؤددا ، طلق اللسان ، واسع العبارة واضح البيان ، منفسح الصدر ، كثير المعرفة ، لقي المشايخ الكبار ، وأخذ عنهم ، كالشيخ أحمد بن اطاع الله ، والشيخ عبد الملك البرجي ، وتفقه على الشيخ سعيد بن أحمد المَقْري ، وأخذ عنه علم لكلام ، وكان المقرى أخذه عن الامام السنوسي ، وأحمد ابن زكرى ، أوطن فاساً بعد ان قدم اليها من تلمسان سنة سبع وستين وتسعمئة ، فعظمه سلطان المغرب يومئذ وولاه الفتوى بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب ، وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه ، وانتفع الناس بعلومه .

وممن أخذ عنه ابراهيم الشاوي المراكشي ، وابن عسكر صاحب (الدوحة) ، وأحمد المنجور ، وكان أولا يخطب بجامع الكتبيين من مراكش ، ثم خطب بجامع المنصور الكائن بقصبة الملك هنالك ، وكان سكناه بفاس ومراكش ، ويفتي الناس بالبلدين الى أن توفي بفاس آخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة عن نحو خمس وسبعين سنة .

ترجمه المنجور في فهرسته ، وصاحب (الدوحة) ، و (النيل) ، و (الكفاية) ، و (الجذوة) ، و (الدرة) ، وترجمه في (البستان) والحضيكي في كتاب (المناقب) ، وفي (السلوة) ، و (تعريف الخلف) (1) .

646) **محمد بن عيسى التاملي** الفقيه البليغ الاديب ، وزير القلم الأعلا له مقاطيع وقصائد حسان ، قتله السلطان بمراكش سنة تسعين وتسعمئة .

قاله الفشتالي في لاميته المشهورة ، ونقله الحضيكي في كتاب (المناقب) و صاحب (بشارة الزائرين) ، وذكره في (درة الحجال) .

647) **محمد بن أحمد ابن الناظر** المراكشي كان فقيهاً نحوياً . توفي سنة خمس وتسعين وتسعمئة .

---

1) تنظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 350 و **البستان** ص 61 و **درة الحجال** 2 : 215 ع 665 طبع الرباط و **جذوة الاقتباس** ص 325 ع 341 و **شجرة النور الزكية** 1 : 285 و **سلوة الانفاس** 3 : 283 .

ذكره في (درة الحجال) ، وخالف هذا في (لقط الفرائد) حيث قال : توفي بمراكش سنة ست وتسعين وتسعمئة .

648) محمد (الكامل) بن أبي عمرو القسطلي

محمد الكامل بن الولي الصالح سيدي أبي عمرو بن أحمد الامين بن أبي القاسم القسطلي المراكشي .

ولد رحمه الله بحومة حمام الذهب من مراكش يوم الاثنين قرب الاصفرار في رمضان عام ستين وتسعمئة ، وظهر بها للخلائق ظهور غوثية في سادس عشر ربيع النبوي عام اثنين وتسعين وتسعمئة ، وبها توفي رضي الله عنا به لسبع عشرة ليلة خلت من شوال عام سبعة وتسعين وتسعمئة، وألف في أحواله ومناقبه تلميذه قاسم بن أحمد الحلفاوي كتابه (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصرفة) في مجلد من القالب الكبير أبدأ فيه وأعاد، واستوفى تدرجاته وكراماته ، وذكر أن شيخه هو والده الامام أبو عمرو القرشي الأصل ، ينتمي إلى الخليفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقال في ذلك قاسم المذكور :

لم ينصر السنة البيضاء مثل الذي	شق بحمله طود الهند والحجر
ذخيرة لظلام الوقت ذخرها	لنا أبو بكر الصديق ذو الفخر
أكرم بها هبة من أكرم الخلق بعـ	ـد المصطفى وكذا قد جاء في الخبر

وأشار والده الى أنه الخليفة بعده ، وهو إذذاك صغير في قضايا متعددة .

وفي ذلك يقول أيضاً :

قد أيد الله قول الشيخ حيث أتى	ولده بمسيره بلا مهل
وجاء والحمد لله على وفق ما	قد كان يرجوه من حال ومن أمل

وقال الشيخ مرة في علامة خليفته انه يلتقي بالشيخ العارف الولي الأصيل سيدي عبد الله بن حسين رضي الله عنه ، فينزع الشيخ العمامة من

رأسه ، ويكسيها للوارث بيده ، فلما دخل على الشيخ المذكور صعَّد فيه النظر ، وأزال عمامته على رأسه وكساه إياها بيده .

واشتغل بعد وفاة والده رضي الله عنه بقراءة العلوم ، فكان يحضر مجالس العلماء العاملين ، ويقتصر على من توسم فيه أنه من الصالحين ، وله قوة ادراك في العلوم ، وشهد بذلك أهل علم الرسوم ، بعد أن تكرر عليهم سؤاله ، وامتحنوا أبحاثه وأحواله ، وكان ورعا وما تكلم في المجلس الا ثلاث مرات ، وكانت أسئلته وأبحاثه على طريق الاستفتاء ، فلا تقع نازلة الا بادر بها علماء الوقت ، ويتبعهم الى ديارهم ، ويترقب انفصالهم عن مجالسهم ، فعرفوا بذلك أمره ، وصرحوا بفضله .

وفي ذلك يقول شاعره المذكور :

وأقلام رب العرش ألسن خلقه ـــ وليس لغير الله فعل مترجم
وما ثم إلا الله جلت صفاته ـــ وأفعاله والغير غير مسلم

وأخذ صغرى السنوسي عن العالم الشريف سيدي الحسن بن سعيد الحسني ، ثم رجع بعد معرفة طريق الدليل والبرهان ، الى طريقة الرجال أهل المعرفة والوصال .

وفي ذلك يقول شاعره قاسم :

جميع مقامات الرجال سلكتها ـــ وعرفك الرحمان كل مكان
سلكت من البرهان أسنى طريقة ـــ فجزت الى عرفان أهل العيان

ثم تربى الشيخ بخاله سيدي عبد الرحمان بن محمد القسطالي ، ومن جملة أقواله له طريق شيخك شاذلية بيضاء نقية ، وهي طريق الاسباب بما لها من الشروط والآداب وهي مجانبة أهل العدوان وملازمة الخمس في الجماعة للغفران ، ومواساة ذوي الفاقة والانفاق على الفقراء والاخوان وإيثار أهل المعرفة والشان .

ولم يزل مع خاله الفقيه المذكور يتحلى بأحواله ، ويتسلى بأقواله ، حتى أحاط بجميع أفعاله الى أن مات سيدي عبد الرحمان ، فاشتد الامر على المترجم، ثم تلاقى برجل من عباد الله يقال له أبو عبد الله ، احترق كبده من حب الله ، خارجاً عن الدنيا بالدين ومقبلا على الآخرة بالمشاهدة والتعيين ، فوجده على حالة يرضاها ، وسكن بلدة لا يعرف منها وهي مراقبة الروح لمولاها ، مشحونا بالعلوم والمعارف ، متضلعاً بالدقائق واللطائف ، ساكنا من المحجة صحراء المخاوف كأن الموت لم يخلق الا له ، صور قبره في طاحونة بين عينيه ، ينظر إليه بنفس محزونة ، فتارة يبكي وينوح ، وتارة يشهق ويصيح ، ذكار ، قوام ، ذو تفكير وبصيرة واستبصار ، فتأنس المترجم بوجوده ، فسلك معه وعام في بحور الشفقة والرحمة ، وبقيا على ذلك أعواما الى أن مات رحمه الله ، فأورث المترجم ذلك انحياشا إلى الله ، وجمعا بقلبه وقالبه عليه ، وحببت اليه الخلوة ، واعتزل عن الناس ، فلم يزل يتلون في المقامات ، ويلوح لاعلاء المقاصد علامات وتؤيده مع ذلك منامات ، فتعلق بخاطره مناظرة الكتب مثل : (احياء علوم الدين) ، و (قوت القلوب) ، و تلمح الخزانة اليوسفية بشرقي جامع ابن يوسف وتصاحبا وتأيد كل منهما بالآخر ، واكتسبا بذلك القوة والتيسير ، ونفي الاختيار والتدبير ، والسلامة من كل هول عسير، وصفاء القلوب والسرائر ، وتنوير الوجوه والبصائر .

وكان المترجم زاهداً انفرد بأشرف الاوصاف ، لم يكن قط يجمع الدنيا ولا اهتم بشأنها ولم يغضب لفوات غرض من الاغراض ، ولم يفرحه سوى درهم انفقه على الاخوان والمساكين ، وسد به خلة يجب سدها ، ولا يسره شيء مثل ما يسره بذل المال في الحال ، دائم الحضور بين يدي خالقه ، بورعه الذي لا تكاد تلمحه العبارة ، وفيٌ بكل ما عقده من العهود ، وفي خلال هذه المجاهدة ، وقع له من الكرامات وخوارق العادات في تيسير العبادات وإيقاظه من جوف الليل للصلاة بأصوات مختلفات ، وربما لا تعرف له لغات الاسماع الهنات يسمعها كل من له معه بيات ، وكان اذا وصل وقت السحر أيقظ أبا العباس ، وأخاه محمد عبد الواحد ، فأخذوا في تلاوة القرءان بأشواق وأشجان كل واحد له تدبير حتى يحركوا أهل القرائح الجوامد ، ويوقظوا كل نائم في المنزل .

ردد فهومك في إشراق سيرتــــه تنبئك عن كل وصف حازه شرفـا
لولا العناية في الاوصاف ظاهـرة لكان من يدعي مثل الذي شرفــا

وكان يسوس إخوانه الصبيان بحسن الملاطفة والاحسان ، ويخرج معهم الى الجنان ويؤلف فيما بينهم ، ويدلهم على طاعة الرحمان ، وعند مقيل النهار تراه يطوف بين أزقة الديار ، فمن وجد من اخوانه الصغار ، يدخلهم الرباط المبارك ، ويلهيهم بما يحفظ عقدهم من المهالك ويطيب قلوبهم في أحسن المسالك ، ولم يزل معهم حتى ينومهم ، وعندما تجب الصلاة يوقظهم ، ويحدثهم بأحاديث فضل الجماعة .

وقد انفرد عن أهل عصره بخصائص منها المراقبة والعزلة ، واجتهاده فيما تساهل فيه غيره بنية صادقة ، ما سمع علو همة الا تعلق بها ، ولا تحلى بحلية إلا وطيء بسنامها ، مع توقير الكبير ، واحترام الصغير ، وإكرام الفقير ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وكانت رغبته فـي حضور جنائز الغرباء أزيد فـي الاهتبال ، متحمل الاذاية من الخلق حتى أنه صلى ذات يوم صلاة الجمعة ، ووضع بين يديه كتاب (دلائل الخيرات) بخط سيدي عبد العزيز الحـرار رضي الله عنهما ، فلما قضيت الصلاة جعل رجل يده على الكتاب ورفعه ، فظن أنه ينظر فيه فقال للرجل : وهل قضيت أربك من الكتاب ؟ فقال له : إن الكتاب لي وأغلظ عليه فقام وتركه ، ومع ذلك زاد في الافحاش عليه، فعرفه به بعضهم، فقال الشيخ : ما لقيت أشد علي من التعريف بي ، ثم ذكر في الباب الثالث أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم للمترجم بالخروج للناس ، ثم خطب بذلك وبشرهم بأن الله تعالى شفعه فهم .

وأنشد في ذلك قاسم قصيدته التي أولها :

دوي بظهور المرتضى البر والبحر ونارت به الاركان والشمس والبدر

ثم ذكر أوراده وانه يقرأ في الصبح حزب الفلاح ، ثم حزب البحر ، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبع .

وأنشــد :

الله أكبر ما أبهى محاسنــــــه | منها عليها لها أقوى البراهيـــن
قد جمع الله فيه كل مفتـــرق | من المحاسن في روض الرياحيـن

ثم ذكر باقي الوظائف وأنشد أيضاً :

فلو رأيت عدوي حسن منظـــره | ونور وجنته في وقت نفحتـــه
ولو سمعت حنين حسن منطقـــه | ولو لمست حرير كف راحتـــه
أو جاز يوماً عليك فوق موكبـــه | أو جئت ترقبه عند تلاوتـــه
أو كنت صادفت حتى حسن نومته | لكنت تقسم بالمولى وقدرتـــه
عليه انه فرد في محاسنـــــه | ولا له في سنا الأغواث من مثـــل

وقال أيضاً :

إذا ما أراد الله اظهار فضلــــه | على عبده بين الخلائق واجتنبـي
يؤيده فضلا ويخلق نعمـــــة | وينسبها إليه فعلا ومكسبـــا
فما هو الا فضله وعبيــــــده | بذا قام برهان العقول فمرحبـــا
وتوفيقه بالشكر أكبر نعمـــــة | وفي شكرها شكر وشكره قد ربـا
فلله در القائمين بحمــــــده | حمدناه تعليما لنا ومؤدبـــا
إذا العبد عن حمد القديم لعاجــز | وعلمه كيما يكون مقربــــا
فنشكره حمداً ونحمده شكــــراً | ونشهد أن الكل منه تحببـــا
وأعظم فضل الله بعث مخمـــــد | إلينا وآمنا به متغيبــــــا
وانا لفي حال كأنه بيننــــــا | وآيته نتلوها وحياً مرتبـــا
قد أوجبه المشهور وارثه الـــذي | به هذب الله السلوك وقربـــا
فلا جرم ان الله ذخره لمـــــن | يكون برأس الألف مثلى مغربـــا

الى آخره . . .

وقال أيضاً من قصيدة :

بادر أخي لمن ضاء الوجود بـــــه	نعم الوسيلة للمولى لمن عقـــــلا
يأويك سيدي للمولى بلا تعـــــب	اما قسيم فلا يبغى به بـــــــدلا

وله وترية فيه على عدد حروف المعجم في كل حرف ثلاثة عشر بيتاً مجموع أبياتها ثلاثمئة بيت وسبعة وسبعون بيتاً .

وقال فيه أيضاً :

ياسيدي أشرف المولى مكانتـــه	في الحلم والعلم والاخلاق والكـرم
والعلم همتكم والحلم حرفتكـــم	والعفوَ شيمتكم في كل مصطـــدم
كيف الثناء عليه بعد ما شهـــدت	به عليك عدول الحلم والحكـــم
أثنى عليك الكريم بكرامتـــــه	في كل فعل وقول غير متهـــــم
عليك مني سلام الله متصـــــلا	بكل وقت وحين غير منفصـــــم
ثم الصلاة على المختار سيدنـــا	محمد وعلى أصحابه الكـــــرم

ثم ذكر في الباب الخامس كراماته وأبلغها الى مئة كرامة ، منها ما وقع له في نفسه ، ومنها ما رواه عن غيره ، منها أنه كان قبل اتصاله بحبله المتين من المنقطعين المعترضين على أهل هذا الشان ممن استبعد الخير عمن عاصره ، ثم قال : فــ (دلائل الخيرات) كان بين أظهرنا لم نختمه قط ، ولو في طول مدة حتى ظهرت فينا مادته ، فكان من فضله علينا ما لا ننكره ، وبعد كتبت منه نسخاً عديدة ، بعضها الآن بمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وختمناه في يوم واحد مراراً عديدة ختماً يشهد بخرق العادة ، وقد كتبت أزيد من نصف في يوم واحد ، الى آخره .

ومنها ما نقله عن غيره ، وهم الولي الصالح سيدي محمد بن مسعود ، والفاضل المحب المجتهد سيدي محمد بن سعيد الورتاني ، وسيدي علي بن سعيد العكاري ، وسيدي عبد القادر ابن الشيخ سيدي أبي عمرو ، والمحب الصالح سيدي عبد الله بن مبارك ، والفاضل الناصح المجتهد سيدي أحمد بن سيدي محمد الزروالي الشريف الحسني ، وسيدي علي بن فاتح ، وسيـدي الحاج محمد بن علي النظيفي ، والمرابط سيدي علي بن الحسن المراكشي ،

وسيدي محمد بن الحسن ، وسيدي أحمد بن بركة المنتصر ، والعارف الاوحد المجتهد الامجد الحاج الابر سيدي علي بن محمد بن محمد بن مهدي الندرومي ، وسيدي عبد الله بن عبد الحق المراكشي ، والحاج سالم بن عبد الله ، وسيدي سعيد بن علي المراكشي ، وسيدي قاسم بن عبد الله الآسي ، وسيدي عبد الرحمان بن عبد الكريم ، وسيدي محمد بن عبد العزيز ، والفقيه الأجل السيد الأفضل سيدي محمد بن عبد الرحمان القسطالي ، والاخ الصالح سيدي حسين بن عبد الله الزداغي ، والمحب المجتهد سيدي أحمد الايسي ، والفاضل المجاهد العدل الحاج سيدي عبد الحق التادلي ، والحاج الأبر المجتهد الانور سيدي قاسم بن أحمد الوداني ، وسيدي أحمد المزواري ، وسيدي علي بن سعيد الصنهاجي ، والفقيه الأجل المدرس الاحفل سيدي محمد بن عمر وغيرهم .

649) **محمد بن علي الدادسي** ، له سند صحيح وأخذ وسماع ، وله حفظ للقرءان العظيم ، سمع عن ابراهيم الصفوي المقدسي ، عن زكرياء عن ابن حجر ، وعن زين الدين المرصفي ، عن ابن حجر أيضاً ، وعن أبي عمران موسى النشار ، عن يوسف الشريف عن الجلال الاسيوطي ، وأخذ عنه أبو العباس ابن القاضي ، وأجاز له .

ولد سنة اثنين وعشرين وتسعمئة ، وكانت اجازته له في منزله من مراكش المحروسة بازبزط ، في سابع عشرين الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) ، وقال في (لقط الفرائد) : توفي بمراكش المحروسة في شوال سنة تسع وتسعين وتسعمئة ، انتهى ، وهذا مناقض لقوله سابقاً إنه أجازه في 27 حجة من العام المذكور .

650) محمد بن محمد التواتي

محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي ، له سند صحيح ورواية وسماع صحيح ، له مشاركة في الحساب والفرائض ، أخذ البخاري عن محمد بن أبي

بكر بغيغ ، عن أبي عبد الله أنزغ محمد التارختي ، عن القلقشندي عن ابن حجر قال أحمد ابن القاضي في (درة الحجال) : تدبجت معه ، أجاز لي وأجزت له ، وأخذ عني الحساب والفرائض بمراكش المحروسة .

ولد سنة احدى وأربعين وتسعمئة .

651) **محمد الحاج أدركو** الفقيه المراكشي ، له مشاركة في النحو ، ويستظهر مختصر خليل ، أخذ عن أحمد المنجور وعن جماعة من أهل عصره ، كان حياً سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) .

652) **محمد بن علي ابن الزبير** كاتب زيدان بن أحمد المنصور ناظم أديب ، ونظمه لا بأس به ، ولد بعد الستين وتسعمئة ، كان حياً سنة تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (درة الحجال) .

653) **محمد بن عمر بن قاسم الشاوي** الأديب الناظم الناثر اللوذعي الفكاهة الكاتب البليغ ، وهو القائل في هجو العدول :

إن العدول الذي جاء الزمان بهـــم عن العدالة والتوفيق قد عدلـــوا
أحداث سن وأحلام كسنهـــــــم تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

وقال يخاطب أحمد المنصور :

فخر الخلائف ان عبدك واثـــق بالنجح من علياكم ومحقـــــق
فنوالكم عم البسيطة كلهـــــا لم يبق معه في البرية مملـــــق
فالغرب يرفل في ثياب جمالكـــم وجلالكم يرتج منه المشـــــرق
امطر عليّ سحاب جودك ثـــروة وانظر إليّ برحمة لا أغـــــرق

ولقـي أحمد ابـن القاضي بتانسيفت خـارج مراكش ، في محلـة مخدومه وأنشده كما ذكر في (المنتقى المقصور) وقال فيه : ومن كرم مولانا ان ابن عمر الكاتب الذي يأتي ذكره ان شاء الله أنه طلع عليه خمسون قنطاراً من عشر الزيت في سنة من السنين ، فكتب له هذه الابيات ، فترك له أعشار زيته ما دام حياً ، والابيات هذه :

أبحر الندا خير الملوك سجيـــة ... وأكرم ... قبر

لقد سرت في الاسلام أحسن سيرة ... وخصصت بالنصر العزيز المـؤزر

أمولاي لاحظني بجودك أننـــي ... فقير نوال من لدنك موفـــر

فهذا زمان الزيت قد جاء مقبـلا ... ولي رغبة فيه بغير تنكـــر

فمنها أشتعالي في الدجى وتطيبي ... ودهن طعامي ثم منها تعطـــري

لأني بليد الطبع اشتاق ريحهـا ... ففي الزيت يامولاي مسكى وعنبري

انتهـى .

ولما قتل الناصر فرح المنصور وقال فـي ذلك المترجم كما فـي (النزهة) :

تهنا أمير المومنين فقد جـــرت ... لسطوتك الاقدار جري السوابـق

وذاك الذي قد خيب الله سعيــه ... تردّى فلم تنفعه نصرة مـــارق

أضاءت لك الايام واحلولكت على ... عدوك وارتجّت رؤوسُ الشواهق

فكان كما قد قيل لكن رأســه ... أتى سابقاً والرجل ليس بسابـق

أشار إلى قول بعضهم في الوزير ابن الفرس وقد رآه منكوس الرأس مصلوباً :

لقد طمح المهر الجموح لغايـــة ... تقطع أعناق الجياد السوابـــق

جرى فجرت رجلاه لكن رأســه ... أتى سابقاً والرجل ليس بسابـــق

انتهى .

تنبيـه

ابن عمر الكاتب هـذا غير ابن عمـر الكاتب المذكور في (جـذوة الاقتباس) نقلا عن ابن الابار ، فهذا الثاني توفي عام ثلاثة وستين وخمسمئة .

654) **محمد بـن علي الهـوزالي** الفقيـه الأديـب الناظم الناثـر ، أجازه الامام المنجور بفهرسته مع أحمد ابن القاضي ، ذكره في (المنتقى المقصور) وهو من الادباء الذين حضروا مع المنصور زيارة أغمات ، وذيلوا أبيات الحميدي الرائية المتقدمة في ترجمة عبد الرحمان العنابي .

قال المترجم :

أيا تحفة الدهر يانا ظــــــره ... وطرفة أيامه الزاهـــــــــره

وبدر العلوم التي قد نضـــــــت ... دجى الجهل أنواره الباهــــــره

ومن كرعت في رياض المعانـــي ... له فكرة بالذكا ساهـــــــــره

انظمك أم قرقف بابلــــــــــي ... ولفظك أو نفثة الساحـــــــره ؟

تعلل أرواحنا مذ غشانــــــا ... بأرواح روضتك الباهـــــــره

أمن دارن قد سرى موهنــــــا ... أم ارتاح اخلاقك العاطـــــــره ؟

فككتم به عن أسارى القوافـــــي ... قيوداً بأرجلها دائـــــــــره

فلا زلت ياشيخنا نهتــــــــدي ... بنورك في الليلة الساهــــــره

والمترجم يعرف بالنابغة ، ولما مرض المنصور في جمادى الاولـى سنة سبع وثمانين وتسعمئة مرضاً مخوفا ، وطال به حتى كادت الامور تختل ، ثم تداركه الله على يـد الحكيم الماهر محمد الطبيب ، ولما أبل مـن مرضه ، أحسن إلى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى ، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً .

وفي ذلك يقول المترجم :

تردى اذى من سقمك البر والبحر ... وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر

وبات الندى خوفاً عليك مسهـــدا ... واصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر

فلما أعاد الله صحتك التـــــي ... أفاق بها من غمه البدو والحضـــر

تراءت لنا الدنيا بزينة حسنهـــا ... وعاد الى ابانه ذلك البشـــر
وصار بك الاسلام في كل بلـــدة ... يهني ويدعو أن يطول لك العمـــر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالهـــا ... وعادت الى الايناع أغصانها الخضر
ولاغرو ان ضاقت على سمط الندى ... إذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
لبيت أبي العباس انضت عجافهـا ... قديما فخافت أن يعاودها الضـــر
لئن صدئت بيض المعالي لقد غدت ... تشىء الكماة البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمي ذمـــاره ... ويحميك رب العرش ما بقي الدهر

ذكره في (النزهة) (1) .

655) محمد بن عبد الرحمان الوزروالي

محمد بن الشيخ الصالح عبـد الرحمان بـن يوسف الوزروالي ، قال فـي (الممتع) : وأمـا حفدة اخوة الشيـخ الغزواني رضـي الله عنـه وعنهم أجمعين منهم : الشيخ محمـد الوزروالي المعروف ببلاده بابن الفقيرة صاحب التآليف في العشق وغيره ، من أصحاب سيدي أبي عمرو المراكشي ، ووجدت بخطه في تمام نسخ كتابين وأكثر بخطه : انه شريف حسني ، كتب فيه جدى للأم : الشيخ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، فيما وجدته بخطه : شيخنا وقدوتنا ، الشيخ الامام ، الاستاذ المقريء المجاور بالحرمين الشريفين ، الولي الصالح الصوفي العارف بالله تعالى ، جمال الدين محمد ابن الشيخ الصالح عبد الرحمان بن يوسف الوزروالي رضي الله عنه وعنا به .

ثـم ذكر أنـه روى الوظيفة الزروقية عـن الشيخ محمـد الخروبي تلميذ الشيـخ زروق ، عن الشيخ محمـد بركات الحطاب عـن والده الشيـخ محمد بن عبد الرحمان عن مؤلفها ، وقـال فيه في مواضع : شيخنا محمـد

---

1) نزهة الحادى ص 75 .

وينظر عن محمد بن على الهوزالى درة الحجال 2 : 333 ع688 .

الوزروالي ، وقال فيه أحمد بن أبي محلى : العالم الاستاذ ، الذي عن حوض الحقيقة والشريعة لا يذاد ، وعلى قدره الشريف لا يزاد :، ثم عظم أمره ، وأن الحطاب المالكي لا يجهل قدره .

ثم قال : وأما الوزروالي المذكور فتلميذ الشيخ أبي عمرو أيضاً ، ولكنه ربما أخذ عن الغزواني فيما يقال وكأنه أدركه قبل اجتماعه بأستاذه الأخص أبي عمرو ، فلذلك قال هو في نظمه : وشيخنا الغزواني والقسطالي بتقديم الأول على الثاني .

ثم قال : وقوله رضي الله عنه فيه بالرجال كأنه عرض فيه باسمه بالوزروالي ، فتوارى بجدار التلويح ، في معرض التصريح ، لعل لبيبا من الفقراء يومئذ يتفطن لها فيقول :

توسلي لله بالزروالي وشيخه الغزواني والقسطالي

وما قدر ذلك والله أعلم بمراده .

ثم قال : انه كان نحويا جامعا للقراآت بالطرق العشر ، وله قدم في العلم ، وتقدم لحضرة فاس في طريق القوم ، بعد وفاة شيخه أبي عمرو ، ثم شرق وجاور بمكة المشرفة حتى توفي بها رضي الله عنه .

وله منازلات مع الحطاب المالكي أيده الله فيما يوثر ، وكذا أيضا له صحبة مع الشيخ الشطيبي رضي الله عنه،وكان الوزروالي رضي الله عنه صاحب كشف وفراسة نافذة ، حدثني بذلك تلميذه وأخوه الامين السيد عمر بن عيسى السلماني وهو أوثق من لقيت بزعير من الافراد أصحاب الشيخ أبي عمرو رضي الله عنه انتهى .

وذكر في (الجذوة) لدى ترجمة محمد بن علي الخروبي أنه عاين إجازته لشيخه محمد الحضري الوزروالي ، والمؤلف المسمى (شمس القلوب ، لكل محبوب) مجلد في مناقب الشيخ الاكبر سيدي أبي عمرو، للعلامة سيدي محمد الزروالي ، ومنه لخصت ترجمته فيما يأتي .

وقال في (شمس المعرفة) : محمد الزروالي الشريف الحسني ، الفقيه الاستاذ المشهور بين العباد والزهاد المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد ، من تلامذة الولي الصالح سيدي أبي عمرو المراكشي .

656) **محمد بن مسعود المراكشي** ، الولي الصالح الهمام الأمام ، أحد شيوخ الوقت من القرن العاشر الكرام من تلامذة الامام أبي عمرو القسطلي المراكشي .

ذكره في (شمس المعرفة) ونقل عنه كثيراً في كتابه المذكور وأثنى عليه .

657) **محمد الساعي نزيل مراكش**

أخذ عن عبد الحق بن أحمد المصمودي السكتاني المتوفي سنة خمس وخمسين وتسعمئة المترجم شيخه المذكور في (فهرسة المنجور)، و (الجذوة) ، و (الدرة) ، و (النيل) ، و (السلوة) .

658) **محمد بن أحمد الحلفاوي** الفقيه الأرضى الأعدل ، قال : خرجت مسافرا لزيارة أخ لي بثغر تاغزا راكبا على فرس لي من عتاق الخيل ، فبينما أنا في أثناء الطريق إذ ظهر لي خنزير في الغابة ، فحملت عليه ، فلم أزل في اثره حتى غاصت رجلا الفرس في دهسة عظيمة ، فنهمت (1) عليه فزاد، فلم تزل الأرض تاخذها شيئاً فشيئاً حتى ابتلعت الأرض بعض اكتاف الفرس ، وتيقنت الهلاك لا محالة ، وان ذلك الموضع قبر الى يوم القيامة ، فبكيت وناديت بأعلا صوتي : ياسيدي أبا عمرو ! قال : فبينما أنا أنظر في أجزاء الارض تبلعه شيئاً فشيئاً ، واذا أنا بالشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنه ، أنظر اليه بعين رأسي نظرا لا أشك فيه حققته بعيني ذاته وهيئته كما تركته بمراكش ، فأخذ عنان الفرس ، وجذبه ، واذا به تزحزح مرة

1) قال في **القاموس** : ونهم ابله كمنع وضرب نهما ونهيما ونهمة زجرها بصوت . انتهى . وراجع شرحه ص 81 ج 9 (مؤلف) .

ثم مرة ، فاذا به على وجه الأرض ، فتقدم السيد أمامه على مسرب صغير وسط تلك الدهسة ، وقد نبت فيها النجم وتماسك بعضه ببعض ، والفرس سائر عليه حتى خرج بنا الى طرف الجادة ، فكأني كنت نائماً حين ظهرت بالطريق فلم أبصر سيدي أباعمرو ، نعم الرفيق شيخ الاغاثة والتوفيق ، وامام أهـل المكانة والتحقيق .

وبهذا تفهم قوله :

مريدي حيث كان شرقاً ومغربـاً وجوفاً وقبلة في حرز حمايتـي
وان أمنى في البعد كنت أمامـه وكنت له حصناً حصيناً وجنتـي

نقله الزروالي :

659) **محمد بن عبد الرحمان المراكشي** ، السيد المجاهد ، المحـب المقدم في الفضائل على كثير من التلامذ للتربية وتوصيل الفوائد .

قال : قرب ظهور الغوث الكامل سيدي أبي عمرو أنه واقف من البحر على الساحل ولا نهاية لوصف ذلك البحر المهول ، وأنا متيقن إذذاك أنه بحر ولي مكمل ورأيت فيه صبية صغارا أعد منهم جملة منهم : المؤلف الشريف الحسني سيدي محمد الزروالي . قال : فقلت أن البحر بحر الشيخ القسطالي سيدي أبي عمرو وهؤلاء صبية صغار ، ولم يدركوا الشيخ حتى يدخلوا هـذا البحر الزخار ، فبينما هو يتبع ما رأى إذ نودي الشيخ الكامل المكمل بالغوثية الكبرى ، فهرول اليه الشبان من كل حـدب تترى ، فاتضح للرائي صـدق رؤيته ، فكان من السابقين لقسمته ، والحمد لله على كمال منته .

وكان الشيخ سيدي أبو عمرو طلب من الحق هداية شبان عصره لما رآهم عليه من سوء أحوالهم ، فأجاب الله دعوته ، حتى لا تسمع بعد ظهوره الا مَن يقول الله : أو ما يقرب من الله ، وانتشرت أوراده وفوائده .

ذكره الزروالي في مناقبه .

660) محمد (حمو) بن أحمد الطاهري الحسيني

محمد المدعو حمو بن أحمد بن علي الحسني الطاهري المراكشي سلفاً ، الفاسي دارا وولادة ونشأة ، كاتب نائب فاس أحمد ولد السلطان سيدي محمد الحاج البكرى الدلائي ، ولما بنى روضة الشيخ سيدي محمد بن عباد شارح (الحكم) ، طلب الشريف المذكور منه أن يصرف عليه ما يوتي به للضريح المذكور من الصدقات ، فأجابه الى ذلك وصرفه عليه ، وكتب له به ظهيراً يبقى بيده وبيد عقبه ، وهو أول من صرف عليه هذا الضريح ، لأنه قبل البناء عليه لم يكن مقصودا لذلك ، وأول من دفن من الشرفاء الطاهريين بهذه الروضة سيدي محمد المذكور ، واستمر دفنهم من بعده بها إلى الآن وحتى الآن .

ذكره في (السلوة) .

661) محمد بن أحمد السالمي الفقيه الفرضي الحيسوبي القاضي ، أخذ بفاس عن عبد الحق المصمودي السكتاني ، وعن القاضي عبد الواحد الونشريسي ، وعن علي بن هارون ، ومحمد اليسيتني وغيرهم ، وذكره المنجور فيمن أخذ عنهم وأخذوا عنه .

كانت له معرفة بالمنطق والفقه والاصلين ، وارتحل الى مراكش ، فأقام بها وولي الفتوى بها مواظباً على العلم وتقييده ، وتجويد القرآن الى أن توفي بها سنة 1002 اثنين وألف ، وقيل سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في (الجذوة) ومنها نقلها في (نشر المثاني) ، وترجمه في (الصفوة) والحضيكي في طبقاته .

تنبيه

الشيخ محمد السالمي الأستاذ المقريء بفاس ، الصالح الناصح المتوفي فام 1123 المذكور في (النشر) ليس هو المترجم ، فبين وفاتيهما نحو 121 .

662) **محمد بن مبارك الزعري** ، دفين تستاوت الشيخ الرباني ، مــن مشاهير الأولياء وأكابر أهل الخصوصية .

قــال صاحب (الاصليت) : ان الشيـــخ ابن مبارك صاحب فائــدة ومائدة ، الصادرة والواردة ، مع أنه أمي ، وقد كان في شبابه يحاول القراءة بمكناسة الزيتون ، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياه ، فقــال له : انك لن تقرأ ولكنــك شيخ فاخرج ! فخرج لباديته ، ولا يعــلم تاويل رؤياه ظاناً مشيخة القبيلة ، فكان يزاحم رؤساءها ليتقدمهم عند السلطان الى أن سرت إليه رحمة رحموتية ، وحضرة جبروتية ، من قبل مراكش ، فبايع شيخ الحقيقة أبا عمرو بعد مشاهدة حقيقية خارقة ، ومنازلات ذوقية فائقة ، انتهى .

ويقال أن سبب ذلك أن عرب زعير لما ذهبوا الى سيدي أبي عمرو وصحبوه ، قال لهم : من أتى بها كلها ذهب بها كلها ، فظنوا أنها الصحبة ، وكان صاحب الترجمة الى الآن ما صحبه ، فلما رجعوا من عنده وتحدثوا بقوله ذلك ، سمعه صاحب الترجمة ، فجمع جميع ماله من ماشية وزرع وغيرهما ، حتى القدر التى كان يطبخ فيها ، وذهب بذلك كله هو وزوجته الى الشيخ أبي عمرو ، وقال له : ياسيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت ، وقد أتيت بها كلها ، فقال له وأنت قد ذهبت بها كلها ، فامتلأ منه مدداً ، فرجع وقد نــزل به حال عظيم حتى كان يحمل على أربعة أبعرة ، اذا عيي جمل حمل على آخر لثقل ما نزل به .

وكان رحمه الله اعجوبة في دقائق التصوف ، وابداء أسرار كلام القوم مع كونه أمياً ، وشاع له في المغرب صيت عظيم ، وقصده الناس من الآفاق البعيدة ، ولما رجع من عند شيخه شرع في بناء مسجد بالموضع الذي عين له الشيخ لسكناه ، فيقال له : انما صنع محرابا منحرفاً عن القبلة ، فأشار بيده للكدي أن تنتحي حتى يرى الناس مكة عياناً ، فتزحزحت الجبال ، وانخفضت الآكام حتى شهد الحاضرون مكة !

وذكر في (المحاضرات) أن جماعة من أصحابه دخلوا على قطب عصره سيدي محمد الشرقي فقال لهم : ما يقول شيخكم ؟ فقالوا له : انه يقول أهل زماني محسوبون علي أو في ذمتي ، فقال سيدي محمد الشرقي اشهدوا علينا انا من أهل زمان ابن المبارك . وأخباره كثيرة رحمه الله .

توفي ثاني عيد الفطر في الوباء سنة ست وألف ، وقيل سنة سبع ، وقبره مشهور بتستاوت الى الآن .

انتهى من (الصفوة) .

وقال في (الممتع) بعد ذكره وأصحاب سيدي أبي عمرو المراكشي : وكان فياض الحال باهر الخوارق ، مدعى فيه القطبانية .

وفي (المرآة) : وكان جليل القدر شهير الذكر ، انتهى .

خاطبه سيدي محمد الشرقي بقوله :

ياساكن في أرض البـــوادي	لا تتعدش المـــــوارد
اصحب هداة الطريقـــا	تحصل لك الفوائـــــد

فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هـــــذا	إلا من مجذوب سالـــك
يبغي خمرا للرجـــــال	مملوك من الحي مالـــك

وما أجابه الا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب ، فأعجبه جواب سيدي محمد الشرقي واستحسنه ، انتهى المقصود .

وقال في (النشر) نقلا عن (الاصليت) بعد أن ذكر نسب المترجم زعري ، وربما سمعت من أقاربه أو أصحابه أنه شريف ، وما تلقيته منه ولا ممن أثق به ، وان كنت قد صرحت أو لوحت بذلك في غير هذا . فالتحقيق ما هنا ، انتهى .

وترجمه في (الدوحة) أيضا والحضيكي في طبقاته وغيرهم ، ووقفت على تقاييد للمسناوي في نحو كراس ونصف منقولة من خطه رحمه الله ، وكتب على قوله يعني في (المرآة) ومنهم الشيخ محمد بن مبارك الزعري دفين تستاوت المتوفي بها في الوباء في الثاني من شوال سنة 1006 ما نصه :

ذكر أحمد ابن أبي محلي في كتابه (الاصليت) حين عرف بشيخه محمد بن مبارك المذكور أنه سمع من شيخ دهرى من زعير أن سبب تسمية جدهم بزعري أنه كان يحرث على جمل وفرس ، فكان يزجر الجمل بلفظة زع المعهودة في زجر الابل والفرس بلفظ ري المعهودة لزجره ، فلما تكرر ذلك منه لقب باللفظتين مركبتين واشتهر بذلك ، ونسخ اسمه الأول وهو سليمان والله أعلم .

663) محمد بن عبد الواحد الشريف السجلماسي

محمد بن مفتي مراكش عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني السجلماسي ، قال الفقيه الامام أحمد المَقْري في (روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر مَن لقيته من أعلام الحضرتيْن مراكش وفاس) : لقيتهما – يعني المترجم وأخاه أحمد المتقدم – بمراكش ، فشاهدت كلا منهما أريبا برع في فنه ، وجمع العلوم على حداثة سنه ، طلعا بأفق الحضرة بدريْ هالة ، وكل منهما قد انتمى له الفهم الثاقب وانتهى له ، أخذا عن أبيهما وعن أحمد ابن القاضي ، وسيدي أحمد بابا ، وابن أبي النعيم ، وابن عمران وغيرهم .

ومن نظم الأول منهما قوله :

بعثت إلي مع الرسول رسولا ... إذ لم تجد غير الصبا مرسولا
فوجدته يشفي الفؤاد جهالة ... هيهات لا يشفي العليل عليلا

ولـــــه :

يامن غدا قلبي أسير جمالـــــــه ... تفديك نفسي كن لعبدك محسنـا
خلص بجاه الحب قلب متيـــــــم ... غمز الصدود عليه أعوان الضنـــا

وله أيضاً :

قالوا الهلال ما بـــــــــدا ... في يومنا ولا ظهـــــــــــــر
قلت السحاب حائـــــــــل ... ومعه لا يبدو القمـــــــــر

وله وقد وعده وسيم بالوصل ضحوة فأصبحت الحال مغيمة فلم يف :

يا أيها الغيم الذي قد غـــــــدا ... يحجب عن عيني هلالَ الصبـــاح
حجبته عن مقلتي باطـــــــــــلا ... سلط مولانا عليك الريـــاح

ولـــــه :

ياقمراً اعرض عني ولـــــــــــم ... أجد سوى حبه من مقلـــب
هبك تجافيت فابعدتنــــــــــي ... تقدر ان تخرج الحب من قلبـــي

وله أشعار كثيرة وقصائد طنانة في أمداح السلطان المنصور ، وتتبع ذلك يطول .

قال المَقْري : وقد عاجل صاحبيْ الترجمة الحمام ، وكسف بدرهما قبل التمام ، فتوفيا في شهر واحد بالطاعون سنة تسع وألف (1) .

نقله في (الصفوة) ، و (المطمح) ، و (النشـر) ، و (التقاط الـدرر) .

---

1) **روضة الآس** ص 192 ولم يزد المترجمون له على ما أورده المقرى عنه فيها ، انظـر **نشر المثاني** 1 : 57 .

664) **محمد بن يوسف الترغي** بمثناة فوق ، وراء ساكنة ، فغين معجمة ، المستارى ، بيت بني ترغة من قبائل جبال الريف في مجاورة قبيلة بني سلمان ، والمستارى نسبة الى قبيلة مستارة احدى القبائل الجبلية ، الشيخ الامام الاستاذ المُقريء الخطيب المفتي .

ولد بفاس ، ونشأ بمراكش ، وكان أستاذا مجودا ، عارفا بالمقاريء السبعة محققا فيها ، مع المشاركة في غيرها من الفنون ، والحظ التام واستحضار المسائل ، وهو مؤدب أولاد الملوك ، وشدت له الرحال لاخذ القراءة عنه ، وتزاحمت ببابه الركبان ، وعنه انتشرت القراءة بالمغرب بسائر طرقها .

وذكر بعض من يوثق به من تلامذته أن الجن كانت تأتي داره ، وتصطف على قرمودها في صورة الثعابين تستمع منه القرآن اذا كان يجوده للطلبة في دهاليزه ، وكان أولا يخص بالتعليم الأشراف وذوي الجاه ، ويستنكف عن الضعفاء والمساكين ، فأصيب بالعمى ، فكان يرى أنه بسبب تفرقته بين المسلمين ، فتاب الى الله تعالى ، وخفض الجناح ، فرد الله عليه بصره .

أخذ عن الشيخ سيدي رضوان الجنوي ، والامام الخروبي الطرابلسي، وأبي القاسم بن ابراهيم الدكالي ، وأبي عبد الله العدي وغيرهم ، وأخذ عنه محمد بن يوسف التملي ، وأحمد ابن القاضي وغيرهما .

توفي بفاس عام تسعة وألف ، ورئي في المنام بعد موته فأخبر أن الله عز وجل غفر له ولكل من مات يوم موته ، حتى عجوز رجل مكاس سماه باسمه ، كان على المكس بمراكش ، فبُحث عنها ، فوجدت قد ماتت يوم موته كما قال .

ترجمه في (الصفوة) ، و (النشر) وغيرهما (1) .

وقال في (درة الحجال) ما نصه : محمد بن يوسف الترغي الفقيه الاستاذ النحوي ، فقيه مشارك نحوي ، له سند ورواية في الحديث أخذ عن أبي القاسم بن ابراهيم المشنزائي ، وأجاز له في القراءات السبع ، وفي كل ما

---

1) صفوة من انتشر ص 130 .

يجوز له ، وروى عن رضوان بن عبد الله الجنوي ، ومحمد الخروبي ، وله حفظ غزير ، ذاكر للمسائل ، أجاز لي جميع مروياته ، وما رويته منه واخذته فهو في جـزء مسموعاتي عنـه الذي كتب فيه خطه لنا بـذلك ، أبقاه الله تعالى بمنه ، وكان ذلك بباب منزله من درب عبيد الله ، قرب مسجد الشرفاء مـن مراكش المحروسة ، في يوم السبت غرة ذي القعدة الحرام سنة ثمان وتسعين وتسعمئة ، وامتدت القراءة الى المحرم من السنة التي تليها بعدها .

أنشدنـا :

دثر ثيابك في الخريف فانـــه — فصل الردى ونسيمه خطـــاف
يسرى مع الارواح في أجسادهـا — مثل الصديق من الصديق يخـاف

قلت : وقد نسبهما لنا أبو راشد رحمه الله لابي مالك الونشريسي ، واليوم المذكور ابتدأت فيه عليه سرد فهرسة ابن غازي وانشدنا لابن ليون :

وقسم الباجي الاجازة الـــى — قسمين مقتضاهما أن يعمـــلا
وشرطها تمهر المجـــاز — يكون في اللسان ذا امتيـــاز
وشرط من طلبها ليرويـــا — اتقانه عند اذا ما رويـــا
وان يصحح الذي أجيز لـــه — على طريقة الرواة النقلـــة
فهذه جملة ما يعني المجيـــز — بقوله على الشروط اذ يجيـــز

وتاليف ابن ليون هو المسمى بـ (العماد ، في علوم الاسناد) .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهـــم — ان التشبه بالكرام ربـــاح

وأنشدنـا :

لما تبدلت المجالس أوجهـــا — غير الذين عهدت من علمائهـــا
ورأيتها محفوفة بسوى الألـــي — كانوا ولاة صدورها وفنائهـــا
انشدت بيتا سائرا متقدمـــا — والعين قد قرحت بحر مياههـــا
(أما الخيام فانها كخيامهـــم — وأرى نساء الحي غير نسائهـــا)

وأنشدنـي :

بني كثير كثير الذنــــــوب — وفي الحل والبل من كان سبـه
بني كثير يعلم علما لقـــــد — أعوز الصوف عن جز كلبـه
بني كثير دهته اثنتــــان — رياء وعجب يخالطن قلبـه
بني كثير أكول نــــؤوم — وليس كذلك مَن خاف ربـه (1)

وأنشدنـي :

علم الحديث فضيلة تحصيلهـا — بالسعي والتطواف في الامصـار
فاذا أردت حصولها باجـــازة — فقد استعضت الصفر بالدينـار

وأنشدنا لما صافحنا :

صافحتهم متبركا بأكفهـــم — إذ صافحوا كفاً عليٍّ كريمـه
ولربما يكفى المحب تعلـــلا — آثارهم ويعد ذاك غنيمـه

وأنشدنـا :

ان الاجازة قد جاءت مبينـــة — عن الرسول كما صحت عن السلف
قد كان عامله يمضي على ثقـــة — من الذي جاءه في مدرج الصحف
وان يسل فيرويه بلا حـــرج — ولا شقاق علمناه لذى نصـب
أليس قيصر محجوجا بكتبتــه — كذاك كسرى ومن ساواه في الشرف
أليس ما اعلم القاضي بصحتـه — يصحح الحكم فيه غير مختلـف ؟

وأنشدنا لابن ليون :

والله قد خصص هذى الامـــه — بفضل الاسناد فحقق علمـه

وأنشدنـا :

كانت مساءلة الركبان تخبرنـي — عن مدحكم وثناكم اطيب الخبـر
حتى التقينا فلا والله ما سمعـت — اذني باحسن مما قد رأى بصـري

---

1) انها للامام المقرىء ، احد القراء السبعة عبد الله ابن كثير رحمه الله ، أنشدها لـه الامام المقرىء عبد الرحمان ابن القاضى فى كتابه فى رواية ابن كثير بتقديم وتأخير وتبديل ألفاظ (مـؤلـف) .

وأنشدني بدل هذا الاخير :

حتى رأت منك عيني ما وعت أذني ... فوفق الله بين السمع والبصـــر

وأنشدنـي :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمـــي ... فقلبي عندكم أبدا مقيـــــم
ولكن للعيان لطيف معنـــى ... لذا سأل المعاينة الكليـــم !

وأنشدني للسِّلَفي :

ليس على الارض في زمانـــي ... من شأنه في الحديث شأنـــي
علما ونقدا ولا علـــوا ... فيه على رغم كل شـــان

وأنشدنا له أيضاً في آخر عمره :

بالله يامعشر أصحابـــي ... اغتنموا علمي وآدابـــي
ان نذير الموت جاء وقـــد ... حلف ان لا يرحل الا بـــي

وأنشدنا له مجيباً لعياض :

أتاني نظم الالمعي الموفـــق ... يميس اختيالا بين غرب ومشـرق

وفي آخره :

وما ان يعادي عصبة الدين والهدى ... سوى جائر أو ملحد متزنـــدق

وأنشدنـي :

كتاب الله أفضل كل قيـــل ... رواه محمد عن جبرئيـــل
عن اللوح المحيط بكل علـــم ... عن القلم الرفيع عن الجليـــل

وأنشدنا لعبد الوهاب :

يالهف نفسي على شيأين لو جُمعا ... عندي لكنت اذن من أسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسألـــة ... وخدمة العلم حتى ينقضي عمـرى

وذيلهما بعضهم وأظنه له لانه لم يعين قائله ولم اعلمهما قبل :

وثالث ارتجيه لو تيسر لـــــــي كون السعادة لي في سابق القدر

وأنشدنـي :

واجف الجفى وتوق الظلم أجمعـه فليس يسعد الا من توقـــــاه
ولا تذر دعوة المظلوم سائبـــــة لاسيما ان يكن ممن له جـــــاه
إذا تقدمت انسانا بمظلمـــــــة ولم يجد ناصراً فالناصـــــر الله

وأنشدنـي :

من حب عيشا حميدا يستفيد بـه في دينه ثم في دنياه اقبـــــالا
فلينظرنَّ إلى من فوقه أدبـــــاً ولينظرن الى من دونه مـــــالا

وأنشدنـي :

جهلت فعاديت العلوم وأهلهـــــا كذاك يعادي العلم من هو جاهلـه
ومن كان يهوى أن يرى متصـــدرا ويكره لا أردى أصيبت مقاتلـــه

وأنشدنا :

اذا كنت لا تدري ولم تك بالـــذي يسائلمن يدري،فكيف إذن تدري؟
ومن أعجب الاشياء انك جاهـــل وانك لا تدري بانك لا تــــدري

وأنشدنا :

أتانا من الارياف قوم تفقهـــــوا وليس لهم في الفضل قبل ولا بعد
يقولون هذا ليس بالرأي عندنـــا ومن أنتم حتى يكون لكم عـــند ؟

وأنشدني لأبي الطيب :

تريدون ادراك المعالي رخيصـــة ولابد دون الشهد من أبر النحـــل

وأنشدنا :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظــــرا ... بغير عناء والجنون فنــــــون
وليس اكتساب المال دون مشقــة ... تلقيتها فالعلم كيف يكــــون

وأنشدني :

سمعت منه كلمة مهمـــــــــه ... ليس لتارك العلوم همــــه
وانما الهمة للذي أشتغـــــــل ... بدرسها وفهمها مع العمــــل

وأنشدني :

إني سألت عن الكرام فقيل لــي ... إن الكرام رهائن الارمـــــــاس
ذهب الكرام وجودهم ونوالهـــم ... وحديثهم ألا من القرطــــــاس

وأنشدني :

لا والذي حجت قريش بيتـــــه ... مستقبلين الركن من بطحائهـــا
ما أبصرت عيني خيام قبيلـــة ... الا بكيت أحبتي بعفائهـــــا
أما الخيام فانها كخيامهـــــم ... وأرى نساء الحي غير نسائهـــا

وأنشدني لصالح بن شريف الرندي :

أ ر ا د   و ا ر د و ا د ... و د ا   و د ا ر ا

وأنشدني ملغزا في فنار :

ما اسم اذا حذفت منـــــــــ ... ـــه فاءه المنوعـــــــــه
فانه بنت الزنــــــــــي ... مضافــة لأربعـــــــــه

ولما جرى ذكر اللغز فلي في أسم زينب :

اسم الذي نفت عن الطرف الوسن ... إذا تصحفه فقلبه حســــــن
ونصفه زي التقي معظـــم ... عند أولي الفضل ومن يدعى أسن

وان أزلت صدره فما بقـــــــي — بيت عن المحذوف يانعم السكـــن
وآخر ان زال زين للفتــــــــى — علم به يدعي من أرباب الفطـــن
رتبت تصحيفاً له في مقولـــــي — وهو رشا اسكن في قلبي الحـزن
تالله قد أبديت ما أخفيتـــــــه — من لغز أحلى من الشهد العســـل

ولنرجع الى شيء من انشاداته ، أنشدني :

مالقة حببت ياتينهــــــــــا — الفلك من أجلك ياتينهـــــــــا

وأنشدنا مما قيل لابن خاتمة في الاستخدام :

أشمس الغرب حقا ما سمعنــــا — بأنك قد سئمت بها الاقامــــه ؟
وانك قد عزمت على طلـــــوع — الى شرق سموت به علامــــــه
لقد زلزلت منا كل قلــــــب — بحق الله لا تقم القيامــــــه

وأنشدنا :

الناس مثل حبـــــــــاب — والدهر لجة مـــــــــــاء
فعالم في طفـــــــــو — وعالم في انطفــــــــاء
وبين هذين أمـــــــــر — مدبر في السمـــــــــاء
اما نعيم مقيـــــــــم — أو نار دار شقـــــــاء

وأنشدنا :

ولله قوم كلما كان مجلـــــــس — رأيت وجوها كلها ملئت فهمــــا
اذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلـــــة — ويزداد بعض الناس من بعضهم علما

وأنشدني :

كتبي لأهل العلم مبذولـــــــة — أيديهم مثل أيدي فيهــــــــا
أباحنا أشياخنا كتبهـــــــم — وسنة الأشياخ نحييهـــــــا

وأنشدنا :

نحن بني المكـــــــودي أهل التقا والجـــــــود
نكر في الاعـــــــادي ككـــرة الاســــــود

وأنشدني للمكودي في ابن حياتي ، وهو أول من أدخل المرادي مدينة فاس المحروسة :

لكن كبار أهل هذا العلــــــم يدرون تحقيقي له وفهمــــــي

وأنشدنا :

وتأمل الفقه الذي تفتي بــــــه لا خير في فقه بغير تدبـــــر

وأنشدنا :

صحيح البخاري واظب علـــــى قراءته واروه في المشاهـــــد
فذاك المجرب ترياقــــــه لدفع سموم أفاعي الشدائـــد

وأنشدني لبعض علماء شالة :

كل العلوم سوى القرءان زندقـــة الا الحديث والا الفقه في الديـــن
والعلم متبع ما كان حدثنـــــا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وأنشدنا : وما يعرف الامثال الا الاماثـــــل

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : انما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضـــل .

وأنشدنا :

صروف الليالي والحوادث أوجبت خضوعي وتذليلي الى غير ذي لـــب
لحا الله أياما لجتني لمعشــــر فراقهم أشهى الامور الى قلبـــي
صحبناهم لما اضطررنا اليهـــم كما اضطر صياد إلى صحبة الكلب
وما أنا الا كالمصلي بقفــــرة اذا لم يجد ماء تيمم بالتـــرب

وأنشدني :

رأيت حياة المرء ترخص قـــدره   وان مات اغلته المنايا الصوائـــح
كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله   كذا تخلق المرء العيون اللوامـح

وأنشدنا :

ترى الفتى ينكر فضل الفتـــى   لؤما وخبثا فاذا ما ذهـــــــب
لج به الحرص على نكـــت   يكتبها عنه بماء الذهـــــــب

وأنشدني :

لا ترفعن صوتك ياعبد الصمـــد   ان الصواب في الأسدّ لا الأشـد

وأنشدنا لابن عمار الميورقي أحد علماء (المدارك) :

ألا فاعلم بان العلم فـــرض   به خص الالاه العالمينـــــا
وبعض العلم في الاعيان فـــرض   وجملة فرضه للعالمينـــــا
متى ما لم تكن من حامليـــــه   تكثر من سواد الجاهلينـــا
وقيمة من ترى في الارض يمشـي   بقدر دخوله في المحسنينـــا
الا أن العلوم لها اتســـاع   فخذ منها من أحسنها فنونـــا
كحفظ كتاب ربك بالمعانـــي   فدارسه تكن في الدارسينـــا
فان لكل حرف منه عشـــرا   من الحسنات ان ألفا ونونـــا
وفقه في الحديث ومـــن رواه   ومعرفة الاصول الراسخينـــا
أصول الدين حققها اعتقـــادا   تريك فضيلة المتكلمينـــا
فكم من فرقة حدثت وكانـــت   ومن ينجو ومن في الهالكينـــا
ألم تر أن من في القبر يبلـــى   فينفعه يقين العارفينـــا
وان يك غير ذا قالوا سمعنـــا   وقلنا مثل قول القائلينـــا
ورتب ما وقعت على خـــلاف   فتعتقد الخلاف وليس دينـــا
أصول الفقه ان فكرت فيهـــا   تريك فضيلة المتفقهينـــا
وأحكام الخطاب وما حـــواه   دقائق من كلام مرقلينـــا
وتقرأ في الدفاتر كل وقـــت   دقائق من كلام الناسكينـــا

وعلم فرائض ومســـــاح أرض ... وتحسب بالبنان كحاسبينـــــا
ومعرفة اللسان على صـــــواب ... غريبا كان أو نحوا مبينـــــا
وقالوا انه لابد منـــــــه ... قبيح بالعليم يرى لحونـــا
وقالوا انه كالملح فيهـــــا ... فلا تقلل ولا تكثر شؤونـــــا
ومعرفة التواريخ والمغـــــازي ... ومعرفة الوقائع والسنينـــــا
ففيها من عجائبها اعتبـــــار ... ونشهدها بفقد الشاهدينـــــا

وهي تنيف على مئة بيت كان بعثها من بجاية يوصي بها ولده .

وأنشدنـا :

وقال علي بن أبي طالـــــــب ... وهو الامام العالم المتقـــن
كل امرىء قيمته عندنـــــــا ... وعند أهل العلم ما يحســـن

وأنشدني :

ان علم الحساب علم جليـــــل ... وعلى دقيقات الامور دليـــــل
لولا الحساب وعلم كل فريضة ... لم يعرف التحريم والتحليـــــل

وأنشدنا :

صلاة وصوم ثم حج وعمـــــرة ... طواف عكوف وائتمام مكمـــــل
اذا قطعت عمدا لغير ضـــــرورة ... أعيدت لزوما كيف عد المحصـــل
خليل حكى ذا النقل في شرحه الذي ... يحق لذى لب عليه يعـــــول

وأنشدنا :

فليت لنا من ماء زمزم شربـــــة ... تكون لنا أمنا لدى موقف الحشـــر
فياحبذا ماء لما قد شربتـــــه ... كما صح في أخبار صدق بلا نكـــر

وأنشدنا له :

اذا أبرز الدهر حبرا تجيبـــــا ... فكن في ابنه سيىء الاعتقـــاد
فلست ترى من نجيب نجيبـــــا ... وهل تلد النار غير الرمـــــاد

وأنشدني لغزا في البيض :

الا خبروني أي شيء رأيتم ... من الطير في أرض الاعاجم والعرب
وليس له لحم وليس له دم ... وليس له ريش وليس له زغب
ويؤكل مطبوخا ويؤكل باردا ... ويؤكل مشويا اذ دس في اللهب
نعم وله لونان لون كفضة ... ولون سطيع فاقع يشبه الذهب
ولا هو حي لا ولا هو ميت ... الا فاخبروني ان هذا من العجب

ولما جرى ذكر اللغز فمما قلته في دينار كتب :

ما اسم له أحرف خمسة ... ولكنها حرفه واحد
اذا زال آخره شرعه ... لمن ربه عالم قاصد
وان ضم قلب لأوله ... فطيب يطيب به الزاهد
وقلبك وعاء لما ... تألم من فعله العابد
وان ضم أوله للذي ... بآخره جوهر ماجد
وان زال قلب فجمع لما ... تفقده الغائب الرائد
وان زال قلب وما قبله ... فمفرد ذا الجمع ياواجد
وان زال قلب وما بعده ... فشيخ النصارى به قاعد
وان زال صدر وما بعده ... فذو لهب ياته المارد
وان نار في مغرسي بعضه ... كما نار دين به ساهد
فلا عجب اذ كلفت به ... فمنه المفاصل والساعد
فحلوا اللغيز وما غيركم ... يجود به أيها الماجد
فلا زلتم تمتطون العلى ... من الدهر ما أمكم قاصد

وأنشدني :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يواطىء بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله ... فاذا أصيب في دينه لم يشعر

وأنشدني :

قف بالديار فهذه آثارهـــــــــم — تبكي الاحبة حسرة وتشوقـــا
كم قد وقفت بربعها مستخبـــرا — عن أهلها أو سائلا أو مشفقهـــا
فأجابني داعي الهوى في رسمهـا — فارقت مَن تهوى فعزَّ المُلتقَـى

وأنشدني :

قف بالمقابر للتوديع ياحـــادى — فان في جوفها قلبي وأكبـــادي

وأنشدني لابن عبد الله الكفيف الذي تقدم في ابن غازي :

حبر تثبت والانصاف شيمتـــه — أكرم به طاب من خلق ومن خلـق
أتى به الدهر فردا لا نظير لـــه — مثل البخاريّ لما جاء بالعتقـــى

وذيلهما ببيت حفظه الله أنشدناه وهو :

وذا بسادس أبواب تقيد فـــي — تفسير يوسف من جامعه العبـــق

وحدثنـا أن الكفيف المذكور كان بمجلس أحمد الدقـون ، فمرت بالمجلس الابيات بحكايتها من ناظميها وهي :

أكثر يحيى غلطـــا — في قل هو الله أحـــد
قام طويلا ساهيـــا — حتى اذ عيا سجـــد
ونسي الحمد فمـــا — مرت له على خلـــد
يزحر في محرابـــه — زحير حبلي بولـــد
كأنما لسانـــه — شد بحبل من مســـد

ثم قال الدقون للكفيف :

ماذا ترى صلاتهـــم — أجب هديت للرشـــد

فقال الكفيف :

صلاتهم كما تـــرى — فلا تسل عنها أحـــد

وأنشدنا :

تعلم الخط واستفـــــــــــده | فان ما بعده عنـــــــــــاء
انظر الى قوله تعالـــــــــى | يزيد في الخلق ما يشـــــاء

وأنشدنا :

تعلم قوام الخط يا ذا التـــــأدب | ولازم له التعليم في كل مكتـــب
فان كنت ذا مال فخطك زينـــــة | وان كنت محتاجا فأفضل مكسب

وأنشدني :

ما الناس الا الكتبـــــــــــــة | حديثهم ما أعجبـــــــــــــه
هم أحرزوا دينكـــــــــــــم | بقطعة من قصبـــــــــــــه

حدثني أن ابن غازي لما نفاه محمد بـن أبي زكرياء يحيى بـن عمر الوطاسي الملقب بالحلو عن مكناسة ، لقيه بواب مكناسة وهو خارج منها قاصداً المشرق ، أعني كان في ظنه ذلك ثم حبسه أهل فاس عندهم ، فقال له يوصيه : يامحمد عليك بالقراءة ، فمن بركتها بلغت هذا المنصب وهذه الخطة ، يعني خطة الجلوس لحراسة الابواب ، فكان ابن غازي يسلي نفسه بعد ذلك بقوله ، وكان أمير فاس يومئذ محمد بن الشيخ بن أبي زكرياء .

أنشدني للكفيف صاحب ابن غازي أبو عبد الله :

ان زماننا هذا دولـــــــــــب | والناس في الحال كأكواســـــه
فممتل يرقى الى غايـــــــة | وفارغ يهوى على راســـــــه

وأنشدني :

هي المقادر فلمني أو فـــــــذر | ان كنت أخطأت فما أخطا القـــدر

وأنشدني :

أفضل ما تثمره الغصـــــــون | فاكهتان عنب وتيـــــــــــن

وأنشدني :

اذا مر لي يوم ولم أكتسب يــدا ... ولم أستفد علما فما هو من عمرى

وأنشدني :

أيحسب المرء أن العلم يدركــه ... براحة الجسم لبيس الامر ما حسبا

وأنشدني :

لمحبرة تجالسني نهـــاري ... أحب إلي من أنس الرفيـــق
ورزمة كاغد في البيت عنـــدي ... أحب إلي من عدل الدقيـــق
ولطمة عالم في الخد منـــي ... أحب إلي من شرب الرحيـــق
وأثر الحبر في ثوبي وكفـــي ... أحب إلي من أثر الخلـــوق

الا أن الاخير لم ينشدنيه .

وأنشدني لمحمد بن أبي الفضل خروف التونسي :

عليك اذا رمت الفروع بأربـــع ... توفوا على الترتيب فى رمز مقولي
فنعمانهم قنا وقعط لمالـــك ... وللشافعي رد أمر ابن حنبـــل

وأنشدني لابن النحاس يرثي ابن مالك :

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعي ... حمرا يحاكيها النجيع القانـــي
فلقد جرحت القلب حين نعيت لي ... فتدفقت بدمائه أجفانـــي
لكن يسهل ما أحِسّ من الأســى ... علمي بنقلته إلى رضـــوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيــا ... يهمى به بالروح والريحـــان

وأنشدني لابن عمار :

وإياك القضاء فثم يـــوم ... ترى فيه القضاة مغللينـــا
نان عدلوا فقد ربحوا وفـــازوا ... وان جاروا فويح الجائرينـــا

وأنشدني :

أيها القاضي تثبـــت ليس في الظنة حكـــم
ان في التنزيل يتـــلا (إنَّ بعض الظن إثـــم)

وأنشدني للزمخشري يهجو أهل السنة :

لجماعة سموا هواهم سنـــة وجماعة حمر لعمري موكفـــه
قد شبهوه بخلقه وتخوفـــوا شنع الورى فتستروا بالبلكفـــه

فأجابه ابن مرزوق :

لجماعة عرفت لعمري بالسفـــه وتمسكت بضلال أهل الفلسفـــه
عدلت عن النهج القويم فلقبـــت عدلية وعدولها عن معرفـــه
ضلت وقالت لن يرى رب الـــورى يوم الجزاء فألزمت نفي الصفـــه
وكذاك أسندت الامور لنفسهـــا هيهات تنقذ نفسها من متلفـــه

وأجابه ابن عرفة :

لجماعة سموا هواهم معـــدلا وجماعة حمر ولكن موقفـــه
قد شبهوه بالمحال وعطلـــوا وتستروا بالذات من نفي الصفـه
طلب الكليم لها دليل جوازهـــا اذ يستحيل عليه نفي المعرفـــه
ورد الحديث مصرحا بوجودهـــا ويل لمن كذبه أو حرفـــه

نقل الأبيات في قوله لن تراني فانظره .

وأنشدنا في أن تارك الصلاة لم يقتل خلاف ما عند خليل :

خسر الذي ترك الصلاة وخابـــا وأبى معادا صالحا ومآبـــا
ان كان يجحدها فحسبك أنـــه أضحى بربك كافرا مرتابـــا
فالشافعي ومالك رأيا لـــه ان لم يتب حد الحسام عقابـــا
أو كان يتركها لفرط تكاســـل غطى على وجه الصواب حجابـــا
وأبو حنيفة قال يترك مـــرة هملا ويحبس مرة إيجابـــا

والشائع المشروح من أقوالـــه	تأديبه زجرا له وعقابـــــا
والرأي عندي أن يؤدبه الامـــا	م بكل تأديب يراه صوابـــا
ويكف عنه القتل طول حياتـــه	حتى يلاقى في المآب حسابـــا
فالاصل عصمته الى أن يمتطـــي	احدى الثلاث الى الهلاك ركابـــا
الكفر أو قتل المكافىء عامـــدا	أو محصنٌ طلب الزنا فأصابـــا

ولقد سألته عن معنى تصانيف الاطراف ، فنقل لي عن ابن حجر في (نخبة الفكر) له انه قال : الاطراف عبارة عن ذكر طرف الحديث الدال على بقيته وجمع أسانيده ، اما مستوعبا أو متقيدا من كتب مخصوصة .

وانشاداته وافاداته أكثر من هذا كله تركناها اختصارا ، وبالجملة فهو حافظ زمانه .

ولد فيما حدثني به أبقاه الله سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة وهو حي من أهل العصر ، ولمـا ودعته عنـد إرادتي السفر قـرأ : « ولقد وصينـا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » الى آخر الآية ، وقال لي ان بعض المحققين كان اذا ودع شخصا يقول له : ان المسافر في ضمان الله ما لم يعصه ، فاذا عصاه خرج من ضمانه ، وعن بعضهم أنه قال : ودعني الحسن البصري ، فقال لي : اتق الله في سفرك ، فعملت بوصيته ، فما رأيت إلا خيراً ، أبقى الله وجوده ، وأدام به النفع ، أنه ولي ذلك والقادر عليه ، انتهى (1) .

وهذه الترجمة وقع فيها اثنا عشر بترا في النسخة المطبوعة .

وقال في (الصفوة) في ترجمة سيدي سعيد بن عبد الله السملالي : ولما مر الاستاذ محمد بن يوسف الترغي المتقدم لزيارة سيدي أحمد بـن موسى استضافه فقدم له طعام الشعير ، فأكله الترغي على استحياء ، وكان الشعير يضر به كثيراً وتنفر منه طبيعته ، فما ضره ولا تأثر به ، فعد الترغي ذلك من كراماته ، وكان يقول ذلك على كرسي اقرائه ، ويثني عليه بالصلاح والبركة ، انتهى .

---

1) **درة الحجال** 2 : 164 ع 638 طبع تونس ، وهذه الترجمة من اطول تراجمها .

وعده في (الجذوة) ممن أخذ عن سيدي علي بن عيسى الراشدي التلمساني نزيل فاس .

وممن ترجمه : الحضيكي في (طبقاته) ، وصاحب (المطمح) ، و (التقاط الدرر) .

664) محمد بن علي الجزولي الأنسوي الشيخ الاستاذ المحقق الكفيف، أخَذ عن الاستاذ الترغي أخْذ إحاطة واعتبار .

قال في (الفوائد الجمة) : قال لي : سنة كاملة أرد بابه للقراءة عليه فيدفعني عنه ، وربما يخرج ويجدني ببابه فيقول : ما زلت ياأعمى لم تقنط ، فيطردني حتى تمت السنة ، وأنا في ملازمة بابه ، ولما أراد الله أن يفتح لي عليه جئته يوم مطر متلوثاً بالطين ، فقعدت في بابه فخرج علي وأدخلني ، وبكى بكاء كثيرا ، فقال : اقرأ فبدأت بالسبع ، ولازمني ، فلم يمض الا قليل ، ففتح الله علي بحفظ جميع طرقه ، وأذن لي في التجويد ، وكتب لي الاجازة عن شيوخه ، وورد علينا بردانة ولم يطل بها مقامه ، ثم رجع لمراكش ، ثم انتقل منها لزاوية شيخنا عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم ، وبقي عنده مكرما الى أن مات في رمضان سنة تسع وألف بالطاعون الواقع في ذلك التاريخ ، ودفن هنالك ، وقبره معروف مزارة ، انتهى .

وسياتي ذكر تلميذه محمد بن علي السجتاني المعروف بالفاسي .

665) محمد بن قاسم القصّار

محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار لقباً ، الاندلسي الغرناطي أصلا وأباً ، القيسي ، الفاسي الدار ، المراكشي المدفن ، الشيخ الامام قدوة الأنام وحجة الاسلام، العالم العلامة، المشارك الدراكة، النسابة الواعية، الحافظ الحجة الراوية المحقق .

قال في (المطمح) : قدم أبو والده من غرناطة لما استولى عليها العدو في سنة سبع وتسعين وثمانمئة في ربيع الاول ، وأخذت من يد محمد بن

أبي الحسن النصري ، وفي هذه السنة كانت وفاة الامام المواق شارح (مختصر خليـــل) .

قال أحمـــد المقري : كان سبب تلقيبـــه بالقصار على ما أخبر بـــه أن رجلا قصارا كان وصيا على بعض أجداده فجرت عليه ، انتهى .

والنسبة بالقيسي معروفة في قبائل ، ففي مضر قيس عيلان ، وفي ربيعة بن نزار قيس بن ثعلبة ، وفيه بطون منها مرة وجرير وجحدر وغيرهم ، والنسب الى قيس هذا كثير ، وفي الازد قيس بن ثوبان ، وفي النخع قيس بن سعد وقيس في البطون كثير ، راجع (اقتباس الانوار) لأبي محمد الرشاطي .

وقال في (مطلع الاشراق) وناهيك بالشيخ القصار رضي الله عنه امامة وجلالة وأمانة وعدالة ، امام شهيـــر وعالم كبير ، سيد علماء زمانـــه وصدر أهل وقته وأوانه ، خاتمة مشايخ العلوم بالاقطار المغربية وامام المحققين في العلوم العقلية والنقلية ، ممن جمع بين جلالة العلم والدين ، ودان له أكابر المهتدين ، وتخرج به غير واحد من أكابر الاعلام وأيمة الاسلام كالشيخ الامام العالم الهمام الولي الشهير العارف الكبير سيدي عبد الرحمان بن مَحمـــد الفاسي رضي الله عنه ، والشيخ الامام ، العالـــم الصالح ، أحمد بن الشيـــخ سيدي يوسف الفاسي ، وأخيه الشيخ الامام ، العالم المتفنن ، محمد العربي رحمهما الله ، والشيخ الامام الفاضل ، العالم العامل ، الصدر الأوحد ، المحقق الأعمد، عبد الواحد ابن عاشر الأنصاري، والشيخ الامام العالم ،الولي الصالح، محمد بن الشيخ الولي الشهير سيدي أبي بكر الدلائي ، والشيخ الامام الأشهر الاستاذ الحافظ الاكبر ، العالم الجليل ، الشهير الشريف الأصيل ، عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي ، والشيـــخ الامام محقق الانام الدراكـــة الفهامة الفاضل الخير الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي ، والشيخ الامام الحافظ، مفتي الحضرة الفاسية، وخطيب جامعها الأعظم، أحمد بن محمد المقْري التلمساني ، الى غير واحد من الاكابر الاعلام ، ومشايخ الاسلام رضي الله عنهم ونفعنا بهم ، كلهم مطبقون على تعظيمه وتفضيله وتقديمه ، يلهجـــون

بتحقيقه ، ويثنون على سداد طريقه ، ويفتخرون بنقل علومه ، ودقائق فهومه ، ويقتدون باشارة مآثره ، حتى كادوا يُصَلّون بنوادره .

اذا قالت حذام فصدقوهـــــا فان القول ما قالت حـــــذام

وكان رضي الله عنه اماما في الحديث مبرزا فيه ، وحيد أهل زمانــه في سائر العلوم مرجوعا اليه فيها ، مشوبا علمه بالصلاح والدين واتباع طريقه، صحب الشيخ الامام المحدث الولي امام أهل الزهد والورع سيدي رضوان بن عبد الله رضي الله عنه ، ولازمه واقتدى به في العلم والدين وانتفع به ، وهو من أجل مشايخه ، كان هذا الشيخ امام الحديث في زمانه صاحب وقته فيه ، وخلف مكانه فيه تلميذه هذا الشيخ سيدي محمد القصَّار رضي الله عنه ، فكان صاحب وقته في ذلك ، ثم جاء بعده تلميذه الولي العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي رضى الله عنه ، كان صاحب وقته فيه ، ثم بعده الشيخ الامام قدوة الانام سيدي عبد القادر بن علي الفاسي رضى الله عنه ، فكان صاحب وقته فيه ، فهي من سيدي رضوان إليه سلسلة ذهب في هذا الشأن لما جمع كل أهلها من الجلالة فى العلم والدين ، والتبريز في علم الحديث ، رواية محدث امام عن محدث امام رحمهم الله ونفعنا بهم .

ولم تزل بقية التحقيق في العلم والتبريز في الحديث في ولد الشيخ سيدي عبد القادر المذكور لهذا العهد ، وفاضلهم فى ذلك ووحيد وقته شيخنا العلامة المحقق سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي أعلا الله قدره ، ويسر لنيل الكمال في الدارين أمره ، وأبقى العلم والبركة فيهم آمين .

وقد سمعت غير واحد ممن قرأنا عليه أن هذا التحقيق في العلم الذي يوجد عندهم ، أعني أولاد الشيخ سيدي يوسف ، إنما هو إرث عن الشيخ القصار رحمه الله .

وكان رحمه الله مع ذلك عارفا بالانساب ، ضابطا للاحساب ، شهيراً في ذلك مقتدي به فيما هنالك خصوصاً انساب الشرفاء ، فقد كان له اعتناء بها عظيم ، سمعت شيخنا وشيخ شيوخنا عبد القادر بن علي الفاسي رضي

الله عنه يقول بعد أن أثنى عليه بالتحقيق في العلوم : كان الشيـخ القصار رحمه الله نسابة عارفا بأنساب الشرفاء ، محققا في ذلك ، لا يقاومه أحد إذا تكلم فيها ولا يقاربه ، انتهى .

وقد رأيت أنا بخطه في (أنساب الشرفاء) مقيدات عجيبة وفوائـد غريبة وتنبيهات فيها وتدقيقات . أنتهى كلامه في (مطلع الاشراف) بنصه .

وقال في (المرآة) لما عد أشياخه : والشيخ محمد بن قاسم بـن محمد بن علي القيسي الغرناطي الأصل ، الفاسي المولد والدار ، المعروف بالقصار ، الامام العالـم المستبحر ، المحقق النظار ، مفتي فـاس وخطيب جامع القرويين بها ، ومحدث المغرب في وقته ، وكان دائم الخشية والخشوع سريع الدمعة ، ذاكرا للموت ، كلامه كله جـد مشوب بالوعظ والتذكير مجالسته روض مزهر ، كثير الفوائد، لازمته سنين عديدة بالمجالسة والاستفادة والمباحثة ، وحضور مجالسه العلمية .

وأنشدني رضي الله عنه يوم رأيته وذلك في أواخر جمادى الثانيـة سنة ثمان وتسعين وتسعمئة :

تمسك بحبل الشاذلية تلق مـــا ... تروم وحقق ذا الرجاء وحصـــل
ولا تعدون عيناك عنهم فانهـــم ... شموس هدى في أعين المتأمـــل

والبيتان للشيخ تاج‌الدين ابن عطاء الله . ذكرهما صاحب (القاموس) مع مخالفة في بعض ألفاظهما ، وأجازني رضي الله عنه في كل ما يصح له وعنه روايته ، وكان يعتقد الشيخ سيدي يوسف ، ويقول بامامته ، ويصدر عـن رأيه ويكتب في حقه سيدي وسندي ، وكان كثيراً ما يدعو لي بقوله : رزقك الله خير الآخرة ، وجعل الدنيا خادمة لك ، وقد رأيت اثر دعائه والحمد لله ، ونسأله الكمال بخير منه ، انتهى (1) .

---

1) مرآة المحاسن ص 208 .

وقال سيدي المهدي في (تحفة أهل الصديقية) : نسبتهما لابن عطاء الله هو الذي في القاموس ، وأنشدهما السيوطي في فتاويه، وفي (تأييد الحقيقة العلمية ، وتشييد الطريقة الشاذلية) ، انهما لسيدي علي بن وفا ، انتهى ، ولم يعرج الشيخ مرتضى على تعقب كلام (القاموس) في النسبة المذكورة ، راجع 388 من ج 7 من شرحه .

ومن أشياخ المترجم سيدي محمد خروف التونسي المترجم في فهرسة تلميذه المنجور ، ومحمد اليسيتني المتوفى بمدينة فاس سنة تسع وخمسين وتسعمئة ، والشيخ عبد الرحمان بن ابراهيم الدكالي المتوفَّى بفاس سنة اثنين وستين وتسعمئة ، وولده الرجل الصالح سيدي أبو شامة ، والشيخ محمد ابن مجبر ، والاستاذ أحمد التسولي .

ولما توفي سيدي يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزي الاندلسي الحميري مفتي فاس وخطيب مسجديها الاعظمين عام سبعة وألف ، كان المترجم بمدينة مراكش ، فكتب له مولاي أحمد المنصور رحمه الله الفتوى والامامة وأحباس سيدي يحيى كما كانت ، فجاء رحمه الله عام دخول الفيل مدينة فاس ، فوصل مصاحبا للفيل يوم الاثنين سادس عشر رمضان المعظم من العام المذكور . ولما كان يوم الجمعة عشرين من رمضان المذكور خطب على منبر القرويين وبقي خطيباً ومفتياً الى موته .

ذكره في (النشر) عن تلميذ المترجم مؤلف (تنبيه الصغير من الولدان) في ترجمة الامام السراج المذكور وفي ترجمة المترجم أيضاً .

وخرج للقاء الفيل المذكور مئة ألف من أهل فاس ، ورأيت في (ابتهاج القلوب) ما صورته : وقد حكاه في (المطمح) عن جده سيدي عبد القادر الفاسي أن المترجم لما كبر سنه واحتاج لتجهيز بنات له ، فاوض تلميذه عبد الرحمان في أن يذهب الى السلطان أحمد المنصور لمراكش ، وكان الكبراء يفدون عليه كل سنة ، فقال له الشيخ عبد الرحمان : ياسيدي ذهب جل عمرك في صحبة سيدي رضوان وخدمة العلم ، والآن تدنسه في مصاحبة

الملوك وأبناء الدنيا وترقع الحلة بالتلّيس ، انظر الى حالة شيخك سيدي رضوان ، وفراره من ملابستهم ومداخلتهم ، فقال : ياسيدي إني لست مثل سيدي رضوان ، فانه كان لا يرى السلطانُ الطرفةَ والفاكهةَ حتى تسبق منه، بمعنى أن الناس يتحببون اليه ويتقربون اليه بكل طرفة إكراما ، قال الشيخ عبد الرحمان : فوقع في نفسي الجواب أن أقول له : لأي شيء كان ذلك ؟ وما سببه ؟ انما هو صدقه مع الله والثقة به ، ومَن كان لله كان الله له . لكني لم أواجهه بالجواب حياء منه وأدباً معه ، فلما رجع الشيخ عبد الرحمان الى الشيخ سيدي يوسف ذكر له ما وقع بينه وبين الشيخ القصار ، فقال الشيخ سيدي يوسف:أما أنا فآمره بالمشي،فان هذا الذي حملته هو حمل الفقير لا حمل الفقيه،ومع ذلك فالناس محتاجون لعلمه ، فاذا لم يظهر الآن فأي وقت يظهر ؟ فأخبر بذلك الشيخ القصار ، ففرح من ذلك ، فجاء من حينه للشيخ سيدي يوسف وشاوره في ذلك ، فوافقه على المشي ، فوفد على الخليفة المنصور فعرف مقداره ومنزلته من العلم ، وأجل رتبته وأعطاه مالا يستعين به على إصلاح حاله ، وولاه الفتيا والخطابة بجامع القرويين ، وتفرقة صدقة المساكين ، وكان عنده بالمنزلة العظمى ، وانتصب للقراءة والتعليم والفتيا ، فنفع الله به مع ديانته ، وغزارة علمه ، وجريه على النهج المستقيم ، والدين القويم .

أخبرني بالحكاية شيخنا الوالد ، وكتبها لي بخطه على نحو ما ذكرنا، وسمعت منه أيضا : أن الشيخ القصار ، كان قد تقدم له سابق يد عند الامير المنصور ، وذلك أنه لما قام قريبه الناصر ، وظهر له صيت ، كتب الشيخ القصار كتاباً للشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون بتاصروت ، وكان متبوعا هنالك ، شهير البركة ، وهو يحضه على الاستمساك بدعوة الامير المنصور ، وأن يلزم الانقياد اليه ، فوقع ذلك الكتاب بيد المنصور ، فصادف له عنده يدا سابقة ببركة اذن الشيخ يوسف ، ودلالته على القدوم عليه ، ولم يزل ابناء وقته ممن دونه يحتالون في تخليته ، لكونه كان من طبقة سابقة عنهم ، فظنوها انقرضت لخمولـه بينهم فاذا هو ظاهر منها فسعوا مرة في تأخيره عند السلطان محمد الشيخ المامون ، وكان أبوه غائبا بمراكش ، فشاور أيضا تلميذه الشيخ عبد الرحمان في الكتابة الى المنصور بذلك ، فقال له : ياسيدي ، هلا فعلت ما فعل شيخك سيدي أبو شامة ؟

وكان أهل وقته لما علموا زهده وفراره من أمور الدنيا ، سعوا في تأخيره ، فاجتمع منهم أعيان وتقدموا الى السلطان في صورة الشفعاء ، وقالوا له : ان سيدي أبا شامة يطلب منك الاقالة لوجه الله تعالى ، فقال السلطان : أما نحن فلا نبغي به بدلا ، ولكـن حيث رغب في ذلك فلـه الاختيار ، فولوا بعزله ، فما بحث قط عن ذلك ، ولا عاد اليه ، فقال الشيخ القصار عند ذلك : لا ياسيدي ، والله لا أسكت ، فاني لست مثله، يعني لما تقدم مما وجهنا به رغبة في ذلك ، فكتب الى السلطان ، فبعث السلطان بنقض ما فعلوا ، وكتب في التوقيع أسفله بخط يده :

« اعلم ولدي ان الشيخ القصار يمت عندنا بموات لا يمت بها غيره ، وانا لا نبدله بمن هو مثله فضلا عمن هو دونه ، فافطموا عنه اطماع ابن عمران وغيره » ، انتهى .

وديانة الشيخ القصار ، وفضيلته في العلم والعمــل مما لا يخفى .

ومما يحكى شائعا انه لما طلبه السلطان زيدان بعد موت أبيه المنصور في اللقاء ، فأزمع سائرا لمراكش وطلب من الله أن لا يلقاه ، فتـُوفي بالطريق ، فرأى رجل بمراكش في النوم كأن قبراً بازاء سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به ، فقيل : لمن هذا ؟ فقيل لرجل صالح ، فمن الغد أصبح الرائي يبحث عن ذلك الموضع ، فوجده يحفر فيه لأحد من وسم بالظلم ، ثم انه أتى به فقيس فيه فلم يسعه ، وتبدل به موضعا آخر ، فلما ورد الشيخ القصار ، دفن هنالك رحمة الله عليه .

وكانت له محبة في جانب الشيخ يوسف وتودد اليه ، واقتداء به ، وتيمن برأيه وبركته ، كما ذكر في (مرءاة المحاسن) .

انتهى كلام (ابتهاج القلوب) .

ومما أنشده صاحب الترجمة فـي بعض مجالس اقرائه عـلى لسان الأبوين يطلبان زيارة الولد في قبرهما :

مرزت بدارنا وصددت عنـــــا ... وما عمرت بالاحباب قلبـــــا
أهذا عهدنا يامن قطعنــــا ... عليه العمر اشفاقاً وحبـــــا

ومما حكاه صاحب الترجمة في فهرسته التى هي في نصف كـراس صغير أنه قيل لفاضل في النوم :

تعلم ما استطعت لقصد وجهـــي ... فان العلم من سفن النجـــــاة
وليس العلم فى الدنيا بفخـــر ... اذا ما حل فى غير الثقـــــات
ومن طلب العلوم لغير وجهـــي ... بعيد ان تراه من الهـــــداة

وكان سوق العلم كاسدا في فاس فضلا عن سائر اقطار المغـرب ، فنفق في زمان القصار ما كان كاسدا من سوق الاصلين والبيان وسائر العلوم ، لأن أهل المغرب كانوا لا يعتنون بما عدى النحو والفقه والقرءان مما يوصـل الى الرياسة الدنيوية ، وكان من قبل هذا القرن فيه أيضاً كذلك وأكثر الى أن رحل اليسَّيتْني الى المشرق فأتى بشيء من ذلك ، ثم ورد الشيخ خـروف التونسي وكان امام ذلك كله والمقدم فيه ، الا أنه جاء من غير كتبه لابتلائـه بالأسر وغرق كتبه في البحر ، ومع ذلك كانت في لسانه عجمة مع ميله الى الخمول ، فلم يقدروا قدره ، وانما أنتفع به الشيخ المنجور ، والشيخ القصار صاحب الترجمة .

وكان للمنجور مشاركة في فنون كثيرة ، وتنقيح عبارة ، ومعرفـة للتدريس ، وكان للقصار عبارة قاصرة مع زيادة تحقيق ، وكمال معرفـة ، وتحرير وغوص على المسائل ، فما انتفع به الا من صلحت نيته ، ولم يثنه عنه عبارة ولا خمول ، واليه والى المنجور مرجع شيوخ المغرب ، مع ملازمة القصار أكثر لانفراده بعده .

وله نظم ، من ذلك قوله :

تسع أبنى منها أولو الـــــــ ... ـأحلام والهمم السميــــــه
إلا بحال ضـــــــــرورة ... تدعو لها من حسن نيـــــة

وهي الشهادة والوســـــا	طـة والحكومة في القضيـــــة
وكذا الامامة والوديــــــ	ـعة والتعرض للوصيـــــه
وكذا الاجابة للطعــــا	م وللولائم والهديـــــه
فسد الزمان وأهلـــــه	إلا القليل من البريـــــه

وسئل الشيخ الامام القصار عما قيل : من ان من ذبح بذبح خطيب الاندلس على ما مر عليه العمل ومشى من السنن كما في التواريخ والعلماء والصلحاء متوافرون لا يجزئه ، وحزن لذلك خلق غاية الحزن على أجورهم وأجور المسلمين ، فأجاب هذا باطل ، نعلم قطعا ان الخلفاء نصبوه للذبح للناس رفقا بهم لان الخلفاء كثيرا ما يتعذر عليهم الخروج فى أول الوقت ، بل في وسطه لتهيئة الجيوش وغير ذلك من أمورهم الكثيرة ، فيشق على العيال وغيرهم الانتظار مع ندب الفطر عليها ، أقول : وأيضا فان اقتداء الخلق الكثيرين المفترقين فى بلدين مستقلين وفى خارج البلدين فى الصلاة والذبح بواحد يشق ، وجرى العمل بتعددها تبعاً لتعدد الجماعة لهذين ، ولأن سامع الخطبة في التعدد يتضاعف وناهيك بها في الشرع يصليها الخليفة وراء آخر في ناحية فاس الجديد لاقتداء أهله والخميس والأرباض والطالعة في الصلاة والذبح ، وربما خرج في أول الوقت ومسألة ابن عرفة التي خولف فيها ليست مسألة خطيب الاندلس لان الخليفة أذن فى الذبح ولم يحضر ، بل مسألة خطيب الخليفة ، فرأى مخالفه أن كل خطيب يعتبر ذبحه لاطلاقهم ورأى هو أن حضور الاصل وذبحه للناس يدل على عدم الاذن له فى الذبح لهم ، فان أذن له اتفقا في الاجزاء وكذا ان لم يذبح الخليفة ، ثم إن صح ما قيل إن البلدين المتقاربين كالمتباعدين على ما يقتضيه قبولهم ، رأى ابن القصار ان ذات الجانبين تصير كالبلدين ، وغير ذلك، فلكل بلد مصلاه ونائبه على البالي كنائبه على مكناسة ، وارتفع التعدد وغيره .

وقال الونشريسي : أي كالبلدين المتباعدين لا يصح ، لانها انما تشبه المتقاربين ، وما له صحة ، لان الجمعة لا تحدث داخل كفرسخ ، وهو محتمل للبلد مع قراه ، لا للبلد مع البلد ويؤيده المثل ، ونهى الحذاق ان يتعرض لما به العمل والسلام .

وكتب محمد القصار .

انتهى من خط تلميذه سيدي علي البطوئي ، ومن خط العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي رضي الله عنهما وعنا بهما ، آمين .

انتهى من خط شيخنا العلامة سيدي المدني ابن جلون .

انتهى من خط شيخنا مولانا محمد بن مولانا جعفر الكتاني رضي الله عنهما وعنا بهما ءامين ، انتهى .

ووقفت أيضا على تأليفه (الروض الزاهر ، في نسب سيدي محمد طـاهـر) .

توفي المترجم رحمه الله في ذهابه إلى مراكش بزاوية ابن ساسي (1) وغلط في (خلاصة الاثر) حيث جعل وفاته بفاس (2) .

وممن يعرف بالقصار أحمد بن عبد الرحمان الأزدي التونسي معاصر الامام ابن عرفة ، وله شرح على البردة وقفت عليه .

666) مَحمد (الحاج) بن أحمد المريئي التلمساني

مَحمد فتحاً المدعو الحاج بـن أحمد بـن محمد بـن علي بـن عبد الرحمان بن مسعود ابن عبيد الله بن محمد الشريف التلمساني — المترجـم في 257 من (نيل الابتهاج) — ابن محمد بن أحمد بـن علي بـن يحيى بـن المعتصم بن محمد بن المامون بن القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد بـن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس الامام رضي الله عنهم .

نشأ المترجم بتلمسان ، ورحل لفاس بقصد قراءة العلم ، ثم انتقل لمراكش ودرس العلم بها ، وأفتى رحمه الله .

---

1) عام 1012 هـ وولد عام 939 هـ .

2) ينظر عن القصار : روضة الأس ص 316 ، ونشر المثاني 1 : 12 ، وفهرس الفهارس والاثبات 1 : 316 ، والفكر السامي 4 : 107 ، وصفوة من انتشر ص 16 ، ودرة الحجال 2 : 153 ع 632 ، وسلوة الانفاس 2 : 63 .

قال في (الدرر البهية) بعد أن ذكر أن أول من حل من هؤلاء الشرفاء بفاس المعروفين بأولاد المريِّي (1) المترجم ما نصه : وكان دخول هؤلاء الشرفاء لفاس حسبما يؤخذ من رسومهم سنة أثنتي عشرة وألف ، وهذا العمود هاكذا في اصدقتهم .

ورأيت في بعض التقاييد ما يخالفه ، والصحيح الاول وعليه المعول ، والله أعلم .

ولم يبق الآن منهم بفاس الا دار واحدة بحومة السياج قرب ضريح سيدي أحمد الشاوي ، وهم أبناء السيد الفضيل ، فانه خلف السيد أحمد ولا ولد له الآن ، وأبناء الفقيه العدل السيد مَحمد فتحا هم : السيد الطالب ، وسيدي محمد ولا عقِب لهما، والسيد الفضيل، والسيد الحسن الصباغ حرفة، وما زال بصفة الحياة، وسكناه الآن بدرب ابن شلوش من حومة رأس الجنان(2) واما ابن عمه السيد الحسن فخلف ولدا واحدا مقعدا وما زال بصفة الحياة ، وقيل هم والحموديون فرع واحد ، والله أعلم (3) .

667) محمد بن عبد المومن السعدي

محمد بن عبد المومن ابن السلطان محمد الشيخ السعدي ، كان خيرا دينا رصينا وقوراً ، ولما دخل عبد الله ابن الشيخ مراكش سنة عشرة وألف ، واستولى عليها وأباحها لجيشه ، فنهبت دورها واستبيحت محارمها ، واشتغل هو بالفساد هربت شرذمة من أهل مراكش الى جبل كَليز ، واجتمع هناك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية ، وأتفق رأيهم أن يقدموا للخلافة المترجم فبايعه أهل مراكش هناك ، والتفوا عليه ، فخرج عبد الله ابن الشيخ لقتال من بكَليز والقبض على أميرهم المذكور .

ولما التقي الجمعان انهزم عبد الله وولَّى أصحابه الادبار ، فخرج من مراكش مهزوما سادس شوال من السنة المذكورة ، وترك محلته وانفاضه وعدته وجل الجيش ، وأخذ على طريق تامسنا ، وامتحن أصحابه فى ذهابهم

1) المريى نسبة الى المرية المدينة الساحلية الشهيرة بالاندلس .

2) درب ابن شلوش ليس من حومة رأس الجنان البعيدة عنه ، بل هو واقع اسفل عقبة ابن صوال واعلى عقبة سيدى محمد ابن الفقيه .

3) توفى المترجم عام 1018 تنظر ترجمته فى صفوة من انتشر ص 85 .

حتى كان مد القمح عندهم بثلاثين أوقية ، والخبزة من نصف رطل بربع مثقال، ولم يزل أصحابه ينتهبون ما مروا عليه من الخيام والعمود ويسبون البنات ، الى أن وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين من شوال المذكور .

وأما المترجم فانه لما دخل لمراكش واستولى عليها ، صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله ابن الشيخ وأعطاهم الراتب، فلم يعجب ذلك أهل مراكش ونقموا عليه ابقاءه عليهم ، وكانوا نحو الالف ونصف فكتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل ، فأتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج المترجم الى لقائه فانهزم المترجم ، ودخل زيدان الى مراكش واستولى عليها ، وصفح هو أيضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله ابن الشيخ .

وذكر في (شرح زهرة الشماريخ) أن هذا الثائر بجبل كَليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أحمد الاعرج والله أعلم .

ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله .

668) **محمد بن علي ابن ريسون** (وهي والدة سيدي علي المذكور) بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحسن بالتكبير بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن ادريس الأزهر،الشريف العلمي اليونسي، نزيل تزروت قرية من حوز جبل العلم بينها وبينه قدر ثلث مرحلة من بني يونس ، عم القطب مولانا عبد السلام ، وغلط صاحب (الدوحة) فنسب من عرف به منهم الى القطب سيدي عبد السلام رضي الله عنه ، فوهم في ذلك وأوقع بعضهم فى الغلط ، وهذه النسبة الى والدة ولي الله سيدي علي بن عيسى اسمها ريسون ثم جرى ذلك على من بعده من ولده ، وانما يتفق هذا فى الانساب وشبهه من الالقاب لسبب من الاسباب ، كأن يكون الرجل له زوجتان يلد مع كل واحدة منهما ، فيميز الناس ولد هذه من ولد هذه بالدعاء بها ، أويكون الرجل قد ربى يتيما في حجر أمه فيشتهر بها ، ويدعى بالنسب اليها كما اتفق للشرفاء أولاد ابن حليمة من أحفاد القطب مولانا عبد السلام رضي الله عنه .

كان المترجم رضي الله عنه ولياً صالحاً، وعلما واضحاً ، فائض الأنوار، سني الاسرار ، غزير البركات ، كثير الكرامات ، جليل القدر شهير الذكر ، حصل به للخلق انتفاع وكثرت عنده التلامذة والاتباع ، صحب الشيخ الامام سيدي عبد الله بن حسين الشريف ، رحل اليه ببلاده مصلوحة قرب مراكش مرارا وأخذ عنه ، ودعا له بخير الدنيا والآخرة ، وهو عمدته وبه تخرج ، وطلب العلم بفاس والمعاشرة بالمدرسة المصباحية .

ومن كرامات المترجم أنه بعث لابي القاسم بن الزبير المصباحي وهو يقول له : الى متى الاقامة بدار الدنيا ؟ وكان ذلك بقرب موتهما ، فماتا في شهر واحد .

وقال في (درة التيجان) :

ومن بنى يونس عم ذا الولـــي ... أولاد ابن ريسون بيتهم جلـــى
ريسون كانت أم جد لهـــم ... منها جرى عليهم ذا العلـــم
ودارهم دار صلاح وتقـــي ... وقدرهم في البيت عالي المرتقـى
جدهم الاسنى الولي الصالـــح ... وسره في النور نور واضـــح
هو محمد الامام ابن الولـــي ... ابن أبي عيسى وهو سيدي علـــي
أخي مولاي عابد الرحمـــان ... شيخهما قطب الورى الغزوانـــي
الشرفا دينا ودنيا كلهـــم ... في العلم والصلاح شاع فضلهـــم

توفي المترجم عام ثمانية عشر وألف ، وقد رمز الامام عبد السـلام القادري لوفاته بضريح من قوله :

وان ابن ريسون الولي محمـــدا ... ضريح معال ضمه بتحفـــل

ووالده الولي الصالح سيدي عيسى المتوفي في حدود ثلاث وستين وتسعمئة . أخذ عن القطب سيدي عبد الله الغزواني واياه اعتمد ، وأخوه سيدي عبد الرحمان بن عيسى الولي الصالح المتوفي ليلة الاربعاء خامس شعبان سنة أربع وخمسين وتسعمئة ، أخذ عن القطب المذكور أيضا .

وقد عرف به وبأخيه في (الدوحة) وألف في مناقبهما ومناقب المترجم ولده سيدي الحسن ابن ريسون تأليفا ذكر فيه أخبارهم وشهادة المشايخ لهم وغير ذلك من مآثرهم .

ترجم المترجم في (الدر السني) ، و (الصفوة) (1) و (النشر) وغيرها ، وكان بين المترجم وبين سيدي يوسف الفاسي ألفة أكيدة منذ الصبا.

669) محمد بن أحمد الرسموكي

قال في (الفوائد الجمة ، في اسناد علوم الامة) شيخنا الفقيه المدرس محمد بن أحمد الجزولي الرسموكي .

أخذ عن فقهاء مراكش ، ولما رجع منه لزم التدريس بجامع عنق سجادات بتمنرت قريبا من عشرين سنة ، وتخرج عليه كثير من الطلبة ، وكنت أحضر درسه في الفقه ، والعربية ، والحساب ، والعقائد ، والتصريف ، متى وردت بلد السلف هنالك ، وهو عالم عزيز مثله في البادية .

توفي فيما أظن قرب العشرين وألف ، انتهى .

670) محمد بن علي الفشتالي ، الفقيه العالم اللبيب ، الكاتب الأديب ، حافظ مجيد ، وحامل مجيد ، وناقل شديد ، وعالم مفيد ، له طبع حل فيه الذكاء والنبل ، وقل لو بل كرمه الطل والوبل .

قال في (النفحة المسكية ، في السفارة التركية) : ومن ألطاف الله الخفية ، وعوارفه الالاهية ، ان قيّض لي بل منّ به من عالم غيبه ، ووفور جوده وسيبه ، صديقاً صادقاً في المحبة ، موافقاً على الصحبة ، حافظاً في الحضور والغيبة ، رافقني في هذه الأقطار الصعبة ، فأنسني فيها وأزال عني أزمات الغربة ، وفرج عني غمرات الكربة :

خير اخوانك المشارك في المـــ	ـــر وأين الشريك في المرّ أينا ؟
الذي إن حضرت سرك بالـــو	دّ وإن غبت كان أذناً وعينـــا

---

1) صفوة من انتشر ص 66 .

وهو محمد بن علي الفشتالي (1) إن واخاك رأيت الانس قد رد ذاهبه ، وعادت مواهبه ، ووجدت الزمان قد لانت صعابه ، وبان شهابه ، وأولاك ودادا صبيحات الماء والفلا ، ولا عهد الا ما حفظه والا فلا ، حسن الوفاء ، مرشح بخلائق خلصت سريرته ، وحمدت في سرعة الوفاء سيرته ، فلا حمد الا ما تصفحت له تجري مع الماء الزلال اذا جرى ، أديب العصر ونحويه ، وعروضيه وبيانيه وجدليه ، جمع اشتات هذه الفضائل ، وكان فيها صائلا ليس بضائل ، وعلم اللغات وسائرها ، وفك اشطار الاعاريض ودوائرها .

انتهى المقصود .

وقال في (النشر) لدى سنة 1021 : ومنهم الفقيه الكاتب الاديب محمد بن علي الفشتالي ، كتب للمنصور أحمد الملقب الذهبي ، فأبهج حضرته وأنار طلعته ، ومن بديع نظمه قصيدته التاريخيه التي نظم فيها ما تضمنه تأليف ابن قنفذ من وفيات الاعيان (2) من زمان النبوة المحمدية الى تمام المئة الثامنة، وزاد عليها الى تمام الالف سنة ، وذيل عليها الاديب محمد المكلاتي ، وأشار لوفاة صاحب الترجمة بقوله :

شكا الدر فقد ناظم وبكى لـــه	بكاء محب بأن عن مترحـــل

وفيه من الجودة ما لا يخفى ، وذيل على ذيل المكلاتي الحافظ الفاسي .

قلت : قال المترجم في أولها : هذه أبيات قيدتها لنفسي من وفيات ابن الخطيب القسنطيني ، وزدت عليه من تكملة ابن القاضي المكناسي ولم اعتمد على أصل صحيح ، والله الموفق والمستعان .

وقال في آخرها :

فحسبي عفو الله ثم ذخيرتـــي	شفيع الورى يوم اشتداد التزلزل
من الوفيات جبت قفرا بمهمـــه	وانضاء فكر من قلائص ذبـــل

---

1) الذى فى **النفحة المسكية** أنه أبو العباس النقاوسى ، انظر ص 53 .

2) اسمه **الوفيات** أو **وفيات ابن قنفذ** جعله ذيلا لكتابه **شرف الطالب** ، **اسنى المطالب** ، طبع مرة أولى بكالكوتا بالهند سنة 1911 ، ثم اعاد طبعه المستشرق الفرنسى هنرى بيريس سنة 1939 ، وطبع ببيروت طبعة حققها الاستاذ عادل نويهض سنة 1971 ثم طبع طبعة رابعة بالرباط سنة 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجى .

وخاطرت والمنجاة مني بعيـــــدة فورطت نفسي مجهلا أي مجهـــل
ولكنني لفقت ذاك لمهجتـــــــي ولابن وصنو أو لاول مقبــــــــل
ولم أعتمد سوى ابن قنفذ وابن قا ضي مكناسة يتلو بوصف المكمل
على أنني لم اتصل بكليهمـــــــا بأصل صحيح لاعتماد التأصـــــل
فتاريخه شك لكل مطالـــــــــع يريك بعيدا في سياق المحصـــل
وصلى اله العرش في كل لحظـــة على الآل والأصحاب طراً وأجمـــل
وواصل رضاك بالصباح وبالمســا على الآل والصحاب طرا وأجمــل

وقال في (المنتقى المقصور) بعد ان ذكر أن المنصور الذهبي كان يقرض الشعر ما نصه : فمن ذلك ما أنشدنيه بالمحلة المنصورة له ، وزيــر القلم الاعلا ، وحائز القدح المعلى ، الكاتب الاعظم والخضم المفخم ، الناظم الناثر ، وحائز قصبات السبق في الدفاتر ، محمد بن علي الفشتالي سنة اثنتين وتسعين في معنى التورية ، ثم ذكر قضية المنصورية من الملف المسمى بـ (قلب حجر) المنقولة في (نفح الطيب) .

ثم قـال وأطلعني الكاتب المذكـور عليهما بخطه أيـده الله ، وكنت أثبتهما في (زهـرة البستان) المنقوعة بمحاسن أهل . . . مـع كثير مـن قصائده الشعرية وملحه النثرية ، وضاع ذلك مني في حال محنتي .

ولما رجعت الى مراكش بعد خروجي من الاسر ، طلبت منه أن يمكنني من شي من ذلك لاستدراك ما فاتني فلم يمكني بشيء منه .

انتهى وقد ترجمه في 148 من (ريحانة الالبا) .

671) محمد الشيخ المامون السعدي

محمد الشيخ الوسط المدعو المامون بن أحمد المنصور بن محمـد الشيخ بن محمد القائم السعدي .

قال في (المنتقى المقصور) بعد ذكره : قد مدحه الناس بقصائد ، فمن ذلك ما لكاتبه أحمد بن محمد الغرديس التغلبي قصيدته التي مطلعها :

اهدى النسيم تحية المشتـــــاق واذاع ذكر الشوق في الآفـــاق

ثم أورد منها جملة ، وجملة أخرى من طالعة له أيضا مطلعها :

تبدت فأبدى الثغر من لؤلؤ سمطا وفوقت الالحاظ سهما فما أخطـا

ثم قال : ومما مدحه به كاتبه سعيد بن أبي القاسم التاملي قصيدته التى مطلعها :

أزور وسترى عندها الشعر الوطف ولا رسل الا ما يشير به الطـرف

ولكاتبه عبد العزيز بن محمد بن عبد الله التاملي :

تجلت بطاح الارض في حلل خضر بديعة وشي أتقنته يد القطـر

قال في (النزهة) : جمع والده المنصور أعيان حاضرة مراكش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أشياخ القبائل ووجوه الناس من أهل البوادي والحواضر، وأوصى بالعهد لولده محمد الشيخ المامون المذكور،وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان عام سبعة وثمانين وتسعمئة ، وكان المامون إذذاك خليفة أبيه على فاس ولم يحضر بيعته ، فبعث له المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبايـع بحضرته ، ولم يقنعه ما كان أخذ له من البيعة وهو غائب ، ولما بعث له للمجيء خرج المنصور خارج مراكش بعساكره ونزل بتانسيفت في الثاني عشر من صفر عام تسعة وثمانين وتسعمئة ، ولم يزل بعسكره ذلك متلوما منتظـرا لقدوم ولده المامون الى أن قدم في غرة جمادى الثانية من العام المذكور ، فكان يوم ملاقاتهم من عجائب الزمان .

ولما اصطف جيش المامـون وجيش المنصور ، ترجل المامـون عن فرسه ، وتقدم حافيَ القدم فعفَّر وجهه بين يدي والده ثم قبل رجله ، والمنصور على فرسه بين الصفين فدعا له بخير ، واظهر الفرح بقدومه ، وكان المامون قد عبأ جيشه تعبئة لم ير مثلها ، ورتبهم ترتيبا حسنا في لباسهـم وسائر أمورهم ، فسر المنصور بذلك ، وبعد أيام من بلوغه أمر به فأجلس في سرادقه الاعظم الذي لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتي ، وأمر أهل الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده ، واقتضيت منهم الأيْمان بمحضره ، وقام

الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالعطاء ، وكان ذلك يوما مشهودا ، وبعد أيام من ذلك أمر المنصور بالمامون أن يرجع لحاضرة فاس ، فرجع ودخل المنصور لحضرته السعيدة مراكش حرسها الله .

وفي شوال عام اثنين وتسعين وتسعمئة جدد المنصور البيعة لولده ولي عهده محمد الشيخ الملقب بالمامون على اخوته خصوصا ، لانهم كانوا فى البيعة الاولى قبل البلوغ ، فأراد أن يستوثق له من اخوته بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم ، فارتحل المنصور من مراكش لتامسنا ، وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكيتي ليأتي بولي عهده من فاس ، فتوافى القصدان بتامسنا وباشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد ، وأحضر المصحف الكريم الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه ، وهو من ذخائر الخلفاء، وأحضر الصحيحين البخاري ومسلم، وقُرىء ظهير البيعة ، فتولى قراءتها الفشتالي والى جانبه القاضى أبو القاسم الشاطبي يفسر ما أشكل في لفظ الظهير ، ولما أخذ البيعة أمر أولاده غد يومها فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على ذلك ، ورأيت فى بعض رسائل زيدان بن المنصور وقد ألمّ بهذه البيعة فقال : اني حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب المغرب ، وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فانه رضي الله عنه قال : فلان لا يحلف ، ولا يحتاج اليه فيما نأمر به ونفعله ، وعظم ذلك على اخوتي وظهرت في وجوههم الكراهية ، ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للامارة ، ويقسم بينهم البلاد حتى لا يبقى في نفوسهم إحن ، ولا تنطوي قلوبهم على ضغائن ، فعقد لعبد العزيز شقيق المأمون على السوس وسائر عمائره ، وعقد لعلي على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على بلاد تادلة ، ثم عكس لأمر اقتضاه ، فنقل زيدان لمكناسة ، ونقل علي لتادلة ولم يزل أمرهم على ذلك .

وكان للمنصور في ولده المامون اعتقاد تام به ، واهتمام عام بشأنه ، حتى أن المنصور كان لا يختم على ربيعة من المال الا قال : جعل الله فتحها على يد الشيخ رجاء أن يقوم بالامر بعده ويسوس الرعية مثله ، فلم يساعده القدر المحتوم ، السابق المرسوم ، كما قيل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركـــــه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقد وقفت على رسالة كتب بها اليه المنصور ونصها :

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الامام أمير المومنين أبي العباس المنصور بالله بـن أمير المومنين أبي عبد الله محمد الشيـخ المهدي الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره ، وظفر بيمنه ومنّه عساكره .

إلى ولدنا وولي عهدنا الامير الأجل ، الافضل الاكمل ، بابا الشيخ ، وصل الله كمالكم ، وسنى من خير الدارين آمالكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه .

أما بعد ، فكتابنا هذا إليكم من حضرة مراكش حاطها الله ، ولا حادث الا ما عوده مولانا من الخير ، لله الحمد وله المنة .

هذا والذي أوجبه اليكم أسعدكم الله وكلأكم،أنه بلغنا أنكم قد استخدمتم هناكم جماعة من أولاد طلحة ، كأولاد أخي علي بن محمد ، وأخي علي بن ملوك وغير هؤلاء ، وأنك قد فرضت لهم في اعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى هذا ، أي مصلحة ظهرت لك في استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض ؟ بل ما في ذلك الا الفساد البين ، لأن هذا الذي فرضتم لهم لا يفي به المغرب ولا يقوم معه بكم شيء،ومسألة أولاد طلحة هؤلاء إن كنت رأيت استخدامنا لهم وأردت تقليدنا في ذلك ، واقتفاء سيرتنا فيه ، فاعلم أن بيننا وبينكم فرقا من وجوه ، منها أن مدينة مراكش ليست كمدينة فاس ، وان خدمتهم هنـا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت في بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا يطلبونها مني وأنا هناك فوعدتهم بها ، إذ لا يمكنني وأنا ببلادهم الا مساعفتهم ، فلما جاءوا اليوم وطالبونا بالوعد لـم يمكن إلا الوفـاء لهم به ، فعليه شرطنا عليهم مراكش وسكنـاها ، وعلـى هـذا الشرط استخدمنا منهـم من استخدمنـاه ، ومع هـذه الوجوه والاعتبارات كلها فقد ندمت والله على استخدامهم غايـة الندامة ، وانا فـي ذلك على خطأ ، اذ كان الاولى أن نكـون حاسناهم وتركناهم مـن الخدمة ، وأما أنت ففي مندوحة مـن هذا كله ، لأنه لا وعد لك سابق لهم حتى يلزمـك

الوفاء به ، ويمكنك ان تحيلهم على إذننا ومشورتنا ، فنكفهم عنك بالشرط الذي شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكناها ، وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمنا ، والى هـذا فالذى نؤكد بـه عليك أن تنقصهـم من الخدمة ، ولا تستخدم منهـم ولو فارسا واحدا أصـلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تتنصل منهم وتقول لهم : ان السلطان منعني من استخدامكم هنا ، وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صحبة هذا التتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره لهم ، بل تحسن اللقاء بهم ، وتواليهم باظهار البشر والقبول ، وباب الطمع تسده دونهم .

والذي شق علينا أعظم من هذا كله واستنكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد أطلعوا عليه ، أعني أولاد طلحة علي بن محمد وغيرهم من أحوالكم وأخباركم ، وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه والله أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا ، وخواص أهل بساطنا ، لأن أهل بلادنا أحباء ما لهم بحث الا في مصالح أنفسهم ، وهؤلاء انما يبحثون على الغرة وعورة المملكة ، فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء ، وتطالعونهم بأموركم وأحوالكم ، مع أن القوم ما زالوا ببلد العدو وبين أظهره ، والذى يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد أطلعوا عليه ، حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا عليه بانفسهم ، وأيضاً لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا الخير ، فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفقهون ما يحسن اخفاؤه ولا ابداؤه ، ولا يتمالكون من أنفسهم قولا ولا نطقا .

وبالجملة فقد أحرقتنا هذه المسألة وتفطرت لها اكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة ، وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الأمور أن يطلع عليها الاجانب ، وان كانوا أحب من كل حبيب وأقرب من كل قريب ، وهل عندكم علم بأن أخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار،فلم يرد بابا منصور لفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور فيه من بازائه ليلا يكون في ذكر ذلك بمحضره عيب ، فشاور فيه القائد دح بن فرج وكان بازائه فقال له : هـذا

الرجل براني فلا تطلب شيئاً قدامه ، على أن المنصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب مَن اليهم من خواصٍّ الخدام أهل بساطنا محبة وقربا ، لانه كان سلف له معهم حرمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك ، وبينه وبينهم أرواح كثيرة ، وحضر مع أخينا بابا حمو الحران جميع ما كان فى تلك البلاد مـن الوقائع العظام وغيرها أيام استيلائه على المغرب الأوسط ، وثم بابا عبـد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة ، ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا ، كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا اهـل تلك البلاد ، وما زال على الخدمة والوفاء وحسن العهد حتى حصلت له حرمة عظيمة مع اسلافنا ، وناهيك بمن بلغ الى أن قلدوه تازة ثم بلاد الفحص التى لا تعطى كلتاهما الا لاقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وقربهم وخدمتهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعا حتى أنه فى دخول صالح رئيس الترك لفاس رحل بأولاده لهنا مع السلطان ، كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن أيضا من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل لمراكش ، وما أبعدوا أنفسهم من هذا الجانب أبدا في الحديث ولا في القديم، ثم أن الناس أحجموا عن أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا : انه براني ! فضلا عن هؤلاء الذين ما زالوا إلى اليوم فـي بلاد العدو يباكرونـه ويراوحونه ، فاذا بكم تنزلون معهم الى أن تُطلعوهم على أموركم ، ويتوصلون إلى المعرفة بأحوالكم ، فما تمالكنا أن نصبر على هذه المسألة .

ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى امثال هذه الامور أن علي بن محمد كان يتكلم يوماً معنا ، وأخذ يثني عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة،ثم قال: إلا أن الخيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، لان القبائل أهل الخيل امتنعوا مـن الحركة معه ، وهي التي غاظتني ، وقلت كيف يتوصل الرجل البراني الـى امثال هذه الامور حتى انا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا أنهم اعتقدوه ، وقلنا اللهمَّ نسبة التقصير اليكم ، ولا اعتقادهم خلو البلاد من الخيل، لأننا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبته وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيئاً ، وأعطى لمن لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال مـن غير مصلحة ، وعـدم

المخزنية ولو أعطى لتلك القبائل لانثالت عليه ، لان أولاد مطاع عندهم مـن الخيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبي عزيز نحو ألف ونصف ، وعنـد الغريبة وعند أولاد عمران وعنـد عبدة وعند الشياظمة وعنـد أولاد بوراس وعند أحمر ، وعند المنابهة اهل سايس ، وعند المنابهة أصحاب عمرو بن محمد بن عب ، وجعلت أعد له قبائل اهل سوس ، وقبائل مراكش ، وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر، ويكون قد ملأ بهم تلك البلاد وسال عليها منهم سيل العرم ، لا في الحركة الأولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لتوجه اليهم أيضا بما لا طاقة لهم به منهم ولا خلاص .

وإلى هذا فانا نوصيكم وندبكم إلى المحافظة من أولئك الناس ، ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم ، والاطلاع على أحوالكم ، وعدم الغفلة عن أمثال هـــذا .

واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا أن الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف، وكنا انتشبنا معهم بالعودات، فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ، وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه ؟ مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ، ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بل بالامس شاهدت وباشرت ورأيت ، فما الذى أنساك فعلهم ، وما زال جرحهم الى الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مومن الخارج الآن ما كان الا اليهم ، والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ، ولا تسمع لمصطفى ولا لغيره في هذه المسألة .

وقد سمعنا أيضاً أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين قد صارت حلتهم من باب عين الخميس الى دار الدبيبغ، وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل أودلا حسين بالامس دون بعد من النهب وما أضرموا من نار الفساد والعيث في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل ، وإلى هذا فساعة وصوله إليك تقبض على قواد الفساد هؤلاء ، خصوصاً أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذى كان أبوه حاجبا عند المريني ، فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائلهم جناحا

واحدا ، وزد للقائد مومن بن ملوك ألف رام ليستوفيَ بهم الغرض في هؤلاء وأمثالهم ، من كل ما تأمره به ، لأن بقـاء الرماة هنالك ما فيـه الا الاشتغال بالفساد في المدينة ، فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا ، فكان خروجهم اذذاك دفعاً لمضرتهم وجلباً للمصالح بهم أولى .

وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم ، لأن كتبكم تأتي بخط سالم وهو غير عارف بانشاء ، وتارة بخط الكريني وهو جاهل ، مع أنك لما كنت خليفتنا وولي عهدنا كنت بصدد أن يكتب لك كل أحد ، لا صاحب الجزائر ، ولا صاحب تونس ، وحتى صاحب الترك ، وصاحب النصارى وكل من يكتب لنا من ملوك الارض بصدد أن يكتب لك ، فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليـك ، ويكون أيضا ممن يوثق به فـي المحافظة على أسراركم ، والى هذا فلا بد من تعيين قائد للمحلة ، وحاجب ، وكاتب سرك ، وصاحب مشورك ، وصاحب المظالم كما هو عندنا السيـد علي بن سليمان .

واعلم أن مما تحتاج أن ننبهك عليه مسألة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم ، مثل ما فعلت في أولاد القائد بركة (1) وأخوتهم الذين استخدمتهم وعملت لهم خمسمئة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا، فما أعطيناه سلا الا ليرفع فيها أولاده وإخوته ، وكذلك الحكم في أمثاله من كل مَن أعطيناه عملا وقلدناه قيادة .

ومن جملة من نحذرك من استخدامهم في الرماية أهل الجبال من أهل الصحفة والدنيار، فلا تستخدموا منهم أحدا، والا فاعلموا أنكم ما أردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا أن يغرموا لكم بعد شيئاً، واذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل من تستخدمون مـن هؤلاء فلا عليكم ، واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ، على أن الرماة أهل سوس هاهي هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا به نبعثهم اليك ، ونضيفهم الى خدمتك .

---

1) لعله الذى تنسب اليه عين بركة الداخل مازها لمدينة سلا (الاستقصا) .

ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الأمور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ، ولا بد ولا بد . وهذا موجبه اليكم، والله يحرس بمنه علاكم ، والسلام .

وفي مهل جمادى الأولى عام أحد عشر وألف .

ثم ان الشيخ المامون بن المنصور أساء السيرة وأضر بالرعية ، فكان فسيقاً خبيث الطوية ، مولعاً بالعبث بالصبيان ، مدمناً للخمر ، سفاكاً للدماء ، غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها ، ولما ظهر فساده ، وتبين للناس عوأره ، نهاه القائد ابراهيم السفياني وزير أبيه عن سوء فعله ، فلم ينته ، واستمر على قبحه ، فأعاد عليه اللوم فلجَّ في مذهبه ، ولما أكثر عليه من التقريع والتوبيخ سقاه السم ، فكان فيه حتف القائد المذكور ، وكان مما أنكر عليه أنه قبض على كاتب أبيه محمد بن أحمد بن عيسى المتقدم الذكر ، ووظف عليه مالا ، وبزه ذخائره ، وأخذ منه ماله حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة (1) مذهبة ، ومئة تخت من الملف المختلف الألوان ، فلما كثرت قبائحه وترددت الشكاية به لأبيه كتب له أن ينكف عن غيه ، وينزجر عن خبثه وسوء رأيه ، فما زاده التحذير الا اغراء ، فلما رأى المنصور أنه لم يكترث بأمره ، ولم يزدجر عن جنايته وشره ، عزم على التوجه لفاس بقصد أن يمكر به ، ويؤدبه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك ، فجمع عسكره ، وهيأ جنده ، ودفع المرتب لاصحابه ، وعدد جيشه ، فكان فيه فيما قيل : اثنان وعشرون ألفا ، كلهم بكساوى الملك والحرير على أحسن شارة وأكمل زي ، وعزم إن بلغه خروج أبيه من مراكش يتوجه في أصحابه الى تلمسان ، ويستجير بالاتراك !

فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان ، تخلف عن الخروج من مراكش ،فصار يلاطفه ، ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة ، وتخلى له عن خراجها ، وقال له : قد سوغتكه ولا أطالبك فيه ، ومراده

---

1) الحسكة حاملة الشمع وتكون من نحاس ، وهى الشمعدان فى لغة المشارقة .

بذلك كله أن تسكن نفرته ويرجع اليه عقله ، فاظهر الشيخ امتثال الامر ، وخرج يوما مارا لسجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشي يسير حتى رجع لها ، وعاد لما كان عاكفاً عليه ، فبعث المنصور أعيان مراكش وعلماءها فنصحوه ووعظوه ، وخوفوه سخط والده ، وحذروه من العقوق ، ولم يالوا جهدا في النصيحة له، فوجدوه مشغول القلب عن نصائحهم، معمور الذهن بخلاف قولهم، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من النفار من أبيه ، وقصر في الظاهر عن بعض قبائحه ، فرجع الاعيان والعلماء للمنصور لمراكش ، وقالوا له : انه تاب وحسنت حالته ، واطمأنت نفسه ، وأنه واقف عند الأمر والنهي ، فلم يطمئن المنصور لقولهم ، وقال لهم : لعل هذا اطفاء لنار الشحناء وكذب لاصلاح الخاطر (1) .

ثم لم يلبث المنصور أن بعث لولده زيدان وكان خليفة بتادلة يأمره أن يرسل مئة من الفرسان على طريق تاقبالت ، وكل من وجده قاصدا للغرب من ناحية مراكش يردوه، وأرسل مولاه مسعود الدوري أن يقف على طريق سلا، ويفعل مثل ذلك وخلف ولده عبد العزيز على مراكش ، وخرج حينئذ المنصور من مراكش في اثني عشر ألفاً من الخيل ، وكان خروجه في أوائل جمادى الاولى من عام أحد عشر وألف ، وجد السير فلم تمض الا أيام قلائل حتى نزل بالداروج موضع قريب من مكناس وفاس ، والشيخ في جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ، فبعث يوماً عيونه يرصدون له مَن قدم من مراكش ، ويكشفون له عن الخبر ، فما راعهم الا الاباطح سائلة باعناق الجياد ، وأفواه الشعاب تقذف بالجيوش من بطون الأودية ، لأنهم قد كانت عندهم الانباء بقطع المنصور للسابلة ، فرجعوا مسرعين ، والرعب يفت في أعضادهم ويطفيء جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم ، وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ، فركب من حينه ، وهرب لزاوية الولي الصالح أبي الشتاء ببلاد فشتالة قرب نهر ورغة .

---

1) العبارات المتقدمة كلها منقولة عن اليفرني ونقلها في **الاستقصا** 5 : 169 طبع الدار البيضاء .

وكان سيدى أبو الشتاء قد توفي قبل ذلك بما يقرب من خمس عشرة سنة ، لان وفاته كانت سنة سبع وتسعين وتسعمئة كما في (المرءاة) بالموحدة في الاولى ، والمثناة فى الثانيتين ، فنزل بالزاوية ومعه بطانتــه ، وأصحاب دخلته من الأحداث وأتباع السوء، فبلغ خبره للمنصور فوجه له الباشا جوذر ، والقائد منصور النبيلي ، وحلف لهما باغلظ الايمان إن لم يأتيا به ليمكرن بهما ويجعلهما عبرة ، فذهبا اليه ، فامتنع من الدخول في يدهما ، وانعزل بأصحابه حتى تراموا بالنبل وناوشهم القتال ، فقبضوا عليه في حكاية طويلة ، فأمر به المنصور أن يسجن بمكناسة فسجن بها ، ودخل المنصور لدار الملك مــن فاس الجديد ، وشكر الله على ما أولاه من الظفر به والنصر عليه من غير اراقة دم ، وتصدق لذلك بأموال عظيمة .

ثم ان أم الشيخ الخيزران بعثت الى أعيان مراكش الذين قدمــوا مــع المنصور ترغبهــم أن يستشفعوا لولدها عنــد أبيه ويعتذروا عنه بمــا يزيل ما فى خاطره عليه ، فتقدموا للمنصور ورغبوه ، وطلبوا منه السماحــة له والتجاوز عنه ، وقالوا له : إن الشيخ تاب لله عما كان عازماً عليه ، وإنــه ندم على مــا فرط وصلحت حاله ، فقال لهم المنصور : اذهبــوا لمكناسة ، واختبروا أمره ، كائنا ما كان ، وانظروا هل رجع عن أباطيله ، وتنصل من أضاليله أم لا ؟ فلما أتوه وجدوه أخبث مما تركوه وعاينوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفها اللسان ، فلما جلسوا معه في محبسه لم يسألهم عن شيء الا عن أصحاب بطانته ، وقرناء السوء من أهل غيه وضلالته ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة ، ورآهم أهل الاصابة ، وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور لذلك أولا وآخرا ، أولاد السيد أبي عمرو القسطلي ، وأولاد سيدي عبد الله بن ساسي ، وأولاد سيدي يحيى بن بكار وغيرهم .

فلما رجعوا من مكناسة الى المنصور سألهم عن الخبر ، فنافق بعضهم ، وقالوا : وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه ، وتكلم أولاد سيدى عبد الله بن ساسي ، وقال بعضهم : والله لا داهنت في الله ولا واجهت أمير المسلميــن بالخديعة ، وقالوا له : ان ولدك والله لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ، ولا

تحكمه على عيال الله سبحانه ، فانا وجدناه خبيث الطوية ، قبيح السريرة والنية ، لم يندم على ما فرط ، ولا تاب مما فعل وشطط ، فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : أفتوني فى أمر هذا الولد ؟ فلم يجبه أحد إلا باشته(١)السيد عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي، فانه قال له:الرأي أن تقتله فانه لا ينجبر أمره ، ولا يرجى صلاحه وخيره ، وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك ، وقال كيف أقتل ولدي ؟ فبعث بالتضييق على الشيخ والزيادة فى الحبس عليه ، وخرج المنصور فنزل بمحلته بظهر الزاوية قاصدا لمراكش ، واستخلف ولده زيدان على فاس .

ومن هنالك كتب المنصور رسالة لولده خليفته على مراكش عبد العزيز يعلمه بما وقع في ذلك ونصها من أولها الى آخرها :

الى ولدنا الأجل الأرضى ، الأفضل المرتضى، الاكمل الاسعد، الامجد، الاسما الاسنا ، بابَ أبي فارس ، وصل الله كمالكم ، وسنا بمنه آمالكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فكتابنا هذا إليكم أسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقى ، ولا ناشىء إلا ما جرت به الأقدار ، وحكم به الفاعل المختار ، وفجأ به من عجائب الدهر الليل والنهار ، وهي قضية أخيكم التى ثارت الي بها صروف الدهر من مكمنى ، وطلعت علي من مأمني ، إلا أن الله تعالى بصنعه الجميل كفانا أولا ثم شفانا آخرا ، له الحمد دائماً ، والشكر واظباً .

وشرح ذلك أسعدكم الله ووقاكم السوء ، أن الحال كان انتهى في معالجة أمره الذي تجاوزنا في وجه الخير إليه حد الاستقصا ، وآتينا في محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجاح ما لا يحصى ، الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة ، وأبحنا له التوجه إليهما بجملته وجمعه ، رجاء ان تسكن بالانتباذ اليهما نفرته ، وتطمئن نفسه ،

١) الباشا رتبة عسكرية اقتبسها المغرب من تركيا فى العصر السعدى ، تكتب بالف مقصورة وهو الاكثر وبتاء وهو الاقل وباشته أى باشاه ، والضمير يعود على أحمد المنصور .

ويتوب اليه قلبه الطائر ، ويراجعه أنسه النافر ، فأظهر أولا التوجه اليهما ، ونهض مرتحلا عن فاس موريا بالقدوم عليهما ، ثـم بدا له في الحين فكرٌ راجعاً الى فاس ، ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وآب لنفسـه السكون والاستئناس ، فاذا به قد انطوى فى رجوعه على خلاف ما أظهـر ، وأبدى غيرما أضمر، فما كان إلا أن وصله خبر نزولنا بالداروج، فلم يتمالك ان أقلع ليلة الخميس خامس عشر شهر تاريخه ، اقلاعا أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل بزاوية الشيخ أبي الشتاء وحيدا ، فتلاحق به من جيش رماته الانكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن،وطلائع الشؤم والمحن،جمع عظيم، وعدد كثير جسيم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا مـن غير اغفال فـي خمسمئة صبائحية (1) ومعـه القائد مومن بن ملوك في خمسمئة فارس ، ثـم أردفناهما ببعوث آخر تنثال إليه ، وتناثلت عليه ، تناهز الألفين ، ورماة باب زيدان حفظـه الله ، فاحدقت بـه من كل الجهـات ، وملكوا عليه الفجـاج والثنيات ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفرته بالتسكين ، وما يخشى من أحواله بالتليين ، بارسال المرابطين بمواثيق تهنيه ، وعهود تؤنسه وتقرب أمانيه ، رجاء أن يثوب اليـه ثائب استبصار ، ، ويخطر لـه خاطر اقلاع عما هو عليه من اقصار ، وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم بعد ذلك عساكرنا المظفرة بالله فى مصافهم دونه ، ودارت بين الفريقين حرب عظيم ، فخدمت النار من وقت الظهر الى أوان العصر ، فاظهر الله فئة الحق على فئة الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكتبناه إليكم وقد حصل في القبضة كما سبق به القضاء والقدر ، وجعل بمكان الاحتياط عليه بمكناسة الزيتون فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والعبر، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجأت بها الأيام ودهمت،والغاشية

---

1) **الصبايحية** ج صباحى أو صبايحى ، فرقة من الجند كان الترك أيام حكمهم للجزائـر يجندونها من قبيلة عرب صباح المشهورة بقوة باسها وحسن طاعتها ، واقتدى بهم الفرنسيون فى ذلك بعد احتلالهم للجزائر ، فالفوا من تلك القبيلة ومن غيرها فرقا عسكرية عرفت بالسبايس ، كما الفوا فرقا من أهل زواوة عرفت بالزاوف .

التي اعتكرت وادلهمَّت ،وتقدروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بحسن حمد كل انسان وشكره ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية ، حتى لا نساء بقريب مامون، ولا ببعيد مظنون .

وفي ليلة الثلاثاء موفي عشرين من جمادى الاولى عام أحد عشر وألف .

ووقفت على رسالة كتب بها المنصور اليه أيضا من فاس مجيبا له عما كتب به اليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش صانها الله ، هل يفر منه أم لا ؟ ونصها :

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الخليفة الامام أمير المومنين ، أحمد المنصور بالله ، بن أمير المومنين محمد الشيخ المهدي ، بن أمير المومنين محمد الشيخ القائم بأمر الله الشريف الحسني ، أيد الله بعزيز نصره أوامره ، وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره .

الى ولدنا الاجل الاعز الافضل الابر الارضى الاكمل الاسعد الامجد الاحفل باب أبي فارس . وصل الله تعالى عنايتكم ، ووالى بمنه رعايتكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد فكتابنا هذا اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء ، حاطها الله منبئاً عن الخير والعافية ، ونعم الله تعالى المتوالية ، لله الحمد وله المنة .

وانه اتصل بعلي مقامنا كتابكم الاعز عشية يوم الثلاثاء ، فكتبنا لكم صبيحة يوم الاربعاء ، ولولا أنه وصل يوم الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه ، حرصاً منا بذلك على المبادرة بوصوله إليكم في الحين .

وإلى هذا أسعدكم الله أول ما تبادرون به قبل كل شي هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من علامات الوباء ، ولو أقل القليل ،حتى بشخص واحد، ويبقى في القصبة وصيفنا مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتتركون

مئة رام تتقون بها رماتكم مع أصحاب السقيف ، وتوكلون علي الله وتخرجون بسلامة ، ثم لا تعملون كعملنا في الاقتصار على الرملية ، والتقلب بها ، بل لا تزيدون إذا خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطووا المراحل الى أن تنزلوا سلا ، وتدخلوا بها دخول هناء وعافية ان شاء الله تعالى ، وهناك يكون لقاؤنا بكم لقاء يمن وسعادة إن شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق أسعدكم الله فالزموه ، واذا استشعرتم منه حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف المعروف منه ، ولا تهملوا .

وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبيبة بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق ، فهاهي الشربه المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هنالك عند التونسي، فيكون يستعملها هو والابناء الصغار المحفوظون بالله تعالى، حتى اذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود إليها .

والله تعالى بفضله وبحرمة صفوة خلقه خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعاً ، ويحلكم من جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا ، وأن يعافي البلاد والعباد بمنه وفضله .

والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها الينا وكذلك القائد مسعود النبيلي تعزمون بارساله إلى حيث أمرناه بالقيام به من خنق الوادي في سوس وطريق تجظشت ، واعلم أسعدكم الله ، ما قط كان في ظننا ان أمرها يتم ، وبلغ علمنا الكريم أن أهل درن يتحدثون بسببها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم ان شاء الله وأنتم تحاولون أسعدكم الله على أن يكون سلوك الناس على طريق بويبان على العادة ، وان تجهدوا في أن تكون إن شاء الله سابلة ، وأولائكم أعني أهل طريق تاجطيشت يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد ان شاء الله تعالى .

ومسألة ايسي الذي كتبنا لكم من خنق الوادي على الزرع وأنه ما عندهم ما يكفيهم منه سوى شهر ، فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع

اليهم على البحر ، فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم ، وان لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر ايسي هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء ، وألزموه عهدته ، وشددوا عليه في أمره .

وخالنا القائد حمّو بن محمد الذي استأذنكم في الخروج عن ذلكم المرض من الحضرة المحمدية (1) فاذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق بأهل تلكم المحلة بخنق الوادي ويترك في القصبة الاندلس مع قائدهم .

ومسألة مومن بن منصور مع هكسيمة (2) التي ذكرتم أسعدكم الله أن مومن المذكور قد تثاقل بدمنات بسبب مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وان أخاه ذلكـم المفسود بعث إليه يلتقي معـه بتامصلوحت ، فعـلى بركة الله ، والحاضر بصير . وهذا موجبه اليكم ، والله يصل بمنه رعايتكم ، والسلام .

في يوم الاربعاء رابع عشر من ربيع الأول النبوي المعظم ، عام أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركته .

وبعد أن كتبنا لكم هـذا بلغنا كتابكم ، ونحن نجيبكم عن كل مـا تحتاجون إلى الجواب عنه ، والبراءة التي ترد عليكم من سوس من عند الحاكم أو من عند ولد خالكم أو من عند غيرهما ، لا تقرأ ولا تدخل دارا ، بل تعطى لكاتبكم هو الذى يتولى قراءتها ، ويعرفكم مضمنها ، ولاجل ان الكاتب يدخل عليكم ويلابس مقامكم فلا يفتحها الا بعد ان تغمس في خل ثقيف وتنشر حتى تيبس ، وحينئذ يقرؤها ويعرفكم بمضمنها ، إذ ليس يأتيكم من سوس ، والله سبحانـه وتعالى أعلم ، مـا يوجب الكتمان عـن مثل كاتبكم ، وقـد طالعنا كتـاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير ، وصـح عندنا من فحوى كلامه مـا ذكرتم عنه ، من أنه أكثر من خبر الوباء ليجد ذريعة للخروج من سوس ، والذي تامرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم لمراكش ، وان ذلك لا يرضينا منه

1) المحمدية هي ردانة (تارودانت) نسبة إلى محمد الشيخ القائم بامر الله السعدى ، وبها ضرب غالب السكة السعدية .

2) هي قبيلة كسيمة المجاورة لاكدير .

وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لا سيما مع غيبتنا عن البلد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود اليها أبدا الا ان تفاحش المرض بتلكم الناحية ، فلا عليه فى الخروج والتنقل قرب البلد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين بخنق الوادي .

وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمان الوردي، فقد طالعنا الجريدة التي جرد لكم وتصفحناها ، ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذى نأمركم به في مسألته أنكم تحاولون في رده لموضعه ، لانه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من اغراضه المسطرة بجريدته أن تقضوه فاقضوه له ، وما لا يمكنكم عدوه به عند قدومنا إن شاء الله .

وأما أمر أخي أحمد بن الحسن الذي عيناه لجباية درعة ، وذكرتم أنه غير لاحق بها ، وانكم استصغرتموه عن تلك العمالة ، فلا شك انه كما ذكرتم ، لكن إنما وقع الاحسان اليه لأمرين ، الأول : للذمة لأنه بماله ، فلا نخشى إن شاء الله على ما لنا ، الثاني أن خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويغرى مَن يتكلم فيه عندكم ، فان كان من ذكره عندكم مثل مسعود اوتاودي فاتهمه .

وقد طالعنا في جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصير مئة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تحملونه في البحر بذمة المحلة التي هنالكم بخنق الوادي ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر إنما يلزم اليهود والنصارى المكترين للمعاصر .

وفيها ايضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وأنكم عنفتموه على عدم المبادرة ، وقد أشكل علينا الأمر لأنكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به ؟ فعرفنا لنكون على بصيرة من ذلك .

وفيها أيضاً مسألة أولاد طلحة فدبروا عليهم ، اما من ايسي أو غيره حتى لا يرجعوا الينا شاكين ، وولد ابراهيم ابن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الأسرى وصل، وأما الدراقة (1) التي ذكرتم فها السلتة (2) المعدة لها عند صاحبة بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبدي حتى تكلمه وأمره باخراجها من عندها وركبها في موضعها ، ولا تركب التي عندكم بل أمسكوها لانفسكم ، واعلم انى تركت عند أولائك المعلمين ، أعني برڭاصو ، سلاتي برسم ابنتنا العزيزة طاهرة صانها الله وكلأها ، وحيث يفرغون من الدراقة أجمعهم عليها كي نجد ذلك طالعاً إن شاء الله ، فانا قد أمرنا بنسج درارق تلكم السلاتي هنا ، والمراد ان نجد السلاتي قد فرغ منها ان شاء الله .

وقصر الخيل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما ، وحاول أن تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سـور القصبة من قصر الخيـل والقبة التي فيه ، لنجده كاملا إن شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام ركبوهم فى تلك الجهة اذا سقفتم ، ولا تزالوا تعرفون بما تزايد من الاشغال في الموضعين المذكورين .

وأوصيكم أعزكم الله ان تتفقدوا فرسنا الأحمر الصغير ولا تتركهم يعطونه القصيل ، ليلا يكثر لحمه ، ويزداد ألمه ، بل انظر له من يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله ، واعطوه لصاحب روض المسرة يركبه في ذهابه وايابه للمسرة أو لداره ، وأوصوه أن لا يركبه غيره ، وأن لا ينزل عن ظهره النهار كله .

وأوصيكم أيضاً أنه إذا ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوتـه أن لا تتركوا وراءكم ابنـة عمكم والدة ولدنا العزيـز بابا عبد الملك حفظها الله . وامر يوسف العبدى ان يخرج لك من عند صاحبة بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشور ودخل على

1) الدراقة فى العامية المغربية حجاب من نسيج يحول دون رؤية الحريم ونحوه .

2) السلتة ضفيرة من شعر أو حرير ، تكون فى مقدمة الرأس على الناصية ، أو توضع فى حواشى الثياب وغيرها صيانة لها وتزيينا .

أيديكم لدارنا السعيدة ، واستدعوا أم المان قهرمانة الدار واعطه لها برسم دارنا ، وامرها أن تعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهي أيضا تأكل منه والعبدى يوسف يأكل أيضا منه ، وحتى صاحب السقيف اعطوه منه ، أعني مسعود بن مبارك ، والله سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أنتم وأولادكم .

وقد استودعناكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وأنتم في أمان الله وحفظه والله سبحانه وتعالى خليفتي عليكم ، أنتم في يمين الرحمان ، وكلتا يديه يمين . والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

ونسلم على ولدنا الاعز الارضى باب عبد المالك ، وعلى ابنتنا المرضية سيدة الملك ، ونحن في غاية الاشتياق والتوحش لها ، جمع الله الشمل بكم آمين بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل ، والسلام .

وقال في (الاستقصا) بعد ايراده ما نصه (1) .

قال مؤلفه عفا الله عنه ، قد وقع في كلام المنصور رحمه الله أمران يحتاجان الى التنبيه عليهما الاول : اذنه لولده أبي فارس في الخروج من مراكش إذا ظهر بها أثر الوباء ولو شيئاً يسيراً ، وهذا الأمر محظور في الشرع ، كما هو معلوم ومصرح به في الأحاديث ، والثاني أمره إياه أن لا يقرأ البطائق الواردة عليه من السوس ، وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تغمس في الخل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم في تحفظهم من الوباء المسمى عندهم بالكرنتينة (2) .

وقد اتفق لي فيها كلام أذكره هنا تتميما للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومئتين وألف عرض لنا سفر الى حضرة السلطان المولى الحسن بن محمد الشريف أيده الله عز وجل بمراكش المحروسة

---

1) **الاستقصا** 5 : 183 طبع الدار البيضاء .

2) **الكرنتينة** ليست وباء ، وانما هي مدة الحجر الصحي التي كانت تبلغ اربعين يوما ، والكرنتينة معناها أربعون .

بالله ، فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة ، ومررنا في طريقنا على المحب القائد الانبل محمد بن ادريس الجراري بثغر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعملها ، فأجلَّ قدومنا على عادته حفظه الله في محبة العلم ومَن ينتمي إليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى في أمر الكرنتينة من حبس المسافرين ، وشذاذ الآفاق ، عن المرور بالسبل ، والدخول الى الامصار والقرى ، ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم ، وحصل التوقف تلك الساعة في حكمها الشرعي ، ماذا يكون لو أجريت على قواعد الفقه ؟ ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاعة الطهطاوي في أخبار باريز ، فرأيته ذكر في صدرها ، انه وقعت المحاورة بين العلامة الشيخ أبي عبد الله المناعي التونسي المالكي المدرس بجامع الزيتونة ومفتي الحنفية بها العلامة الشيخ محمد البيرم في اباحة الكرنتينة وحظرها فقال المالكي : بحرمتها، وألف في ذلك رسالة ، واعتماده في الاستدلال فيها على أن الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء ، وقال الحنفي باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا .

فلما وقفت على هذا الكلام تجدد لي النظر في حكم هذه الكرنتينة ، وظهر لي أن القول باباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسلة على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله . ثم يوازن بينهما ، وأيتهما رجحت على الاخرى عمل عليها ، فان استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه .

ونحن اذا أمعنا النظر في هذه الكرنتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، أما المصلحة فهي : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة ، بل ولا مظنونة لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون ، وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا ، بل الكثير أو الاكثر أنهم يستعملونها ويبالغون في إقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ، ومَن زعم أن

السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان اذ البينة على المدعي ، فنتج من هذا أن مصلحة الكرنتينة مشكوكة أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعاً بل ولا طبعاً ، لأنها حينئذ من قبيل العبث . وأما المفسدة فهي دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فهي الاضرار بالتجار وسائر المسافرين إلى الأقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه واقبحها كما هو معلوم ، وأما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المومنين والقدح في توكلهم وايهام أن ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه، وناهيك بهما مفسدتين محققتين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة لقصور أفهامهم قد تذهب أوهامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ، ويقعون في ورطة ضعف الايمان عياذا بالله ، فان قلت هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة ، قلت ليس فيه ميل إلى سوء الظن بهم ، وإنما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا نتركهم هملا يفعلون ما شاءوا ، أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع ، لا سيما في المذهب المالكي ، ولأمرما جاءت الشريعة المطهرة ممتلئة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ، وورد الأسباب والمسببات كلها إلى الله تعالى ، مع ما في استعمال هذه الكرنتينة من الاقتداء بالاعاجم والتزيي بزي الكفرة الضلال ، ورمقهم بعين التعظيم، ونسبتهم الى الاصابة والحكمة، كما قد يصرح به الحمقى من العوام، فأما إذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله، فأي مفسدة اقبح من هذه ؟ فالحاصل ان الكرنتينة اشتملت على مفاسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير.

وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم » ما نصه : دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ، ومن ثم اعلم أن العلاج بالدواء

والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب انتهى . وهو يقتضي بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأي وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس به مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التي بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ، ولا تأباه قواعد الشريعة ، كبعض العلاجات المستعملة في أبانه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذي يشتمل على مفسدة أو مفاسد كهذه الكرنتينة فلا ، هذا ما تحرر لنا في هذه المسألة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام أخونا في الله الفقيه العلامة الاستاذ عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلاوي ، وهو اليوم قاضي حضرة مراكش كتب الي بما نصه : وأما حكم الكرنتينة فهو ما ذكرتم من الحظر ، وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفاسد العظيمة التي لا تفي بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها ، سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة في الجهات المتعددة ولا يخالف في هذا الحكم الا مكابر للهوى ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك تركناها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه ، انتهى (1) .

وقال في (النزهة) : كان من خبر الشيخ ما انتهى ذكرنا له قبل ، وانه هرب الى العرائش ، ومنها توجه للعدوة من أرض العدو مستصرخا بالطاغية دمره الله فأبى أن يمده فراوده على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال ، فلم يكترث به الى شرط عليه أن يخلي العرائش من المسلمين ، ويملكها للنصارى ، فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل حجر بادس (2)، وذلك في ذي الحجة عام ثمانية عشر وألف .فأقام بها مدة .

---

1) بهذه الافكار الخرافية للشيخ أحمد الناصرى واخيه العلامة ! ابن خضراء وامثالهما بقى المغرب بؤرة للأوبئة قرونا طوالا والمغاربة ضحايا للامراض جيلا بعد جيل ، وليت هاؤلاء المتخلفين فكريا ، العمى بصيريا ، القاصرين بصريا ، تركوا الدين جانبا فى مثل هذه القضايا ولم يزجوا به زجا وضيعا للاستدلال على صحة احكامهم السقيمة وتصويب نظرياتهم المخطئة حتى لا نتيح الفرصة لخصوم الاسلام باتهامه بما هو منه برىء .

2) **بادس** مدينة صغيرة كانت توجد على ضفة وادى بادس بقبيلة بقوية من قبائل الريف عند مصبه فى البحر المتوسط ، وامامها تقع جزيرة بادس أو حجرة بادس التى تحتلها اسبانيا الى الوقت الراهن .

وكان الشيخ لما خرج فى حجر بادس ، ونزل بلاد الريف ، ذهب علماء فاس وأعيانها كالفقيه القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم ، والشريف الوجيه المنيف النزيه إبراهيم الصقلي الحسني وغيرهما لملاقاته وتهنئته بالقدوم ، فلما بلغوه فرح بهم ، وأمر قبطان النصارى أن يضرب بانفاضه أرهابا واظهارا لقوة النصارى الذين استصرخ بهم ، فضربها حتى اصطكت الآذان ، وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان ، فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له ، فقاموا له أجمعين ، وجازوه خيرا على ما فعل بالشيخ من الاحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته كعادة النصارى ، وانكر الناس على أولئك الاعيان قيامهم للكافر (1) ، وضربوا بعصا الذل والهوان من الملك الديان ، حتى أنهم في رجوعهم لفاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبوهم ، وأخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدى القاضي أبا القاسم بن أبي النعيم ، فانه عرف بزي القضاء فاحترموه ، ثم انتقل الى قصر عبد الكريم ، فأقام به مدة ، وراود قواده ورؤساء جيوشه ، أن يقفوا معه في تمكين العرائش للنصارى ليفي له الطاغية بما وعده به من النصرة بالمال والرجال ، فامتنع الناس من اسعافه على ذلك ، ولم يوافقه على غرضه أحد الا قائده الجرني فانه ساعده على ذلك ، فبعثه الشيخ لها ، وأمره أن يُخليها ولا يدع بها أحدا من المسلمين ، فذهب الجرني فكلم أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها ، فقتل منهم عدة وخرج منها الباقون تخفق على رؤوسهم ألوية الذل والصغار ، وهم يبكون ، ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الجرني الى أن احتل بها النصارى ، وذلك في رابع رمضان المعظم من عام تسعة عشر وألف .

---

1) فى **الديباج** فى ترجمة اسماعيل شيخ المالكية فى وقته المتوفى سنة 282 **فائدة** : دخل عبدون بن صاعد الوزير وكان نصرانيا على اسماعيل القاضى فقام له ورحب به ، فرأى انكار الشهود ومن حضر له ، فلما خرج قال لهم قد علمت انكاركم ، وقد قال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) الآية ، وهذا الرجل يقضى حاجات المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر فسكت الجماعة ، انتهى بلفظه ، وراجع ص 225 من ج 2 من حاشية العطار على **جمع الجوامع** ففيه الكلام على التسليم بنحو كيف حالك (مؤلف) .

ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض من أخذ العرائش أمر عظيم ، وانكروا ذلك أشد الانكار ، وقام الشريف أحمد بن ادريس الحسني ودار على مجالس العلم ، ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش ، فانضاف له أقوام ، وعزموا على التوجه لذلك ، ففت في عضدهم قائده حمو المعروف بابن أبي دبيرة ، وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة ، وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة، وإنكار العامة والخاصة عليه اعطاءه العرائش بلاد الاسلام للكفار ، احتال على ذلك بأن كتب سؤالا لعلماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل ببلاد العدو الكافر ، واقتحمها كرها بأولاده وحشمه ، منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها ، حتى يعطيهم بلاد العرائش ، وانه ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا ، حتى يمكنهم بما أرادوه ، فهل يجوز أن يفدي أولاده من أيديهم باعطائها لهم أم لا ؟ فأجابوه بأن فداء المسلمين سيما أولاد أمير المومنين ، سيما أولاد سيد المرسلين وخاتم النبيئين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد المسلمين للعدو جائز ، وأنهم موافقون على ذلك ، انتهى .

ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع الاعطاء وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك إلاخوفاً على نفسه ، وقد هربت جماعة من تلك الفتوى كالامام محمد الجنان صاحب الطرر الشهيرة على المختصر ، وكالامام أحمد المَقّْري مؤلف (نفح الطيب) فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما . وبسبب هذه الفتوى أيضا هرب جماعة من علماء فاس للبوادي كالامام سيدي الحسن الزياتي شارح (الجمل) ، والامام الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي ، وغيرهما ، والحول والقوة بالله .

وممن أنكر عليه وأغلظ له في القول : الشيخ الكبير الولي سيدي محمد بن الشيخ علي الحاج ، به عرف ، الغصاوي البقال من أولاد الحاج البقال فانفذ أعوانه ، فأتوا به إلى فاس ، فقتله بها صبرا عام سبعة عشر وألف ودفن بوطا ابن فرقاشة المعروف الآن بالسياج(1)وبنيت عليه قبة.

---

1) وطا ابن فرقاشة او ابن فرقاجة ليس هو السياج ، بل درب قريب منه يمتد من سويقة ابن صافى الى أسفل عقيبة السبع ، به زاوية سيدى أحمد ابن ناصر .

ثم ان الشيخ نزل بالفحص ، واجتمعت عليه أمة من أهل الذعـارة والفساد ، والعتو والعناد ، فعتا في البلاد على عادته ، ورحل لتطوان فأخذها ، وخرج منها المقدم أحمد النقسيس هاربا ولم يزل يجول في بلاد الفحص الى أن تمالأ أشياخ الفحص على قتله ، لما رأوا من انحلال عقده ورقة ديانته ، وتمليكه بلاد الاسلام للكفار ، فقتله المقدم محمد بـو الليف غدرا بمحلتـه بموضع يعرف بفج الفرس ، وبقي مطروحا مكشوف العورة أياما حتى خرج جماعة من تطوان فحملوه ودفنوه مع من قتل ، كالدبيريين وبعض أولاده خارج تطوان ، الى أن حمل لفاس الجديد مع أمه فدفنا بها ، وكان قتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف ، ويقال أن قتله كان باشارة من الثائر أحمد بن عبد الله المعروف بابي محلي ، وأنه كتب للمقدم أحمد النقسيس ، والمقدم محمد بو الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله ، وكان له مال معتبر ، ومن جملة مـا نهب له نحو مُديْن مـن الياقوت ، وباقي ماله وسـق سفينة تركه بطنجة ، فاستولى عليه النصارى لما قتل بجري القدر المحتوم .

وكان الشيخ عفا الله عنا وعنه له مشاركة في العلوم ، ويد في مبادىء الطب ، أخذ عن أشياخ الحضرتين ، وله شعر حسن ، ومن شعره ما رأيت بخط بعض الأفاضل معزواً إليه على سبيل اللغز في قول ابن مالك في الالفية ينصب تمييزا الى آخره :

أسائل قراء (الخلاصة) كلهـــم	عن أمر غريب قد بدا ليَ إذ أقرى
على الحال وهو اسم بدا لي نصبه	ألا وهو تمييز فذا أعجب الأمـــر

ومن كتابه الاديب الفقيه المشارك المتفنن أحمد بن محمد بن القاضي محمد الغرديس التغلبي ، ووقفت على نسخة من إجازة سيدي محمد بن أبي الحسن الصديقي سبط آل الحسن للسلطان سيدي محمد الشيخ السعـدي اجازة عامة وأجاز بمثلها أهل عصره ليكونوا على مائدته مؤرخة برابع عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمئة .

672) **محمد بن عبد الله الرجراجي** الفقيه قاضي تادلة أبــو عبد الله يستظهر (مختصر خليل) ويقوم عليه أحسن قيام ، وله مشاركة في النحو والأصلين والبيان والمنطق .

أخذ عن أحمد المنجور وأجاز له أبو النعيم رضوان وهو حي مــن أهل العصر ، سألته عن ولادته فضنَّ بذلك عملا بمذهب مالك في ذلك ، وهو من مدرسي مراكش المحروسة ، وعهــدي بالمخدوم أحمد المنصور أمــره باختصار الكشاف والكلام معه في مواضع سقطه ، قاله في (درة الحجال).

وتقدم في ترجمة المنصور أن أبا عبد الله بن عبد الرحمان الرجراجي أمره المنصور بجمع تفسير ابن عرفة من تفسيري تلميذيه البسيلي والسلوي عــنــه .

وقال في (أزهار البستان، في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان) في الباب السابع فيما قاله من الشعر ، أو قيل في حضرته ، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته ما نصه : وانشد الفقيه العلامة قاضي مراكش محمد بن عبد الله الرجراجي حين كان في فاس ، قدمها مع الخليفة أحمد المنصــور سنة احدى عشرة والف :

لي واحد خلفت قلبي عنـــــــده ... والقلب منه في اتباع ظاعـــــــن
يبكي وأبكي للفراق وطالمــــــا ... بتنا وقلنا والزمان ليـــــــــن
فالشوق فيما بيننا متـــردد ... والوجدُ منا للفؤاد طاعـــــــن

فأجابه الكاتب سيدي عبد العزيز الفشتالي بقوله :

صبرا أبا عبد الالاه فكلنـــــــا ... للشوق في جنبيه صدر كامـــــن
لسنا نذوق العيش الا مــــرارة ... والماء الا وهو ماء آســـــــن
انا لنرجو البين ينسخ حكمـــه ... حتى يكون محركا هو ساكـــــن

فذيلها سيدي محمد بن عرضون الامام العالم القاضي بقوله :

فوض أمورك للالاه ولا تكـــن متلفتا لسوى الذي هو كائـــن
فوض وسلم واعتصم صاح فمــا ذا اليسر الا في التعسر كائـــن
والله يعطف قلب مولانا الامـــا م محركا منه الذي هو ساكـــن

فقال الشيخ عبد الرحمان صاحب الترجمة مذيلا لذلك ومن خطه نقلت:

وارض رضا يتحفْك من رب العلا رضوانه فاللطف حتما باطـــن
ودع التلفت للمضى ومقابـــل ذاك الهناء وفيه صفو كائـــن
والفوز في حب الالاه وقربـــه فهو العزيمة والترخص بائـــن

وقال في (الصفوة) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بمراكش محمد بن عبد الله ويعرف ببوعبدلي الرجراجي ، وكان فقيها مشاركا ، أخذ عن المنجور وسيدي أحمد بابا وغيرهما ، وولي قضاء الجماعة بعد الشاطبي ، وكان من صدور علمــاء مراكش ، ووقعت له مع فقهاء فاس بحضرة السلطان المنصور مناظرات انجلت عن تحقيقه وتوحده بالبراعة في الفنون .

وقال صاحب (الفوائد) في حقــه : المحقق المتفنن النظار الجلــد الصابوح المقوال بالحق ، مفتي مراكش وشيخها ، قوي الادراك وافر التحصيل والفهم الشديد ، شديد المناظرة ، صائب السهم ، ورد به المنصور مدينــة فاس فقدمه لاقراء التفسير ، فعجب منه علماؤها .

توفي رحمه الله عام أثنين وعشرين وألف ، انتهى (1) .

وقال سيدي عبد الرحمان الفاسي في أول شرحه لنظمه(عمل فاس)عند قوله لوالد القتيل مع يمين البيتين ما نصه : وقد وقفت على خط الفقيه العالم الثقة الضابط سيدي عبد العزيز بن الحسن الزياتي في نوازله مما قيده من خط خاله عم أبينا الامام الحجة العالم الشهير محمد العربي بن يوسف الفاســي رحمهم الله قال : وجدت بخط شيخنا قاضي الجماعة سيدي أبي القاسم بن أبي

---

1) صفوة من انتشر ص 99 .

النعيم رحمه الله جوابا لكتاب ما نصه : وذكرتم أن ما ادعاه والد القتيل من الدراهم التي هي من جملة المنهوب أنكرها القاتلون ، وطلبتم ما يوجبه الشرع فيها ، فالذي جرت به الاحكام عندنا بهذه الحضرة في هذه النازلة ومثلها ، أن القول قول والد القتيل مع يمينه ، والظالم أحق أن يحمل عليه ، وإن كان المشهور خلافه ، وكم من مسألة جرت العادة بالحكم فيها بغير المشهور للمصالح العامة .

قال الامام سيدي العربي رحمه الله : وما ذكره رحمه الله شاهدنا الحكم به عام قدم الخليفة أحمد المنصور رحمه الله حضرة فاس ، وقد انحشر الناس الى الشكوى بالمظالم ، وكان يحضر مجلسه رحمه الله للحكم فيها علماء فاس ، كشيخنا المذكور ، وشيخنا المفتي سيدي محمد القصار، وشيخنا سيدي علي بن عمران ، وعلماء مراكش سيدي محمد بن عبد الله البوعبدلي وغيره ، والشيخ قاضي شفشاون سيدي محمد بن الحسن بن عرضون رحمهم الله . فكان الحكم يصدر على الوجه المذكور قال : والعام المذكور هو عام أحد عشر وألف ، انتهى .

ونقله أيضا السجلماسي في شرحه ، والشيخ الرهوني في 230 من ج 6 من حاشيته ، وممَّن ترجم المترجم الحضيكي في طبقاته ، وذكره في كناشه أيضا .

ومن تلامذة المترجم محمد الرجراجي مفتي مراكش وقاضيها المذكور يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي .

وقال في (النشر) لدى سنة 1022 ما نصه : محمد بن عبد الله قاضي مراكش رمز له المكلاتي بقوله :

وان ابن عبد الله قل شبيهه   فيالك من قاض زكيٍّ معدل

انتهى ما ذكره فيه ، وداره الى الآن مازالت تعرف بحومة ازبزط بدرب القاضي .

673) محمد (قدار) بن يحيى البوخصيبي

محمد الملقب بكدار بالقاف المعقودة ابن الشيخ يحيى بن علال البوخصيبي العمري المالكي ، قال في (الممتع) بعد ذكره : قال في (المرآة) : كان الشيخ محمد صاحب الترجمة كبير الشأن جليل القدر ، ظاهر الولاية ، شهير البركة ، مقيما لرسوم الشريعة ، متحققا باسرار الحقيقة ، صادق الفراسة ، ثم قال : وكان يطرأ عليه حال لا يستفزه مع ظهور أثره عليه ، حضرته مرة وهو يتكلم بمعارف ، والتفت الى بعض الحاضرين ، وقال له : أهل دارك حامل ؟ فقال له : لا علم لي ! فقال له : هي حامل وتلد ذكرا ، فكان كذلك ، انتهى .

وكتب الشيخ سيدي يوسف الفاسي كتاباً لبعض أصحابه فجرى في كلامه ذكر فقراء الغرب فقال : ومن أجلهم عندنا سيدي قدار ، انتهى .

وكان رضي الله عنه شديد الاتباع للسنة ، وكان يقال اذذاك الفقير هو سيدي قدار الذي أقام السنة في وسط أزغار ، وكان قوياً في السلوك عظيم الكشف يخبر بالمغيبات والوقائع المستقبلة ، له الاطلاع على ما يفعله الناس مستترين منه ، الا أنه لا يفضحهم ، وكان لا ينام الليل فيقال انه كان من حراس المغرب في وقته ، وبات ليلة عند ابنته وزوجها سيدي عبد الرحمان الفاسي فقال له سيدي عبد الرحمان : ارقد ياسيدي قدار، فقال له : ارقد أنت ياسيدي عبد الرحمان ، اذ أنت محبوب ، أما أنا فلا أرقد ، ادرك أباه فقال له : امش تخدم الرجال ، أما أنا فليس لك عندي شيء ، يعني من أمر الفقر الخاص دون مطلق البركة ، فذهب فدخل مكناسة ، فلقي بها سيدي أبا الرواين ، فحذفه بأصبعيه في عنقه ، ثم مشى لزيارة أبي يعزى ، فقامت به حالة فصار بوابا على سيدي أبي يعزى ، مَن أذن له دخل ، ومَن لا فلا ، ثم رجع الى مكناسة فصحب سيدي سعيد بن سيدي أبي بكر المشنزائي ، ولازمه الى أن مات ، وعلى يديه فتح له ، واليه ينتسب .

ثم بعد موته ذهب الى مراكش فلقي بها سيدي أبا عمرو القسطلي ، وسيدي عبد الله بن حسين بتامصلوحت ، فقال له سيدي عبد الله : كنت تعمل القدور فتتهرس لك ! والآن اذهب لا تتهرس لك قدر ، كأنه يعني الاحوال .

ثم زار شيخه بعد موته ، فخرجت له منه حالة كان يسمع بها كل من تكلم بالمشرق وغيره ، حتى أن من حرك سبحته بالمشرق يسمعها ! وكان يقول : اما هؤلاء العبيد ، يعني الذين بالسودان يصدعوني بمهاريسهم ! يعني التي يهرسون بها الدخن والذرة هناك ، وحكي عنه أنه قال : لو صاحت نعجة ببغداد لسمعتها !

قال في (المرآة) : وكان شديد المحبة والتعظيم للشيخ سيدي يوسف كثير الزيارة له والمجالسة والاستفادة والاستشارة ، وكانت بينهما معاشرة قديمة ، وألفة أكيدة ، وموالاة كموالاة القرابة ، انتهى .

وسمعت سيدنا الامام محمد بن عبد الله بن معن رضي الله عنه يقول : كان سيدي قدار ، وسيدي علي أبو الشكاوي ، وأمثالهما يجلسون قدام سيدي يوسف كالقطط ، يعني متأدبين خاضعين قال : وكان سيدي قدار على جلالة قدره ، اذا تكلم معه يختار ما يقول ، وكان يقول أعني سيدي محمد أبي سيدي قدار : أنه كان في الكشف كالمرآة ، ووقف يوما على سيدي الحسن الزياتي بزاوية سيدي يوسف وكان عزباً فقال : ألا تتزوج ؟ فقال له : ما عندي زواج في الوقت ؟ فقال : أما أنا فقد زوجناك بنت سيدي يوسف وتلد معها أربعة من الولد ، ثلاثة منهم يقرأون ، واحد لا يقرأ ، فكان كذلك ، وكان مرة ولده في السجن مع ابن له ، فبعث اليه : يامحمد اذا أتاك مسرح فلا تخرج ، فاتفق ان كان السلطان الذي سجنهم في محاربة سلطان آخر ، فلما عاينوا الهزيمة بعثوا الى من بالسجن أن يذبحوا ، فكل من خرج ذبح ، ولم يخرج ولده ، وخالفه ابن عمه فخرج فذبح ، ثم دخل الملك الآخر فسرحهم وسلم ولده ، وكان يوما فقيرا يتواجد قريبا منه فجعل يقول : ان السلطان زيدان سيجيء لهذه البلاد ، ويكون ويعمل ويعمل ، فقام بعض الحاضرين إلى سيدي قدار فقال له : ألا تسمع ما يقول فلان ؟ وكان الشيخ قد ثقل سمعه لكبر سنه ، فقال له : فما يقول ؟ فأخبره فقال له : الريح ومد عليها أن زيدان لما دخل لفاس ، واطلق فيها السبيل غار مولاي ادريس على بلده فضربه ركلة صيرته وراء أم الربيع ، أو

قال وادي العبيد ، فلا يخوضه أبدا فكان الامر كذلك . ثم لا أدري كيف ذكر له الشيخ المامون فقال له الشيخ : ثم دق أوتاده أهل الله ، فهنالك يبقى إلى أن يموت ، فلم يعدُ موضعه الى أن مات به .

وتوفي صاحب الترجمة رضي الله عنه يوم الأحد سادس ربيع الأول عام أربعة وعشرين وألف ، وسنه مئة عام وعام واحد ، وبنيت عليه قبة عظيمة قريبة من خلوة أبيه رضي الله عنهما .

قال في (المرآة) : وطال عمره كثيرا فنفع الله به خلقا كثيرا.انتهى .

ومن كراماته ما ذكره في (ابتهاج القلوب) : سمعت من جماعة أن ولده محمد الاكبر اشتهى عنبا في غير وقته ، وهو صبي ، فأخذ يبكي عليه ، فقال : سيدي كدار يامَن يأتي بالعنب ، فبينما هم ينظرون وإذا بدابة عليها سلل آتية وحدها ، فأخذوا ما عليها فوجدوه حمل عنب في غير وقته ، وأخبر يوما أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فشكا اليه أولاد مطاع لما رآهم عليه من الفساد في الارض ، فقال لهم : يأتيهم أحمد فكان كذلك ، أتاهم بالقرب السلطان أحمد الذهبي ففل عروشهم ، وفرق جموعهم ، وكراماته أكثر من أن تحصى ، وما في نسخة الطبع من (نشر المثاني) من أنه ولد عام ستين وتسعمئة سبق قلم (1) .

674) محمد بن علي السجتاني الفاسي

محمد بن علي السجتاني المعروف بالفاسي ، لأنه قاد الاستاذ الكفيف محمد بن علي الجزولي الانسوي المتقدم الترجمة ، المتوفي عام 1009 من مراكش الى فاس ، حين يقرأ عليه ، ورده كذلك الى مراكش وحمل الطرق العشر من مشيخة فاس .

قال في (الفوائد الجمة) : قرأت عليه صدرا من الشاطبية وأوائل الاصول ، ولم يزل في قيد الحياة حفظه الله .

1) ليس في ترجمته من **نشر المثاني** المطبوع 1 : 126 شيء من ذلك .

675) محمد المامون التونسي

محمد المامون بن الحاج الابر محمد بن محمد التونسي المراكشي ، الفقيه العلامة الدراك أبو عبد الله الحفصي نسبة الى بني حفص ملوك افريقية ، وهم ينتسبون لمولانا أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسبما ذكره الشريف الغرناطي في (شرح المقصورة) ، والذي عند ابن الخطيبفي (رقم الحلل) ان نسبتهم انما هي لعبد الواحد بن أبي حفص عمر بن عبد الواحد أحد أصحاب الامام المهدي ،وأنهم من هنتاتة قبيلة من البربر من ولد صنهاج ابن عاسل ، انتهى .

وكان جد صاحب الترجمة قدم على السلطان محمد المهدي حين أخرجهم الاتراك من تونس ، واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور، وظن انه قصده يطلب المعونة منه على الاتراك ، فاختار المسكنة ، ولم يزل عنده في الحظوة الى أن توفي ، وولد صاحب الترجمة في حدود ثلاث وألف بمراكش ، ونشأ في عفاف وصيانة ، ولازم المجالس ، واعتنى بالمطالعة ، وأخذ عن عدة من الاشياخ ، كالقاضي عيسى بن عبد الرحمان ، وأحمد الحريري ، وأبي بكر السجتاني وغيرهم .

ونجب على صغر سنه ، فتبحر في العلوم وتضلع بالفنون الى أن اغتال بدره السرار ، فتوفي وهو في ريعان الشباب لم تذبل زهرة شبيبته ، ولا تقلصت ظلال حداثته ، في يوم الاثنين والعشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وألف بعد أن مرض عشرين يوما . وله شرح (الصغرى) و (الكبرى) ، وهو شهير بايدي الطلبة وكان ينشد :

اذا ما تولى صديقك خطـــــة ؟ ولا سيما ان كانت الخطة القضـا
فكن قانعا منه بمعشـــــار وده ولا تطمعن في الوداد الذى مضـى

ترجمه في (الصفوة) ، و (طبقات الحضيكي) ، وطبع شرحه على الصغرى عام 1324 بمطبعة أحمد اليمنى بفاس .

676) محمد بن محمد العقاد المكي (1)

محمد بن محمد أبو الفضل العقاد المكي الشريف ، كان أديباً ، فاضلا، ناظما ، فكاهة ، فمن شعره رحمة الله عليه (2) :

لا وفرع كدجا الليل غســـــق	وجبين ضوؤه ضوء الفلـــــق
ومحيا كلف البدر بـــــه	وخديد من حواليه شفـــــق
ما أرى الغزلان الا سرقـــــت	منه جيدا والتفاتا وحـــــدق
ثم خافت فتولت شـــــردا	كيف لا يشرد خوفا من ســـرق

وقد مدح مولانا بموشحة عجيبة عارض بها موشحة ابن الخطيب وابن سهل ، الا اني لا أذكرها الآن ، وقد عارضه مولانا في الابيات المذكورة ، ويد مولانا في ذلك أطول من يده وكذلك كتبته ، وشعراء الوقت بمعارضات كبيرة ، كل ذلك ضاع مني في محنتي .

انتهى من (المنتقى المقصور) .

قلت : أمـا موشحته المذكورة فقـد تقدمت مع معارضتهـا لبعض المراكشيين في ترجمة أحمد المنصور .

قال في (سلافة العصر) ما نصه : أبو الفضل بن محمد العقاد المكي هو وان لقب بالعقاد ، حلال مشكـلات القريض بذهنه الوقاد ، وسار سيــر الشمس من المشرق الى المغرب . منتجعا سلطانه المنصور بشعره المطرب ، فوفد على حضرته السامية ، وورد مناهل كرمه الطامية ، فصدح بشعره شادياً في ناديه ، ونال به مغانم من أياديه .

---

1) ترجم المؤلف لابن العقاد مرتين : مرة مع المحمدين ، ومرة أخرى فى حرف الفاء مع آباء الفضل ، وقد لفقنا الترجمتين وجعلناها ترجمة واحدة كما هو الواجب .

2) نسب الابيات فى **سلافة العصر** للشيخ قطب الدين الحنفى المكى كما سياتى .

ولرابح بن عبد الصمد المديوني الفشتالي في المترجم :

أكل هجين أبعدته يد النـــــوى ... يلوذ بأبواب الورى يتكفـــــف
وكل زنيم جاهل قدر نفســـــه ... يزاحم أهل البيت كي يتشـــرف

انتهى المقصود منه بلفضه ، ونقله عنه في (خلاصة الاثر) أيضاً .

غـريـبـة

قرأت في (سلافة العصر) في ترجمة الامام الشهاب الخفاجي ما نصه :

ومن شعره :

لا وغصن راق للطـــــرف ورق ... وعليه حلل الظـــــرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظـــــري ... والشعور ألليْـلُ والخد الشفـــق
وعيون حرمت نومي ومــــــا ... حللت لي غير دمعـــي والارق
ما احمرار الراح إلا خجــــــل ... من رضاب سكرت منه الحـــدق
والذي قد حسبوه حببـــــــا ... فوق خد الكاس قطرات العـــرق

وهو على منوال قول الشيخ قطب الدين الحنفي المكي ، المتوفـي سنة تسعين وتسعمئة .

لا وفرع كدجى الليل غســـــق ... وجبين ضوؤه ضوء الفلـــق
ومحيا كلف االبدر بـــــه ... وخدود من حواليها شفـــق
ما أرى الغزلان الا سرقـــــت ... منك جيدا والتفاتا وحـــدق
ثم خافت فتولت شـــــردا ... كيف لا يشرد خوفا من ســـرق

وأبيات الشهاب الخفاجي المذكورة قد أنشدها صاحبها في (الريحانة) في ترجمة أحمـد المنصور ، بعد أن أنشد أبيات المنصور المتقدمة .

ثم قال :

وللقطب المكي على منوالـــــه ... (لا وفرع كدجى الليل غســـق)

الى آخر الابيات الاربعة .

ثم قال :

ومما نسجته على منواله (لا وغصن راق للطرف ورق) ، فقد نسب هذه الابيات المنسوبة لصاحب الترجمة للقطب المكي ، وأما معارضة القافية المذكورة فقد وجدت بكناش عليه خط سيدي المعطي صاحب (الذخيرة) ما نصـه :

الحمد لله ، وجدت مقيدا بخط حسن ما نصه :

الحمد لله

لصاحبنـا الشريف محمد بن العقاد المـكي يتغزل ، ودفعها الـى السلطان مولانا أحمد المنصور بالله الشريف أيـده الله ، وذلك أول مـا قدم بحمراء مراكش .

لا وفرع كدجا الليل غســـق	وجبين ضوؤه ضوء الفلـــق
ومحيا كلف البدر بـــه	وخديد من حواليه شفـــق
ما أرى الغزلان الا سرقـــت	منه جيدا والتفاتا وحـــدق
ثم خافت فتولت شــــردا	كيف لا يشرد خوفا من ســـرق ؟

فاعطاه ألف أوقية نقدا ومركباً وخلعات أحسن الله إليه .

ولمولانا السلطان المذكور أيده الله معارضاً ، وهو لعمري من نظـم الملـك .

لا وطرف سلب السيف الفرنـد	في قوام كقنا الخط نهـــد
ووميض لاح لما ابتسمـــت	فرأينا منه درا وبـــرد
ما هلال الافق الا حاسـد	لعلاها وبهاها والغيـــد
ولذا عاش قليلا ناحـــلا	كيف لا يفنى نحولا من حسـد

وعارضها صاحبنا الاديب امام الدين بن محمد الخليلي الشامي فقال :

لا وحبي وهواه والـــذي	ارتجى من وجهه حسن النظـــر
وعيون ناعسات ذبـــل	ووجيه ضوءه يحكي القمـــر

وخصير مثل جسمي ناحـــــل ... ورديف مثل همي في الكبــــر
ما خلا قلبي منه ساعـــــة ... كيف يخلو وهو في قلبي استقـر
واذا ضاق خناقي ليس لــــي ... ملجأ مما أقاســـــي ووزر
غير مدحي للامام المرتضــــى ... أحمد المحمود من نسل مضــــر
مجزل النعماء في كف الفقـــرا ؟ ... رافع اللواء اذا الخطب خطــــر
دام عزا وعلوا وارتقـــــا ... ما دحى صبح ظلاما وسفــــر

ولا شك أن هذا الناقل من أهل عصر المترجم .

وقوله: أعطاه ألف أوقية نقداً إلى آخره، في(النزهة)ما نصه: ومن جوده يعنى – المنصور – أنه أعطى الشريف الاديب الفاضل محمد أبا الفضل المعرف بابن العقاد المكي نحو أربعة آلاف أوقية دون الخلع والكسي التي كان يخلع عليه أيام الاقامة ، ودون الكتب التي منحه ، وكتب له كتابا لخاقان ملك الاتراك يوليه القضاء باليمن ، فنفذ له ذلك خاقان كما اشتهر ، انتهى المقصود .

وتقدمت قضية امام الدين الخليلي في اجتماع المترجم معه ، وشريف آخر مدني عند المنصور ، وما قاله الخليلي في ذلك في ترجمة أحمد المنصور أيضا ، فراجعها .

وقوله : (لعلاها ونهاها والغيد) ، هكذا وجدته ، وهو كذلك فـي (الريحانة) و (الخلاصة) ، وتقدم في (نفح الطيب) أنه أنشده هكذا :

ما هلال الافق الا حاســـــد ... منه حسنا وعلاء وغيـــــد

وحكى هذه القضيــة على غير هذا الوجــه ، ونسب ذلك للخليلــي فراجعه ، وقد جعل في (النزهة) أيضا القائل أولا هو المنصور ، والقائــل ثانيا هو الخليلي : لا وفرع كدجا الليل غسق الخ ، وهو غلط ، فالأبيات التي أولها لاوفرع الخ لابن العقاد المترجم كما لابن القاضي ، وتقدم ما فيه ، وأما معارضة الخليلي ، فهي التي تقدمت (لا وحبي وهواه والذي) الخ .

وقال في (خلاصة الاثر) : وكانت وفاة أبي الفضل العقاد في حدود الثلاثين بالظن القريب لما استفيد من أحواله والله أعلم رحمه الله تعالى، انتهى (1).

677) محمد بن أحمد ابن مليح السراج

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح (2) المراكشي الشيخ الفاضل العالم العلامة ، وقفت له على رحلة حجازية سماها (أنس الساري والسارب ، من أقطار المغارب ، الى منتهى الآمال والمآرب ، وسيد الأعاجم والأعارب) صلى الله عليه وسلم (3) أولها : الحمد لله الذي عقد أزمة أزرار ثوب الوجود بحكمته الخ ، ضبط فيها رحلته ونقلته ، وذكر مبتداها بالنص على عدد المراحل ، وأسماء المناهل .

وكان ارتحاله من مدينة مراكش في آخر صفر سنة أربعين وألف مع الشيخ الافضل النبيه الاكمل البركة الاحفل ، رئيس الركب الحجازي ، القدوة الكامل ، سيدي محمد ابن الحاج الابر ، نجل الولي الاكبر سيدي عبد العزيز بن سيدي محمد بن أبي عمرو ، ثم زار أبا العباس السبتي ، ثم زار رجال أغمات ابن سعدون ، وابن عبد العزيز التونسي ، وأبا محمد الخزرجي ، وأبا محمد بن ويجلان ، ثم أبا العباس الهواري ، وأبا يعقوب المرادي ، وأبا محمد عبد العزيز الباغي ، وميمون الوريكي ، وأبا الحسن الهواري ، وأبا يحيى الصنهاجي ، وأبا علي الاندلسي ، وأبا عبد الله الهزميري .

ومن أغمات سافر الركب لتكانة ، ثم قصبة الكلاوي ، ثم لتسايوت ، ثم لقصبة الشيخ علي الزينبي ، ثم ورزازات يوم مولد الرسول ، ثم لتفرنين درعة بمزكيطة ازاء قصبة الشيخ محمد بن ناصر ، فقام بضيافة الركب ،

---

1) تنظر ترجمة العقاد أو ابن العقاد هذا فى **جذوة الاقتباس** ص 326 ع 345 طبع الرباط ، ودرة **الحجال** 2 : 238 ع 699 طبع تونس .

2) ابن مليح بالميم ، هكذا فى النسخة من الرحلة المذكورة ، وذكر الشيخ أحمد بن العربى ابن حسون لما نقل عن المترجم انه ابن فليح وكتبه بخطه بالفاء ولم يضبطه بالقلم (مؤلف) .

3) طبعت بفاس عام 1388 هـ (1968 م) بتحقيق الاستاذ الوزير السيد محمد الفاسى .

ثم قصبة السلطان تنزولين ومروا على خنق كتاوة ، ثم بلاد توات ، وفيها لقي سيدي محمد بن الشيخ أحمد بابا السوداني ، والفقيه النجيب السيد الاريب البركة الصالح القدوة الناصح سيدي محمد بن عبد العزيز الدرعي ، من تلامذة الشيخ أحمد بابا المذكور ، وقرأ عليه بمراكش ، ورافقاهم الى الحج ، والتقى مع الولي الصالح سيدي علي بو دربالة ، ثم بلاد سيورة ، قال فيها : تشبه جناتها جنات بلدتنا مراكش ، فيها من جميع الفواكه مختلفة الالوان ، ثم الى النيل المبارك بعد مشقات هائلة ، حيث ضلوا عن الموارد المعتادة ، ثم بلاد مصر والقاهرة ، فدخلوا مصر ضحوة يوم الجمعة 13 شوال من سنة احدى وأربعين وألف ، فمكثوا في سفرهم من مراكش الى مصر عاما كاملا ، ونحو ستة أشهر ، وقد صار الانسان يقطعها اليوم بحراً وبراً في نحو تسعة أيام .

وفي مصر يقال :

لعمرك ما مصر بمصر وانما هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وحضر في أزهرها عند العلامة سيدي علي الاجهوري في درس رسالة ابن أبي زيد ، ومن علمائها المالكية سيدي أحمد الكلبي ، وسيدي أحمد ومحمد ولدا سيدي ابراهيم اللقاني ، وذكر مشهد سيدنا الحسين وسيدتنا نفيسة بنت زين العابدين ، وسيدي خليل ، ثم مشاهد القرافة .

وممن زاره هناك قبر السيد الفاضل ، والولي الصالح القدوة الناصح سيدي أبي عمر القسطار المراكشي المنشأ والدار ، مات رحمه الله وهو متوجه مع إخوته لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، ودفن بمقبرة المجاورين .

ثم خرجوا من مصر في 27 شوال المذكور ، فسلم شيخ الركب المراكشي أمر رئاسة الركب لمفتي الديار المصرية سيدي أبي الحسن النفاتي فمروا على عجرود ، وعقبة أيلة وقصبتها ، وفيها تلتقى الركبان من أرض الشام

وغيرها ، ثم لقصبة المويلح ، ثم لقصبة الوجه ، ثم للينبع ، ثم بدر ، رابغ ، ثم دخلوا مكة يوم السابع من ذي الحجة . ثم بعد الحج والعمرة أرتحلوا من مكة فوصلوا المدينة المشرفة يوم الجمعة ثالث محرم سنة اثنين وأربعين وألف .

وهنا ذكر المؤلف هدية السلطان المولى الوليد بن زيدان السعدي ، وهي حسكتان من عسجد ، مركبتان على يواقيت من زبرجد ، وزن كل واحدة منهما أربعة أرطال من ذهب ، وحسكتان من فضة خالصة ، وزن كل واحدة منهما عشرة أرطال ، وصندوقان مملوآن بشمع العنبر ، وعشرة آلاف من الذهب المطبوع ورسالة وقصيدة ، ففتح له باب الروضة ، فدخل حتى وضع جميع ذلك، ووضع الرسالة والقصيدة بعد فض ختامهما ، وقرئت بمرأى من سيد البشر ، ودفع المال لحراس الروضة وسدنتها ، وفي كل ليلة يركب شمع العنبر في تلك الحسك وتوقد من المغرب الى الصباح ، وكتب في دارتي حسكتي الذهب بخط أخضر :

متع لحاظك في محاسن منظري	لترى عجائب مثلها لم يعهد
قمر على غصن الزبرجد قائم	ينبئك عن حب الوليد لاحمد

وكان خروجهم من المدينة المنورة بعد أن زاروا المشاهد يوم الاثنين السابع من المحرم من السنة المذكورة 1042 ، وبقي مجاورا رئيس الركب المغربي سيدي محمد بن عبد العزيز بن سيدي محمد الكبير نجل سيدي أبي عمرو ، ولحق المؤلف بالمحلة التونسية ، وقدم عليهم الاصيل الاثيل ، ذو المفاخر العلية ، والهمم الرفيعة السنية ، والاخلاق الطيبة الرضية ، السيد الخير الكوكب النير ، الخلاصة البركة الميمون السكون والحركة ، سيدي محمد بن أحمد بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي عمرو القسطلي ، وتلاقوا بأهل مصر في مرسى المويلح في محلة عظيمة ، ثم انصرفوا عنهم لعيون القصب ، وفي عقبة أيضا التقوا بأهل غزة ، وكانت محل اللصوص ، فافلتوا منهم بحلية .

ثم دخلوا مصر يوم الجمعة ثاني صفر من السنة المذكورة ، فظن أهل مصر أنهم لم يحجوا حيث وفدوا عليهم قبل الوقت المعتاد ، واجتمع من أهل

مراكش هناك الصاحب النجيب الحسيب الاريب الفقيه سيدي الحاج محمد بن الفقيه سيدي أحمد الخطيب ، وأقاموا بالقاهرة خمسا وخمسين يوما ، وخرجوا من مصر يوم الاحد السابع من ربيع النبوي ، وعدلوا عن الطريق الاولى وسلكوا طريق الفقهاء ، الا أنها لا يسلكها الركب الا اذا مطرت لكونها ليس بها آبار، ثم توات، ولقوا سرية جاءت للساقية الحمرا لنهب ابل المرابط سيدي علي نجل سيدي أحمد بن موسى ، فلم يظفروا منها بشيء ، ووفد عليهم وفد الجراوة بخنق وادي الساورة ، وساروا معهم الى أن وصلوا تبلبالت ، ثم وادي درعة يوم السبت الثالث من شوال سنة اثنين وأربعين وألف ، ثم ورزازات ، ثم قصبة الگلاوي ، ثم تكانة ، وهناك تلقتهم الاهل والاحباب ، وذكر هنا ترجمة الشيخ سيدي أبي عمرو القسطلي ، ونقل بعض كلامه .

ثم عدد المراحل من مراكش الى المدينة المشرفة ، فمن مراكش الى مزگيطة احدى عشرة مرحلة ، من أول درعة الى منتهاها عشر مراحل ، منه لتبلبالت عشر مراحل، من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة، في قرى توات من أولها الى آخرها خمس مراحل ، من آخر توات لبلاد فزان ثلاث وخمسون مرحلة ، في معمور فزان ثلاث عشرة مرحلة ، من فزان لوجلة سبعة عشر ، من وجلة لسيورة أربع عشرة مرحلة، من سيورة لبحر النيل ست عشرة مرحلة، من مصر لمكة خمس وثلاثون مرحلة ، منها للمدينة المشرفة احدى عشرة مرحلة ، الجميع مئتا مرحلة ، فيها عشرة كراريس من القالب الرباعي مسطرة 20 ، وهي في المكتبة الكتانية بفاس عدد 3152 ، المراحل 198 على حسب جمع ما ذكر فيها ستة أشهر ونصف ، ومدة الاقامة خمسة وعشرون شهرا ونصف، ومجموع هذه الغيبة 32 شهرا ثلاث سنين عدى أربعة أشهر ، صار الانسان يدرك هذا اليوم في قريب من شهرين فقط (1) .

678) **مَحمد (2) بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي** الشيخ الكبير القدر الامام الشهير أحد صدور مشايخ المغرب ، انتهت اليه رياسة الدين

---

1) وصار يدركه اليوم فى اقل من يوم وليلة ذهابا وايابا .

2) بفتح الميم كما ياتى (مؤلف) .

والدنيا ، فأحسن السيرة فيهما مع المشاركة في جميع الفنون سيما علم التفسير وعلم الحديث ، فله فيه اليد الطولى والباع المديد .

قال الشيخ سيدي أحمد بن علي في (بذل المناصحة) في حقه ما صوته : سيدي محمد بن أبي بكر العالم المعقولي ، الجهينة الاصولي العلامة الهمام والرئيس الاسعد الذي امتدت أليه اعناق الخلائق للعطاء منه ، وقد بسط رحمه الله يده في ذلك ما استطاع ، حتى عز القاصد لزيارته في الله عز وجل ، وانما يقصدونه فيما ينالون من يده حتى أن من لم يرضه يطلق فيه اللسان ، لقلة الانصاف من الانسان ، يعرف صحيح البخاري وأتقن ضبطه ، لقيته وتذاكرت معه عقيدة الواحد لا يتغير فعله .

وذكر لي سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المتقدم عنه انه قال له رضي الله عنه : بأي وجه اسقط لفظة افضل من قولنا ؟ جزي الله عنا نبينا محمدا ما هو أهله ؟ فقلت له : ان سيدي محمد بن ابراهيم صاحب تمزت هو الذي نبه أولا على ذلك ، ووصل اليه الشيخ سيدي عبد الله بسبب ذلك ، حتى تكلما في ذلك ، وبين له وجه فساد تلك اللفظة فقال لي : ليس لهم لها وجه لمنعها إلا أن يكون من جهة الرواية ، وأما من جهة الصناعة فلا تمتنع بالكلية ، ثم استشهد بقول ابن مالك : وأفعل التفضيل صله ابداً ، فقلت له وبعد ما بلغت القضية لسيدي أحمد بابا وافق على المنع ، فقال : لا يكون ذلك لهم الا من جهة الرواية ، انتهى .

وقال في (المرآة) : صاحبت صاحب الترجمة سنين في محبة خاصة ومراعاة تامة ، استفدت منه من الفوائد والنكت ما لا يحصى ، أخذ على سبيل سلب الارادة والانتساب ، عن أبي عبد الله الشرقي المتقدم ، وعن أبيه ، وزار ابن المبارك الزعري ، وعيسى بن علي البركي ، وحج سنة خمس وألف ، فلقي الشيخ زين العابدين البكري ، ولازمه مدة اقامته بمصر واستفاد منه .

وحدثني أن شيخه الشرقي المذكور أخذ عن سيدي محمد بن عمر المختاري وانه قال له : كنت مع سيدي محمد بن عمر مثل والدك معي ، وقال لي : طبق الباب ، وقل انت لسيدي أبي بكر : طبق الباب ، فقلت له : ما يعنون بذلك ؟ فقال : التقليل من الجموع .

ولما زار والدك أبا الطيب الميسوري كان معه ولد سيدي أبي بكر ، فقال له أبو الطيب عند أبيه ما يكفيه ، انتهى .

وكانت لصاحب الترجمة زاوية عظيمة لم يعهد مثلها في البلاد المغربية منذ أزمان ، حتى قيل إنه كان ربما أطعم في بعض الأيام بخمس وعشرين غرارة من الزرع ، وأما السمن فاتخذ لـه ينابيع ينصب لها مـن قواديس جالبة له من قدور نحاس كبار معدات لذلك ، وهذا أمر لم يسمع به من أحد .

وكان صاحب الترجمة رحمه الله رقيق الحاشية، وفي آخر عمره ربما كان ينصت للسماع ويتأثر له ، فانهى ذلك للسيد أحمد بن القاضي أبي محلي فكتب له بهذا البيت :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبـــة   فما لك بعد الشيب أصبحت صابياً

فأجابه ببيت :

نعم لاح برقالحسن فاختطف الحشا   فلبيته من بعد ما كنت آبيـــا

وأخذ عنه رحمه الله الشيخ ميارة ، وأحمد المَقْري ، وابن عاشر ، والبوعناني وغيرهم ، وتوفي عام ستة واربعين وألف ، ودفن بالدلاء قرب روضة والده ، وبني عليه السلطان مولاي محمد الشيخ بن زيدان قبة حافلة البناء ، متقنة الصنعة، وفي ذلك يقول الشيخ العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي مما نقش فيها :

هذا ضريح التقي والمجد والكرم   هذا الولي الوفي العهد والذمـــم
هذا المحب لاهل البيت قاطبـــة   محمد بن أبي بكر الرضى العلـــم

قد صار في رجب لله عام مشـــوا   به الى جنة الرضوان والنعـــــم
من أجل ذا قام في تشريف روضته   محمد الشيخ مولى العرب والعجـم

وفي مرض موته رحمه الله جمع عليه أولاده ، ونصحهم وقال لهم فيما أوصاهم به : يابني أن الله عز وجل أخبرني عن قول طالوت لقوله : « ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فانه مني الا مـن اغترف غرفة بيده » وأنا أقول لكم الا من اغترف غرفة بيده يشير لهم بذلـك لما سيفتح عليهم بعده من أمور الدنيا ، وما ينالونه من الملك والرئاسة ، فكان كما أخبر به رحمه الله ، والصالحون اذا حذروا من شيء وقع ما حذروا منه ، وقد اعترض عليه بعضهم في قوله : وأنا أقول : حيث قابل كلام الله بكلامه ، وأجاب عن ذلك حفيده شيخنا العلامة محمد بن أحمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر حسبما حرره في رسالة معلومة لذلك .

انتهى من (الصفوة) .

وقال في (البدور الضاوية) : أتى سيدي أبو بكر الدلائي بولـده سيدي محمد لسيدي أبي عمرو ، ووجده ينتظره خارج مراكش ووضعه فـي حجره ، فأذن في أذنيه ، ودعا له بالبركة فيه ، ثم زاره ثانيا وهو صبي صغير من سبع سنين فدعا له بخير ، انتهى .

وتقدمت ترجمة والده أبي بكر في حرف الباء .

وفيه وفي ولده المترجم الف سيدي عبد السلام القادري (نزهـة الفكر ، في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده أبي بكر) .

679) **محمد بن موسى الأديب**، به شهر، **الحامدي** نزيل مراكش وأفضل المنتصبين لتحمل الشهادة ، توفي عام 1047 .

ذكره في (بشارة الزائرين) .

680) محمد بن يوسف التاملي السوسي

محمد بن يوسف بن أحمد بن زكرياء التاملي السوسي أصلا ، المراكشي دارا ومنشأ ، الشيخ الاستاذ المجود الاديب الفهامة ، معلم الملوك المالكي أحد فقهاء المغاربة الممتطين سنام الفضل وغاربه ، عالم ماضي شبا السنان والقلم ، وعلم فضله أشهر من نار على علم ، له في الادب يد لا تقصر عن ادراك غاية ، وباع تلقى راية البلاغة ، فكان عرابة تلك الراية ، وكان من المهرة في فن القراءات ، مشهوراً بالاتقان وجودة الضبط .

أخذ بفاس عن سيدي الحسن الدراوي ، ومحمد بن يوسف الترغي ، والشيخ محمد الصغير المستغانمي وغيرهم كأحمد المقْري ، وقد ذكره في كتابه (فتح المتعال) ، وذكر قصيدة له يطلب منه الاجازة ، وأجازه في سنة ست وعشرين وألف ، لما قدم من مراكش الى فاس :

أموقظ جفن الدهر من بعد ما غفى — وباسط كف البذل من بعد ما كفا
ومحيي رسوم الاكرمين التي عفت — ومحيي معين الفضل من بعد ما جفا
اجزني بما قد قلته ورويته — ففضلك ياذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بهذه الابيات :

أمشكاة أنوار القراءة والادا — وساحب اذيال الكمال على الاكفا
وحائز اشتات الفضائل اذ غدت — مفاخره في اذن مغربنا شنفا
بعثتم بطرس بل بروض بلاغة — تعطرت الارجاء من نشره عرفا
واملتم أعلا الالاه مقامكم — وألبسكم من عزه الطرف الاضفى
من القصار الباع الضعيف اجازة — ألم تعلموا ان الصواب هو الاعفا
ولست بأهل ان اجاز فكيف ان — ان أجيز على ان الحقائق قد تخفى ؟
فأضواء فكري أظلمتها حوادث — فآونة تبدو وآونة تخفى
ولولا رجائي منكم صالح الدعاء — لما سطرت يمناي في مثل ذا حرفا

قال المَقْري : وقد كتب إليَّ صاحبُ الترجمة بعد ما رجع من فاس الى مراكش بعد ما وصلها وهو يقول : ولا زائد على ما نعرفكم به سوى ما ألهم الله بفضله من معاطاة كؤوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة ، ولقد خرجــوا للقائي متعطشين لمرحلة عن مراكش ، في جمع كثير ، أزيد من ثلاثمئة طالب، وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية (الشاطبية)،و (لامية الأفعال) بعد العصر، والكراريس بعد العشاء ، ووقت التجويد من طلوع الشمس الى العصر ، والذي معي من الطلبة في الجمع الكبير ثمانية ، وفي العشر ستة ، وهم في الازدياد ، وقــد عزمت على جمع فهرسة أذكــر فيها من لقيته مــن الافاضل امثالكــم .

انتهى باختصار .

وقــد ذكره في (نفــح الطيب) أيضا (I) بعد أن حــلاه بقوله : كتب لي الاستاذ المجود الاديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيــخ محمد بن يوسف المراكشي التاملي ، وذكر مسائل بعث له للمشرق يسألــه عنها ، نص الكتاب :

الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى

من المحب المخلص المشتاق،إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق،وطلعت شموس معارفه في غاية الاشراق ، وصار له في ميدان الكمال حسنُ الاستباق ، الصدر الكامل ، والعالم العامل ، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمله، البليغ الذي تقتدي البلغاء ببراعته وقلمه ، ناشر ألوية المعارف ، ومسدي أنواع العوارف ، العلامة إمام العصر ، بجميع أدوات الحصر ، سيدي أحمد بن محمد المَقْري ، قدس الله السلف ، كما بارك في الخلف ، سلام من النسيم أرق ، وألطف من الزهر اذا عبق .

I) نفح الطيب 2 : 470 طبع بيروت .

وبعد فان اخباركم دائما ترد علينا ، وتصل إلينا ، بما يسر الخاطر ، ويقرُّ الناظر ، مع كل وارد وصادر ، والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ، ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك :

ويرحم الله عبدا قال آمينا

كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق ، لا تسعها أوراق ،.كتبكم الله سبحانه فيمن عنده ، كما جعلكم ممن اخلص في موالاة الحق قصده ، وودي اليكم غضُّ الحدائق ، مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق ، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق ، وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها ، وأسست على المحبة في الله قواعدها ، أن يزيد عقدها على مر الايام شدة ، وعهدها وإن شط المزار جدة ، وأن تدخر للايام عدة ، واني ويعلم الله تعالى لممن يعتقد محبتكم وموالاتكم عملا صالحا يقرب من الله تعالى ويزلف إليه ، ويعتمدهما وزراً يعول في الآخرة يوم لا ظل الا ظله عليه ، فانكم واليتم فاخلصتم في الولاء ، وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولاء ، معرضين في تلكم الآخرة عن غرض الدنيا وعرضها ، موفين بشروط نفلها ومفترضها ، إلى أن قضى الله تعالى بافتراقنا وحقوقكم المتأكدة دينا علينا ، والايام تمطل بقضائها عنا ، وتوجه الملام إلينا ، فآونة اقف فاقرع السن على التقصيرندماً ، وآونة أستنيم إلى فضلكم فاتقدم قدماً ، وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق ، الا وقد كر عليه منكم آخر له لاحق ، حتى وقفت موقف العجز ، وضاقت علي العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا اتكلم إلا بالرمز ، إجلالا لحقكم الرفيع ، وإشفاقاً من التقصير المضيع .

وقد كنت كتبت أعزكم الله تعالى اليكم قبل هذا بكتب اربعة أو خمسة ، فيها عجالة قصائد كالعصائد ، كالثريد من الكلام ككلامكم السلس الكثير الفوائد ، فعذرا لمن كان أخرس من سمكة ، واشد تخبطاً من طائر في شبكة ، فما عرفت أوصل شيء من ذلك ، أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك ؟ وما رأيت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوماً بالحضرة المراكشية

فقال لي : الشيخ الامام المقري يسأل عنك ، وقد أرسل معي كتابا اليك ، فوقع في البحر مع جملة ما وقع ، فقلت له لا غرابة في ذلك ، فقد رجع الى أصله ، ومن ظلمة البحار تستخرج الدرر .

وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين ، وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى بلقائكم ، وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا ، والى الآن يانعم السيد انما عرفته بما كتبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منة ، فأنصفوا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما ألفته الادباء شريعة وسنة ، وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح سقيم ، واعتدادي بودكم منتج غير عقيم ، والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ، ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه .

ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم ، وبه سؤال منظوم ، لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إلى المَقَّريِّ الحبر صدر الأيمة ... من المخلص الوداد أزكى تحية
فذلك ياصدر الصدور عجالة ... لتسمح بالجواب عما أكنت
فتى قد رأى عند الغواني فتية ... محرمة عند الزوال فحلت
وعادت حراما عند عصر فعندما ... عشاء أتى عادت حلالا تجلت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما ... وزالت زوالا منه في غير مرية
وفي ظهره حلت فطابت قريرة ... وفي عصره محرما قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حللت ... وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به ... بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفا ... وحلت له وقت العشاء وتمت
وعن أمة أيضا يموت سريها ... قد أولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السري حليلة ... بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لها من تزوج ... بنجل السريِّ ، بينوا ليَّ قصتي ؟

فان السيوري مانع من تـــزوج	له بابنة منها بتلك القضيـــــة
وما الفرق بينها وبين التي أتـــى	بها ابن أبي زيد بأوضح حجـــة ؟
وعن مشتر مملوكة غير محـــرم	ومسلمة شِرا صحيحاً بشرعـــة
وليس بملكه لها وطؤها يـــرى	جوازا على التأبيد من حين حلت(1)
وما طالق من عدة خرجـــت ولا	يجوز على التأبيد في خير ملـــة
نكاح لها من واحد ومطلـــق	لها غير معصوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبدية لكـــم	سلاما كما أبدته في صدر طلعـــة

وتقرير السؤال الثاني : أمة أولدها سيدها ، فصارت حـرة ، فمات عنها السيد ، ثم تزوجها عبد سيدها ، فاتت ببنت ، أما لولد سيدها أن يتزوج هذه البنت ؟ فان الرجل له أن يتزوج ببنت زوجة أبيه من رجل غيره ، وهذه سرية أبيه ، فان الامام السيوري يمنـع هذه المسألة ، وما الفـرق بينهما ؟ وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية ، في مآثركم السنية ، ضمنتها اشطارا من الالفية ، فتفضلوا بالاغضاء ، وحسن الدعاء ، أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ، ثم المأمول من سيدنا ومولانا ان يتفضل علينا بكتاب (طبقات القراء) للامام الحافظ الداني ، اذ ليس عندنا منه نسخة .

وأما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى بـ (ازهار الرياض ، في أخبار عياض ، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض) فقـد انتشر في هذه الاقطار المراكشية ، وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخـة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي أبي عمرو ، وكسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلباب القبول ، فما رآه أحد الا نسخه ، وعنـدي النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن ، وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق ، وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق .

واعلمونا بتأليفكم الـذي سميتموه (قطـف المهتصر ، مـن أفنان المختصر) هل خرج من المبيضة أم لا ؟ وودنا لو اتصلنا منه بنسخة ، وقد

---

1) كذا في الاصل المنقول منه ، وفي بعض النسخ : تاخير جلة ، ويأخير جلة .

اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية ، كـالفقيه قاضي القضاة محبكـم سيدي عيسى ، وغيره من أخلاء خليل ، في كل محفل جليل .

الى أن قال :

وانا أتمثل بكلام مولانا علي كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به :

رضيت بما قسم الله لـــــي   وفوضت أمري الى خالقـــي
كما أحسن الله فيما مضـــى   كذلك يحسن فيما بقـــى

ولي حفظكم الله تخميس على البيتين ، وذلك انه نزلت بي شدة لا يمكن الخلاص منها عادة ، فما فرغت من تخميسها الا وجاء الفرج في الحين ونصـه :

اذا أزمة نزلت قبلـــي   وضقت وضاقت بها حيلـــي
تذكرت بيت الامام علـــي   (رضيت بما قسم الله لـــي
وفوضت أمري الى خالقـــي)
لان الالاه اللطيف قضـــى   على خلقه حكمه المرتضـــى
فسلم وقل قول من فوضـــا   (كما أحسن الله فيما مضـــى
كذلك يحسن فيما بقـــي)

فعذرا أعزكـم الله سبحانه ونفـع باخائكم عـن إغباب المراسلـة بالمكاتبة عذراً ، وصبراً على بعد اللقاء صبراً ، فان يقدر في هذه الدار نلنا فيها ما نتمنى ، وإلا فلن نعدم بحول الله جزاء الحسنى ، ولقاء لا يبيد ولا يفنى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقا ، ايقانا بالوعد وتحقيقا ، فمن أوجب لـه محبته أدخله جنتـه ، وأحضره مأدبته ، وكمل له أمنيته ، جعلنا الله من المتحابين في جلاله ، بكرمه وافضالـه .

وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم ، المشرف لعهدكم ، المنوه بفخركم ومجدكم ، العبد الفقير الحقير ، المشفق على نفسه من التقصير

والذنب الكبير ، محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه ، وستر عيبه ، وجبر قلبه ، وجمعه بمن أحبه ، بالنبي صلى الله عليه وسلم .

في عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمان وثلاثين وألف .

انتهـى .

وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها :

بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم (I) .

لله در العالم الجيانـي — كأنما ينظر بالعيـان
للمَقَّريّ العالم المفضـال — مُنظَّراً بأحسن المثـال
وعالم بأنني من بعـده — أشير في نظامنا لقصـده
وها أنا بالله أستعيـن — مضمنا وربنا المعيـن
بالشطر من الفية ابن مالـك — أيدنا الله لنسج ذلـك
قال محمد عبيد المالـك — وسالك الأحسن من مسالـك
نشير بالتضمين للنحريـر — المَقَّريّ الفاضل الشهيـر
ذاك الامام ذو العلاء والهمـم — (كعلم الاشخاص لفظاً وهو عـم)
فلن ترى لعلمه مثيـلا — (مستوجباً ثنائيَ الجميـلا)
ومدحه عندي لازم أتـى — (في النظم والنثر الصحيح مثبتا)
أوصاف سيدي بهذا الرجـز — (تقرب الاقصى بلفظ مؤجـز)
فهو الذي له المعالي تعتزي — (وتبسط البَذل بوعد منجـز)
رتبته فوق العلا يامن فهـم — (كلامنا لفظ مفيد فاستقـم)
وكم أفاد دهره من تحـف — (مبدي تأول بلا تكلـف)
لقد رقى على المقام الطاهـر (2) — (كطاهر القلب جميل الظاهـر)
وفضله للطالبين وجـدا — (على الذي في رفعه قد عهـدا)
قد حصَّل العلمَ وحرر السيـر — (وما بالا أو بانما انحصـر)

I) ورد بعض هذه الارجوزة في خلاصة الاثر 4 : 271 .

2) في خلاصة الاثر الى المقام الباهر .

فـي كل فن ماهر صفه ولا (يكون الا غاية الذي تـــلا)

سيرته جرت (1) على نهج الهـدى (ولا يلي الا اختيارا أبـــدا)

وعلمه وفضله لا ينكـــر (مما به عنه مبينا يخبـــر)

يقول دائما بصدر أنشـــرح (اعرف بنا فاننا نلنا المنـــح)

يقول مرحباً لقاصديه مَـــن (يصل الّينا يستعن بنا يعـــن)

صدق مقالتي وكن متبعـــا (ولم يكن تصريفه ممتنعـــا)

وانهض اليه فهو بالمشاهـــده (الخبر الجزء المتم الفائـــده)

والزم جنابه واياك الملـــل (ان يستطل وصل وان لم يستطل)

واقصد جنابه ترى مآثـــره (والله يقضي بهبات وافـــره)

وانسب له فانه ابن معطـــي (ويقتضي رضى بغير سخـــط)

واجعله نصب العين والقلـــب ولا (تعدل به فهو يضاهي المثـــلا)

قد طالما أفاد علم مالـــك (أحمد ربي الله خير مالـــك)

وحاسد له ومبغض زمـــن (وهالك وميت به قمـــن)

وليس يشفي مبغض له أعـــل (عيناً وفي مثل هراوة جعـــل)

يقول عبد ربه محمـــد (في نحو خير القول اني أحمد)

وهو بدهره عظيم الأمـــل (مروع القلب قليل الحيـــل)

فادع له وسادة قد حضروا (وافعل أوافق نغتبط اذ تشكر)

واجبره بالدعا عساه يغتنـــم (فجره وفتح عينه التـــزم)

انشدت فيكم ذا وقال قائل (في نحو نعم ما يقول الفاضل)

ادعو لكم بالستر في كل زمـــن (لكونه بمضمر الرفع اقتـــرن)

مآثر لكم كثيرة ســـوى (ما مر فاقبل منه ما عـدل روى)

قد انتهى تعريف ذا المعـرف (وذو تمام ما برفع يكتفـــي)

لانتم تاج الايمـــة الاول (وما بجمعه عُنيت قد كمـــل)

فالله يبقيكم لدينا وكفـــى (مصليا على الرسول المصطفى)

تترى عليه دائما منعطفـــا (وآله المستكملين الشرفـــا)

انتهـى .

1) في خلاصة الاثر سارت

ومن مشاهير الآخذين عنه : سيدي عبد العزيز الزياتي كما ياتي في ترجمته ، ومنهم عبد الرحمان ابن القاضي وغيرهما ، وهو مذكور في فهارسهم، وهو أيضا من أشياخ سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، كما صرح به في جواب له .

ومن تلامذته أيضا الاستاذ محمد بن محمد بن أحمد الرحماني ، أخذ عنه سورة البقرة بالعشر وبالسبع وأجازه ، وذكر له بعض أسانيده القرآنية ، حسبما بمجموع بخزانة آسفي الحبسية ، ووصفه بالاستاذ الضابط المتقن ، وستأتي ترجمته ، وقد وقفت له على منظومة في السيرة النبوية أولها :

القصد بعد حمد من هدى الـــــى   سيرة رشد وسبيل امثـــــــلا

فيها 33 ورقة من مسطرة 16 ، نظم فيها سيرة اليعمري مـع زيادة ، وهي عندنا في مجموع خطي .

ترجمه في (خلاصة الاثر) ، وفي (الصفوة) ، وذكره في (النشر) ، والحضيكي في طبقاته .

ومن ترجمه صاحب (السلافة) قائلا في آخر ترجمته صحيفة 606 : وأما ألفية ابن مالك فلم أسمع تضمينها الا من هذا الفاضل ، ولا أعلم هل سبقه الى ذلك أحد أم لا ؟ والله أعلم انتهى .

قلت : سبقه الى ذلك البرهان أبـو اسحاق بن أحمد بـن المقدسي الناصري الباعوني المتوفي في يوم الخميس رابع وعشري ربيع الاول سنة سبعين وتسعمئة المترجم في (الضوء اللامع) ، فقد ذكر في ترجمته أنه ضمن ألفية ابن مالك قصيدة امتدح بها النجم ابن حجي ، ثم قال : قال ابن قاضي شهبة أضافنا بمنزله في الصالحية صحبة النجم بن حجي ، وقرأ علينا تضمينه لالفية ابن مالك في مدح النجم كما فعل ابن نباتة بالملحة في مدح السبكي فأجـاد كل الاجادة ، على أن بين الالفية والملحة البون الكثير ، فتضمين الالفية أشد ، ولكنه ممن ألين له الكلام . انتهى .

ولم يذكر صاحب (النفح) جواب الاسئلة التي سأله عنها المترجم .

681) مَحمد بن محمد ابن عطية الزناتي

مَحمد فتحا بن محمد بن علي ابن عطية الزناتي نسبا ، الأندلسي أصلا ، السلوي ثم الفاسي ، الشيخ الشهير ، الامام الصوفي الكبير ، العلامة الدراكة المتقن ، الفقيه المشارك المتفنن ، الولي الصالح ، الذاكر الناصح ، العارف بالله تعالى ، قرأ رحمه الله القرآن في حال صغره على والده ، ثم قرأ بالروايات على الفقيه الاستاذ سيدي محمد الفيلالي وأجازه في قراءة السبع ، ثم قرأ الرسالة والمختصر على شقيقه سيدي أحمد ، وكان يحضر مجلس القصار الى أن توفي ، ثم قرأ بعده على الامام المَقْري ، والشيخ الجنان الاكبر ، والعلامة ابن عاشر ، وهما عمدته ، ولقي جماعة من فقهاء فاس وانتفع بهم ، كالشيخ سيدي الحاج ابن القاضي ، والفقيه علي بن عمران ، والفقيه سيدي محمد الجزولي ، وأخذ عن كل واحد منهم جزءاً من مروياته ، وانتفع بدعائه ، وكان في صغره يتردد مع والده لزيارة الشيخ سيدي أبي الطيب بن يحيى دفين ميسور ، ودعا له مرة ، وقد غسل له لمعة من الدم كانت في ثوبه، فقال له : طهر الله قلبك من الدنس ، وفقهك في مذهب الامام مالك بن أنس .

ولما خرج لطلب العلم والزيارة بحضرة مراكش لقي بها جماعة من العلماء والصلحاء أصحاب الشيخ الغزواني وانتفع بهم وبما سمع منهم من كلام الشيخ الغزواني ، ولقي في ابتداء أمره سيدي الحسن الدراوي ، وقرأ عليه علم الاعتقاد ، وكذلك على الشيخ سيدي يحيى بن عاشور التلمساني ، وهما عمدته في التوحيد ، ولقي في زيارته للقطب مولانا عبد السلام ابن مشيش جماعة من العلماء والصالحين ، منهم سيدي محمد بن علي ابن ريسون ، ودعا له بالعلم والصلاح والبركة في عقبه ، ولما أراد الانصراف قال له زودك الله التقوى ، وكذلك لقي الشيخ سيدي عبد الله بن حسون ، وكان بفاس يتردد لزيارة سيدي يوسف الفاسي في كل جمعة مع أخيه سيدي أحمد، وسمعا منه واستفادا ، وعمدته في الطريق هو الشيخ سيدي علي الحارثي ، وهو الوارث له كما ذكره بعضهم .

وكان رضي الله عنه مواظبا على زيارة الصالحين الاحياء والاموات ، ويقول لتلامذته : اعلموا أيها ألاخوان ان الزيارة منها ربحنا نحن ، وكل من دللناه عليها ، والزائر لله لا يرجع من زيارته خائباً قط إذا لم يضيع حق الله ولم تصحبه دنيا ، ولا سمعة ولا رياء . وكان صواما قواما شاكرا تالياً ذاكرا ناصحا لعباد الله ، لا يدل تلامذته الا على الله ، ولا يلهج الا بذكره ، ولا يرقد الا باسمه ، لا ينتصر قط لنفسه ولا يبخل بديناره وفلسه ، يقنع باليسير من الرزق ، ولا يطمع في أحد من الخلق ، تاركاً الفضول ، سالكاً سبيلَ الرسول ، لا يلتفت لشيء من السمعة والريا ، وليس عنده شيء من الدنيا ، زاهدا متقشفا ، متوكلا على ربه ، يطلب الدعاء ممن لقي من المومنين ، ويحسن الظن بسائر المسلمين ، ويقول لتلامذته وقصاده كل من رأيته فالخضر اعتقد ، وكل ألليالي ليلة القدر فاجتهد .

وكان مجتهدا في تدريس العلم والقراءات ، وانتفع به خلق كثير من الطلبة والعامة ، اماما فقيها صوفيا حافظاً مفسراً محدثاً مسنداً راوية ، ذا فنون وعلوم ، وله معرفة بعلم الأوفاق والجدول ، وأسرار الحروف والخواص ، واتساع في التصوف وكتب القوم . وله تأليف في الطريق ، وفهرسة ذكر فيها مقروءاته ومسموعاته ومناولاته ومعروضاته وغير ذلك ، وقد استجازه في جميع ما احتوت عليه تلميذه القطب مولاي عبد الله بن ابراهيم اليملحي الحسني الوزاني فأجازه ، وكان من جملة من أخذ عنه وانتفع به ، وقد رأيت بخط بعضهم ما نصه : كانت أم مولانا عبد الله الشريف الوزاني نفعنا الله به ، رحمونية علمية ، وتركه والده طفلا لم يبلغ عشرة أعوام ، فقرأ القرآن على بعض شرفاء بني ريسون بتازروت ، ثم بعد ذلك رحل الى فاس ، وقرأ النحو والحديث والتفسير والفقه على محمد بن محمد ابن عطية السلوي الأندلسي دفين ضفة الوادي بالحبيل عدوة فاس الأندلس .

انتهى المراد منه .

وممن أخذ عنه أيضا سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، وكان رحمه الله يستعمل السماع ، ويأمر أصحابه الفقراء به ، ويحضره معهم ، ويحصل لهم من لذة خطاب ما ينشدونه بينهم وجد وشوق ونفحات ، فيرقصون ويتواجدون ويصيحون ، وربما يغشى على بعضهم من ذلك .

توفي عن سن عالية عشية يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وألف ، ودفن بالحبيل من حومة الرميلة بزاويته الشهيرة به ، يسار الطالع لناحية سيدي أبي جيدة ، وهي متصلة بروضة شيخه سيدي علي الحارثي ، وقبره بها معروف مشهور عليه دربوز يزار به ، وفوقه كتابة نصهـا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، كل نفس ذائقة الموت ، هذا ضريح الولي الصالح العالم العلامة الجامع بين الشريعة والحقيقة أبـي عبد الله سيدي مَحمد ابن عطية السلوي الاصل ، الفاسي الدار ، أخذ عن شيخه سيدي أبي الحسن علي بن محمد الحارثي عن شيخه سيدي أحمد بن موسى السوسي ، عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع ، عن القطب سيدي محمد بـن سليمان الجزولي نفعنا الله به . وكانت وفاته يوم الجمعة ثامن عشر القعدة سنة اثنين وخمسين وألف . انتهى .

ترجمه في (النشر) (1) و (التقاط الـدرر) ، و (الصفوة) (2) و (التنبيه) وكتاب (التفكر والاعتبار) ، و (السلوة) (3) وغيرها ، وعده في (الابتهاج) فيمن أخذ عن أبي المحاسن مـن الفقهاء ، وممن ترجمه حفيـده سيدي أحمد بن محمد ابن عطية في (سلسلة الانوار ، في طريق السادات الاخيار) ، أتمه عام 1096 ست وتسعين وألف ، ونقل فيها بعض كلام الشيخ الغزواني ، وقفت على هذا التأليف ، وهو من الكتب التي لم يقف عليها صاحب (السلوة) حسبما نص على ذلك في ترجمة سيدي أحمد المؤلف المذكور .

682) مَحمد بن مَحمد البوعناني الادريسي

مَحمد بن مَحمد ، فتحا فيهما ، بن سليمان بن محمد بن منصور بن علي بن ثابت بن أحمد بن منصور بن ثابت بن منصور بن عامر بن موسى بن عبد الله بن عنان بن الحسن بن ثابت بن علي بـن محمد بن عبد الله بـن عبد

---

1) نشر المثاني 1 : 184

2) صفوة من انتشر ص 80

3) سلوة الأنفاس 1 : 369

الحميد بن عمر بن محمد بن داوود بن مولانا ادريس الازهر ، الفقيه العلامة المحدث المحرر ، النحرير الفهامة ، الحافظ الاستاذ المقرىء المجود الشهير ، شيخ الجماعة في العلوم القرآنية ، أبو عبد الله البوعناني .

قال في (التقاط الدرر) : وصفه بالشرف وبأوصاف سامية المحقق الورع سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، أول كتابه (بذل المناصحة، في فعل المصافحة) ، وكذلك الحافظ عبد الرحمان الفاسي في كتابه (أزهار البستان) انتهى ، وقد ذكر الشيخ محمد المسناوي أنه اطلع على ظهائر ملوكية، واجازات علمية لبعض أسلاف رهط صاحب الترجمة ، تضمنت تحليتهم بالشرف النبوي ، والنسب العلوي من غير واحد من الايمة المعتبرين كالشيخ سيدي أحمد بن علي السوسي، والشيخ سيدي عبد الواحد بن أحمد بن عاشر، والشيخ أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني ، وتلميذه أحمد بن محمد المَقْري التلمساني وغيرهم ، وممن شهد لهم بذلك : الشيخ ميارة الأكبر ، والشيخ محمد البكري بن محمد الشاذلي الدلائي ، والشيخ محمد العربي بن عبد السلام بن ابراهيم الدكالي المشنزائي .

كان صاحب الترجمة رحمه الله مشاركا في العلوم ، مستحضرا لاحاديث الصحيحين ، مقرئاً مجودا للقرآن ، انتفع به الناس انتفاعا تاما كالشيخ ميارة الاكبر، والشيخ عبد الرحمان الفاسي الأصغر، والشيخ أبي سالم العياشي وغيرهم . وكان سنده أعلا أسانيد أهل عصره ، لانه آخر من أخذ عن القصار وسمع منه كما ذكره أبو سالم العياشي في (تحفة الاخلاء ، بأسانيد الاجلاء) .

وأخذ أيضا عن عبد الرحمان العارف الفاسي ، وقرأ عليه الصحيح بلفظه ، ولزم مجلسه سنين ، وأجازه مرتين ، وعن أحمد المَقْري والجنان ، وصحب الامام أحمد بن علي السوسي البوسعيدي ، وتبرك أيضا بالشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي دفينها ، وأخذ عنه . وأخذ القراءات عن أحمد بن محمد الفشتالي ، وعن محمد بن أحمد المري ، وعن أحمد بن شعيب الاندلسي .

ولد سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، أو في التي بعدها ، وتوفي في سادس شوال سنــة ثلاث وستين وألف عــن خمس وسبعين سنة ، ودفــن بروضتهم بسويقة باب الجيسة من فاس ، ودفن بعده معه فيها جماعة مــن أولاده ممن كان موصوفاً بصفة العلم والقضاء أو الفتوى والامامة والخطابــة بجامع القرويين من فاس أو غيره .

وقد ذكر في (النشر) في ترجمة سيدي أحمد بن عمر الشريف أنه أعطى صاحب الترجمة مرة حزمة من عيدان النخل ، قال : وهي فــي العرف تستعمل للتوكيء عليها بمنزلة العصا ، فكان فيه اشارة لما تولاه أولاده من الخطابة في مساجد فاس وغيرها ، لأن الخطيب يعتمد في خطبته على العصا ، قال : فاتفق ان كان في أولاد سيدي أبي عنان مــن الخطباء بقدر عــدد تلك العيدان ، فحين استكملوا من الخطباء مثل عدد العيدان لم يتفق منهم خطيب آخر ، انتهى .

ترجمه الشيخ عبد الرحمان في (أزهار البستان) ، وكذا ترجمه في (الصفــوة) ، و (التقاط الــدرر) ، و (دوحــة البستان) ، و (طبقــات الحضيكي) ، و (السلوة) وغيرها (1) .

قلت : وقفت للمترجم على فوائد ونظم ، من جملة ذلك ما ذكره من اقرائه بمراكش ، ونص ما كتب في ذلك الشهر النبوي ربيع الأول أوله يوم الجمعة ، وهو بعد صفر الذي بعد المحرم مفتتح ثلاثة وعشرين وألف :

دخل يعني الشهر المذكور علينا بالمدينة المراكشية، بدار الحرة المعروفة بدار الخطيب ، بحومة المدرسة الشريفية ، بقرب جامع ابن يوسف ، نازلين بها عن أمر الامام الهمام وحيد دهره ، وفريد عصره ، مولانا أبي المعالي زيدان ابن الامام المنصور ، المرحوم بالله مولانا أحمد بن مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني ، واقامتنا في كل يوم خمس أواق من بيت ماله عمره الله ، مع ولدنا محمد عبد الخالق بن محمد الحسني البوعناني ، أقرأ معه خمسة مجالس : اثنان في مختصر خليل ، ومجلس في التوحيد ، واثنان في النحو ، مع جمع من طلبة أهل مراكش علم الله الجميع خيرا .

---

1) سلوة الأنفاس 1 : 199 ونشر المثاني 1 : 205

أنتهى من مجموع عندي كله فوائد ، ومن جملة ما فيه ما نصه :

وقد ذكر شيخنا المذكور سيدي محمد بن سليمان بن أبي عنان سلسلة أشياخه في نظم وهو :

أشياخ فقهنا على المنهاج سلسلة الحميدي والسراج
امامنا المنجور والزموري عنصرهم يستثني في الامور

وقال العياشي في (فهرسته) عند ذكر المترجم شيخه لدى ترجمة أحمد بن موسى الابار : أن البوعناني خاتمة من روى عن القصار ، انتهى .

وقد وقفت على شهادة المترجم لأبي سالم العياشي بانه صافحه ، واسندها له عن الامام العالم الصالح القدوة ، سيدي محمد بن أبي بكر رحمه الله عن القصار ، وعن الفقيه العالم الصالح سيدي أحمد بن علي السوسي الهشتوكي ، عن سيدي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني ، عن شيخه سيدي رضوان والمنجور ، وعن السوسي المذكور ، عن سيدي أحمد بابا السوداني ، عن والده ، عن اللقاني ، عن السيوطي بأسانيدهم ، وخط يده في أولها وآخرها في 18 صفر عام 1048 .

ووقفت على أجازة المترجم لأبي سالم المذكور ، الاولى والثانية في التاريخ المذكور ، وهما في أربعة أوراق ، وعليهما خطه أيضا والله الموفق .

وممن أخذ عن المترجم تلميذه : محمد بن محمد بن أحمد الرحماني المراكشي ، قرأ عليه بفاس ختمتين بالسبع ، كما ياتي في ترجمته .

683) محمد الشيخ بن زيدان السعدي

لما قتل السلطان الوليد ، اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية ، ثم أجمع رأيهم على مبايعة أخيه المترجم ، والقاء القياد اليه ، فأخرجوه من السجن الذي كان أخوه الوليد أودعه فيه ، اذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف .

ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة ، وألان الجانب للكافة ، وكان متواضعاً في نفسه ، صفوحا عن الهفوات ، متوقفا عن سفك الدماء ، مائلا الى الراحة والدعة ، متظاهراً بالخير وصحبة الصالحين ، وهو الذي بنى على قبر الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي بزاويته قبة حافلة البناء ، رائقة الصنعة ، الا أنه كان منكوس الراية ، مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أبيه وإخوته إلا مراكش وبعض أعمالها (1) .

وفي أيامه قويت شوكة أهل الدلاء ، وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب ، وبعث لهم قاضيه الفقيه العلامة محمد المزوار المراكشي ، فطلب منهم ترك الشنآن والرجوع لاجماع الكلمة ، ويحتج عليهم بأن أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان بايع أخاه مولاي الوليد بن زيدان والتزم طاعته ، وأنكم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الرسالة ونثر عليهم ما في العيبة (2) وبيَّن قصده اعتذروا له بمسائل وتعللوا عليه بوجوه .

قال في (النزهة) : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان مولاي محمد الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضي المذكور من السفارة ، وهذا نصها على التمام والكمال :

الحمد لله الذي نصب الدول في الأصقاع حصوناً ذات أسوار ، لصون النفوس والحريم والأموال والشرائع ، وحض على فري فرع واصل العادين الثوار ، والساعين بالاعتناء في هد قواعد الجماعة بأنواع البدائع ، ونشهد أنه واحد ما له في فسيح وجوده شبيه ولا شريك ، ولا قادر يقوم دونه بوظيف كل ضرير وضريك ، أو يستفتى فينبئك عما في كنه غيبه أو يريك ، يفعل ما يريد ويختار ، ويقبل تضرع المضطرين ويقيل العثار . وان سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله ، نبي الأحمر والأبيض والأسود ، ونعم الشفيع

---

1) الاستقصا 6 : 83 طبع الدار البيضاء

2) العيبة : الحقيبة

غداة يعثر العاثر ما لم يكن بعهده تعود ، صلى الله عليه وعلى آله الاجلة الانجاب ، والخلفاء والاصحاب ، ما تبسمت البساتين من مدامع تحنن السحاب ، والرضى عن كل تابع بعد تابع ، العاقدين على تشييد هذا الدين عقد الاصابع .

هذا ولنصرف عنان عرضة الفرض ، لما عيناه بالمسنون من العتاب والمفترض ، من هم في دقائق المجاز مرابطون، وفي رقائق الجواز ضابطون ، أهل وطن الدلاء ، لمن لورود الشرب محتاج ، السيد أبو القاسم بن ابراهيم والسيد عمر والسيد محمد الحاج ، ومَن لنشر صحف الانصاف منهم مطابق ، كالسيد المسناوي والسيد عبد الخالق .

سلام عليكم ما أثرت المواعظ في أصلاد أصلاب الطباع ، وفترت الحفائظ عن المتعوذ بها خطوات الشياطين وسطوات السباع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، ما صانت أشعة المصباح مشكاته .

ألا وقد كاتبناكم من الحضرة الدامغة هامات الجاحدين والملحدين ، حمراء لمتونة والموحدين ، كتب الله لها منكم وقاية من لا يعنف عما صنع ، وبراءة مَن رام تزويجها كرهاً فتعوق عنها وامتنع ، ولا زائد بعد الخطبة التي هي عند الادباء براعة الاستهلال ، وبضاعة يعرب عنوانها عن معنى الحال والاستقبال ، الا قصد استيقاظكم من السنة التي طال لطلوع الشمس من المغرب ليلها ، وامتد كأرض المحشر فرسخها وميلها ، هل هذا منكم استخفاف بحضرة الخلائف ؟ أو تعام أو تصامم عما يجب على الرعايا من لوازم الوظائف ؟ هذا من العار الماحي لصحف المناقب ، ولا يأوى من توخاه إلا لمهيع لا تحمد لمنتحيه العواقب ، سيما من نكث البيعة على من ولاه المعين ببسيطة المعمور ، وحمله أعباء القيام بما يحدث من تصاريف الامور ، بشرط أن يزن فيعدل ، ولا يغير ولا يبدل ، وان يذب عن حفظ بيضة الدين بالرماح والسهام والنصول ، ويحسم أعناق الزائغين الرائغين على الابواب والفصول ، خصوصا مثلكم الذي شقَّ عصا الشقاق، وشرع يمد أيدي الاطماع في استخلاص القبائل في الآفاق ، على العموم والاطلاق . ألجمكم البله والوله في حصون الجبال كالمواشي ، وكنتم لا تدرون لباس القمص ولا الشواشي ، إلى أن جسركم

على وطء الغرب فاقدمكم معه المغتر محمد العياشي ، الذي بدد شمل الشراقة على شيخه ابن أحمد ، وترك غيرهم أعمش وأرمد ، يتردد في همع الكمد ، وهمع بكل مازغ ومازغة ، حتى أوطأهم على جبال بني يازغة ، فخلا لكم الجو ، وشرعت تمد اليكم أعناق البدو ، فنبذتم اذ ذاك موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ، وأعانكم اضطراب القبائل عام وقوع الجوع ، ومن مضى لأي قطر تعذر عليه الرجوع ، الى أن مكنتكم من نواصيها وأزمتها ضعاف الرعايا وكل عنيد ، من رباط تازة الى وادي العبيد ، فاستحليتم سكر الجبايات من الابريز والفضة ، وفروج إماء الشاوية ما بين الحمراء الخمرية والبيضاء الفضية البضة ، إلى أن جمعتم منهم ما لا ينحصر ، بواسطة القرافي والمنتصر ، من غير أن تنفقوه على اقامة جند يصدم بقوته وشدته ذوي الصليب الكافر ، أو تختطوا مدينة أو سورا أو جسرا يحصل ويتصل لكم بفعله الذكر الجميل والثواب الوافر ، ولا انتفع به الا شيع الموسمات الشواب ، وشياطين الفساد والشراب ، ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن عماء عموم البرابر ، واقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر .

خلتم من غوايتكم أن عرين الغاب خال من النمور والضراغم ، اللواتي لانوف الطغاة والبغاة رواغم ، عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا إليكم معطلة صعبة ، وإنا لا ندرى أين تميل النفوس ، وتطأطأ له الرؤوس ؟ هل لملك الصحاري أم لرئيس إليغ السوس ؟

خلتمونا سخرياً خوامل ، كصقر قريش عبد الرحمان الداخل ، لكن من الحزم أن ننبه على كل ذي غفلة سكران من نشوة الرقدة ، ونخترط صارم الصولة القاطع لعرى كل لبة وعقدة ، على أن الملوك لهم ولاية تصانيف الجموع ، على جانب كل زعيم فعله نافذ وقوله مقبول مسموع ، لاسيما وهذا الغرب الذي لا يزال ملآنا من نوامس كل كاهن ومداهن قرقار ، تمسي فيه البومة خاملة الذكر وتصبح بالمخلب والمنقار ، ومعادن اللمز والغمز والهمز والنبز والمجون ، هم الزوايا والرباطات والفنادق والطرازات والاسواق والسجون .

وفيما سلف من دول المغرب ، الزام تحريض الصغار على تعلم أنواع العلوم والصنائع ، وتعنيف الكبار المعتكفين في حلق الجمائع ، وقد أذهب علي السوسي (1) هيبتها عمن تحت يده من البلدان ، بسرف هبات الذهب واللجين والخيول والاماء والعبدان ، لكن من صفعته يمناه لا يمكنه أن يئن أو يتحنن أو يبكي ، ومن عقد مقـوده بمعصم سواه فأساء به لا يتضـرع ولا يشتكي . اهملناكـم وامهلناكـم ، وأهلناكم وأقمناكـم لعوائدكم من العبادة وإطعـام الطعام ، فطلبتم لنا في الأعناق عظماء زعام ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاه الدخيل ، على صلح أو زواج كسماح الشحيح البخيل ، وما كفاية كـل عاد تعدى دون تكليف طوره ، الا أن يعجل المنتقم سبحانه تغييره وعوره ، وأحرى من باع ولا تخلص بالدنيا عرضه ومروءته ودينه ، ليضيع الحق ويشيع الجور في كل بادية أو مدينة ، بحجال اللهو ، بين خامية وبهو .

وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل مـن أطاع أو عصى، من وجدة وسلا إلى سوس الأقصا، فنجهر لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها ، بشرط أن تفيق من استغراق الغفلة جبلة اهلها ، وان امسكتم أقدام الانقياد ، على سلوك سبـل السداد ، وقبول سوله ، فاذنوا بحرب مـن الله ورسولـه ، فقد شيعنـا نحوكم فقيهنا وقاضينـا السيد محمد المـزوار ، فصددتموه أوصب صد ، وانقلب على الحافرة ورد أقبح رد ، ولو لم نبال بالفكر والذكر ، لما صرفنا فيما سلف وصيفنا الامين مبارك السوسي فشيد وأشاد، وبنى وأجاد، ضريح والدكم السيد محمد بن السيد أبي بكر ، فدنستم خالص عرضه ، وضيعتم لازم مسنونه وفرضه، وإنه لنا عليكم بريد وبصيرة، بما انطوت لكم عليه غرة الحصيرة ، فقص علينا دون أن نفحص أن عين الجحش في النـاد ، وأن من غدا في امداد وغد الأوغاد ، وجد عينهم غادر ، وغبيهم عن صفو الموارد صادر ، وعلى هذا فالغالب ، أن لكم نسبة لروغان الثعالب ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الجليل .

---

1) يقصد ابا حسون بودميعة

ولا يسعنا أن ندعكم مع أشراف سجلماسة ، مع بني موسى تلعبوا بنا كهرٍ الغالية في القمص، لا يغتنم غناء غلته الا بوخز المسال التي تكلفه الرقص ، حلبتم ضروع الاقطار في البلاد باليمين والشمال ، ونفضتمونا كما تنقض الاثواب من درن الرماد والرمال ، وحاصل الغرض تأدية البيعة بقول وفعل واعتقاد ، كما عقدها أبوكم الابر الجواد ، المرحوم الفاضل المجيد ، لأخينا الارضى مولاي الوليد ، لتنتظم بعون الله كلمة ملة الاسلام ، ولا يبقى للغير فعل ولا كلام ، لو فعلتم لاقتفى أثركم جموع المنتجعين والامصار ،ولا يبقى من يصغى لغيرنا بآذان ولا يطمح بأبصار . وان عظمت عليكم مفارقة حب الرؤوس والركب والايد،وألفة ركوب بني الوجيه واللاحق(1)للأعراس والصيد، فانتظروا صبيحة طلوعي عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بسيل كموج البحر من الرماة والخيل ، وتغمركم من بأسنا غمائم شديدة الغمرة ، وينفذ فيكم الحكم العدل نهيه وأمره ، أنشر بعونه ما انطوى من المراحل ، ونؤم بعدكم دولة الاشراف السجلماسية ونلوي على زاوية الساحل ، إلى أن تعود الايالة الشيخية علوية علية بحسن الحال وصيت الذكر ، أو تهوى لحضيض بني سعد بن بكر ، وليكن ما ابصرتموه لانفسكم من صدق الصفا جواب وصواب ، والعاقل أحسن مفتاح لحلٍ ما انعقد من الأبواب ، لنعلم منكم أي نبراس يخرجنا من حرج هذا الحندس ؟ وهل قبلة عبادتكم مكة أو البيت المقدس ؟ وليكن منا هذا ختام مفيد الكلام ، والسلام .

وكان المخترع لها محمد بن عبد الرحمان ، ببستان جنان ميمون من قصبة الحضرة المراكشية حرس الله أوطانها ، ومتع بالهناء رعاياها وسلطانها، ضحوة يوم الاثنين حادي عشر جادى الثانية من سنة سبع وأربعين وألف (2) .

انتهى .

وهذا جواب أهل زاوية الدلاء :

---

1) الوجيه واللاحق علمان لفحلين كريمين من الخيل

2) نزهة الحادى ص 220

الحمد لله الذي له الملك الكامل في الاولى والآخرة ، وعليه الاتكال وإليه المصير ، يستدرج بحكمته الانسان من حضيض دقائق الهوان ، للحضرة الباذخة الفاخرة ، وهو العلي العظيم السميع البصير ، يضع بعدله أقواما أعزة ويرفع بفضله خوامل أخَر ، لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، كلٌ واحد عن الذي قدم وأخر ، وما كانوا يعملون . ونشهد ان لا الاه الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد ، الباقي على الابد ، والدوام المسرمد الامد ، وان سيدنـا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله ، المبلغ ليمن الامانة ، ليكرع في حياض الايمان والاسلام من تأخر عنه ومن أدرك زمانه ، صلى الله عليه وعلى آلـه نجوم السعد ، وصحابته رجوم مَن رمى دين الهدى بأسهم البعد ، وعلى جمهرة التابعين ، ومن تبعهم على مساق الرشد مهطعين سامعين .

وبعد فقد أجملنا الخطاب ، جوابا لمَن زكا وتأثل فرع أصله وطاب ، مولانا محمد الشيخ نجل أمير المومنين أبي المعالي مولانا زيدان بن الأمير الهمام الاوحد ، أمير المومنين مولانا أحمد ، أحمد الله لنا ولكم وللمسلميـن الاوائل والعواقب ، وجدد لكم ما غرس الاجداد في المغرب من محمود المناقب، وسدد الموفق للفلاح أقوالك وأفعالك ، وأوطأ في بساط الطرب والانبساط نعالك ،وقاد بالميمونة ناصيتك لقطع شافة من نافى عنك وختر ، وللعهـد نقض وخفر ، ونصبك حصنا مصونا لعرض من أقام آمنا أو سافر أو نفر .

سلام عليكم سلام مَن أسلم أموره بعد القادر إليك،ورحمة الله وبركاته ما غرد الطائر على مخضل الأيك .

فقد كاتبناكم ــ من زاوية عبادة الهادى الى الصراط المستقيم ، العالم بحكمة تفضيل المنتج على العقيم ، والظاعن والمقيم ، والستر المسدول على أصحاب الكهف والرقيم ــ كتب الله لنا ولكم حجب الامن والعفـو والعافية ، وأسبغ علينا وعليكم وعلى المسلمين ضوافيَ حلل حلمه الوافية . ولا زائد بعد حمد الله الذي وجب على العباد حمده وشكـره ، وتحتم تعبدا تقديسـه وتسبيحه وذكره ، ولا نأمـن أن يغشانا قضاؤه ومكره ، الا أن مسطوركـم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب منا الاذهـان والعقول ، كما صفدت صلابتـه

الايدي عما تفعل وأخـرس صيته الألسن فأتلفت ما تقول ، فـلا جارحة إلا ولها من خبطه طنين ، فكادت الحبالى تسقط المشايم فضلا عن الجنين ، فيالـه من سوط الزجر الذي لا ينسى علينا طول السنين ، أسمعتنا غرائب لم تمر مرارتها على أهل الدهر الآتي والغابر ، ولو صرخ بها على جبانة لنهض أهل المقابر ، ليست هذه عوائد من سبقك لتلك الدرجة من الاعمام والاخوان ، منهم القريب لك والدك مولانا زيدان ، حتى سمتنا بالدلالة في أسواق المذلة والهوان، وما نحن الا ركن ووكر لمن طرقته وصمة، أو غمته غمة، أو حذر أخاه أو أباه أو عمه ، يأمن لدينا بنفسه ، وذويه وفلسه ، متى عرته نكبة من هجران أو وقعة ، لم يجد في الغالب موئلا سوى هـذه البقعة ، وأنت تمتثل تدبيـرا باشارات الاعلاج المجبولين على طباع الخدائع والغش ، على ثل قواعد ملكهم المخرج عن عريش العش ، ومن الدليل والشاهد والبرهان ، فتكهم بأخيك مع مشورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، غرضهم في الغرب نشـر سنة الباس ، التي نشروها في الشرق بعـد المعتصم من بني العبـاس ، فلا تدعهم يخدمونك حتى يدركون ، فيتفكروا ما فعل آباؤهـم المشركون ، قاتلهم الله أنى يوفكون ، وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ، وحملوا هامته في مخلاة من مسد ، وحركوا الى عمك مولانا عبد الله لوادي اللبن حوز صنهاجة ، لولا أن الحي القيوم سبحانه عوق أغراضهم عن قضاء الحاجة ، وايم الله لئن داموا لك في الغرب بطانة ، حتى يُطلّقوا عليك ثلاثاً أوطانه ، وأما نحن فبيعة والدكم لم تزل لنا في الأعناق ، وحطناها بشغف واشفاق ، ولا ينبغي أن تعاد فتكرر ، كالظهير لمن طلب أن يتحرر ، وأيضا منعنا مـن تجديدها انسلال البربر عن ساحتنا ، فيكون أقوى سبب لاماطة حجاب الصون لفضيحتنا ، وأجلها هذا الأجدلُ الذي لا تؤوده سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف ، مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبة ، لم يقنعه عدد المال عن حسم الرقبة ، وربما عرت غفلة فيشن الغارة الشعواء على شعاب شعوب ملوية ، أو ينشر جيوشه على رباط تازة بالرايات والالوية ، سيما وجناحاه ذوو النفوس النفيسة ، بربر صنهاجة ودخيسة ، بزاة النزوات، بالحلة والمحال والغزوات .

والعياشي كما تعلمون كانت همة هجرته أولا لردع ملة أهل الشرك ، ثم مد خطا الخطأ لطلب دوحة الملك ، قد خدع دون وفقنا طوائف البربر ، فحوص (1) زروع العرب عام الجوع ، ليصبغ لنا ولهم أكف العداوة بالوقوع ، فكان الامر كذلك ، إلى أن سد القدر المحتوم بيننا وبينهم المسالك .

واما وصيفكم الامين مبارك السوسي حيث أناخ علينا كلكل الاقامة ، لاختطاط ضريح الوالد رحمه الله بما أقامه ، أقمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، وسرحنا له بعد الاستراحة اقدام الجولان حتى اختبر بعين الحقيقة أنجاد الاماكن وأغوار المواطن ، ولا شك أن حال مطالعته هي التي ارخصت لنا في سوق خواطركم الاسعار ، الى أن نصبتم لنا بعد الرضى حبائل العار ، الجالب للاذعار ، وجد قبائلنا متبددة على ضم الحبوب في الصيف ، ولا عاينهم مستعدين على الخيول برمح ولا مدفع ولا سيف ، فخالهم على غرة غنيمة باردة ، ولا علم أنهم اغوال الغيل صادرة وواردة ، فان كانت معاينته هي التي اطمعتك ان يعودوا بعد العز نوائب ، فادر أن ظنه الخاوي خائب ، من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن ، ولا ترضى همة أن يهان فيحزن .

وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين وفود الاقاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب ، دون من لزم الابواب ، ولحظ ما لنا من العرصات والقباب ، تحقق عيانا أن شمل المالك والمملوك ، لا يكون منتظماً إلا على عظماء الملوك ، فقص عفا الله عنا وعنه عليكم وعلى مَن حضر ، ما اعتقد وسمع ونظر .

وحتى الآن ان قصدتم الغرب والعرب أو حصن فاس ، لا تنالكم منا مساءة ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار بين أن نؤمك أو نترك لك الديار ، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف أكثر منك في ضبط الاوطان ، فنقابل اذذاك القسوَرَة بالساط ، ونلقي بطانة من شاط لأسنان الامشاط ، فايهما للغرب غلب ، نؤدي له على غمة الرغم ما رغب وطلب، وان أنت قنعت بحوز الحمراء مراكش، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش،

---

1) حوص معناها فى العامية المغربية سرق ونهب ونحوهما

فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة .

واما صاحب إليغ السوس ، فما مراده وذويه إلا غنيمة سلامة الأعراض ونجاة سلب النفوس .

وفيما تلوناه عليك من القصص ، ابلغ كفاية في غنيمة العيش الارغد أو تجريع الغصص ، فان غادرتنا مستترين في حومة الامان الاحترام والوقار ، فنعم ، وإن زاحمتنا بمنكب الهوان والاحتقار، يدافعك عنا من ادعى انه زعم، وان طرقنا مناخ عزم قصدك على عبر وادي أم الربيع ، يجمع الله بين من يشتري ويبيع ، والسلام .

وكتب عن اذن جمهور اخوته عبد الله المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي يوم الأحد ثاني وعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبع واربعين وألف.

انتهى (1) .

وكانت بينه وبين أهل زاوية الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته، وذلك بموضع يقال له بو عقبة أحد مشارع وادي العبيد ، ولما رأى محمد الشيخ تعاصيَ أهل زاوية الدلاء عليه ، واستحكامَ أمر المغرب لهم ، وتقويتهم بالعدد والعدّة ، وضعف عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم صرف عنانه عن عنادهم ومنازلتهم ومناوأتهم ، ومال إلى مسالمتهم ، وقطع النظر عما في أيديهم ، وقد نبغ عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس من مراكش ، وقاسى في محاربته تعبا شديدا ، ولم يزل يناوشهم القتال الى أن كانت عليهم الكرة ، ففرق جموعهم ، وشق العصا عليه أيضا قبيلة الشياظمة ، فقصدهم ، وكانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنيعة ، والامر لله وحده يعز من يشاء ويذل من يشاء .

وقد وقفت على رسالة كتب بها مولاي مَحمد الشيخ المذكور لمولانا مَحمد بن الشريف الحسني السجلماسي ، لما بويع بفاس يهنيه بالملك ، ويحذره من أهل المغرب وغدرهم، من انشاء وزيره القائد محمد بن يحيى أجانا، وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور ، وهي هذه :

---

1) نزهة الحادي ص 224

أمحمدا نجل الشريف المرتضى (1) … شمس السعادة والهلال الأكمل

ملأت مهابتك المهمة مغربا … فزهت بشرقها اصبهان (2)وموصل

صقر الصياص على الاعادي صائل … غوراً يغير في الملاحم سيتل (3)

أظفاره للمارقين صوارم … وبكل ظفر منه يسطو ذوبل

فجنودك الجُرد العتاق وإن تطر … فكأنها في الخافقين الاجدل

هاتيك ثوار القبائل مغنم … للوحش حيث تغير طاب المنهل

قد طبت ان عرقت عروقك في الوغا … خلت العنابر ديف فيها المندل

يامالكا سعدت به أوطانه … فيما مضى وزها له المستقبل

نادى بك النصر العزيز لمغرب … ولكم على فاس الجديد الكلكل

فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن … كالبط يطفو عن مضاه القلقل

واعدلْ تفوز ولا تواخي طامعاً (4) … تردي العداة وتعم عنك العذل

لا تصدمن جبل البرابر واصطبر … حتى يهون على الحواسد مدخل

لا تأمن الاعراب في أقوالها … واقمع فضاضة من يخون ويختل

وعليك بالغارات في أوطانها … بكتائب تسبى الاناث وتقتل

واغضضْ ولا توذي تجار مدائن … يبقى عليك الستر دابا مسبل

لا تتخذ من أهل فاس صاحبا … أو حاكما يصل الامور ويفصل

كالبغل عادته الفرار وان غدا … في مربض فمتي استغرك يركل

لا تنقلنَّ إلى الصحار (5) ذخائرا … فيقول أهل الغرب حتما يرحل

واضرب لبيت الملك أوتاد الدها … تزداد صيتا في العقول وتقبل

وألقى وفود العرب واعرف قدرها … فقدوم كل قبيلة لا تجهل

وابسط يديك على العيال هنيئة … واذا غرست عروق عدل تنقل

هاذى وصايا قد أضعن حقوقها … في حق آخر ما ابتناه الاول

---

1) فى رواية : ياشبل مولانا الشريف محمدا

2) يقرأ بحذف همزته للضرورة

3) السيتل يريد الأسد ، ولم يذكره الدميرى ولا غيره فيما وقفت عليه ، والظن انه من وضع عامى أو من لغة البربر (**النزهة**)

4) اثبت الواو والياء فى قوله تفوز وتواخي لضرورة الوزن ، وفى هذه القصيدة كثير من امثال هذا ، وهى من البرودة بمكان (مصحح **نزهة الحادى**)

5) الصحارى يقرأ بحذف الياء للضرورة (مصحح **نزهة الحادى**)

فمتى شددنا للمعال رحالنـــــا   يأباه نصر والمقادر تخـــذل
فرضين محتسبين أحكام القضـــا   والله يفعل ما يريد ويعـــــدل

فاجابه مولاي محمد الشريف بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه سيدي محمد ابن سودة :

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضـــي   فخر الخلائف والهمام الافضـــل
فلقد أجبتك عما فيه كتبت لــــي   نثرا ونظما كي ترى ما تســـأل
فالى متى طول الرقاد ، أما تـــرى   اظعان ملكك كل يوم ترحـــــل
والدهر ينتف في رياش جناحكـم   ويدنسن من الصفا ما تغســـــل
ما من خليفة ذاق لذة راحـــــة   الا تخلله الهوان فيسفـــــــل
ومن أخزى من كثرت شنقا ثـواره   تعوي عليه بكل عاد معقـــــل
تحتال تخدعه بكل قنيصـــــــة   حتى يصاد كما يصاد النعثل (1)
فاستيقظن من الخمار ومن رعـــى   غنما من آساد الغضا لا يغفـــل
وانفض غبار الذل واخلع نعلـــه   يزداد وجهك بهجة ويهلـــــل
ضيعت ملكك في الرخا وتركتـــه   للخزي في دور الولاية ذلـــــل
وركنت للظل الوريف وغـــــادة   يزهو البديع لكم اذا ما ترفـــل
واذا رغبت دوام هيبة همــــــة   وتصير في ستر عليكم يسبـــل
دع عنك في الحمرا مروق سفرجل   ومدربلا (2) به زعفران وفلفـــل
واركب مطايا الصافنات إلى الوغـا   اما تحوز مزية أو تقتـــــــل
واقرع طبولا للدعاة وفي الوغـــا   يجبي الى الحرب العوان الجحفل
وخض الغمار وهز رمحـــا وادرع   واعل العنان وفي اليمين المنصل
خاطر بنفسك في الفيافي جائـــلا   تردي العدو وكل ليل منـــــزل
واصطد نهارك بالسلاق وبعدهـــا   عقبانها وفهودها والاجـــــدل
وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع   من يعص أمرك تزجرنه فيفعـــل
جنب أجانا الجبن في تدبيـــــره   واصحب شجاعا للذخائر يبـــذل
لا تجعلن من العلوج بطانـــــة   فطباعها الغدر البليغ الاعجـــــل

1) النعثل كجعفر ذكر الضباع ، قاله الدميرى وغيره (**مصحح نزهة الحادى**)

2) **المدربل** الباذنجان والقرع الأحمر يطبخ ثم يقلا ويعرك حتى يصير كالعجين ويوضع فوق اللحم أو الدجاج شبهوه بدرابل الفقراء الممزقة

اما الشبانة فاحذرن من غيهـــا	لا بد تغدر في الاخير وتخـــذل
ترجو عواقب دولة لنفوسهـــا	وتود من وافى جنابك يحفـــل
يعطف عليك الدهر بعد نفـــوره	فتعود أيام السرور وتقبـــل
ما ذاق زيدان أبوك حـــلاوة	من حزمه حتى انتحاه الحنظـــل
واذا امتثلت جواب صدق وصيتـــي	يصغي الزمان لكم ويصفو المنهل

وكان في أيام مولاي محمد الشيخ رحمه الله، رخاء مفرط، وغلاء مفرط عام ستين وألف ، وتوفي رحمه الله عام أربعة وستين وألف ، ودفن بقبـور الاشراف قريبا من قبر أبيه .

ومما كُتب في رخامة على قبره :

لبدر سماوات المعالي أفـــول	وفي ذا الضريح كان منه نـــزول
محمد الشيخ بن زيدان غالـــه	حمام فحزن العالمين طويـــل
إمام المعالي ذو المآثر فضلـــه	له عزة في الصالحين جميـــل
حباه الاه العرش رحمى تخصـــه	بما هو في الفردوس منه كفيـــل

ووزراؤه : يحيى أجانا ، وولده محمد ، وغيرهما ، وقضاته : عيسى بن عبد الرحمان ، ومحمد المزوار .

انتهى (1) .

684) **محمد المزوار المراكشي** ، قاضيها الشيخ الماهر رضي الله عنه، قال الشيخ اليوسي في فهرسته : ومن أشياخي الفقيه الامام العلامة محمد المزوار المراكشي ، قرأت عليه جملة من مختصر السنوسي ، وكان من مشاهير وقته في فنون العلم ، مع توسع أخلاق وحسن عشرة ونزاهة وهمة ، ولي رحمه الله القضاء بعد عيسى السجتاني ، فجرى على الطريق المستقيم ، والسنن القويم .

توفي رحمه الله في حدود خمس وستين وألف ، ودفن بجنب ضريح الشيخ سيدي أبي بكر السجتاني (2) .

1) نزهة الحادى ص 229

2) صفوة من انتشر ص 111

وقال في (النزهة) : وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان ، قويت شوكة أهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ، وضعف الشيخ عن مقارعتهم ، وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه محمد المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع الى أجتماع الكلمة ، ويحتج إليهم بأن أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته ، وأنهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور ، وأدى الرسالة ، ونثر ما في العيبة وبين قصده ، اعتذروا إليه بمسائل وتعللوا بوجوه ، انتهى .

وقال سيدي حمدون ابن الحاج في (شرح عقود الفاتحة) ما نصه : أحسن محمد المزوار في قوله :

تنفس صبح الشيب في ليل عارضي فقلت عساه يكتفي بعــذار
فلما فشا عاتبته فأجابنـــي أياهل ترى صبحا بغير نهــار ؟

ترجمه في (الصفوة) و (طبقات الحضيكي) وغيرهما (1) .

685) **محمد بن علي السملالي**

محمد بن علي بن الحسن بن القطب الكبير سيدي أحمد بن موسى السملالـي .

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين ، وأولياء الله الصالحين ، أخذ عن عيسى السجتاني ، عن تلميذيه سيدي عبد الله بـن يعقوب السمـلالي ، وسيدي علي بن أحمد الرسموكي .

توفي رحمه الله فجأة بمراكش ليلة الاربعاء سادس عشر من جمادى الاخرى سنة ست وستين وألف .

ذكره الحضيكي في طبقاته .

686) **محمد الكفيف المراكشي** مفتي حمراء مراكش ومدرسها ، الفقيه الأستاذ ، قال سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي في جواب

1) مناقب الحضيكي 2 : 109

له لما سئل عن حال ساداتنا السبعة الرجراجيين : أهم من الصحابة أم لا ؟ ما نصه : والفقيه الاستاذ سيدي محمد الكفيف مفتي حمراء مراكش ومدرسها يقطع بذلك ، ولا يشك فيه ، انتهى .

وقد أوردت الجواب المذكور في ترجمة المرغيتي فراجعه هناك ، وهذا ليس هو الاستاذ المقري محمد بن علي الجزولي الانسوي المتقدم الترجمة .

687) محمد بن محمد الرحماني المراكشي

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الرحماني المراكشي ، الشيخ الامام الفقيه العلامة الاكبر الفهامة ، له منظومة في القراءات خصوصا قراءة ابن كثير ، سماها (الهدية المرضية ، لطالب القراءات المكية) ، وأرخها في الاخير بعام 1070 سبعين وألف ، وعددها 264 أربعة وستون ومئتا بيت .

قال في ذلك :

264 1070

وادع بأحسن الدعاء كما ورد شمل بها التاريخ صدر للعدد

وقفت عليها في مجموع محلى بتلك الحلى بخط قديم ، ويوجد مجموع بخزانة آسفي الحبسية في ضمن كتب القراءات ، في حقه اجازات من شيوخه في الفن المذكور .

قال : قرأت بفاس على الاستاذ سيدي محمد بن محمد بن سليمان البوعناني ختمتين بالسبع ، وعلى الاستاذ عبد الرحمان ابن القاضي ختمة سبعية ، وأخرى عشرية ، وعلى الاستاذ سيدي عبد الله بن محمد ختمة بالسبع ، وأخرى بالعشر والسبع ، وعلى الاستاذ سيدي محمد بن محمد بن أبي بكر المسناوي ختمتين بالسبع ، وعلى الاستاذ سيدي محمد العمري ختمة بالسبع ، وعلى الاستاذ سيدي عبد القادر السفياني ختمتين بالعشر ، وعلى الاستاذ سيدي محمد بن يوسف التاملي المراكشي المتقدم سورة البقرة بالسبع ، وبالطرق العشر .

قال : وما استفدت هذا الا من بركة الفقيه المحدث النحوي اللغوي سيدي محمد بن أبي بكر ، وفي آخر رمضان عام 1044 ، ثم أتبعه بخطوط المذكورين في الفن المذكور ، أولها : مؤرخ بثاني ربيع النبوي سنة 1038 قد

انمحى اسم ممضيها منهم ، وثانيها اجازة ابـن القاضي مؤرخة بأواخر ربيـع الثاني سنـة 1039 ، وثالثها اجازة التاملي فيهـا بعض أسانيده القرآنيـة ، ومصافحة الامام العربى الفاسي له بسنده المعروف ، عن الشيـخ القصار ، وعقبها تصحيح أبي حامد المذكور .

وفي هذا المجموع أجازة الاستاذ علي بن هارون المطغري للسلطان أحمد الوطاسي بحرف نافع نظماً بلغ بالسند إلى الداني ، ثم أتمه الرحماني المذكور فأبلغه الى نافع ، ثم الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعقب ذلـك تصحيح شيخه التاملي واصفا له بالاستاذ الضابط المتقن ، وعندي تاليـف المترجم المسمى (تكميل المنافع ، في قراءة الطرق العشرة المروية عـن نافع) اعتمد فيه على تقييد لبعض شيوخه ، مع كتاب الشيخ الزروالي ، وهذه النسخة كتبت من خط المؤلف بواسطة عام 1260 في سابع محرم .

688) محمد بن عبد الله السوسي المراكشي

كان ربعـة أبيض مائلا للصفرة مـن أخذه بالجد وعدم ميلانه إلـى الراحة والنعمة ، وكان معتدل الاطراف ، متماسك الجسم في نحافة ، جميل الطلعة ، لا يحلق من شعر رأسه كلحيته شيئا ، وكان يفعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحبا في العرب . أصله من تمگّلت بتشديد الميم من سـوس .

كان أبوه سيدي عبد الله عالما ناسكا ، وحرض ولده على الرغبـة في العلم ، كان المترجم مائلا الى الانقطاع والتبتل للعبادة ، والتورع عن المخالطة، والانكفاف عن الشبهات ، وله أخ اسمه إبراهيم أخذ عن الشيخ ، أخذ الوظيفة الزروقية عن والده ، ووالد والده الى واضعها ، كانت له معرفة حسنة بمسائل الصغرى في التوحيد ، ومسائل الرسالة ، ومسائـل خليل ، وكان يحضـر التفسير والحديث ، وكان يأتي المقابر ، ويقل الاكل ، ويكثر الذكر ، شديد الورع ، كثير التحري ، تاليا للقرآن ، ولم يزل على حال الانقطاع عن الخلق ، والتبتل الى الله تعالى في مدينة مراكش ، وكان أهل الخير بها يتوسمون فيه الصلاح الاعظم ، واجتمع له البلوغ بطريق الجذب والسلوك ، وصرحت له أساطين المسجد الجامع بالمواسين بأن ذلك أوان الظهور لنفع العباد ، وممن حضر ذلك : سيدي علي العكاري الـذي طلب منه تيسير العلم والعمل بـه ، فاستجيب له ، وتلمذ له امام مراكش المرغيثي ، وأتاه بولده العلامة سيدي

محمد بن محمد بـن سعيد ، وطلباه في الصحبة فقبلهما ، ولم يـزل الشيخ يتوب الناس على يده بمراكش ، ويمدهم بمدد أنوار الايمان والمحبة ، كان الشيخ كثير المحبة لاهل البيت ، والتعظيم لهم ، أخذ العهد عن مولانا عمر بن الخطاب يقظة مشافهة !

وفي الشيخ يقول بعض أصحابه حال جواره بمكة والمدينة المشرفة :

هو العمري المشهور حالا وهيبـة   هو الحسني الشوق بكري التجمل
فمن كابن عبد الله يدلي بأنـــه   لدى المصطفى يهنيه حس التبتل

وحين كان بمراكش ، بلغت أخباره الى الآفاق ، وخضع له المعتبرون من علماء البلد وكبرائه واقتدوا به ، ثم وشي به لسلطان البلد ، فبعث إليه فدخل عليه في قصره ، وأمره بأن يبدي دليلا على ولايته ، فأجابه بأن يتأدب ولا يظهر منه سوء أدب فيرى ذلك ، وحضه على الكتاب والسنة ، ثم وكل به حافظا بمسجد باب قصره ، ثم عرض له ما أوجب تخلية سبيله ، ثم خرج من مراكش قاصدا مجاورة الحرمين الشريفين .

وقال للشيخ ابن سعيد : لا أخرج من المغرب حتى أودع الصحابـة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة رجال رجراجة ، والتقى به السلطان الحاج محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي وخضع له .

ومن كلامه رضي الله عنه : ربما يقال كيف يعم مددنا هؤلاء الجماهير من الناس ، ان عندي ما أعطى بعد الموت الـى يوم القيامة ، قد ملئت الـى الرقبة ، وكلام الشيخ هذا صريح في أنه من أهل المدد في الحياة وبعد الممات، وقد سمعه منه أصحابه غير ما مرة ، وزار الشيخ أبا يعزى ثم جاور الحرمين نحوا من ثمان ، يجاور الروضة المشرفة ستة أشهر ، والكعبة مثلها ، المشتمل على أيام الحج ليحج فيها ، فكثر أصحابه هناك من أهل الحرمين الشريفين ، وأهل العراق والشام والهند واليمن وغير ذلك ، فصار أصحابه هنالك أكثر من أهل المغرب .

وكتب الفقيـه سيدي أحمد بـن سعيد الكنسـوسي عن إذنه لكـافة أصحابه بالمغرب ، وقال في كتابه : لو أعلمتكم بما شاهدت من عجائب الالطاف في وفاتي لاقتضيتم العجب ، وتوفي بداره بمكة .

ومن أصحابه : أحمد الولالي ، والشيخ المرغيثي ، وولده ، وأحمد الكنسوسي ، ومحمد الصومعي تلميذ سيدي العكاري ، وشوهد المترجم بالحرم الشريف بين السماء والارض بازاء الكعبة ، وهو يتعبد !

ترجمه في (مباحث الانوار ، في أخبار بعض الاخيار) ، واختصر ترجمته منها صاحب (البدور الضاوية) ومنها لخصتها ، وقد لخصها منها أيضاً في (نشر المثاني) قال فيه: فمنهم الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي أصلا ومنشئاً ، المكي وفاة ، ألف فيه وفي أتباعه الشيخ العلامة أحمد بن يعقوب الولالي تأليفا سماه (مباحث الانوار ، في أخبار بعض الاخيار) وأثنى فيه على صاحب الترجمة بالانقطاع والتبتل للعبادة والتورع عن المخالطة ، والانكفاف عن الشبهات ، والتحري في المطعم ، قال : حتى أنه وقع له في ابتداء أمره أكل طعام فيه شبهة ، وهو لا يعلم ، فمرض مرضا شديدا فسمع هاتفا يقول لآخر : مخضوا الرجل ، فانه أكل الشبهة ، فرفع في الحق فمخض مخض الوطب ، فقاء حتى خرج ما في جوفه فعوفي من حينه ، وكان تارة يلازم قراءة القرآن ، وتارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يسمع منه غيرها ، وترد عليه الواردات ، وربما ورد عليه وارد يقتضي حركة فيخطر بباله أن الناس ينظرون ، فيقول حجارة حجارة يكرر ذلك ، وقصده انهم كالحجارة لا يضرون ولا ينفعون ، قلت : وبه يصح الاخلاص كما قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : العمل لأن يراك الناس رياء ، ولأن يراك الناس شرك ، والاخلاص ان يريحك الله منهما ، انتهى (1) .

فاذا أراحه الله من اعتبار رؤية الناس وعدمها فهم عنده حينئذ كالحجارة كما قال الشيخ رضي الله عنه ، وله كرامات منها انه كان في بعض أسفاره لسوس ، فلما خرج في رفقة خرج عليهم جماعة من اللصوص ، فلما علم الشيخ أنهم يريدون قطع الطريق عليهم صاح عليهم باسم الجلالة : الله ، فسقطوا عن آخرهم ، فمر الشيخ حتى وصل للقرية ، فأرسل مؤذنها اليهم أن

1) نشر المثاني 1 : 269 .

يصيح عليهم باسم الله ، ففعل ، فقاموا وظهر على يده أنواع من الكرامات كابراء المرضى ، وتكثير الطعام وغير ذلك ، ودخل للزاوية البكرية ، وتبرك بـه أميرها محمد الحاج ، ومن بها من العلماء والكبراء ، ودخل الصومعة من تادلة ، فرحب به أهلها وعظموه ، وصحبه منهم الفقيه العلامة الانـور محمد بن عبـد الرحمان الصومعي التادلي .

وكـان صاحب الترجمـة لا يأمر الا بالتوبـة والزهد ، وكـرر عليه السؤال بعض آل البيت ، وألح عليه عمن أخذ ، ولا يستطيع ذلك منـه الا رجل من آل البيت لكثرة محبته لهم ، فقال له : سألت عن أمر عظيم ، ثـم مد يده ، وقال : هذه يد عمر بن الخطاب ، وصرح بأن مدده من النبي صـلى الله عليه وسلم مباشرة،حكي مثل ذلك عن جماعة من الصالحين،فعن الشيخ أبي بكر هواري أنه لما نام وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديـق رضي الله عنه وقال له : أنا نبيك ، وهذا شيخك ، ومثل ذلك كثير في أخبار الصالحين . وكان يقول أني أرى الأدب مع الله تعظيم مَن ولاه من الملوك بما لا يخالف الشرع ، وكان يقول : بعثني الله لأسقي حياً وميتاً .

قال أحمد الولالي : وهذا المعنى ، أعني المدد في الحياة وبعد الممات أخبر أهل البصائر أنه لم يثبت الا للأفراد مثل أبي يعزى ، وأبي مدين ، وأحمد السبتي ، والجيلاني رضي الله عنهم .

وكان صاحب الترجمة شديد المحبة في آل البيت ، فكان الشيـخ الامام محمد بـن سعيد المرغيثي ورد عليه يوماً مـع بعض آل البيت ، فلما وصلوا الباب اقتحم الشيخ ابن سعيد قبل الشريف دلالة على الشيخ وحبا فيه ، فلما رأى ذلـك الشيخ صاحب الترجمـة ، تغيظ عـلى عـلى الشيخ ابـن سعيد مـن عدم تقديـم الشريـف ورأى أن ذلـك سوء أدب ، وكانت عادته لا يرى واحـدا من آل البيت الا وقام اليه وقبلـه . فافضى به التغليظ على الشيخ ابن سعيد أن ضربه بصفح يده ، وقال له : قم عني ، فقام فزعا ، واتفق على إطفاء المصابيح حينئذ ، فأحسَّ ابن سعيد من نفسه بالسلب على ما أخبر به عن نفسه ، وبكى اذ لم يجد من نفسه حراكا

دينا ، فخرج حتى خرج ذلك الشريف ، وأتى به شفيعا للشيخ وقدمه اليه باكيا فأصاب الشيخ رضي الله عنه الشفقة عليه وادركته عليه الرحمة فقربه إليه ، وضربه ضربة أخرى عاد إليه بفضل الله تعالى بها ما فقده من الضربة الاولى ، وزيادة عظيمة من المدد لم يكن يعتادها الشيخ ابن سعيد ، فقال له الشيخ : هكذا أردتك أن تتأدب مع أهل البيت ، فقام الشيخ ابن سعيد الى المصباح حالفا أن لا يوقده غيره فأوقده على كبر سنه ، فوجد لذلك بركة عظيمة ، فمن يومئذ صار يتأدب مع الشيخ تأدبا عظيما ، ولا يتكل على المحبة في سقوط الادب ، ولا يدخل على الشيخ رضي الله عنه ومعه واحد من أهل البيت الا وقدمه اليه .

ومن رفيع كلامه أنه استشاره الشيخ ابن عبد الرحمان الصومعي في أمور من جملتها ، ان (بداية الهداية) للغزالي التي تركت بيده ولم يدر ربها ، فكتب له بعض أصحاب الشيخ عن إذنه وإملائه كلاما رفيعاً منه قوله : أما (بداية الهداية) فاذهب بها ولا تتركها لاحد ، لا مرادك منك ، ولا مرادك منه ، وهذا كلام رفيع .

ولما اجمع صاحب الترجمة على الخروج من المغرب قال للشيخ ابن سعيد : اني أرى من الادب أن لا أخرج من المغرب حتى أودع الصحابة الكائنين به ، وهم الرجال السبعة بحاحة الذين ذكر بعض العلماء أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وكلمهم بلغتهم . فمن أجل هذا كان الشيخ ابن سعيد يجزم بصحبتهم ويقول : هذا الرجل نعرف انه من كبراء أهل البصائر ، وما يقوله أهل البصائر يجب الرجوع إليه ، لان علمهم بنور إلاهي لا يعتريه غلط ، ولا يلتفت الى ما يقوله بعض أهل الظاهر من العلماء ، وهو أن العادة تبعد صحبتهم لان ذلك تتوفر الدعاوى على نقله لو كان ، فلو وقع لشاع بين أهل الاثر ، أنتهى .

وكانت بين أولاد الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه فتنة عظيمة أفضت الى قتال بينهم ، فأرشدهم الى الصلح ، ووعظهم ، فنفعهم الله بذلك ، واصطلحوا وتساقطوا الدماء والأموال وكلّ حق ، وألف بينهم ببركته ، وكان

يوصي بكتب السير ، ويرجحها على كتب التصوف ، قال : لان فيها سيرة الصحابة ، وكتب التصوف فيها سيرة الاولياء ، وشتان ما بينهما ، وكان يقول المعلم اذا قرر مسألة وقف حتى يعرضها على نفسه ، فان تخلق بها حمد الله تعالى على العلم والتخلق ، والا تاب وتخلق ، فيحمد الله على الامرين ، حتى يصير الانسان حامد الله تعالى على كل مسألة ، قال : فبهذا يكون العلم علما نافعا ، والا كان حرفة لصاحبه والعياذ بالله .

وأخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به جماعة من أصحابه ، فمنهم الشيخ الفقيه العلامة أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي ، وكان يظهر عليه أنوار وبركات ، ومنهم الفقيه الدراكة الشيخ يحيى الهشتوكي ، كان عالماً مشاركاً دراكا، له إدراك حسن في تحقيق(الكبرى)للشيخ السنوسي، توفي بالشام رحمه الله ، ومنهم الولي الصالح العلامة المشارك سيدي محمد بن سعيدالسوسي المرغيثي ، وتأتي ترجمته أن شاء الله ، ومنهم الشريف العالم سيدي محمد بن عبد الهادي من ذرية مولانا عبد السلام ابن مشيش ، كان مجاورا بالحرم ، وبه لقي الشيخ صاحب الترجمة ، ولقيه الشيخ العلامة أحمد ابن الحاج الفاسي زمن رحلته للحجاز بقصد الحج ، وأثنى عليه ، ورجع للمغرب الشريف العلمي فبقي بجوار جده ابن مشيش منقطعا للعبادة ، وكان له تلامذة قليلون ، ثم استشفع له بعض الشرفاء أن ينتقل الى مدشر هنالك ، ورغبوا إليه في ذلك تبركاً فانتقل ومات به ، ومنهم العلامة الدراكة سيدي علي العكاري برباط سلا ، وكان من المتبركين به ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي ، وستأتي ترجمته ان شاء الله تعالى . ومنهم العلامة سيدي الطيب ابن المسناوي الدلائي وتقدمت ترجمته قريبا ، إلى غير ذلك من المشايخ ، ذكر منهم الامام أحمد الولالي جماعة ، وعنه ذكرنا هاؤلاء ، ولم أترجم الا لمن وقفت على وفاته منهم اكتفاء بما ذكرنا هنا .

وتاتي جمل من كلام صاحب الترجمة ووصاياه في ترجمة الشيخ أحمد هذا عام ثمانية وعشرين ومئة وألف .

وتوفي صاحب الترجمة بمكة المشرفة في دار وهبه اياها بعض التجار بعد أن تزوج بها ، وترك زوجه حاملا ، فولدت وقد مات من ولدت ثم ماتت هي، وكان أمرهم في شدة مرضه أن يحجوه مريضا ، فاحرم ، ووقفوا به بعرفات ، فمات بعد التحلل الاول سنة تسع وسبعين وألف ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا ببركاته آمين ، انتهى .

وقال في ترجمة أحمد الولالي مـا نصه : واتصل رحمـه الله بالولي العـارف سيدي محمد بن عبـد الله السوسي ، وتقدمت ترجمته عام تسعـة وسبعين ، وألف فيه وفيمن لقيه من السادات كتابه المسمى (مباحث الأنوار ،في أخبار بعض الأخيار) وحكي عنه أنه أدرك ما يدركه الأولياء ، ومما يدل على تهيئته لذلك ما حكاه عن نفسه في (مباحث الأنوار) حيث قال : لما حكى نسبة أهله وقبيلته ما نصه : ووقعت فيهم ــ أي في قومه ــ مقتلة عظيمة في حرب وقع بين ملوك الوقت ، وهم مع قبائل آخرين ، ولم يقع في تلك القبائل مـا وقع في تلك القبيلة ، بل خصوا بكثرة القتل من غير أن يقصدهم بالخصوص بالقتال ، بل قصدهم في الغالب انما هو في إفناء غيرهم ، فاتفق أن قتل منهم نحو أربعمئة وخمسون مقاتلا ، ولما وقعت فيهم تلك المقتلة ، تفكرت يوما في ذنبهم الذي خصوا بتلك المصيبة ، اذ علمت أنها ليست الا عن ذنب ، فقيل لي في عالم النوم : ان سبب اراقة تلك الدماء منهم أنهم أراقوا دم واحد من أهل البيت ، فذهبت الشكاية منه الى السيدة فاطمة رضوان الله عليها ، ثم منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم منه الى جبريل عليه السلام ، ثم الى رب العزة فحكم الله تعالى عليه بانه يسلط عليهم من يقتل منهم ذلك العدد ، ثم ذهب إلى الشفاعة من الشيخ أبي عبد الله السوسي ، شيخنا المذكـور ، الى السيدة فاطمة رضوان الله تعالى عليها ، ثم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الى جبريل عليه السلام ، ثم الى رب العزة فلطف الله تعالى بهم ، وكان من اللطف الذي وقع لهم أنه لم يخـل بيت منهم إلا واحد ، بـل كلما قُتل رجل بقِيَ مَن يخلفه ويعمر من أثره في بيته ، ومن اللطف أيضاً ان زاد عندهم في عام المقتلة أربعمئة وخمسون صبيا ذكرا ، وطال عيش الصغار حتى كبروا ، والشيخ رضي الله عنه ليس بينه وبين تلك القبيلة علقة ظاهرة الا ما

كان لنا معه ، ولما قيل لي في ذلك في المنام جعلت أتعجب كيف أراقوا دم واحد من أهــل البيت ، ولم اسمعه ، ثــم بعد ذلك بزمــان لقيت واحدا مــن شرفاء سجلماسة يقال له : مولاي حفيد ، فكنت أتحدث معه حتى قال لي : ان بني ولال في العام الذي أغاروا عليها بالموضع الفلاني ، وأخذوا ما كنت رددت من المتاع ، جرحني واحد منهم ، وأخذ ثيابي حتى النعال ، فتوجهت الى السيدة فاطمة فقلت : ياسيدتي ان كنت أنا منك ، ويارسول الله ان كنت من جهتك ، فالله ينتقم من هؤلاء ، قلت : أو جرحوك ؟ قال لي : نعم ، وقد كنت أنا لمــا أغاروا على تلك القافلة التي بها مولاي حفيد المذكور خرجت لارد للمساكين امتعتهم ، فوجدت أمتعة الشرفاء عندهم ، فرددت منها ما أمكن ، وبعثت بهــا لأهلها ، وأنكروا لي أن يكونوا جرحوا أحدا من أهل البيت ، فلما أخبرني بما ذكر ، عرفت مصداق الرؤيا . وجاه الشيخ رضي الله عنه في شفاعة الامــور العظام ، في غير مناداته في ذلك ، انتهى .

وصاحب الترجمة ممــن انتفع بالشيــخ سيدي محمد بــن عبد الله السوسي المذكور نفعاً ظاهراً ، كما أخبر بذلك عن نفسه ، قال مــا معناه : وفتح الله علي ببركته فتحاً عظيماً في العلوم .

انتهى المقصود .

ومن تلاميذ المترجم : الولي سيدي محمد الصنهاجي المترجم فــي 179 من ج 2 من (السلوة) ، وقد وقفت على كتاب (مباحث الانوار) المذكور المشتمل على ثلاثة مباحث :الأول في مناقب المترجم المشتمل على نحــو كراريس أربعة من القالب الكبير ، والمبحث الثاني : في مناقب والد المؤلف وأبيه ، وأبي أبيه ، وشيوخهما المشتمل على نحو كراسين ، والمبحث الثالث : فيمن لقيه أو كاتبه ، وهو في نحو ثمانية أوراق .

والخاتمة في ذكر المشاهير من أهل البيت القاطنين ببلاد المغرب ، وهي في ثلاثــة أوراق أتمها مؤلفها رحمه الله عــام 1109 تسعة ومئــة وألف .

وهذه النسخة من (مباحث الانوار) عليها خط مؤلف (نشر المثانى).

689) **محمد الاندلسي** نزيل مراكش ، كان هذا الشيخ يتبع طريق الجادة في المعاملات ، وكان مولعا بعلم الاقتباس ، وسر الحرف ، وعلم الكيمياء والرياضيات والطب ، وعلم الهيأة والطبيعة ، أخذ عن أشياخ جمة ، وعول على الشيخ علي بن أبي القاسم حسبما هو في ترجمته ، ولكنه كان كثير الوقوع في الايمة ، فنحى منحى ابن حزم الظاهري ، وشاع ذلك عن أصحابه ، فأفتى فقهاء مراكش بتضليله ، وأنهوا ذلك الى السلطان فأمر بسجنه ، وبقي فيه مدة ، ثم فرج عنه ، ثم شنعوا عليه أيضا أنه يقول : الاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فتور عن الذكر ، وأشياء مستغربة ، فسجن أيضا ثم خلى سبيله ، فانتشر صيته وبعد ذكره ، وكثر أتباعه ، ووقع بينهم وبين الفقراء خطب عظيم ، وانتشر بسبب ذلك شغب في العامة ، وكثر التعصب ، ووقعت المجاهرة بالقتال وسفك الدماء ، وتلقبت شيعته بالمحمدية ، ويسمون من خالفهم بالمالكية نسبة الى الامام مالك ، لقيته مرارا وتكلمت معه ، فكان يتنصل من أكثر ما نسب اليه ، ويظهر التمسك بالسنة ، والاضراب عن القول بالرأي والقياس ، ويعيب طريقة الفقهاء ، وبقي في نفوس العامة منه شي الى أن دخل السلطان محمد بن عبد الله الغالب بن محمد الشيخ مدينة مراكش عند خروج عمه السلطان عبد المالك عنها ، بالحركة الى الجبل في ذي الحجة من سنة أربع وثمانين ، فوجه اليه القائد محمد بن كرمان التركي ليأتيه به ، فثار به أصحاب الشيخ الاندلسي فقتلوه ، فأمر السلطان باحضار الاندلسي والبحث عنه حيث كان ، فأخرج من دار الشيخ علي ابن أبي القاسم ، فثار به العامة ، فقتلوه وصلبوه في التاريخ المذكور .

انتهى كلام (الدوحة) (1) .

وقال في (الاستقصا) : قتل بأمر السلطان الغالب بالله وصلب على باب داره برياض الزيتون من مراكش ، وكان ذلك أواسط ذي الحجة من سنة ثمانين وتسعمئة ، انتهى وهو غلط من وجهين : أولهما كون الآمر بقتله

1) دوحة الناشر ص 80

السلطان الغالب بالله . وثانيهما : كونه قتل في التاريخ المذكور عام ثمانين ، لأنه قتل بعد ذلك في أيام السلطان أبي عبد الله ولده محمد عام 984 ، كما في (الدوحة) ، وقال في (النزهة) عام 985 : ولكنه أحال على (الدوحة) أيضا ، فالمعتمد كلام (الدوحة) لأنه كلام معاصر .

690) محمد بن علي العكاري

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سالم بن علي بن أبي الغيب العكاري نسبا ، المراكشي دارا ومنشئاً ، هكذا وقفت عليه بخطه في نسخة انتسخها من طرر عبد الواحد ابن عاشر على المختصر ، التي جمعها محمد بن عبد الله الدلائي في فاتح محرم سنة 1046 وأرخ عام انتساخها صبيحة يوم الاربعاء الثاني عشر من شعبان سنة سبع وثمانين وألف ، وهي عندي ولله الحمد ، وهو والد علي بن محمد بن علي العكاري المراكشي دفين الرباط ، الآتية ترجمته ان شاء الله مع ترجمة أخويه شقيقه سيدي محمد بن محمد ، وسيدي علي بن أبي الغيب المذكور آخر نسبه بالغين المعجمة والياء المثناة تحت والباء الموحدة آخره .

وعكارة قبيلة من العرب بمسفيوة ، أما كونهم من العرب فقد صرح به في (الاقنوم) حيث قال في باب العرب المستعجمة من بادية زماننا :

وحوز مراكش الرحامنة ثم الشبانات مع السراغنة
عكارة بنو مداس زمران ثم الشياظم بنو عامر بان

وقد أراد أحفاده اليوم بالرباط أن يجعلوا أنفسهم من البلغيثيين نسبة الى أبي الغيث العلوي وهي دعوى كاذبة .

691) محمد بن سعيد المرغيثي السوسي

محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن أبي بكر المرغيثي السوسي المراكشي ، كما في لفظ أبي اسحاق الكوراني حيث حدث عنه بحديث الاولية ، ولد بمراكش سنة سبع وألف كما قال تلميذه سيدي محمد بن المعطي الشرقي .

وقال في (الصفوة) ما نصه : ومنهم الشيخ الامام شيخ الاسلام خاتمة المحدثين وسراج المريدين سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي ، ومرغيثة مداشر في عدد الأخصاص بسوس ، وهي بالميم المفتوحة ، فراء مهملة ساكنة ، فغين معجمة مكسورة .

كان رحمه الله اماما في علوم الحديث والسير ، له اليد الطولى في ذلك ، واليه المرجع فيما هنالك ، مع المشاركة في العلوم الاخرى ، والدين المتين والورع التام ، كان محترما معظما عند الخاصة والعامة ، لهم فيه اعتقاد عظيم .

قال شيخنا الاديب البارع أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي في شرحه على مناجاة الشيخ عبد الله البرناوي ما صورته : وأدركت الامام العالم الصوفي سيدي محمد بن سعيد المرغيثي السوسي الاصل والمنشأ ، والمراكشي الدار والمدفن بجامع المواسين من مراكش أنه كان يعبد الله بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس بالفكرة ، فوالله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه ، ولم أر منه شعرة تتحرك أبدا ولا طرفه ، وكنت أنظر الى حدقته ساكنة حتى كأنه ميت ، ولو فرض أن الارض انقلبت بما فيها ، والسماء سقطت على الارض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس فيتحرك حينئذ ، ويكلمني ويبدأ بالكلام ، فعرفت ذلك منه ولازمته ، ورأيت منه هذه الحالة سنة ــ وهي مدة اقامتي بمراكش ــ وذلك عام ثمانين وألف . وأخذت عنه عدة علوم ، وأجازني في أربعة عشر علما من العلوم الظاهرة الاسلامية ، انتهى .

وقال في (الاعلام) : وكان من عادة صاحب الترجمة تأخير صلاة الصبح بالناس الى الاصفرار ، بناء على أنه لا ضروري له ، وان مختاره الى طلوع الشمس ، فروي أنه أنكر عليه ذلك ، فقال : إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أصبت في تأخير الصبح ، وذلك أن قصده في ذلك الرفق بالضعفاء ، وبمن تفوته الجماعة في مساجد التغليس .

وفي (المحاضرات) للامام الحسن اليوسي رحمه الله حدثونا عن صاحب الترجمة أنه ورد على أستاذنا محمد ابن ناصر زاويته بدرعة ، فكان المؤذن

إذا أذن ينكر عليه ويقول له : استعجلت ، فلما أكثر في ذلك أنهي الأمر إلى الاستاذ فخرج اليه ، فصار معه الى صومعة الجامع الكبير ، وذلك في عشي النهار ، فجلسا بأعلا الصومعة يتحدثان ، والمؤذن الذى كان ينكر عليه في مسجد الخلوة بعيدا منهما بنحو مد البصر ، وبقيا في حديثهما حتى غربت الشمس ، فقال له الاستاذ : قد تبين الوقت ، قال نعم ، وبفور كلامهما قال مؤذن الخلوة : الله أكبر ، وجعل يؤذن ، فعجب من هذا الاتفاق الغريب ، وعلم أن الأذان كل يوم كان على الصحة ، فلم يعد للانكار عليه ، انتهى .

قال عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي فيما وجد بخطه : أخذ صاحب الترجمة عن سيدي عبد الله بن علي بن طاهر ، وعن سيدي أبي بكر السجتاني، عن الشيخ محمد مولاة الاسكندراني ، عن البدومدي ، عن القسطلاني ، عن ابن حجر ، عن علي الاجهوري ، عن أحمد الفراط ، عن السيوطي ، عن ابراهيم اللقاني ، عن سالم السنهوري ، عن عبادة الزيني ، عن الاقفهسي ، عن خليل .

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا عبد الواحد ابن عاشر ، وسيدي عبد الهادي ، وسيدي العربي الفاسي ، وسيدي محمد الجنان صاحب حاشية خليل ، وسيدي الحاج محمد ابن القاضي ، وسيدي أحمد بن محمد الولتي ، انتهى ، وأخذ أيضاً عن أبي القاسم الغول ، وعن عيسى السكتاني ، وعن أحمد السالمي المراكشي ، وغيرهم .

وكان في ابتداء أمره يقرض الشعر ، ويعاني صنعة الانشاء ، واستكتبه بعض أمراء الدولة السعدية ، فأبى الله الا أن يرقيه لخدمته ، ويفطمه عن خدمة أبناء الدنيا ، فازدرته عين الامير لما حمل إليه ، وكانت له مشاركة في علم الطب ، وتصدر للعلاج مدة ، ثم تركه بسبب ان انسانا حمل اليه الهراقة وفيها بول ، وادخلها عليه المسجد ، فقال إن علماً يؤديني أن أكون سببا لدخول النجاسة للمسجد لا اشتغل به ، وقد كان مقصودا به قبل ذلك ، وكانت له محبة كاملة في أهل البيت ، شديد التعظيم لهم ، كثير التسليم لهاؤلاء المنتسبين ، لا يبحث عن عوراتهم ، ويغض عن عثراتهم ، وكان الناس يرون أن له نجاحا في الجدول ، وبركة في الامور ، وله منظومة في علم الجدول ، في المخمس الخالي الوسط شهيرة .

وحدثوا عنه انه كان اذا لم تقبل شفاعته عند الامراء في بعض الامور المهمة ، يكتب جدولا يضعه تحت عمامته ، فاذا رآه الامير هش له ، وقضى مآربه كلها كما تمنى .

ومن تآليفه (المقنع) في علم التوقيت وشهور العام ، وشرحه بشرحين ، وقد وضع الله عليه الاقبال ، فعكف الناس على اقرائه وقراءته ، وانتفعوا مع أنه مزجي البضاعة في ذلك الفن، وانما اعتمد فيه على قواعد تلقفها تقليدا من شيخه أحمد الولتي المتقدم ، وكان قرأ عليه منهاج ابن البناء ، ثم نسيه لما تشبث بعلم الحديث ، وصرف له وجهته .

ومن تآليفه أيضا (الاشارة الناصحة ، لمن طلب الولاية الصالحة) ، و (المستعان ، في أحكام الاذان) نظما ، ومختصر اليعمري في السير ، ونظمه ولده نظما حسنا ، وقصيدة في أكل الدجاج ، وجواب طويل عن تصريف اسماء الله في الامور الدنيوية ، وقصيدة في علم الجدول ، وفهرسة حسنة ، اشتملت على فوائد وفتاوي وغير ذلك ، وله شعر حسن .

عجيبة

أفتى صاحب الترجمة أن القبور الكائنة داخل سور المدائن يجوز نبشها ، ولا حرمة لقاطنها ، لان المحبس انما حبس المدينة على الاحياء ، لا على دفن الاموات ، قال : فمن دفن داخلها ، فقد عرض نفسه لذلك والله أعلم ، انتهى ، وهي فتوى غريبة ، ولم أقفْ الآن على ما يوافقها من كلام الأيمة .

وله رحمه الله شعر رائق ونظم فائق ، فمن ذلك قوله :

من لم يكن يرضى بما قد قسم	فهو ظلوم ظن أن قد ظلم
يسخط حيث السخط لا يقتضي	نفعا ولكن مره قد علم

توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين وألف ، ودفن قريبا من ضريح شيخه أبي بكر السجتاني ، وكانت ولادته سنة سبع وألف (1) .

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من صفوة من انتشر ص 177

وقال المترجم في الصالحة ميمونة بنت عمرو بتمجروت حين توفيت عام 1051 :

يادوحة في رياض حضرة القـدس	عليك مني سلام طيب النفـس
وقد خرجت من الدنيا مطهـرة	عرضا ودينا وأخلاقا من الدنـس

وقال الامام الولالي في (مباحث الانوار) : وحين جاور الشيخ ، يعني سيدي محمد بـن عبد الله السوسي المراكشي فـي تلك السنين بالحرميـن الشريفين ، اشتاق – يعني المرغيثي – اليه كما اشتاق اليه الفقراء ، وشكوا اليه أمر بطئه عنهم اذ كانوا يرجون ايابه للمغرب ، فعمل أبياتا يطلب فيهـا النبي صلى الله عليه وسلم ويسأله تسريح الشيخ إلى المغرب ، لأنه كـان يعلم أنه لا يأتي الا عن اذن ، وأمر الفقـراء بقراءتها ، وبلغت الينا بالزاويـة البكرية حينئذ ، ولم يتعلق الآن بحفظي منها الا ثلاثة أبيات هي أولها وهـي هـذه :

يارسول الله ان الفقـرا	قد شكوا من فقد خير النظـرا
شيخهم وهو ابن عبد الله قـد	حملوا من شوقه ما بهـرا
يارسول الله سرحه لنـا	أنت ذو الحق وخير النظـرا

وقد نقلت اجـازة الامام المرغيثي المترجم التي بيـن فيها أشياخه وتراجمهم وما رواه عنهم ، فـي ترجمة تلميذه سيدي الحسين بـن ناصر ، فراجعها هناك (1) ، كما أجاز الامام المرغيثي للفقيه محمد بن الخطيب سيدي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني الروداني اجازة عامة في جميع كتب الحديث وعلومه المشتملة عليها فهرسة الامام ابن غازي ، وجميع العـلوم الشرعية ، والمصافحة بأسانيدها ، والخرقة الصوفية باسانيدها ، بتاريخ أواخر صفر سنة أربع وسبعين وألف ، وهذا المجاز المذكور أجاز بذلك الفقيه سيدي محمد ضما ابن الامام محمد بن ناصر سنة 1092 اثنين وتسعين وألف في ذي قعدة برودانة ، وكلتا اجازتهما في (فتح الملك النّاصر) .

---

1) انظر 3 : 203 من هذا الكتاب

وممن حدث عن الامام المرغيثي بحديث الاولية العلامة سيدي ابراهيم بن حسن الكوراني المدني اجازة وهو أول حديث رواه عنه كتابة ، كتب بـه اليه من مراكش سنة 1075 عن الشريف عبد الله بن بنعلي بن طاهر ، كما في اجازة السباعي المذكور .

وقال أبو القاسم بن سعيد العميري فـي فهرسته عند ذكـر أشياخ والده : منهم العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، ومكانته في العلـوم أصليها وفرعيها ظاهرة ، ومما أخذ عنه (شمائل الترمذي) ، قال هذا الشيخ : حدثني بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، الحاج الرحالة أبو بكر بن يوسف السكتاني ، وقال أيضاً : أن المرغيثي قال في مجلس درسه على البديهة :

ألا يانسيم الاربعاء الذي سـرى عشيتنا أمهل يسائلك طالـب

وقال لهم : اجيزوا ؟ فقال ولد له رحمه الله : :

لعلك عن يوم الخميس تخبـر

وقال والد المصنف :

فشوقي إليه حاضر وهو غائـب

وقال الامام اليوسى في فهرسته ما نصه:ومنهم الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق، محمد بن سعيد السوسى ثم المرغيثي، حضرت عنده مجلسا واحدا في ألفية ابن مالك أيام الحداثة ، ثم لقيته بالزاوية البكرية فجالسته مرارا ، وصافحني عن شيخه عبد الله بن علي بن طاهر الحسني.، وقال بسنده الى أنس ابن مالك رضي الله عنه : فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند ، وبعد ذلك بزمان عثرت على فهرسته ، فألفيت فيها المصافحة بسندها وحديثها الذى ذكر فلم أشك في أنها هي التى أراد يوم أن صافحني رحمه الله ، انتهى .

وهذه الفهرسة سماها (العوائد ، المزرية بالموائد) وقفت عليها .

وقال في (المورد الهنى) عند ذكر أشياخ اليوسي ، والعلامة المحقق سيدي محمد بن سعيد السوسي ، انتهى .

وذكر المسناوي في تقاييد لـه : أن الابيات المكتوبة عـلى ضريح محمد بن أبي بكر الدلائي ، هي للامام الصالح البركة المحدث الشيخ الراوية، سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغيثي ، أنتهى منها بلفظها ، وقد ذكرها المترجم في فهرسته بما نصه :

وقلت حين توفي الشيخ البركة السيد محمد بن أبي بكر صاحـب الدلاء ، وكتبت في مقبريته باشارة السلطان مولانا محمد الشيخ أصلحه الله وأصلح به وذلك 1046 في رجب الفرد عند عصر يوم الاربعاء الحادى عشر منه :

هذا ضريح التقي والمجد والكـرم	هذا الولي الوفي العهد والذمـــم
هذا المحب لأهل البيت قاطبـــة	محمد بن أبي بكر الرضى العلـــم
قد صار في رجب لله عام مشـــوا	به إلى جنة الرضوان والنعـــــم
من أجل ذا قام في تشريف روضته	محمد الشيخ مولى العرب والعجم

انتهى وتقدمت هـذه الابيات فـي ترجمة سيدي محمد بـن أبي بكر المـذكـور .

ومن جواب للمترجم عن حال ساداتنا السبعة الرجراجيين ، أهم من الصحابة أم لا ؟ أن الرجال السبعة الرجراجيين المرضيين المهديين نفعنا الله بهم : سيدي واسم بن عبد الله مقدمهم ورئيسهم ، وسيدي أبو بكر الشماس كبيرهم سناً وصاحب مشورتهم ، وولده سيدي صالح بن أبي بكر ، وسيدي عيسى أبو خابية ، وسيدي عبد الله أدناس ، وسيدي يعلى بن واطل والـد سيدي شاكر ، وسيدي سعيد ويبقى ، تلاقوا مـع سيد المرسلين وخاتـم النبيئين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، قدموا له صلى الله عليه وسلم من المغرب الاقصا يطلبونه دينهم ، ولما وصلوه تقدم اليه مقدمهم سيدي واسم المذكور ، وهو صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة ، فكلمـه بلغتهم البربرية فقال له : متكّون يكّن أرقاص نرب ، ومعناه : ايكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : بلغتهم لانه كان

يعرف جميع اللغات ، فقال له صلى الله عليه وسلم : نكد اشكد ، ومعناه : انا ، قرب، فأسلم وأسلم مَن معه بعد طلبهم الآية ورؤيتها ، وعلمهم دينهم ، ودعا لهم ، وكتب لهم براءته السعيدة ، ووجههم للمغرب .

هكذا أخبرني الثقات،منهم:شيخنا الاورع مولاي عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي ، والفقيه النزيه سيدي أبو بكر السجتاني ، والفقيه الاستاذ سيدي محمد الكفيف مفتي حمراء مراكش ومدرسها ، يقطع بذلك ولا يشك فيه ، ثم قال : والحاصل لا يخطر ببالك انكار صحبتهم ، بل تأدب معهم تأدب الشيوخ ، وحسبك أن تصل بهم ، وتقتدي بهم ، لان حرمتهم من حرمة نبيك المصطفى ، ولا تقل لم يبلغنا هذا ، وسلم تسلم .

وهذا امامنا مالك رضي الله عنه لما بلغه أن هارون الرشيد أراد أن يحمل الناس على قراءة (الموطأ) قال له : لا تفعل ، واترك الناس في توسعة من دينهم ، وقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة ، فتفرقوا في مشارق الارض ومغاربها وعند كل واحد منهم ما لا يحتمل أن يكون عند الآخر ، انتهى باختصار ، وراجعه بنصه في سلسلة (الذهب المنقود) ونحوه للجزولي في (شرح الرسالة) انتهى .

وقال في (الصفوة) في ترجمة الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر ما نصه نقلا عن فهرسة العياشي : وأجاز له سيدي محمد بن سعيد المراكشي ، انتهى .

وممن ترجمه صاحب (النشر) (1) والحضيكي في طبقاته، (2) وصاحب (خلاصة الاثر) ، قال فيها بعد ذكره ما نصه : بحرا لا ساحل له ، قرأ ببلاده على كثيرين ، ثم بتافلالت على الشريف عبد الله بن طاهر ، وبمراكش على مفتيها عيسى السكتاني ، ثم تصدر بها للتدريس ، وانتهت اليه بها الرياسة في العلوم ، وكان مكثرا من اقراء الكتب الستة ، والشفاء ، واسماعها لطلبة الحديث النبوي ، وأخذها عنه عالم لا يحصون ، وتخرج به في طريق التصوف كثيرون ، ولازمه أفاضل عصره من المغرب الأقصا والأدنا .

---

1) نشر المثاني 2 : 37

2) مناقب الحضيكي 2 : 72

وممن أخذ عنه وتخرج به : الفاضل العلامة ابراهيم السوسي ، ومحمد البوفراني ، وكانا كثيرا ما يديمان ذكره ، ويحاضران به في مجالسهما ، ويذكران عنه وقائع غريبة ، منها أن رجلا شكا اليه واليَ بلده ، وذكر لـه مظلمته فقال له : سر اليه ، وقل له يقول لك محمد بن سعيد لا تجلس فـي البلد فلم يبت بها ، وفارقها ولم يرجع اليها ، وبلغ السلطان خروجه منها بغير اذن منه ، فسأله عن سبب الخروج ، فقال : لما ارسل الي لم يستقر لي قرار بالجلوس ، وخرجت بغير اختيار ، فعزله عن عمله ، وأرسل لها واليا آخر ، ومنها أن رجلا أجتمع عليه ديون كثيرة ، وعجز عن قضائها ، فأتى اليه وذكر له ذلك ، فقال له : اذهب الى المكان الفلاني ، واقرأ الاخلاص الى أن يأتيك رجل صفته كذا ، فقل له يقول لك : محمد بن سعيد أعطني ، واطلب منـه ما تريد ، فذهب وأتاه الرجل ، فذكر له ذلك ، فأعطاه ما طلبه ، وله مؤلفات كثيرة منها منظومة في الوفق المخمس الخالي الوسط ، ومنظومة في علـم الحجر ، ومنظومة في التنجيم ، ومنظومة في التصوف ، ومنظومة في الفقـه وأخرى في النحو ، وله شعر وانشاء ، وكانت وفاته شهيداً بالطاعون في سنة تسع وثمانين (1) وألف بمراكش ، وصلي عليه بالجامع المذكور ، ودفن بتربة باب أغمات ، وعمره اثنان وثمانون سنة (2) .

وقال في (الدر النفيس) ما نصه : واجتمعت أيضا بالمغرب فـي المدينـة الحمراء بالشيـخ العالم العلامـة الدراكة الفهامـة الامام الراسـخ القدوة ، المحصل الصوفي الشهير ، ذي الرياضات والمجاهدات والمشاهدات، وأحد الشيوخ المصنفين ، علم الاعـلام المؤلفين ، واسطة عقد الأكابر سيد الديار المراكشية في وقته ، محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمـد السوسي ، ثم المرغيثي ، قرأت عليه (صحيح البخاري) ، و (الشفاء) لعياض، وشرح الكبرى للشيخ السنوسي بجامع المواسين ، وأجازني فيها بسنده الى مؤلفها ، واجازني أيضا اجازة عامة في أربعة عشر علما ، وهي علوم الاسلام ،

1) في الأصل سنة تسعين وهو خطا

2) في الاصل خمس وتسعون سنة وهو خطا

وكـان رضي الله عنـه عاليَ السنـد ، أخذ منـه الاجـازة الشيخ الامـام الصوفي الكبير الصالح العالم الشهير ، محمد بن ناصر الدرعي ، وغير واحد من العلماء الاكابر لما ذكر ، وكان شديد الحب النبوي ، رأيته يوما يخطب وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في اثناء خطبته ، فأخذته رعدة ، وكان ذلك من عادته عند ذكره عليه السلام، فرأيت نورا يضطرب فوق رأسه وهو على المنبر، فسألته بعد الفراغ من الصلاة عن ذلك ، فقال : أرأيته ؟ قلت : نعم ، فقال : ذلك نزول السكينة لقراءة القرآن ، قلت : وذلك ستر منه على حاله رضـي الله عنـه .

وكان رضي الله عنه من أهل الحال والاستغراق ، واكثر ما يكون منه ذلك من صلاة الصبح الى طلوع الشمس في قراءة أوراده ، كان يقرأها بالحال وكان يقول : ينبغي أن تقرأ سورة الكافرين بالحال ، قلت له : ياسيدي ما الحال ؟ قال : شدة التوجه بالهمة والعزم . وأخبرني ثقة من أصحابه قال : مات رجل من أصحابه فرئي في النوم في أحسن حالة ، فسئل عن سبب ذلك فقال : أتاني الملكان للسؤال ، فقلت لهما : أنا من أصحاب الشيخ محمد بن سعيد ، قال : فخليا سبيلي ومضيا ، قال : فأخبرنا الشيخ بذلك ، فقال : سبحان الله ، اطلعكم الله على هذا ، هذا بيني وبين الله قد وعدني ان لا يعذب من تعلق بي وأحبني . ومحاسنه ومناقبه كثيرة ، نفعنا الله به وبما قرأناه عليه وأخذنـا عـنـه .

وكان هذا الشيخ على الطريق الشاذلية أيضا ، وكان من الصدور في وقته ، مستبحرا في جميع العلوم ، وانفرد بعلوم وفنون لم تكن عند غيره ، ولـه تآليف وتصانيف مـن نظم ونثر في التصـوف ، والتوقيت والتنجيـم ، والمناسك وغير ذلك ، وكان له صيام وقيام ومجاهدات ، وكان له بيت بمدرسة جامع الكتبيين ضيق جداً ، مكث فيه خمس عشرة سنة يعبد الله تعالى ، فهو من الاولياء العارفين ، وكان يستر حاله ، وكان رضي الله عنه من أهل الكشف ، زوج ابنه محمدا وكنت عنده ، فنظر الي وقال : بقي لي ولد آخر أريد أن ازوجه أو يذهب الى بلده وأرادني بذلك ، ثم فكر ساعة ورفع رأسه وقال لي : أنت

زوجتك فاسية ، اذهب لفاس ، فكان الامر كذلك ، ولكن بعد مقالته بعشر سنين ، وكان ذلك عندي من المحال العادي ، ثم قال : ومات ولده فلم يعقب انتهى .

وقال الروداني في (الصلة) ما نصه عند ذكر طرق سلسلة الفقه المالكي : الثالث اخذته عن عابد العلماء الراوية في علوم الشريعة والطريقة ، المحقق في فنون الآلات والآداب الدقيقة ، شمس العلوم والدين ، محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي ، وهو أخذه عن سيد الحفاظ الاستاذ عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي ، وهو أخذه عن أحمد بن علي المنجور الى آخره ، وهذه النسخة التى نقلت منها نسخت من نسخة كتبت في حياة المؤلف قبل موته بعشر سنين ، وعليها خطه وتصحيحه ، وقابلها مالكها السيد عبد الحي ، ووقفت على نسخة أخرى منها ، وتأليفه (الاشارة الناصحة) ، في نحو كراس من القالب الكبير ، وقفت عليه .

وممن ترجمه صاحب (الروض اليانع الفائح) وأطال فيها جدا نقلا عن تلميذه سيدي المعطي الشرقي .

692) محمد بن عبد الخالق الشرقي

محمد الملقب بالمعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب سيدي محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري .

كان رحمه الله من أولياء الله الصالحين ، وخيرته العارفين ، عالما عاملا متفننا متصوفا ، فقيها زاهدا متقشفا ورعا ، له اليد الطولى في كل فن ، وكان ذا لفظ بليغ ، وقلم بارع رفيع ، أخذ ذلك عن مشايخ جمة ، وأجازه في ذلك غير واحد ، منهم : العلامة سيدي عبد القادر الفاسي ، سمع عليه التفسير ، والاحياء، والحديث ، والتصوف ، وأوائل الكتب الستة ، ومنهم : سيدي محمد بن سعيد المرغيثي وأخذ أخذ ارادة وانتساب عن العارف الكبير سيدي محمد بن ابراهيم التاملي .

حدث في (المرقى) عن الشيخ سيدي محمد صالح ولد المترجم أنه قال له : قلت لسيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي يوما كنا نقرأ على سيدي الحسن اليوسي ، فدرس في الفاتحة شهرا كاملا ، فقال سيدي محمد بن عبد الرحمان : هذا سيدي محمد بن ابراهيم درس فيها ثلاثة أشهر ، وخرجت على يده فحول من أكابر العلماء والصالحين ، ومشايخ من أهل الطريقة العارفين .

انتقل المترجم مع والده إلى حضرة مراكش بقصد السكنى بها،فسكنا بحومة الكتبيين ، وكان سيدي محمد بن ابراهيم المذكور ، ظهر بتلك المدينة بذلك الوقت ، وكان يمر عليه ليسلم عليه ويرد عليه كغيره من المارين بالطريق ، فتألم من ذلك أصحاب الشيخ واعلموه به ، فقال لهم : دعوه انه من أصحابنا ، وهذا من كراماته ، فذهب صاحب الترجمة في بعض الأيام إلى جامع المواسين بعد صلاة العصر ، وكان الشيخ يجلس بعدها في الجامع للذكر ، فدخل المسجد فوجد الشيخ وقد تحرك عليه حال ، وهو يدور من سارية إلى سارية ، فبنفس ما رآه قبضه وضمه إلى صدره ، وأرسله فلم يخرج من المسجد حتى خرج غائبا يميل كالنشوان ، لا يدري أين هو ، وبقي على ذلك ثلاثة أشهر .

كان المترجم اماما آية الله في أرضه ، جمع الله له فنونا من العلم ، ونفائس من الحكم ، جامعا مانعا ورعا لا يأكل ما فيه شبهة حتى أن ولده لما أكل عند بعض الناس طعاما جعل يده في فمه حتى قاءه ، وكان مؤثرا للعزلة ، وله كرامات عدة من الكشف على أحوال الزائرين ، وانخذال الولاة الظالمين لمريديه ، وكفاية القليل من الطعام لنحو السبعين من الزائرين ، وتبشير المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالجنة ، وكان رضي الله عنه آية في المحبة .

وحدث عن ولد المترجم سيدي محمد أن والده لما ثقل حاله ، وتعطلت حركاته ، قال لبعض الحاضرين : أنظروا لي قبرا يكون قريبا من قبر الشيخ ، قالوا له : ما علمنا شيئاً ، فقال لهم : انظروا لعلكم تجدون شيئاً ، فخرج الفقيه سيدي أحمد العطار من اخوان صاحب الترجمة في الشيخ يسأل عن ذلك ، فلقيه بعض الناس فأخبره بأن بازاء الشيخ قبرا لبعض الناس أعده لان يدفن فيه ، فرجع الى صاحب الترجمة وبشره بذلك ، فقال له صاحب الترجمة :

لا شيء له فيه من جهة الشرع ، لانه لا يملكه الا بالدفن فيه ، وانما له الاجرة ، واستحضر صاحب الترجمة نص (مختصر خليل) في تلك الحال على ذلك ، فلما توفي ذهبوا الى القبر فوجدوه محفورا ، فدفنوه فيه خارج باب الدباغ من مراكش ، وكانت وفاته رضي الله عنه عام 1092 .

كان رضي الله عنه من الأوتاد ، وكانت الأمراض تعتريه دائما !

ولما توفي رثاه سيدي أحمد بن عبد القادر التاستوتي بابيات وهي :

قل للاحبة من بني الشرقـــــي	الماجد الموصف بالصـــــدق
لو كان ينفعني اشتياقي الـــى	فقد الحبائب مت من شوقـــي
أو كان نثر الدمع يدرأ عـــن	متأسفين مرارة الفـــــرق
بادرتكم للحزن أبك علـــى	فقد الفتى المعطى ومن حقـــي
فانتبذوا ما كان من شجـــو	واطَّرحوا ما كان من حلـــق
أنتم نجوم يهتدى بكـــم	لا تعدلوا عن منهج الحـــق
وعليكم مني التحية مـــا	بزغت دراري الشعر من أفـــق

قال في (المرقى) : حدثني بعض الثقات أن صاحب الترجمة ، قدم الى فاس يطلب حق أمه من ارثها ، فقاموا اليه وأتوه بنعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند بعض الناس هناك ، فسمح لهم ، وأبرأ ذمتهم ، وهكـذا يكون الاحترام والتوقير والاعظام انتهى .

وقال في (اليتيمة) عند ذكر وفاة المترجم : وتوفي رضي الله عنه سنة اثنين وتسعين وألف بتقديم التاء الفوقية ، كما وقفت عليه في الكتاب الذي كتب منه وصيته بخطه ، وعين الشهر الذى كتب فيه من تلك السنة ، وهـو شهر صفر .

وفي بعض الكتب أنه توفي سنة سبعين وألف بتقديم السين المهملة، وفيه مع هذا ما فيه ، ودفن بخارج باب الدباغ من حضرة مراكش حرسها الله بجنان العفو ، ويقال له : جنان العافية حذاء قبر شيخه سيدي محمد بن ابراهيم رحمهما الله تعالى وبنيت عليه قبة صغيرة جـدا ، بناها عليه أحـد أحفاده .

ثم لما تملك الوزير الاريب ، الفقيه النزيه النجيب ، الخير المبارك اللبيب ، السيد محمد بن حدو الدكالي وزارته السعيدة ، وكملت بذلك محاسنه الحميدة ، بنى عليه قبة حسنة بيضاء ، متسعة الأرجاء والفضاء ، متقنة البناء ، فيها ما يستحسن المحب ويرضى ، باذن الملك السيد الأعظم ، سيدي محمد بن عبد الله ، وهناك عليه روضة كبيرة ، ومزارة كبيرة ، يزوره الخواص من أهل المدينة ، والوافدون من الغرباء من أهل تادلة وغيرهم .

وقال في (المنح البادية) : أخبرنا الفقيه الزاهد محمد المعطي بن عبد الخالق بن الولي الشهير سيدي محمد الشرقي عن أحمد بن ابراهيم المراكشي عن الخضر ، انتهى . وتقدم ذكره في ترجمة أحمد السبتي . وممن أخذ عنه الامام الحسن بن رحال المعداني .

وللمترجم فهرسة تسمى (الموائد السنية) في مجلد مجموعة طب وفقه وحكم وأشعار بلا تقيد بسند .

ترجمه في (المرقى) ، و (اليتيمة) ، و (الروض اليانع) ، و (الصفوة) (1) و (طبقات الحضيكي) (2) وغيرها .

693) محمد بن أحمد الفاسي

محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي الفهري أبو القاسم الحافظ ، أجازه صدر الاسلام محمد القصار الغرناطي ، أسند عنه مؤلف (استنزال السكينة ، بتحديث أهل المدينة) عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الحديث الرابع عشر منها ، المسلسل بالمراكشيين .

قال : حدثنا شيخنا الامام محمد بن أحمد ، وكان بآخره قد دخل مراكش عن شيخه القصار وهو دفينها ، عن اليسيتني ، عن ابن غازي ، عن السراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد الرعيني ، وأبي القاسم بن رضوان ، فالاول عن أحمد ابن البناء ، والثاني عن أبي جعفر بن صفوان ، قالا : حدثنا محمد بن عبد الملك الاوسي قاضي مراكش ، عن محمد بن هاشم الاوسي

---

1) صفوة من انتشر ص 190

2) طبقات الحضيكي 2 : 58

المراكشي السلوي القرطبي السلف قال : وكان قد استوطن مراكش وقتا ، ثم رحل الى الاندلس ، وسكن اشبيلية مدة ، وشريش أخرى ، ومنها فصل لرحلته الثانية سنة ثمان وأربعين وستمئة .

قال : وكان محركه اليها ، وباعثه عليها ، ما حدثني به ، ونقلته من خطه ، قال : وذلك رؤية رأيتها في المنام لم تكن من أضغاث الاحلام ، رأيت في العشر الآخر من رمضان ، سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر ، صلى الله عليه وسلم ، جالسا على سرير ، تبرق من وجهه أساريره ، فبادرت اليه مسرعا ، ووقفت بين يديه متخضعا ، وقلت له بعد أن سلمت عليه ، وقمت مقام المستكين بين يديه : يارسول الله ما أعظم عند الله من سلم عليك وقبل ثرى نعليكم ، فقال لي عليه الصلاة والسلام مجيبا بعد أن رحب ترحيبا : اني أحبكم، ثلاثا يعددها ، ويكرر الكلمات ويرددها ، ثم قال لي في الأخيرة : ومَن أحب شيئا أكثر من ذكره ، فاستيقظت من منامي ، وقمت على اقدامي ، والعزائم مني مشحوذة ، وعلق تعلقي بحبال هذه الفانية بمدى اليأس مقطوعة مجذوذة، وخرجت لا أولوى على معتذر ، خروج المجد الى لقاء المحبوب المشمر ، فسرت على عون الله متوركا ، وبرؤيتي هذه المنامية متبركا ، وبعرى وده الصحيح وحبي الصريح متمسكا ، انتهى .

ثم أسند بسند المراكشيين أيضاً الحديث الثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين ، والثلاثين ، والحادى والثلاثين ، والثاني والثلاثين ، والثالث والثلاثين ، وتقدم ذكر محمد بن هشام (1) ، وأبو القاسم المذكور مترجم في (عناية أولي المجد) قال فيها : ومنهم محمد بن الشيخ الحافظ أحمد بن الشيخ يوسف ، ويكنى أيضا أبا القاسم ، ولد بفاس سنة ثمان وألف ، وبها نشأ في حجر أبيه وجده ، فقرأ القرآن ، وتميز بقوة الايقان، ثم اشتغل بخدمة العلم على طريقة التحصيل ، ملازما لعم أبيه الشيخ العارف عبد الرحمان بن محمد ، يغترف من بحر علمه وعرفانه ، وأخذ أيضا عن عمه الشيخ العربي ابن الشيخ يوسف ، وعن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، والشيخ النحوي أبي الحسن بن الزبير السجلماسي ، والشيخ الامام عبد الواحد ابن عاشر الانصاري .

---

1) انظر ص : 237 و 476 من هذا الكتاب

ويروي بالاجازة عن شيخ الاسلام محمد القصار القيسي ، وقرأ على الشيخ علي البطوئي ، فتضلع في جميــع العلوم ، وخاض بفلك ذهنــه بحار الفهوم ، الى أن كان اماما حجة ، وسالكا واضح المحجة ، قائما بتدريس الفنون قيام محقق ، حافظ ضابط محصل محرر ، وكان آية من آيات الله في الحفظ ، لا يجاري في ذلك في سائر الفنون ، مــع قوة الفهم وحسن العبارة ، وليــن الجناب ، ومكارم الاخلاق ، وسرعة الدمعة ، والاقبال على الصغير والكبيــر بالبشاشة والاكرام .

تولى القضاء بمكناسة الزيتون مدة طويلة ، فحمدت فيها سيرته ، وأحبه أهلها ، فكأنما أشربت قلوبهم محبته ، ثم استعفى فاعفي ، واستوطن بفاس ، فولى بها الفتوى ، وخطابة جامع القرويين ، ثم أخر عنها ، فلزم التدريس والتقييد والافادة للخاص والعام ، فأخذ عنه خلق كثير ، وانتفع به الجم الغفير من أعلام الوقت ، كالشيخ الحافظ عبد الرحمان ، وأخيه الشيخ المحقق مَحمد بالفتح ابني شيخ الاسلام عبد القادر ، وقاضي الجماعة الشيخ العلامة محمد بن الحسن المجاصي ، وقاضي الجماعة الشيخ محمد العربي بن أحمد بردلة ، وغيرهم ممن لا يحصى .

وكانت وفاته عند غروب ليلة المولد النبوي ، ودفن يوم المولد سنة أربع وثمانين وألف ، رحمه الله ورضي عنه ، انتهى .

وذكره في (المنح البادية) الشيخ الرابع من أشياخه ، وكناه أبا المكارم ، وذكر أنه سمع عليه أوائل الكتب الستة ، وتفسير الفاتحة لعم والده أبي المعارف ، ونظم عمه سيدي العربي الفاسي ، و (الشفا) ، و (الألفية) ، وغير ذلك ، وأجازه فيما له ، وذكر من أشياخه مما لم يذكر في (عناية أولى المجد) ابن عمه أحمد بن علي ، والحسن الزياتي .

وترجمــه في (نشر المثانــى) (1) ناقلا لهــا عن (المطمــح) . ثم قال بعده : وصاحب الترجمة مع الامام عبد القادر بن علي الفاسي ، قرينان في طلب العلم والسنن ، ولقاء المشايخ ، وكلاهما من أجل زمانهما رحمهما الله، ونفعنا بهما آمين ، انتهى .

---

1) نشر المثاني 2 : 12

واعتنى في آخر عمره بالقراءات السبع ، فأخذها عن عبد الرحمان ابن القاضي ، وقرأ عليه ختمتين ، فبرع في ذلك وألف تآليف منها : شرح لمختصر خليل ، شرح لطيف ممزوج في سفر ، وشرحان على نظم المراصد ، لعمه سيدي العربي ، وبسببه ـ مع ابن عمه ولد المصنف عبد الوهاب ـ كان وضعهما ، واليهما أشار بولدي فيه وفي غيره من نظمه ، وشرح نظم عمه في المنطق ، وغير ذلك . قال الشيخ عبد الرحمان الفاسي في (أزهار البستان) عند ما عده فيه ممن أخذ عن العارف : مولده ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف بفاس ، وبها توفي في آخر ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وألف ، انتهى .

وهو مخالف لما تقدم عن العناية أنه ولد سنة ثمان ، وهو الذي في (المطمح) أيضا ، كما أن تاريخ الوفاة بآخر ليلة ثاني عشر ربيع الأول يخالفه ما تقدم من أنه توفي عند غروب ليلة المولد النبوي ، والاول أرخ بأول الليلة ، والآخر أرخ بآخرها ، والخطب سهل .

وقال في (المورد الهني) : ودفن بروضة جده الشيخ نفعنا الله به من جهة القبلة ، خارج القبة ، انتهى .

وترجمه في (الصفوة) أيضا ، و (التقاط الدرر) ، و (السلوة) ، وأشار اليه الشيخ المدرع في منظومته بقوله :

وسيدي محمد بن أحمد . سليل يوسف الامام الامجد
بخارج القبة حوشه اشتهر من جهة القبلة بان وظهر

694) محمد بن محمد ابن الفاسي المراكشي

محمد بن محمد بن سليمان ابن الفاسي ، وهو اسم له لا نسبة الى فاس، بن طاهر السوسي المغربي الروداني المراكشي المالكي، نزيل الحرمين.

قال في (خلاصة الاثر) ما نصه : الامام الجليل المحدث المفنن ، فرد الدنيا في العلوم كلها ، الجامع بين منطوقها ومفهومها ، والمالك لمجهولها

ومعلومها . ولد في سنة سبع وثلاثين وألف بتارودانت ـ بتاء مثناة من فوق بعدها ألف ، ثم راء مضمومة بواو ، ثم دال مهملة مفتوحة فنون ، ومثناة من فوق ساكنتان ـ قرية بسوس الاقصا ، وقرأ بالمغرب على كبار المشايخ ، من أجلهم قاضي القضاة ، مفتي مراكش ومحققها ، عيسى السكتاني ، والعلامة محمد بن سعيد المرغيثي المراكشي ، ومحمد بن أبي بكر الدلائي ، وشيخ الاسلام سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة مفتي الجزائر ، وهو أجل مشايخه ، ومنه تلقن الذكر ولبس الخرقة ، ولازم العلامة محمد بن ناصر الدرعي أربعة أعوام في التفسير والحديث والفقه والتصوف وغيرها ، وصحبه وتخرج به ، ثم رحل الى المشرق ودخل مصر ، وأخذ عمن بها من أعيان العلماء ، كالنور الاجهوري ، والشهابين الخفاجي والقليوبي ، والمسند المعمر محمد بن أحمد الشوبري ، والشيخ سلطان ، وغيرهم ، وأجازوه .

ثم رحل الى الحرمين وجاور بمكة والمدينة سنين عديدة ، وهو منكب على التصنيف والاقراء . ثم توجه الى الروم في سنة احدى وثمانين وألف صحبة مصطفى بك أخي الوزير الفاضل ، ومر بطريقه على الرملة ، وأخذ بها عن شيخ الحنفية خير الدين الرملي ، وبدمشق عن نقيب الشام وعالمها السيد محمد بن حمزة ، والمسند المعمر محمد بن بدر الدين بن بلبان الحنبلي.

ولما وصل إلى الروم حظى عند الوزير ومن دونه، ومكث ثمة نحو سنة، ورجع الى مكة المشرفة مجللا، وحصلت له الرياسة العظيمة التي لم يعهد مثلها ، وفوض اليه النظر في أمور الحرمين مدة ، حتى صار شريف مكة لا يصدر الا عن رأيه ، وأنيطت به الامور العامة والخاصة ، الى أن مات الوزير ، فرقّ حاله وتنزل عما كان فيه .

ثم ورد أمر السلطان الى مكة سنة ثلاث وتسعين وألف ، باخراجه منها إلى بيت المقدس ، وسببه عرض الشريف بركات أمير مكة فيه الى السلطانية ، وطلب اخراجه من مكة ، بعد أن كان بينهما من المرابطة ما كان ، وعلى يده تمت له الشرافة ونهض به الحظ ، وكان يوم ورود الامر يوم عيد الفطر ، فألح عليه الشريف سعيد بن بركات ، شريف مكة يومئذ وقاضي مكة ،

في امتثال الامر السلطاني ، فامتنع من الخروج في هذه الحالة ، وتعلل بالخوف من قطاع الطريق ، فأبى أن يسلم نفسه وماله ، فأمهل بعد عـلاج شديـد وتشفع عند بعض الاشراف ألى مخرج الحج ، ثم توجه صحبة الركب الشامي وأبقى أهله بمكة ، وأقام في دار نقيب الاشراف سيدنا عبد الكريم بن حمزة حرس الله جانبه ، وجعل طوع أمره مجانبه ، واجتمعت به ثمة مرة صحبة فاضل العصر ودرة قلادة الفخر ، المولى أحمد بن لطفي النجم المولوي نضر الله به وجه الفضائل ، وأبقاه مغبوطة به الاواخر من الاوائل ، فرأيت مهابة العلم قد أخذت باطرافه ، وحلاوة المنطق في محاسن أوصافه ، واستمر بدمشق مدة منفردا بنفسه لا يجتمع الا بما قل من الناس ، واشتغل مدة اقامته بتأليـف كتاب (الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ) على طريقة ابن الأثير في (جامع الأصول) ، إلا أنه استوعب الروايات من الكتب الستة ، ولم يختصر كما فعل ابن الاثير ، وله من التآليف الشاهدة بتبحره ، ودقة نظره (مختصر التحرير) في أصول الحنفية لابن الهمام وشرحه، و (مختصر تلخيص المفاتح) وشرحه، و (المختصر) الذي ألفه في الهيأة ، و (الحاشية على التسهيل) ، و (الحاشية على التوضيح) ، وله منظومة في علم الميقات وشرحها ، وله جدول جمع فيه مسائل العروض كلها ، واخترع كرة عظيمة فاقت على الكرة القديمة ، واسطرلاب ، وانتشر في الهند واليمن والحجاز وغير ذلك من الرسائل .

وله فهرسة بجميع مروياته وأشياخه سماها (صلة الخلف ، بموصول السلف) ذكر فيها أنه وقع له بالمغرب غرائب ، منها أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله تعالى محمد بن محمد الواوزغتي التادلي وهو قاصد بلدا آخر ، فسأل عن البلد ، فقيل له : ان فيه شيخا مربيا ، صفته كذا وكذا ، قال : فجذبني الشوق اليه ، ولم أملك نفسي حتى دخلت بلده ، فلقيني رجل خارج الي وقال : أمرني الشيخ أن أخرج اليك وآتيه بك ، فلما دخلت عليه ، رفع الي بصره ، فوقعت مغشيا علي بين يديه ، وبعد حين أفقت ، فوجدته يضرب بيده بين كتفي ، ويقول : « وهو على جمعهم أذا يشاء قدير ، أفمن وعدناه وعـدا حسنا فهو لاقيه »، فأمرني بملازمته ، ومذاكرة أولاده بالعلم ، فقلت له : اني طلبت كثيرا لكن الى الآن ما فتح الله تعالى علي بشي ، ولا أقدر على استخراج

كتاب، ولا الأجرومية،وكنت اذذاك كذلك، فقال لي اجلس عندنا ودرس أي كتاب شئت ، في أي علم شئت ، ونطلب من الله تعالى أن يفتح لك ، فجلست ودرست طائفة من الكتب التي قرأتها ، وكنت اذا توقفت في شيء أحس بمعان تلقى على قلبي كأنها أجرام ، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا ولا نفهمها ولا أتذكرها قبل ذلك ، وكان مسكني قريب مسكنه ، فكنت أعرف أنه يختم القرآن العظيم بين العشاء والمغرب ، يصلي به النوافل ، ورأيته يوما تصفح جميع المصحف الشريف ، وجميع (تنبيه الانام) ، وجميع (دلائل الخيرات) في مجلس ، فعجبت من ذلك ، وسألت عن ذلك بعض الحاضرين ، فقال لي : من ورد الشيخ انه يختم ثلاثتها بعد صلاة الضحى ، وشاهدت له العجب والعجاب في نزول البركة في الطعام ، وغير ذلك مما هو محض كرامات الاولياء .

ومنها أنه لقي يوما العلامة عيسى المراكشي مفتي مراكش، وقد احتف به خلق كثير ، يزدحمون على تقبيل يده وركبته ، وهو راكب ، فزاحمهم حتى قبل يده تبركاً ، قال : فانحنى إلي دون الناس، وقال : أجزتك بجميع مروياتي، فكأنما طبعها في قلبي الآن ، وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم ، ولست متزيياً بزي طلبته ، حتى يقال : انه رأى علامة الأهلية ، ولا أن ذلك من عادته مع المتأهلين للاجازة، بل لم يظفر بالاجازة منه إلا القليل من أخصائه فيما أظن، ثم بعد غيبتي عنه ثمانية أعوام في طلب العلم الشريف منَّ الله تعالى بالرجوع اليه ، وتجديد الاخذ عنه في سنة ستين وألف قبل وفاته بسنة ، ولله تعالى الحمد والمنة .

قلت : والظاهر من شأنه كما نقلت عن شيخنا المرحوم عبد القادر بن عبد الهادي ، وهو ممن أخذ عنه ، وسافر الى الروم في صحبته وانتفع به ، وكان يصفه بأوصاف بالغة حد الغلو ، ويذكر الفنون التى كان يشير بمعرفتها فيستغرق العد ، أن ذلك فيه بمجرد فتح الاهي ببركة شيخه الواوزغتي المذكور ، فانه كان يقول : انه يعرف الحديث والاصول معرفة ما رأينا من يعرفها ممن ادركناه ، وأما علوم الادب فاليه النهاية فيها ، وكان في الحكمة والمنطق ، والطبيعي ، والالاهي ، الاستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب ،

وكان يتقن فنون الرياضة : أقليدس ، والهيأة ، والمخروطات والمتوسطات ، والمجسطي ، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي ، وطريق الخطائن والموسيقى ، والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره ، الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها ، والوقوف على حقائقها ، وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً مستوفياً ، وكان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة ، وكان يحفظ في التواريخ وأيام العرب ووقائعهم ، والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيرا ، وكان في العلوم الغريبة كالرمل ، والاوفاق والحروف ، والسيمياء والكيمياء ، حاذقا أتم الحذق ، وبالجملة فقد كان كما قال الشاعر في المعنى :

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له في كل علم بالجميع

وقد أخذ عنه بمكة والمدينة والروم خلق ، ومدحه جماعة وأثنوا عليه.

وكانت وفاته بدمشق يوم الاحد عاشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بالتربة المعروفة بالابجية بسفح قاسيون بوصية منه ، ورثاه شيخنا الشيخ عبد القادر بن عبد الهادي رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة مطلعها قوله :

صبرا فكل الانام يفقد ... لا أحد هاهنا يخلد

يقول من جملتها هذا :

والناس آجالهم كخيل ... فالسابق المضمر المجرد
وعالم الكون في فناء ... فحقق الامر فيه واشهد
والخطب عم الانام طرا ... بموت شيخ العلوم أوحد
ابن سليمان من حباه ... المصطفى باسمه محمد
تبكي علوم الألى عليه ... وطرسها قد غدا مسود

ومنها :

في كفه دائما يراع ... له وجوه الطروس سجد
ان هزه فالصواب يبدو ... من أمره واضحا مؤكد
في كل علم تراه فردا ... أدرك آحاده وجدد

وقوله : كتاب (الجمع بين الخمسة والموطأ) على طريقة ابن الاثير الخ ، وله هذا الكتاب الذي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها ، وسماه (جمع الفوائد ، لجامع الاصول ومجمع الزوائد) اشتمل على أحاديث صحيحي البخاري ومسلم ، وبقية الستة والموطأ 7 ، ومسند الدارمي 8 ، وأحمد وأبي يعلى الموصلي 10 ، والبزار 11 ، ومعاجم الطبراني الثلاثة 14 ، وهي 14 ، قال عنه الشهاب أحمد بن قاسم البوني تلميذه : أن جمعه أحسن من جمع الهيثمي انتهى ولمولانا خالد الكردي النقشبندي دفين دمشق عليه تعليقة ، خرجت في مجلد ، وقد طبع (جمع الفوائد) المذكور ، وهو عندي كما طبع (مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد) ، الأول في جزأين ، والثاني في عشرة أجزاء ، فالأصل الاول جامع ابن الاثير اشتمل على الكتب الخمسة ، والموطأ ، والاصل الثاني : (مجمع الزوائد) اشتمل على زوائد مسند أحمد ، وأبي يعلى ، والبزار ، والمعاجم الثلاثة ، وزاد المترجم عليهما سنن ابن ماجة ، والدارمي ، فصار أربعة عشر .

وقال الامام أبو سالم في رحلته ما نصه : ومنهم حكيم الاسلام ، وأحد العلماء الاعلام ، المتوقد فطنة ، والمتوهج ذكاء ، الممتلىء حكمة وايمانا ، ولم يرشح له وعاء ، ولا حل له أحد وكاء ، الذي توغل في أقطار الارض وجال ، وبلغ على حداثة سنه مبلغا عجز عنه فحول الرجال ، المتفنن في علوم كثيرة ، والمتحلي بحلى من محاسن الاوصاف أثيرة ، سيدي محمد بن سليمان الروداني ، كان ممن ألهم الرشد في صغره ، فاجتنى ثمر رشده في كبره ، نشأ ببلده بين والديه بمدينة رودانة قاعدة بلاد السوس الأقصا ، فلما بلغ مبلغ الرجال تاقت نفسه الى تعلم العلم ، فخرج فارا من أبويه ، فدخل بلاد درعة ، واستقر عند صالح علمائها سيدي محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه ، فاقتبس من علومه مدة ، ثم خرج من هنالك وجال في أقطار المغرب ، ودخل سجلماسة وغيرها من البلاد القبلية ، ثم وصل الى مراكش ، ثم الى فاس ، ولقي بها أوحد زمانه ، في سلوك طريق الصدق ، العديم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق ، سيدي محمد بن عبد الله معن الاندلسي رضي الله عنه .

وكان دخوله لفاس بقصد تعلم العلوم الرسمية ، سيما علم الحكمة من هيأة وتنجيم وحساب ومنطق ، وما شاكل ذلك ، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك ، شديد البحث عمن يتقن بعضها ، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليله في ذلك ، فلما دخل فاسا ، ولقي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم وغيرها من العلوم الرسمية ، ومنعه من لقاء علماء الوقت ، وألزمه الرجوع الى والديه ، والاخذ بخاطريهما ، فرجع الى والديه حتى طابت قلوبهما وأذنا له في السفر ، فرجع الى مراكش وأقام بها مدة ، وانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد ، وحكيمها المريد وغيرهما ، ولم يزل ينتقل في البلاد الى أن وصل البلاد المشرقية ، ووصل الجزائر ، وأقام فيها مدة ، وانتفع بأهلها كسيدي سعيد بن ابراهيم قدورة وغيره .

وأخبرني أنه لقي هنالك رجلا من أصفياء الصالحين ، وكان يواظب الجلوس عنده ، وهو في الغالب ساكت لا يتكلم ، قال : وذات يوم ضاقت علي نفسي ولا أدري أين أتوجه من البلاد ، فجئت اليه ، فلما جلست عنده ، قال لي : أنت مسجون عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد آل الامر به الى ما قال ، فانه انتهت به سياحته الى المدينة المشرفة ، ولم يخرج عنها من لدن وصلها ، الا الى مكة ، ثم دخل كثيرا من البلاد الافريقية ، ثم ركب البحر الى اصطنبول، ووقعت له هنالك وقائع مع بعض علمائها ، منها ما أخبرني به أنه نزل هناك عند رجل يتظاهر بالعلم والصلاح ، ويزعم أنه من ذرية الشيخ زروق رضي الله عنه ، وله صيت في ذلك البلد ، قال : وكنت لفرط اعتقادي في الشيخ زروق لما سمعت أنه من ذريته آويت إليه ، وأجللته واعتقدت فيه الخير ، قال : وأخرج الي رسالة في التصوف لبعض المتأخرين ، وأمرني بنظمها فنظمتها ، وكان ذلك دأبه ، إذا ورد عليه غريب ممن ينتحل العلم كلفه بنظم شي أو تأليفه ، ثم ينتحل لنفسه ذلك ويباهي به الاعاجم الذين يعتقدونه، وعندما بدا لي خبث طويته ، وظهرت لي منه مقاصد غير محمودة ، اعتزلت

عنـــه ، وصادف ذلك بعض الاشهـــر المعظمة ، فاعتزلت في بعـــض الرباطات اتحنث ليالي ذوات عدد ، ولم يعرفني أحد ، ولا خرجت ولا دخل علي أحد مدة، وخفى عليه مكاني وطال بحثه عني ، ولم يقف لي على خبر ، وتحير في شأنه لأنه لفرط غباوته عند ما قدمت عليه وسر بي كأني منه ، أوحى بالخبر إلـــى أم السلطان أنه قد قدم علينا هنا رجل من شأنه كذا وكذا ، وبالغ في التعظيم حرصا على تربية مهابته في قلوبهم ، بأنه ممن يقصد للزيارة من الاماكـــن البعيدة واستدرارا لصلتهم ، فطالبته ايصالي اليها ، فلم يقف بي على خبر ، وسقط في يده ، فأخذ يتعلل لها وأنا لا أشعر بشيء من ذلك ، فلما فرغت من تحنثي وخرجت من خلوتي ، جئته ذات يوم لاسلم عليه ، ولا علم لي بما وقع ، فلما وقعت عينه علي ، هش وبش ورحب وقال لي : أين كنت ؟ فقلت : في بعض أطراف المدينة لأغراض ، فرمز لي بالخبر ، فأخذت أعتذر له ، فتنكر لي وقال لي : أنا مطالب بك ، وأخاف على نفسي ان لم أحضرك .

فلما علمت منه الجد ، علمت أنه لا ينجيني منه الا الكيد ، وكنت في خلال ذلك لم أظهر له التصميم على الاباية ، فعدلت الى فن آخر من الكيد ، وألنْتُ له الكلام ، وقلت له هذا من ظهور أثر بركتكم علي حيث صار مثلي ممن يطلب الى هذه المراتب العالية ، فجزاك الله عني خيرا ، فسمعا وطاعـــة لأمـــرك ! حتى اطمأنَّ إلى قولـــي وقلت له : إن لـــي بعض أمتعة فـــي بعض الحواصل ، وأنا أريد أن أحولها الى عندك هنا ، وآتي بكتبي ليطمئن قلبي ، وقال لي : هل تحتاج الى معين فأبعث معك أحدا ؟ فقلت : لا ، وجزيته خيرا ، فخرجت من عنده ، فلم تلق عيني عينـَه إلى الآن .

ومن جملة ما وقع له أيضا هناك على ما أخبرني به ، انه دخل على بعض المفتين من علمائهم ، فقدم اليه القهوة والدخان ، وذلك عندهم من جملة المكارمة ، فامتنع من ذلك ، وألحَّ عليه فلـــج في إبائه ، فقال له ازهـــداً أم تزهدا ؟ فقال : بل فرارا من حرام أو شبهة ، فدار الكلام بينهما في ذلك ، قال : ومنَّ الله عليَّ بقوة القلب واستحضار الجواب ، وكنت إذذاك قريبَ عهد بالقراءة ، وقد أتقنت طرفا من أصول الفقه والمنطق ، فلم يأت بدليل الا ومنَّ الله بابطاله حتى أفحمته وانفصل المجلس ، وتسللت من عنده ، واختفيت في

بعض الاماكن ، وشاع في البلد أن مغربيا دخل على المفتي وناظره في كذا وكذا حتى أفحمه ، ولم أزل مختفيا الى أن خرجت منها بعد مدة .

ثم وصل الى مصر ، ولم تطل اقامته فيها ، وسافر الى الصعيد ، وأقام مدة بمدينة جرجا الى أن سافر منها الى الحجاز .

لطيفة

كان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الرائق ، الذي يأتي من بر الروم منسوجا ، وتتخذ منه الجوخات وغيرها ، ويرى بطلان الصلاة فيه قائلا أنه استيقن الخبر من أهل البلد الذي يأتي منه أنهم ينتفونه عن الغنم وهي حية ، وأنه لا يكون الا كذلك ، وبذلك يصير في تلك الحال من الرطوبة والرقة ، وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس .

ولما كان بالصعيد ، كتب سؤالا في ذلك الى شيخ المالكية بمصر شيخنا الاجهوري رحمه الله ، فكان من جملة جوابه على ما قال : انه ان ثبت ذلك ، فيخرج على أحد الاقوال في النجاسة من سنة أو استحباب لعموم البلوى به ، فراجعه بأن القول بالسنة مرجعه الى الوجوب على ما قال الحطاب وغيره ، والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره فلا يعول عليه . فأجاب بأنه قد شهر أيضا ، وممن شهره الفاكهاني .

قال صاحب الترجمة : ولم أر للفاكهاني تشهيرا في ذلك ، وكان يحط من قدر الشيخ الاجهوري وأصحابه بمثل ذلك ، لان أصحابه في ذلك الوقت هم المتناولون لجواب ما يرد عليه من الاسئلة لكبر سنه واضراره من الكتابة .

قلت : ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور : أحدها ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه ، وقال لي : إن بعض الناس قد نقل له ذلك عن محقق المغرب سيدي أحمد بن عمران ، وكان اذذاك بالقاهرة ، وهو أن الصوف المذكور ان سلم انه كان منتوفا ، فالمتنجس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه ، وما سواه يطهر بالغسل ، ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير الى هذه الحال التي يلبس فيها الا بعد أعمال كثيرة من

غسـل ، ودق ، ونفش ، وقصـر (I) ، وغـزل ، ونسج ، وغير ذلـك ، ومعلـوم أيضا أن ذلك الجـزء الضعيف لا يصبر مـن ملاقاة هذه الأعمـال ولا يبقى معها ، بل يضمحل بالكلية ، وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب فلا معنى لمنع ما سواه ، ولو نفشت قطعة من هذا الصوف وتتبعت شعراتها لم يوجد فيها ما يتوهم انه من أصل الشعر ، اذ لم يبق الا الصحيح المشابه للحرير ، وهذا الذي قاله صحيح .

وصاحب الترجمة يقدح فـي ذلك بتدقيقات عقلية ويقول : انا قـد تحققنا نجاسة هذا المحل فلا يطهر إلا بيقين ، ولا يقين مع احتمال بقاء جزء ولو مثل رأس الابرة في جميع الجبة الكبيرة ، وتفتيش قطعة منها ولم يوجد فيه شيء لا يدل على سلامة الجوخة كلها ، بل ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها فغيرها محتمل لأن يوجد فيه .

قلت : ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية تنبو عنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع ، إذ لو بنينا الأمر عليها مـا صحت لنا عبادة ، اذ ما من ماء ولا ثوب الا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة ، وبعد غسل المتنجس أيضاً على هذا التدقيق لا يطهر ، لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالا عقليا ، لكن الاحكام في ذلك انما نيطت بما يغلب على الظن ، مستندا فـي ذلك الى حكم العادة لا الى مجرد التجويز العقلي الذي لم يستند الى عادة في الغالب ، فمن غسل ثوبه حتى غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء فقد طهر ثوبه ، مستنداً في ذلك إلى أن العادة في ملاقاة هذا القدر من الماء لهذا القدر من النجاسة ، مع مثل هذا العرك وتوالي الصب ألا يبقى شيء من النجاسات في هذا المحل ، ولا نبالي مع ذلك بما يجوزه العقل من بقاء شيء من الاجزاء ، غير مستند في ذلك الى عادة ، ولا امارة من لون أو طعم أو ريح ، ولا أظن أن الفقهاء يختلفون في مثل هذا ، وأشباه هذا كثير ، ومنـه

I) **القصر و التقصير** دق الصوف والثوب ونحوهما وغسلهما بماء ساخن للتنقية والتبييض، ومحترف ذلك قصار كنجار ، والقصرية الماعون الذى يطبخ فيه الصوف والثوب لذلك ، واصـل الكلمة فارسى

غسل المخرج في الاستنجاء ، فليس بمرئي ، بل اذا غلب على ظنه النقاء مستنداً إلى أمارة كحروشة الماء وذهاب الرطوبات فقد أنقى ، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل ، فاذا غلب على الظن ايصال الماء الى المحل المطلوب وصوله أليه ، وان كان غير مرئي ولا ملموس باليد ، بل بحبل وعصا ، مستندا في ذلك الى أن العادة أن هذا القدر من الماء اذا مر بمثل هذا العضو يغير فقد تطهر المحل بذلك ، وما يجوزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء اليه لا عبرة به ، واعتباره هو عين الوسوسة المنهى عنها ، وقالوا أن أصلها خبال في العقل أو جهل بالسنة ، فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد ، والظن الغالب في أمثال هذه الامور ، لما عدوا هذا جاهلا بها ، وحيث عبر الفقهاء في الصلاة ، والطهارة ، وسائر أنواع العبادات باليقين ، فالمراد به هذا الظن الغالب الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتماله ، لا اليقين الذي هو أقوى أنواع العلم كما هو عند المتكلمين ، إذ ذاك عزيز الوجود في العقائد التي هي أصل الدين ، فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد في كثير منها ؟ فاذا علمت ما قررنا ، فمن رأى هذا الصوف المذكور واتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الاعمال والاشغال المتداولة عليه ، الى أن صار لا يميز بينه وبين صافي الابريسم ، الا من عرفه قبل ذلك ، وأخبر بعد ذلك بأنه قد نتف ، لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه ، فاذا غلب على الظن غلبة قوية عدم بقاء شيء من أصوله فيه ، مستنداً إلى العادة الواضحة ، في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه ، مما يخل باتقان تلك الصنعة فلا معنى للتوقف في طهارته ، إذ بهذا الطريق حكمنا بطهارة كل متنجس ، ويزيد هذا وضوحا أن الصوف المجزوز ، الاتفاق على طهارته مع أنه في الغالب لا يخلو من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله وبقيت في خلال الصوف ، بل العادة قاطعة بوجودها ، ومَن باشر ذلك ورأى الصوف على ظهور الغنم ، وحضر جزازها علم ذلك وتحققه ، ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن الاعتبار ، مع وجوده لعدم العلم بعينه ، وللمشقة الفادحة في تمييزه عن غيره ، فليكن مثله هذا الجزء الذي احتمل بقاؤه على تقدير بقائه .

ثانيهما : أذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف ، فمن لنا بأنهم لا يجزون الاصول بعد النتف ، والغالب أنهم يجزونها ، اذ لا غرض لهم في بقائها ، بل تعين لهم الغرض في ازالتها لتحديد الصنعة واتقانها ، واذا كان المباشرون لذلك مسلمين كما قال ، فالاصل فيهم توقّي النجاسات وإزالتها عن ملابسهم ، سيما حيث لا غرض لهم فيها ، فيكون الاصل فيها الطهارة حتى يثبت عـدم الجز ، أو ما يقوم مقامه وما أبعد اثباته .

ثالثها سلمنا نتفها وبقاء اجزاء النجاسة فيها الى الآن ، ولم نلاحظ أيضاً ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة ، فلا يبعد قول الشيخ الاجهوري ، فيخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمـور ، أحدها : أن مـا ذكره الحطاب مـن كون الخلاف فـي الوجوب ، والسنيـة لفظيا غير مسلم ، لورود ظواهر في جزئيات كثيـرة ، تدل على أن القائـل بالنسبة يقول بلوازمها من عدم الأثم حيث لم يقصد التهاون ، وصحة الصلاة وغير ذلك ، ثانيها ما ذكر من كون القول بالاستحباب لم يشهره أحد شهادة على النفي والمثبت مقدم على النافي ، سيما مثل الشيخ في جلالته ، وسعة اطلاعه على فروع المذهب التي سلم له فيها المناظر ، فانه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قـرب منه أنه جمع مـن كتب المذهب مـا جمعه ، فلا يبعـد أن يكون اطلـع على تشهير هذا القول سيما وقـد عزاه ، والناقل أميـن ، ثالثها سلمنا عدم مشهوريته ، فليس ببدع تخريج قول فـي مسألة عمت البلوى بها ، وعسر الاحتراز عنها ، وجرى في أقطار الارض العمل بها من غير نكير على قول في المذهب صحيح ليس بمنكر ولا غريب ولا مردود ، إلا أنه لم يشتهر كغيره ، وكثيرا ما يكون القول المخرج هو المشهور في المذهب، والمخرج عليه ضعيف ، فيقـولون هذا مشهور خـرج على ضعيف ، ومـن تأمل فروع المذهب واستقراها من أماكنها ، علم صحة ما ذكرنا ، وشيخنا الاجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه ، والتخريج على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية ، وهي تعارض الاصل والغالب ، وقد علم ما فيها من الخلاف ، وشهرت جزئيات كثيرة من كلا القولين . نعم يمكن

أن يقال ان هذه الجزئية مما ألغي فيها الاصل ، اتفاقا لما اعتضد به الغالب من الوجوه التي قربته من القطع عادة ، وقد قيل بذلك في أشياء ان لم تكن هذه أقوى منها فهي مثلها ، والله الموفق للصواب .

انتهى كلام أبي سالم في البحث المذكور ، وقد بحث معه في هذه الابحاث في (نشر المثاني) (I) .

ثم قال أبو سالم : ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر حال صاحب الترجمة ، فقد ذهب الى الحجاز على طريق الصعيد ، ثم حج واستوطن المدينة المشرفة ، وكان سكناه بها آخر بيت منفرد برباط السلطان ، فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف فاعتزل فيه عن الناس ، ولم يعاشر أحدا في المسكن ، وتعاطى أسباب معاشه بيده ، وترك الخروج نهارا ، وربما خرج بالليل للزيارة ، أولمهم آخر ، وربما أغلق على نفسه بابه شهرا أو أشهرا لا يراه أحد ، فنشأت له بذلك هيبة في القلوب ، وحصل له ناموس عظيم عند الخاصة ، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته في وقت معلوم لا يأذن فيه لغيرهم ، وربما لمته على كثرة الانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص ، فيعتل بفساد الوقت ونيات أهله ، ومشاهدة المناكر مع عدم القدرة على زوالها كلبس الحرير ، وتعاطي الدخان ! وقال لي : كيف أجلس الى قوم أعلم حالهم وحال مكاسبهم من أكل المكوس ، وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعا ، مع العلم بذلك ؟ فان نهيتهم وزجرتهم وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه ، وان سكت عنهم وباسطتهم وألنت لهم القول كنت معيناً لهم وممالئا لهم على ما هم فيه ، وتركت الواجب علي من هجرانهم بلا عذر ، الى غير ذلك مما هو معلوم .

وكان رضي الله عنه شديد الورع ضيق الحوصلة في تحمل أعباء ملاقاة الخلق ، مقبلا على شأنه ، لكنه غير عارف بزمانه كما قيل :

I) نشر المثاني 2 : 85 وعفا الله عن المؤلف ، ما كان اغناه عن ايراد هذه المواضيع الفقهية ـ وأى مواضيع ! ـ هنا ، ومن حقها ان تثبت فى كتب الفقه لا فى كتب التاريخ والتراجم

كان لا يدري مدارة الـــــــورى ومداراة الورى أمر مهـــــــم

وكان هو وشيخنا أبو مهدي في حاليهما في ذلك على طرفي نقيض ، مع صلاح حالهما معا ، وديانتهما ، ووفور علمهما ، وربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله .

وقد قلت له ذات يوم : أن سيدي عيسى يقول ما أحسن فلاناً لو أنه كفَّ من غربه شيئاً ، وألان جانبه للخلـق ، فقال لي وأنا أقول ما أحسنـه وأعلمه ، وأجراه على منهاج السلف ، لو انقبض عنهم شيئاً ، وترك مداهنتهم في الحق ، وكل على هدى ! الا أن النفس الـى ما عليه الشيخ عيسى أميـل حسبما أشرح حاله في ترجمته ، لان اعتزال الخلق فـي هذه الازمنة وعـدم الاختلاط بهـم ، والتجهم لهم ، وحجبهم عنـد الاستئذان مع معرفتهم لـه ، واستشعارهم لخصوصيته مما يزيدهم به اغراء وله مطالبة ، فيشار إليـه بالاصابع ، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته على التطلع لعوراته ، والتتبع لزلاته ، والقعود له بالمراصد ليسقط منزلته مـن قلوب الخلق ، فينصب نفسه غرضا لسهام ألسنتهم ، فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه ان كان ممن يكثر تألمه بما يبلغه عنهم ، ويؤثر ذلك عنده حقدا ، وانما ينبغي ذلك ممن كان مغموضا بين الناس لا يؤبه به ، ولا يعتقد ان غاب ، ولا يستأذن عليـه ان احتجب ، فيجد الراحة فـي نفسه من عدم مشاهدتهـم ومخالطتهم من غير أذى يصل اليه منهم ، فيسلم له دينه ودنياه .

وأما من كان مشهورا بينهم موسوما بخصوصيته، تستشرف النفوس الى لقائه ومخاطبته ، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم ، ويظهر الانزواء عنهم ، والتكره للقائهم ، سيما ان كان يصرح بذمهم ويعيب ما هم عليه ، فان ذلك وان كان حقا في نفسه الا انه عرض في نفسه آفات كثيرة كان في غنى عنها ، اللهم إلا أن تكون لـه قاهرة فيترك ، وما انتحـل من ذلك فان الله جاعل لـه عنه فرجا ومخرجا .

وقد بلغني بعد انفصالي عن المدينة بأزمان أن صاحب الترجمة حرس الله مهجته ، قد أوذي وكثرت القالة فـي شأنه ، وأدى ذلك الى خروجه مـن المدينة الى مكة ، وأطلق الحسدة فيه ألسنتهم ، وقد كنت شممت بعض ذلك من بعض الناس ونحن هناك ، الا أني ما كنت أظن أنه يبلغ ما بلغ ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وديانته ومكانته من العلم بالله تحميه ان شاء الله منهم ، سيما وهو غير منازع لهم في دنياهم ، ولا مساهم لهم في خططهم التي يتنافسون فيها ، إلا أن داء الحسد قديم ، ودواؤه من بين الأدوية عديم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ولما قدمت المدينة المشرفة ، ولقيت صاحب الترجمة ، ولم أكـن أعرفه قبل ذلك ولا عرفني ، الا ان عنده من خبري ما عندي من خبره ، فبالغ في التحفي ، وباشر الملاقاة أحسن المباشرة ، وعند ما أخبرته بما نويته من المجاورة سر بذلك ، وهيأ لنا منزلا بجواره كان ينزل فيه قبل ، وهو محل خزانة كتب وقف السلطان قايت باي ، مشرف على الحرم ، وأدخلني اليـه وأرانيه ، وباشر الخدمة فيه بنفسه ، من كنس وفرش وتنظيف وتهييء مرافق ، حتى أخجلني ما رأيت من بره واحسانه وتواضعه ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، ورمت أن أساعده في العمل ، وأخفف عنه فامتنع ، وكتبت له بسبب ذلك أبيـــاتـــا :

بطيبة قد خيمت بعد تعســـــف ... وزرت شفيع الخلق في كل موقف
وصححت عزمي في الجوار بأرضه ... وكان نزولي عند أفضل منصـف
أخي وخليلي بل امامي وسيـــدي ... وجامع كل الفضل دون تخلــف
فلما نزلنا أحسن النزل واللقـــا ... وقام مقام الخادم المتلطـــــف
وليس بعيب خدمة المرء ضيفـــه ... ولكنها زيادة في التشــــــرف
وبالغ في اكرامنا واحتفى بنـــا ... ودام على حسن اللقاء والتألـف
وأخجلني احسانه فهممـــــت أن ... أخفف عنه رغبة في التعطـــف
وقال لي الظن الجميل به فمـــا ... عليك فلا تخجل فلست بمســـرف
ولا كلفة فيما فعلت فانمـــــا ... علامة صدق الود ترك التكلـــف

وقد كنت أرجو أن أفوز بوصلــه وكنت له قدما كثير التشـــوف
جزاه إلاه العرش عني فاننـــي لما نالني من خيره ذو تعـــرف
أقول له والقلب يغبط حالـــه هنيئاً لك البشرى بما نلت فاعرف
منحت جوار المصطفى فاغتبط بــه ينلـك غنى الدارين حسبك فاكتف
هو البحر جوداً غير أن شمائـــلا له عذبت حتى حلا ذكره بفـــي
عليه صلاة الله ثم سلامـــــه ينيلان أمنا في مكان التخـــوف

ثم لم تتيسر الاقامة بجواره لتعذر أسباب اقتضى الوقت مباشرتها ، فانتقلت الى محل آخرولم أزل بعد ذلك أكثر التردداد اليه وأستشيره في أموري، وكان ميمون النقبية ، له ورع تام ما رأيته في عصرنا لاحد ، لا يقبض من أحد شيئاً الا قليلا ممن علم وجوه مكاسبه وتحقق استقامته فيها ، انتهى به الورع الى ترك أكل ثمار المدينة بالجملة ، لفساد معاملة أرباب الحوائط لعمالها في الغالب ، فان رب الحائط يعامل المساقى على أوْسُقٍ معلومة في كل سنــة يدفعها له ، وهذا فاش عندهم ، قل من يعامل المساقي بالجزء المشاع السائغ شرعا ، ومن ورعه أنه لا يتقوت في الغالب الا من كسب يده ، وكانت له يــد صناع ، يحسن غالب الحرف المهمة سيما الرقيقة العمل ، الرائقة الصنع ، كالطرز العجيب والصياغة المتقنة ، وتسفير الكتب والخرازة .

وقد أخبرني أنه لما كان بمراكش كان لا يتفرغ في الاسبوع الا يوم الخميس فيطلع فيه ثلاثة أزواج من السباط وأكثر ، فيبيعها ويتقوت بها الى الخميس الآخر ، وله يــد طولى في عمــل الاسطرلابات وغيرها مــن الآلات التوقيتية ، كالارباع ، والدوائر ، والانصاف ، والمكانات ، ومن أعجب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المنصدعة بحسن احتيال ولطف تدبير ، الى أن لا يكاد صدعها يبين ، ويصير مثل الشعرة الرقيقة .

ومن ألطف ما أبدعه ، وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه ، الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيأة ، ولم يسبق الى مثلها ، ولا حاذى أحد على شكلها ، بل ابتكرها بفكره الفائق ، وصنعه الرائق ، وهي كورة مستديرة الشكل ، منعمة الصقل ، مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتان ، يحسبها

الناظر بيضة من عسجد لاشراقها ، مسطرة كلها دوائر ورسوم ، قد ركبت عليها أخرى مجوفة ، منقسمة الى نصفين : فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها ، مستديرة كالتي تحتها ، مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التى تحتها منظر رائق ومخبر فائق ، وهي التى تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيأة ، مع سهولة المدرك ، لكون الاشياء فيها محسوسة ، والدوائر المتوهمة في الهيأة ، والتقاطع الذي بينهما مشاهد فيها ، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف اعراضها وأطوالها ، وحاصل القول فيها ، أن النوصف لا يكاد يحيط بها ، ولا يعلم قدرها ومزيتها ، الا من شاهدها .

وكانت له معرفة بالعلمين فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر ، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان ، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره ذهنا قد أيد بنور الهدى والهام رباني ، وقد ألف واضعها رسالة في وصفها ، وكيفية العمل بها في سائر المطالب ، التى تدرك بغيرها وزيادة ، فلنورد أولها لما فيه من ذكر غالب رسومها ، والاشكال المثبتة فيها ، قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمان الرحيم

ان أزهى ما تجلى لبصائر العقول من أوجات عوالم الالهام ، وأبهى ما تحلى بمشاهد عرفانه دوائر النفوس وطوالع الافهام ، حمد من تحجب في سرادقات الكبرياء بسبحات عزه ومجده ، وأصدع بمحامد لسن العوالم ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، فسبحانه من عظيم ، خجلت سوابق همم الابطال دون مطالع جلاله ، المحجب الحاجب ، وحكم نصبت قدرته الباهرة في فسيح الفضا قبب الافلاك المرصعات بجواهر زواهر الكواكب .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، نجوم الاهتداء ، وقادة المشارق والمغارب .

أما بعد فان من فيض منن الله التي لا تحصى ، واغداق وابل مواهبه التي لا تستقصى ، أن ألهمني لوضع آلة يستفيد بها ان شاء الله في علمي

الهيأة من التوقيت من القاصرين امثالي ، ويجمع بها ما تفرق في جميع الآلات من أعمال الأيام والليالي ، ومن أحاط بها علما أغنته عن المجسطا في التعليل والبرهان لانه غيب ، وهي شهادة وليس الخبر كالعيان ، وقد فتح الله تعالى بتعليق هذه العجالة عليها ، وابتهل اليه جل جلاله في الاسعاد بالرجوع ثانيا اليها لابراز ما تنطوي عليه ، وما كمن من الفوائد لديها ، لرجائي من الكريم نفعها سميتها بـ (النافعة ، على الآلة الجامعة) .

وحسبي الله لا الاه الا هو ، عليه توكلت واليه أنيب أينما توليت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

مقدمة في تسمية اجزاء الجامعة ورسومها

الجزء الاول من الاجزاء المنفصلة المركبة ، وهي الكورة العليا من الجامعة المخرمة المنفصلة الى قطعتين وصل بينهما قفلان ، ويشتمل على تسع دوائر ، وأربعة أقطاب ، ومحور ، وشطبتين ، وقوس ، ومرى الاجزاء ، وكواكب .

أما الدوائر، فالاولى هي منطقة الفلك الثامن، وتسمى منطقة البروج، وهي المنقسمة الى 360 أقساما متساوية ، عليها أسماء البروج مكتوبة .

الثانية : منطقة الفلك التاسع ، وتسمى معدل النهار ، وهي المقاطعة للاولى على غير قوائم ، وغاية ميل الاولى عنها هو غاية الميل الاعظم ، وتنقسم الى مثل الاقسام الاولى .

الثالثة: دائرة مبدإ الميل وهي المقاطعة للثانية ، على قوائم المنقسمة الى مثل تلك الاقسام أيضا .

الرابعة : دائرة وسط السماء ، وهي المقاطعة للثلاث الاول على قوائم ، وهي والخمس البواقي محددات للبروج الاثني عشر ، قسم منها مرسومة ، وقسم مخرومة ، والمحددة منها بين الحمل والحوت تتقاطع مع

الثلاث الأول على نقطتين ، إحداهما رأس الحمل ، وتسمى بالاعتدال الربيعي ، والثانية رأس الميزان وتسمى بالاعتدال الخريفي . وأما الأقطاب فاثنان منها قطبا الفلك التاسع ، ويقال لهما قطبا معدل النهار ، وهما النقطتان المتقابلتان اللتان تتقاطع عليهما دائرة مبدا الميل ، ودائرة وسط السماء ، في أحداهما مسمار يسمى المحور ، والاثنان الباقيان قطبا الفلك الثامن ، ويقال لهما قطبا فلك البروج ، وبهما النقطتان اللتان يتقاطع عليهما دوائر البروج . واما الشطبتان فهما الصفيحتان المثقوبتان المنصوبتان على دائرة مبدإ الميل في جنبتي القطب الذي فيه المحور ، وأما القوس فهو أحد نصفي دائرة مبدإ الميل فيما بين قطبي العالم . وأما آلمري فهو النقطة التي هي رأس الحمل ، ومنه ابتداء أجزاء كل من القوس ، وفلك البروج ، ومعدل النهار . وأما الكوكب فهي الشظايا المحددة المكتوب عليها أسماء الكواكب ، وقد توضع على سطح المركب نقط لكواكب أخرى ، ويكتب في كل جنب نقطة اسم ذلك الكوكب .

الجزء الثاني للكورة وهي الجسمة التي يدور عليها المركب ، وسطحها ينقسم الى نصفين : احدهما يسمى الظاهر وهو الذي رسمت فيه المقنطرات ، وهي الدوائر المتوازنة المتضايقة ، واعظمها أولها وتسمى دائرة الافق ، وعدد المقنطرات تسعون ، وتكون ثلاثية وخماسية وغير ذلك ، وفي داخل أضيقها نقطة تسمى سمت الرأس ، والسموت وهي المقاطع جميعها لجميع المقنطرات ولسمت الرأس ، ويقسمها الى أربعة أقسام ، عظيمتان قائمتان على سمت الرأس وعلى الافق ، وتسمى احداهما نصف النهار وهي التي ربعها مبخوش بأبخاش تسمى ابخاش العروض ، وقد يطلق نصف النهار على النصف الظاهر من هذه الدائرة ، وهي التي تقاطع الافق على نقطتين : المبخوشة منهما تسمى عين الشمال ، ومقابلتها تسمى عين الجنوب ، والدائرة الاخرى تسمى دائرة عين المشرق والمغرب ، وأم السموت أيضا ، ومنها دائرة مبدا السموت، فاذا عدلت الجامعة بأن وضعت المحور في عين الشمال ، وأدرت المركب حتى يكون أول السرطان على نصف النهار من النصف الظاهر ، فنقطة تقاطع أم السموت والافق التي تحت أول الميزان تسمى نقطة المشرق ، وعين المشرق، ومشرق الاعتدال ، وعين المغرب ، ومغرب الاعتدال ، ونصف الجامعة

والحالة هذه ، الـذي حول المحور من السمـوت ، ونصف النهـار ، والمقنطـرات ، ومنطقة البروج ، والكـواكب ، والاقطاب ، يسمى شماليـاً ، والنصف الآخر يسمى جنوبيا ، والنصف الذي حول مشرق الاعتدال يسمى مشرقيا ، ومقابله يسمى مغربيا ، فالربع من السموت الذي من عين المشرق الى عين الشمال شرقي شمالي ، ومقابله غربي جنوبي ، والذي الى عيـن الجنوب شرقي جنوبي ، ومقابله غربي شمالي ، وفي كل ربع تسعون سمتا ، وقد يوضع بين المقنطرات قوس العصر أو غيره في عرض مخصوص ، وقد يوضع ذلك بين الساعات وهو الاصح .

والنصف الآخر من سطح الكرة يسمى الخفي ، وفيه قسي الساعات الزمانية لبعض العروض وهي قطع دوائر عددها اثنا عشر ساعة ، ومبدأها من الافق الغربي ، ونصف الليل ، ويسمى وتد الارض ، وهو النصف الخفي من دائرة نصف النهار ، ويقسم النصف الخفي من دائرة المشرق والمغرب إلى ربعين ، كل منهما مقسوم الى تسعين جـزءا ، ادراج الارتفاع ، وقد يكتفـي غالبا بالمغربي منهما ويسمى قوس الارتفاع ، وقوس الظل هي الموازية لقوس الارتفاع المقسومة الى نصفين ، فبينهما فصل مشترك مكتوب على الموالي للافق ، الظل المنكوس ، وعلى الآخر الظل المبسوط ، فان قسم كل منهما الى اثنى عشر فالاقسام أصابع ، أو الى ثمانية فهي أشبار ، أو الى سبعة فهي أقدام ، وقد يوضع لكـل منها قوس ، فتكـون قسيا متوازية وموازيـة لقوس الارتفاع ، ومبدأ المنكوس والارتفاع من الافق ، ومبدأ المبسوط من وتـد الارض . وقوس الجيب : وهوَ قوسان متوازيان تحت قوس الظل الاعلا للجيب المبسوط ، وابتداؤه من الأفق الأسفل ، والأسفل للجيب المنكوس وابتداؤه من فوق الارض . وتحت الافق قوسان موازيان له ، الشرقي منهما يسمـى قوس الفجر ، والغربي يسمى قوس الشفق ، وتحت عين الشمال في وتد الارض بخش يسمى بخش التركيب ، والفصل المشترك بين قوسي الارتفاع ويسمى سمت الرجل وفيه مسمار مقصوص مغرف ، وفي رأسه ثقب يسمى بخش التعليق ، ونصف هذا النصف الخفي وهو الربع الجنوبي من الكرة وضعت فيه الاقاليم السبعة ، ووضعت في كل إقليم بعض مدنه المشهورة ، فلنفرض أنه هو الربع الشمالي من الأرض وهو المسكون .

الجزء الثالث العلاقة : وهي كلاب منفصل معلق فـــي خيط وثيق ، توضع عطفة الكلاب في بخش التعليق عند تعليق الجامعة لاخذ الارتفاع ، وفي الجامعة دوائر أخرى موهومة كدوائر الميول ، ودوائر العروض ، وسيأتـــي قريبا ان شاء الله بيانها ، وكدوائر مقنطرات الانحطاط وسموته ، وأهملنـــا وضع جميعها لعدم الاحتياج إليها ، والله تعالى أعلم .

وقد قرأنا عليه بعض هذه الرسالة مع إحضار الآلة الجامعة ، وبيان ما يحتاج الى البيان من الاعمال المأخوذة منها ، ولما شاع ذكر هذه الآلة عنـــد الناس تنافسوا في أقتنائها ، ولا يقدر أحد على اتقانها الا هو ، فكان يبيـــع الآلة منها بثمن غال ، وطلبت منه بيع واحدة منها فأبى من البيع ، ووهبها لي جزاه الله خيرا ، والعجب أنها مصنوعة من الكاغد ، ومع ذلك لو ألقيت مـــن شاهق لم تنكسر ، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل ، لينة المجسة ، وصفة ما تتخذ منه على ما أخبرني أن يؤخذ الكاغد ، فيلقى في الماء حتى يتحلل ويصير مثل العجين ، ثم يؤخذ الصمغ العربي فيلقيه في الماء حتى يتحلل ، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجنا ناعما ، ثم يتخذ منه الكرة ويجتهد في تكويرها حتى تكور متساوية الاقطار بالنسبة إلى المركز ، بحيث لو ألقيت على سطح مستو لوقفت على نقطة واحدة .

وقد أخبرني أن ذلك شق عليـــه ، حتى أخذ مسمارا وأدخله فـــي وسطها ، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس مثقوب الطرفين ، فأدخل طرفيه في رأسي المسمارين الخارجين عن جنبي الكورة ، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة ، على ذلك العجين المكور، ويزيل الناتيء منها، ويزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير ، ثم طلاها ببياض الوجه ، ثم كتب عليه ما احتاج الى كتابته ، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة ، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة ولو أصابها بلل من عرق اليد أوغيره .

وكذلك ايضا الدائرة التي فوقها مصنوعة من مثل ذلك الا أنها يخرمها ما دامت رطبة ، فاذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه شق عليه خرمه ، لانه لا يكاد يعمل فيـــه الحديد الا بمبرد من الهنـــد يبرده به ، كما يبرد النحـــاس

والحديد ، وقد اخبرني ان الآلة الاولى التي استخرجها بقي في وضعها نحو عام ، واحتاج الى كثير من الآلة في اصطناعها ، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة ، وبالجملة فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد ، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق الا اخبارها فضلا عن الموجودة .

وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره ، الا انه يتحاشى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة، ديانة منه رضي الله عنه .

وكان يقول لي ان ما يتبجح به فلان ، يعنى ابن التاج من علم حوادث الجو ، من الخسوفات والكسوفات ، ونزول الامطار والصواعق ، وما هو بسبيل ذلك أمر قريب المدرك ، سهل التناول والتحقيق ، في هذا العلم أمر وراء ذلك ، والتشاغل بمثل ذلك بطالة وتمويه على العوام بأمور تشبه ادراك الغيب ، وذلك مذموم شرعا .

وله رضي الله عنه قصيدة في علم التوقيت أكبر من (الروضة) بالغ في تجويد نظمها ، وأتقن فيها الفن غاية الاتقان ، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بين حقيقتها بالدليل والبرهان ، وقرب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الارصادات الصحيحة الواقعة في هذه الازمنة القريبة ، كارصاد السلطان أولغ بيك أحد ملوك العجم المتأخرين ، تمهر في هذا الفن غاية ، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن ، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك ، ولم يقلد الأقدمين ولا من بعدهم في شيء من تلك الاشياء ، فرصد بنفسه هو وأصحابه ما احتاج الى رصده ، حتى تحقق له ما يبنى عليه الاعمال المطلوبة حسبما ذكر ذلك . كل ذلك في أول زيجه الذي هو أصح الازياج في زماننا هذا على ما قال أرباب ذلك الفن .

ولصاحب الترجمة شرح على منظومته المذكورة ، أجاد فيه غاية الاجادة ، أعانه الله على اكماله ، وقد كنت أردت كتابة ما كتب منه ، فلم يتيسر لي .

ومن نظمه الدال على براعته قصيدة أجاب بها أبياتاً لصاحبه الشيخ يحيى بن الباشا الاحسائي نزيل المدينة ، وهي كما ترى ثمانية أبيات من المديد رويها الهمزة ، وتتفرع عنها عدة أبيات من ابحر شتى ، حسبما رسم فوقها ، وأوائل حروف الابيات الاصلية حروف ، يايحيى خذ ، مشيرا الى قوله تعالى : « يايحيى خذ الكتاب بقوة » على طريق الاقتباس ، ويغتفر ما فيها من الركاكة ، وعدم الانسجام لاجل ما اشتملت عليه من أفنان الفنون ، ويانع الغصـون .

من اعلى الى اسفل وبالعكس متقارب وهو مقصور القافية

من اعلى الى اسفل متدارك ايضا قافية راء

من اعلى الى اسفل وبالعكس خرج متدارك قافية عين

اذا قرأت من اعلى الى اسفل خرج المتقارب والقافية همزة

شطر من المجتث والقافية مقصورة موصولة بالهاء

كل سطر شطر من الهزج والروى راء

كل سطر من مجزو البسيط والروى عين موسسة

كل سطر شطر من المديد ايضا لكن القافية مقصورة موصولة بالهاء

كل سطر شطر من الوافر والروى باء مشددة وصلها واو ممدودة

كل سطر فيه بيت من المديد وروى القافية همزة وردفها الف

ي يفعت * غـرة بـدر * تباهـا لامـع * وجها * سمـى * الذكـاء

أ ارتقى * على الانام * ضيـاه ساطع * عطره * شـذى * النـداء

ى يقـظ * فطن أريب * لبيـب شامـخ * المجـد * ذكـى النهـاء

ح حاكم * نظم اليتامى * ذكـاه بـارع * شعـرا * سني * البهـاء

ي يقتضي * شكرا علينا * ثنـاه بـاهر * الحسن * بهـي * النقـاء

أ أصله * عند انفخام * حبـاه رافـع * قـدرا * ولـي * اللـواء

خ خطبة * في نسج * نظم * بديع بحـره * طـام * وفـي * العطـاء

ذ ذارشى * عبد الخزام * شذاه هامع * زهـرا * زهـي * الصباء

ثم كتب باثر الابيات نثرا نصه :

دونكها بكرا تدانيها ، لأنك أخو أبيها ، اقترحها فكر بارد ، وقدحها زند خامد ، قال تعالى : « يخرج الحي من الميت » وفقتها من القصائد عشرا ، وفوقتها من النوافع نشرا ، لتكون مكان قصيدتك بما لها ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة أبيات قصيدتك الباهرة ، فان لاقيتها فيافوزها بسعادتها ، أو ألقيتها فياخسارتها في تجارتها ، فان قلت الشعر بالشعر ربى ، والتفاضل في البيع ربى ، قلت : التفضيل عند المالكية حاصل، والتحصيل بعد المعية فاصل ، وقول باهرتك أن القريض على العبيد كثير ، على بمعنى عند وسبق القلم ، فكتب محل الكاف عينا ، والثاء سينا تذنيبا منه بنكتة كالشمس خفاها ، والضياء دجاها .

وصلى الله على من لا نبي بعده ، ولا يخلف وعده ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لطيفـة :

ومن مفادات صاحب الترجمة ما رأيته في مجموع له بخط سيـدي الطيب بن أحمد البوعناني الجزائري ، وذكر لي أنه رواه وكتبه من خط من ذكر ، ونصه :

الحمد لله

وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب ما نصه : وأما الواو من وصلى الله بعد البسملة ، فهكذا هو في المؤلف رحمه الله يعني ــ سيدي عبد الرحمان الثعالبي ــ وقد رويته عنه بواسطة الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن منصور الجزائري ، ابتدأت عليه قراءة الرسالة لابن أبي زيد ، فقلت :

بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، قال : قـل وصلى الله ، فانه لما ابتدأت رواية البخاري على سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، قلت : بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، قال لي : قـل

وصلى الله ، فاني لما ابتدأت الختمة على الاستاذ سيدي أبي جمعة ببجاية ، أريد الجمع ، قلت : بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله ، قال لي : قل وصلى الله ، فاني رأيت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنته أن اقرأ عليه القرآن ، وأذن لي ، فقلت : بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، قال صلى الله عليه وسلم : قل وصلى الله ، فهذا ما حدثني به سيدي محمد بن منصور بالجامع الاعظم من مدينة الجزائر أمنها الله ، ولهذا لم يوجد بخط هؤلاء الشيوخ الا باثبات الواو ، ولهذا لم اكتبه بخطي الا باثباته اقتداء وتبركاً بهم،هذا ما وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب في نسخة من (الأنوار) نسخها من خط مؤلفها الشيخ الثعالبي ، ذكر ذلك في آخرها ، بعد ما ذكر أنه لم يغير ما وجد بخط الشيخ من شكل ولفظ ، ومن جملة ما وجد بخط من ذكر وجده الطيب بن أحمد البوعناني .

انتهى ما وجدته بخط بحروفه . واخبرني به عنه صاحب الترجمة ، فاتصلت لنا روايته بحمد الله تعالى انتهى .

ترجمه في (الرحلة الناصرية) ، وفي (الصفوة) ، وفي (التقاط الدرر) أيضا ، و (نشر المثاني) ، والحضيكي في طبقاته ، وكلهم لخصوا ما في (الرحلة العياشية) .

وممن أخذ عنه مؤلف (المشرع الروي ، في مناقب بني علوي) العلامة سيدي محمد بن أبي بكر الشبلي ، قال فيها لما ترجم لنفسه ما نصه : وقرأت علم الميقات والحساب بسند الخرقة والصحبة ، عن شيخنا خاتمة المحققين ،منقطع المثيل والقرين ، محمد بن محمد بن سليمان المغربي ، وأجازني وأطعمني الاسودين بسنده الى سيد المرسلين ، انتهى .

وممن أخذ عنه وترجمه صاحب (المنح البادية) ، قال فيها : الحادي عشر ، الشيخ العالم حكيم الفقهاء محمد بن سليمان الروداني ، ثم ذكر أنه أجازه .

وذكر في (خلاصة الاثر) في ترجمة الشيخ ابراهيم بيري مفتي مكة الحنفي ، أنه عزل عن فتواها لما كان بينه وبين المترجم من عدم الالفة ، وكانت أمور الحرمين في أول الشريف بركات مناطة به ، والشريف بمنزلة الصفر ، الحافظ لمرتبة العدد .

وممن أخذ منه أيضا أحمد بن تاج الدين الدمشقي ، المتوفي سنة 1081 كما فيها أيضا وفي غيرها .

وممن أخذ عنه الشيخ امام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي مفتي مكة ، كما في ترجمته منها .

وأخذ عنه أيضا تلميذه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى ، كما في ثبته الذي صنفه ولده سالم المسمى (الامداد ، في معرفة علو الاسناد) ، وأخذ عنه غيرهم .

وقد ختم المسند محمد سعيد بن الشيخ محمد سنبل الشافعي رسالة أوائل كتب الحديث بمعاجم الطبراني الثلاثة ، للحافظ الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وذكر المترجم في كتابه (الصلة) : انه لم يثبت فيها الا من تحقق انه روى جميع مروياته من فوقه رواية صحيحة ، ما بين سماع وأخبار واجازة ، خاصة وعامة .

695) **محمد بن عمر الهشتوكي** قاضي مراكش ، توفي في أواخر رجب عام 1098 ثمانية وتسعين وألف .

قال في (المنح البادية) عند ذكر أشياخه الذين لم يجيزوه ما نصه : وكذلك الفقيه العلامة قاضي مراكش محمد الهشتوكي ، سمعت عليه نحو النصف من (شرح المحلى على جمع الجوامع) ، وهو أخذ عن الشيخ سعيد قدورة وطبقته ، انتهى .

وقال في (النشر) لدى السنة المذكورة : وفي أواخر رجب توفي قاضي مراكش محمد الهشتوكي ، وفي أوائل شعبان منه وقع البريح بأن لا يضع أحد كتابا بالارض ، وهذا أحسن ما يكون من الادب .

انتهى ، ونحوه في (التقاط الدرر) .

وقال التمنارتي في (الفوائد الجمة) ما نصه : في جواب لقاضي مراكش محمد بن عمر ما نصه بعد كلام ، فترك الأحكام الشرعية ، واستنباط ضوابط وقوانين ، تخالف أحكام الشرع المحمدي كفر صراح ، فيجب على من مكنه الله في الارض أن يحسم مادة أولئك الفجرة ، ويردهم الى الشرع ولو بقتلهم ، انتهى .

واعلم أن أحكام البربر المسماة يزرف ينظر فيها ، فما كان منها على مقتضى الشرع فهو نافذ ، سواء حكم به عامل أو قاض أو جماعة ، وان كان مخالفاً للشرع كعدم توريث الزوجة والبنت ، وكأنواع النكاح الفاشية بينهم ، وكالحاق الولد لغير والده وما أشبه ذلك ، فهو حرام ولا يجوز تسميته بالاحكام ، لأن الاحكام لا تكون الا على مقتضى ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، واستنبطه علماء أمته من أصول شريعته ، (ومَن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَلَ منه) ، وقد قرر العلماء أن الغيرية صادقة في الاصول والفروع ، فسواء اتبع دينا غير الاسلام ، أو ابتدع احكاما غير أحكامه ، ومن اعتقد حلية ذلك يكون كافرا .

وقد أفتى العلماء بكفر المهدي بن تومرت لافتعاله أحكاما غير شرعية، كما ذكره أبو اسحاق الشاطبي في كتاب (الحوادث والبدع) انتهى .

696) محمد بن ابراهيم الهشتوكي

محمد بن ابراهيم ، من بني ابراهيم ، بن موسى ، الهشتوكي ، قاضي مراكش ، الشيخ الفقيه العلامة .

وصفه الامام الحسن اليوسي في فهرسته بالفقيه الامام العالم المتفنن، قال : قرأت عليه (مورد الظمآن) ، وجملة من (ألفية ابن مالك) ، و (تنقيح القرافي) في الأصول ، وجملة من (مختصر خليل) ، ومن القلصادي ، وقد انتفعت به وهو في قيد الحياة ، انتهى .

وكان رحمه الله صدرا من صدور علماء وقته ، له المشاركة التامة في الفنون ، ولي القضاء بمراكش مدة يسيرة ، وكان صلبا في أموره غير مكترث بولاة الامر ولا مداهن لهم ، دخل يوما على بعض أمراء وقته وهو في فسطاطه ، فأوهوت الشمعة فلطمت ثيابه ، فقال له الامير مداعبا له : قد بدأتك النار في الدنيا قبل الآخرة ، فقال له الشيخ : صدق الله العظيم (ولا تركَنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ، فكأنما ألقمه حجرا .

ثم نقله السلطان لفاس ، ثم ولي قضاء الناحية ، ثم رجع لمراكش فتوفي بها سنة ثمان وتسعين وألف .

أخذ رحمه الله عن أشياخ مراكش وفاس ، ثم رحل للجزائر ، فأخذ بها عن سيدي سعيد قدورة ، وقرأ بجبال زواوة ، ثم رجع لفاس ،فأخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي (التلخيص) ، و (الورقات) ، و (رجز ابن زكري) في مصطلح الحديث ، وغير ذلك .

ولما دخل مراكش أول قفوله من الرحلة ، جاهره طلبتها بالنكير ، وصاحوا عليه صيحة الحمير ، ففهم منهم الازدراء به فخرج عنها وأقام بالسوس مدة إلى أن اشتهر ظهوره بخلطة بعض الأمراء ، فرجع لها مؤيداً رحمه الله .

فـائـدة

كان صاحبُ الترجمة إذا جاءه العامي الذي لا يعرف عقائده يستفتيه عن الحلف بالطلاق الثلاث ، يقول له : لا شيء عليك ! اذ لا نكاح بينكما أصلا بناء على أن المقلد كافر ، وشاع ذلك عنه .

قلت: كأن مستنده ما رأيته في تقييد الأبّي عن ابن عرفة في التفسير، ونصه : سمعتُ عن الفقيه المدرس أحمد بن بن عيسى البحث أنه كان يسأل العوام وبعض جهلة العرب ، فاذا رآه اختل في بعض عقائد التوحيد ، قال : أنت كافر ،وقرر له العقيدة حتى سمعت أنه أباح لمن هذه حالته أن يرد مطلقته

بالثلاث ، لأنه طلقها في حال الكفر وطلاق الكفر باطل ، وكذلك نقل عن تلميذه عبد الرحمان الوغليسي المدرس ببجاية ، والله أعلم بصحة ذلك ، انتهى ، وهذا خطأ صراح لا يحل ، انتهى منه من آخر سورة المائدة .

وقال المسناوي في (اجازة المنور) ما نصه : وشيخنا الفقيه المتفنن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي الأصل ، المراكشي السكنى والوفاة ، حضرت عنده في جل (لشفاء) أو كلـه ، وفي بعض (شرحيْ السعـد) ، و (المحلى على التلخيص) ، و (جمع الجوامع) أيام اقامته بفاس أيضا .

وقال في (المورد الهني) عند تعداد أشياخ اليوسي ما نصه : والعلامة المتفنن سيدي محمد بن ابراهيم الهشتوكي ، انتهى .

وفي (ديوان الامام اليوسي) ما نصه : وقال في كتاب بعثه من الزاوية البكرية لشيخه سيدي محمد بن ابراهيم الهشتوكي لما ارتحل من سوس الى مراكش ، يعتذر له في عدم مكاتبته له رحمهما الله تعالى :

اما وفؤاد بات ظمآن ذابـــــــلا ... لبيْن وجفن ظل ريان ناهـــــــلا
وفكر تداعته الهموم فلم تجــــد ... مصادر عنه اذ وردن مناهــــلا
وطيف يزور القلب والليل عاكف ... اذا صارم الاخدان أصبح واصــلا
وعهد خلا في سالف الدهر ما عفت ... معالمه يوما ولا كان ماثــــــلا
ولا أغفلت روضاته مزن الحيــــا ... وليا وعهدا من ودادي هوامــــلا
لأصفيتُك الود الصميم الذي بـه ... غدا الصدر معمور الجوانب آهـلا
وأعليت فوق الناظرين مكانـــه ... لمجدك بل فوق السماك منـــازلا
وما كنت فيها قد خلا بمضيــــع ... لحق ولا عن ذلك العهد حائـــلا
ولكنني قد قلت أي مقالـــــــة ... أحلي بها تلك الحلا والشمائـــلا
لانظم للدر الثمين قــــــــلادة ... من الودع أو شبها أصوغ خلاخـلا
وما حيلتي في جيد علياك انمــــا ... يحلى من الاجياد ما كان عاطــــلا
وهل لرياض بالخميلة حاجـــــة ... الى الطل ان أمسى بها الغيث هاطلا
وهل يستعير البدر ضوءا من الدجا ... ويسأل سحبان الابانة باقــــلا

وهبنيً أعطيت البيان وأسهمـاً | تصيب لدى الرمْي الكلا والشواكلا
أأرمي لبدر منك أشرق عاليـا ؟ | بحق على كل الكواكب عائـلا
وهل أنت الا البحر أصبح زاخـرا | طميا لاحشاء البرية هائـلا
وليث اذا ما أمّه المرءُ بالشـرى | تملأ رعباً وادلى متثاقـلا
إذا رام ذو لبٍّ خطابك يغتـدى | فهيها ويضحى شخصه متضائـلا
على أنني بين الصوارم والقنـا | أزاول صرف الازمة المتماحـلا
خطوب يصرن الشهم فدماً وفطنة | ولوذا لدى البذلاء جراء حابـلا
فخذها كما هب النسيم سحيـرة | من السحر غب الوبل غادى خمائلا
علىحسب المُهدي الهدايا ولو ترى | على حسب المعطي لكن جلائـلا
ومن كان ذا قدر كمثلك لم يـزل | صفوحا على الزلات للنزر قابـلا

ومـمن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وقد وقع اتفاقه مع المترجم قبله في كونه هشتوكيا ، والاخذ عن سيدي سعيد قدورة وتولّي قضاء مراكش ، والوفاة عام 1098 ، واختلفا في اسم الاب ، فالاول ابن عمر ، والثاني ابـن ابراهيـم .

697) **محمد بـن محمد العكاري المراكشي** ، الفقيـه العالم الدراكة الفهامة الخطيب الفصيح البليغ . كان عالما عاملا ورعا ، زاهدا أديبا ، أخـذ عن الحسن اليوسي ، وسيدي عبد القادر الفاسي وأجازاه ، وعن غيرهما ، وله تلامذة شتي بالدلاء ، وفاس ، ومكناسة ، ومراكش وغيرها ، منهم : العلامـة سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي الدلائي ، والفقيه عبد السلام البجيري المكناسي ، أخذ الطريقة الشاذلية عن سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ، دفين تمجت ، موضع بجبل دير تادلة ، وله قطعة شعر في مدحه ، وكتب له السلطان مولاي إسماعيل بالقدوم لحضرته ليكون خطيبا بها ، فامتثل باشارة شيخه ، ثم لما مرض بالمرض المسمّى عنـد العامة بالضيقة طلب منـه أن يذهب لداره بمراكش ، فأعفاه ووقره بعهد يتضمن احترام حاشيته ، وجعل داره حرما ، فرحل لمراكش ، وأقام متبركا به الى أن مات بها ، ودفن بتربة جده للأم ، الشريف التركي ، اذ هي مقبرة آل العكاري هناك .

ترجمه حفيد أخيه فـي (البدور الضاوية) وهـي مبسوطة هناك ، وعقب المترجم فرعه العلامة علي بن محمد المترجم في موضعه من هذا الكتاب . هذا الكتاب .

698) **محمد بن يعقوب الايسي** المراكشي ، قال في (درة الجمال) : وقد لقبه بعض الطلبة بصدر الافاضل ، أديب ناظم ناثر ، وله سند ، أخذ عن محمد القصار ، وعن عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني السجلماسي ، وعن محمد بن يوسف الترغي ، وعن يعقوب بن يحيى اليدري أجاز له ولم يسمع منه ، وله نظم ، من ذلك في اسم عامر من المعمى :

فديتك ما وجدي وقلبي طائـــر ... أبيت وجفن العين مني سامـــر
وليت الذي أهواه رق لذي الهوى ... بعيني وأصلا وهو آمـــــر ؟

فأطلعني عليه ،فقلت في الاسم نفسه :

رمى قلبي بسهم أثر عيـــــن ... أصابتني مليح الوجنتيـــن
فلا تعذل على جزعي فانـــي ... مصاب القلب ذو هجر وبيـــن

وقلت من التورية في اسم علي :

سباني بلبلي النغمـــــه ... بديع الحسن ذو لمـــة
فان تخبره تلفيـــــه ... على القدر والهمـــة

وقلت في صدر الافاضل المذكور :

وفتى تقدم من تقادم في العـــلا ... اكرم به من عمدة وحميـــم
حاز المفاخر كلها متقدمـــا ... بالصدر محمول على التقديـــم

فأجابني بقوله :

أوريت زند قريحة وقـــادة ... ولهيب عقلك بالذكا مشبـــوب
أبدى الشهاب لذا العجاب بنظمـه ... وكذا الشهاب على الدوام مصيب

وله قصائد مدح المخدوم بها منها قصيدة مطلعها :

حديث الركب ريحاني وراحـــــي	الى ذكر الحمى سكن ارتياحـــي
أدر لي من حديثهم كؤوســـــــا	ففيها من شفا هذي الجـــــراح
وأطنبْ في ادكار عهود ليلـــى	تعاودها المساء مع الصبـــــاح
يحن القلب ان ذكرت مغـــــان	كما حن الشجاع الى الكفـــــاح
سعيت لتبلغ الرضوان منهـــــا	وقد وضح الصدود من الـــــرواح

ومنهـا ختاما :

اذا افتخرت بمحضركم نـــــزار	فحضكم المعلى من قـــــــداح

وأنشدني منه كثيرا أثبت هذا خوف الطول ، ولد سنة ست وستين وتسعمئة ، أنتهى .

وأنشد في (المنتقى المقصور) للمترجم في مدح الواثق عبد العزيز ولد المنصور قصيدة مطلعها :

وميمون طير قد جرى وهو سانـح	ببشرى غدا قلبي بها وهو فـــارح
بابلال خير الناس أصلا ومحتـدا	وأثبت عقلا والعقول جوامـــــح

وقال في (كفاية المحتاج) : قـال الثقة محمد بن يعقـوب الاديب المراكشي في فهرسته ، ثم نقل عنه ما تقدم نقله في ترجمة مؤلفها ، وقال بعده في حق المترجم : ولم ألق بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أصدق ، ولا أعرف بطرق العلم منه ، انتهى .

وقال في (الصفوة) بعد نقله ما نصه : قال أبو زيد في الفوائد وقوله في ابن يعقوب : لم ألق الخ جموع عن شهادة العيان ، فان ابن يعقوب لم يبلغ شسع نعل الايمة الذيـن كانوا يأخذون عنـه ، كعلي بـن عمران ، ومحمـد الرجراجـي ، وأحمد ابـن القاضي ، وابن أبـي النعيم ، وأضرابهـم وبمثل هذه الغفلة ، كان يفتي رحمه الله بحلية دخان تبغ المنتـن الخبيث ،

الذي أجمع فقهاء الامصار من الحرمين الى بلد جزولة على حرمته لخبثه ، والجواد يكبو ، والسيف الصارم ينبو ، وابن يعقوب المذكور من أدباء الدولة المنصورية .

أنظر التعريف به في كتابنا (النزهة) .

انتهى كلام (الصفوة) .

ونص كلامه في (النزهة) عند ذكر مشاهير كتاب المنصور ما نصه : وممن يعد في الكتاب ، وان كان قدره أعلا من الكتابة ، الفقيه الأديب ، الاوحد الأريب ، محمد بن يعقوب الايسي ، وكان صدر الادباء في وقته بمراكش وغيرها ، بحيث كان الكتاب يرجعون أليه في عويص المكاتبات ، ويترافعون اليه في حل المشكلات والمهمات ، وحسبك أن الامام سيدي أحمد بابا السوداني نقل عنه في (كفاية المحتاج) ، ووصفه بالثقة الناقد ، وقال فيه : اني لم ألق بالمغرب أثبت ولا أصدق ولا أعرف بطرق العلم منه ، انتهى .

ولابن يعقوب هذا في فهرسته شعر حسن .

ومن نظمه في البهائم التي تدخل الجنة :

فكبش الذبيح ثم هدهد ذو النبا ... حمار عزير ثم ناقة صالح
وعجل الخليل ثم ناقة أحمد ... كذا كلب أهل الكهف أفضل نابح
وصفراء موسى لونها سر ناظري ... ونملة قالت وهي أنصح ناصح
تحل جنانا ثم سابع يونس ... مقاتلهم يرويه عن ذي النصائح

ومن شعره قوله :

أبيت كأن في العيون مراودا ... سميرا ولا تحلو لدى المراقد
أهم بأمر لو وجدت مساعدا ... اذا عظم المطلوب قل المساعد

699) **محمد بن عبد الله الاندلسي** دفين جنان ابن شقرة من مراكش ، من أهل القرن الحادي عشر ، كان يعلم أولاد الجن ! وأخذ عنه الامام أحمد بن ابراهيم العطار علم الباطن .

ذكره في (الصفوة) في موضعين منها .

700) **محمد بن علي المراكشي** ، الفقيه الأجل ، العالم الأفضل ، قاضي الجماعة ، من أصحاب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي المتوفي عام 1091 رحمه الله .

ذكره في (دوحة البستان) .

701) **محمد الطليطلي الاندلسي** نزيل مراكش ، من أهل القرن الحادي عشر ، دفن خارج باب أغمات من مراكش .

ذكره في (الصفوة) .

702) **محمد بن فارس الوريكي**

محمد بن فارس بن الحسن الوريكي ، من أهل القرن الحادي عشر ، دفين سفح جبل غيغاية من أعمال مراكش ، كما في (الصفوة) .

اما الفقيه سيدي الحسن بن فارس المتوفي سنة 1259 ، القاضي بفاس الجديد المذكور بـ (السلوة) ، فهو مدفون بناحية القباب بفاس .

703) **محمد الشاذلي**، به دعي،ابن الشيخ الشهير القطب العارف الكبير سيدي مَحمد فتحا ، ابن الولي الكامل العارف الواصل سيدي أبي بكر الدلائي ، الشيخ الفقيه السيد الكامل النزيه ، العالم العلامة الاوحد ، الامام الفاضل الامجد ، قدوة الانام ، وحسنة الليالي والايام ، فريد الدهر ، ووحيد العصر ، صاحب الاخلاق السنية ، والاحوال المرضية ، والافعال السنية ، الاديب البارع ، الحافظ المحقق ، الحبر اللافظ ، الجامع بين العلم والدين ، والمتأسى بسيرة أسلافه المهتدين .

ولد بزاويتهم بالدلاء ، وبها نشأ ، وقرأ على والده وأعمامه ، وعلى غيرهم من الواردين عليهم بها ، منهم : أحمد بن علي بن عمران السلاسي الفاسي ، وسيدي العربي الفاسي ، وغيرهما .

ثم خرج مع من خرج من الزاوية عند الحادثة العظمى ، وسكن بفاس، ولقي بها مشائخها ، كشيخ الاسلام سيدي عبد القادر الفاسي ، وأخيه سيدي أحمد ، وخرج منها ودخل مدينة مراكش ، ولقي أئمتها ، ونفع وانتفع . ثم رجع لفاس واستوطنها ، وكان يقوم على (مختصر خليل) ويذكر أنه أقرأ ألفية ابن مالك مئة مرة ، وأقرأ (مقامات الحريري) نحوا من ثلاثين مرة . وقرأ عليه بفاس عدة مشائخ منهم : سيدي عبد السلام بن الطيب القادري ، وأخوه سيدي العربي ، وسيدي ادريس المنجرة .

وكان رحمه الله أعجوبة من أعاجيب الزمان في الحفظ والفهم والاتقان ، والغوص على المعاني الدقيقة البديعة ، والنكت اللامعة الرفيعة ، جيد الانشاء والانشاد للشعر ، وله البراعة في النظم والنثر ، وأنفرد في عصره بعلم اللغة وحفظ أيام العرب وأقوالها ، وحكمها وأمثالها ، وحفظ دواوين المتقدمين والمتأخرين ، وتولى الخطابة بالمدرسة العناية ، وبها كان غالب تدريسه ، والفتوى بفاس ، وتخلى عنهما اختيارا منه وفرارا من خطة الولاية كلها ، حتى توفي رحمه الله بفاس الادريسية ، صبيحة يوم الاحد خامس عشر جمادى الاولى عام ثلاثة ومئة وألف ، ودفن بالكغادين بروضتهم المذكورة .

قال في (البدور الضاوية) ، وقبره مزارة كبيرة رحمه الله ، انتهى .

ترجمه في (البدور) المذكورة ، وفي (النشر) ، وكذا صاحب (المورد الهني) وادريس المنجرة في فهرسته ، وأشار إليه صاحب (حدائق الازهار الندية) عند تعرضه لاولاد سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي فقال :

والثامن الشيخ الامام الحافظ — الحجة الصدر المكين اللافظ
الشاذلي كاسمه في الحال — وفي العلوم منتهى الآمال
أخذ عن جماعة أطواد — سموهم على السماك بادى
والده وعاطر الانفاس — أحمد أعني بن علي الفاسي
وعنصر الكمال والمفاخر — شيخ شيوخ الدين عبد القادر
وكان في الشعر يصيغ الجوهرا — وينثر السحر حلالا كوثرا

له رسائل كمثل الزهر | معنى وفي اللفظ كمثل الدرر
قد ختمت به علوم جمة | لما نعوا وقالوا : كان أمة
وسفح الجفن عليه وانجرح | في عام تصحيف لقولكم سفح (1)

وممن ترجمه أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني في تأليفه في (التعريف ، بمولاي عبد السلام القادري) ، وصاحب (السلوة) .

استدراك

كنا وقفنا على ج 6 من (الذيل والتكملة) للمراكشي بالمكتبة الوطنية بباريز ، وعليه خط الامام محمد بن أحمد بن مرزوق ، وألفينا فيه جماعة من الذين كانوا بمراكش ، ولم تكتب تلك التراجم ، ولما وصلنا في الطبع ، (المحمدين) ، كتبت لبعض المستشرقين راغبا منه أن ينسخها لي ، والصائر علي ، فبخل علي حتى بالجواب ، ولما ذهبت لباريز لمشاهدة معرضها انتسخت تلك التراجم ، وقد أثبتناها هنا في (المحمدين) ، وان كان تأخر وضعها في المؤمف حيث أنه معجم مفهرس مرتب على التواريخ وهي هذه (2) .

704) محمد بن عبد الرحمان الأسدي

محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن مهلب الاسدي مرسي أبو بكر ، روى عن أبي عبد الله بن أبي الخصال لقيه بمراكش ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وكان محدثا راوية نبيلا متقناً أديباً ، كاتباً محسنا ، من بيت علم ورواية (3) .

---

1) يعني 1000 شقج ، $\frac{100}{3}$ (مؤلف)

2) ذهلنا اثناء التحقيق والتصحيح عن وضع التراجم التالية التى استدركها المؤلف فى مواضعها حسب تسلسلها التاريخى ، فلم نر بدا بعد التنبه من اثباتها كما اثبتها المؤلف فى جزء الاعلام الرابع المطبوع بفاس

3) الذيل والتكملة 6 : 323 ع 961 طبع بيروت

705) محمد بن خلَف الشَّبوقي

محمد بـن خلَف بن أحمد بن علي بـن حسين اللخمـي ، الشمبوقي ـ بفتح الشيـن المعجم والباء وواو وقـاف منسوبا ـ روى عـن أبي الاصبغ عيسى بن أبي البحر ، وأبي العباس بن مكحول ، وأبي جعفر بن محمد بن عبد العزيز ، وأبـي الحسن شريح ، وأبي عبد الله بن خلف بـن أحمـد بن قاسـم الخولاني ، وأبـوي محمد بـن علي اللخمي ، سبط أبـي عمر بن عبد البر ، وابن عتاب ، ومحمد بن عبيد الله بن صمادح .

روى عنه أبوا الحسن : بن موسى ابن النقرات ، وبن عبد الرحمان بن يحيى المصمودي ، وحسين بن علي بن القاسم ابن عشرة السلوي ، وبنوه ، وكان محدثا فقيها ظاهري المذهب ، وهو ممن غرب عن الاندلس ، واعتقـل بمراكش أيام الامير علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني .

وقفت على مجموع في التصوف ، ذكر أنه كتبه بسجـن مراكش ، وفرغ منه آخر يوم من رمضان تسع وعشرين وخمسمئة (1) .

706) محمد بن عبيد الله ابن صمادح التجيبي

محمد بن عبيد الله بن محمد بن معن بن محمد ابن صمادح التجيبي ، مـروي وشقي الاصل ، سيـد الدولة ، وقـد تقدم رفـع نسبه في رسـم أبيه أبي مروان عبيد الله ، روى عن أبيه ، وأبي بكر بن الفرج الربوبله ، وأبي العباس بن عثمان ابن مكحول ، وأبي الفضل بن شرف ، وأبي محمد بن السيد ، وغيرهم من أهل بلده وسواه .

روى عنـه محمد بـن خلف الشَّبوقي ، وكـان بارع الأدب متقدماً في العربية ، متحققا بالعروض ، وصنف فيه مصنفا لم يخله من افادة ، وكان شاعراً محسناً ، اشتهر بالفضل والايثـار أيام رياستهم ، ومدحـه الشعراء فأجزل صلاتهم ، وممن مدحه أبو عامر ابن الاصيل .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 181 ع 498

ولما اختلت رياستهم بموت جده أبي يحيى المعتصم ، لحق بميورقة ناصر الدولة مبشرا ، ثم الى سرقسطة ، فاتصل بابن هود ، ثم صار الى طرطوشة ، فاتهم في تجوله هذا فقبض عليه واجيز به الى العدوة ، فاعتقل في سجن مراكش ، وله في ذلك وفي غيره شعر كثير .

فمن شعره في اعتقاله واستشعاره الصبر على تغير حاله قوله :

احبتنا الكرام بغوا علينا ... وبغي المرء محبطة ونار
وقالوا الهجر لما يعلموه ... وهجر القول منقصة وعار
وما صرف الهوى حرم مباح ... ولا محو الوداد دم مثار
وقد ينبو الزناد لقادحيه ... ويستولي على الفرس العثار

ومنه :

صبرت على منازعة الدواهي ... وطبع الحر صبر وانتجار
وقلت لعلها ظلم الممات ... وحال الليل آخرها السفار
وما أنسى الجزيرة والأماني ... تدير لهم ودار العز دار
فان يكن الردى يكن اصطبار ... وان تكن المنى يكن اغتفار

وقوله يشكو النوائب :

صبراً على نائبات الدهر ان له ... يوماً كما فتك الاصباح بالظلم
ان كنت تعلم أن الله مقتدر ... فثق به تلق روح الله في أمم
وقلما صبر الانسان محتسباً ... إلا وأصبح في فضفاضة النعم
ما زلت في جزع أصبحت اظهره ... إلى الفناء وريب الدهر مخترمي
ولو بلغت الذى أملت في جزعي ... لكان صبري في عال من الهمم

ثم سرح ، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 335 ع 883

707) محمد بن عبد الله ابن سماك العاملي

محمد بـن عبد الله بـن أحمد ابـن سماك العاملي ، مالـقي ، روى عن أبيه وغيره ، وكان فقيها ذاكراً للمسائل ، مشاورا عارفاً بالاحكام ، جرت بينه وبين بني حسون رؤساء مالقة منازعة ، ففر منهم الى غرناطة ، ثم سار إلى مراكش أول أيام عبد المومن ، فاستقر بهـا ، ومنها ولي قضاء مالقة بعـد مصيرها الى عبد المومن ، بقتل أبي الحكم المتأمر بها من بني حسون ، وكان قتله فـي ربيع الأول عام ثمانية وأربعيـن وخمسمئة ، وقد تقدم ذلك فـي رسمه ، ثم ولي قضاء غرناطة ، فكان أول قاض استقضي بها في دولة عبـد المومن ، وكان جزلا في أحكامه ، مسدد الاغراض في أقضيته ، وذكر الملاحي أن المنتقل الى غرناطـة جده ، وقد ولي أبـوه قضاءها سنة سبع وثلاثيـن وخمسمئة ، وكان محمد هذا حياً سنة خمس وخمسين وخمسمئة (1) .

انتهى من (الذيل والتكملة) .

708) محمد بن خلف ابن عميرة

محمد بن أبي القاسم خلف بـن محمد ابن عميرة ، مروي ، سكـن مراكش ، روى بالمرية عن أبوي بكر بن الاسود ، ولازمه في العدوتين، واختص به كثيرا ، وكان القارىء عليه ، وابـن العربي ، ثم جاوره بمراكش مـدة ، قال : وكنت أجالسه ليـلا ونهارا ، وآباء الحجاج : القضاعي ، وابـن محمد المقري ، وابن يسعون ، وآباء الحسن : عبد العزيز ابن شفيع ، وابن معدان ، وابن موهب وأكثر عنه ، وابن نافع ، وآباء عبد الله : بن أحمد بن هيثم ، والحمزي وابن زغيبة ، وابن الفراء ، وابن وضاح ، وابن أبي أحد عشر ، وأبي العباس القصبي، وأبوي علي : ابن عريب، والمغراوي الاحدب، ثم تركه، وآباء القاسم : أحمد بن ورد ، وعبد الرحمان بن عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وعبد الرحمان ابن قاسم التجيبي ، كذا سماه ، وأراه عبد الرحيم ، وهو الحجازي ، وأبوي

---

1) الذيل والتكملة 6 : 237 ع 690

محمد : الرشاطي ، وعبد الحق بـن عطية ، وأبي المعـالي رافع ابن القيـم الاسكندري ، وبمرسية عن أبي محمد بن أبي جعفر ، وأبي الوليد ابن الدباغ ، وببلنسية عن أبي محمد ابن السيد، وبقرطبة عن أبي الحسن يونس ابن مغيث، وأبوي القاسم : ابن بقي ، وابن رضا ، وأبي محمد ابن عتاب ، ولقيه وأبـو محمد مريض ، فسمع عليه يسيرا وأجاز له ولقي بها أبوي عبد الله : ابن الحاج، وابن أخت غانم ، وأبوي الوليد : ابن رشد ، وابن طريف ، وأخذ عن ابراهيم ابن خفاجة ، وأبي الفضل ابن شرف ، وأبي محمد ابن الحاج اللورقي الكاتب ، وأجاز له ممن لم يلقه هو : آباء الحسن : شريح ، وعباد ابن سرحان ، وابن واجب ، وأبو عبد الله المازري ، وأبو الفضل عياض .

روى عنه أبو الخطاب ، وأبو عمرو ، وابنا الجميل ، وأبو عبد الرحمان قاسم بن أبي بكر ابـن الجبر ، وأبو علي ابـن صمع ، وأبو محمـد سعدون البرجاني .

وكـان فقيها حافظا محدثا مسنـدا ، عالي الرواية ، وأسن كثيـر فتنوفس في الاخذ عنه ، والسماع عليه ومنه .

وسكن مراكش طويلا ، وكتب لابـن تاشفين ، ثم نزع عن ذلـك ، وانقطع الى نشر العلم ، واسماع الحديث وغيره ، الى أن تـوفي بمراكش عام 576 ستة وسبعين وخمسمئة (1) .

709) محمد بن علي ابن البراق الهمداني

محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد الهمداني وادى آشي أبو القاسم ابن البراق ، روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد ابن أبي عيشون ، وآباء بكر : ابن رزق ، والعقيلي ، وتلا بالسبع عليه ، وابن أبي ليلى ، وآباء الحسن : ابن عز الناس ، وابن فيد ، وابن ابراهيم ابن الملى ، وابن النعمة ، ونجبة ، ولقيه بمراكش ، ووليد ابن موفق ، وأبوي عبد الله : ابن يوسف ابن

---

1) الذيل والتكملة 6 : 190 ع 538

ادريس ، والخروبي ، وتلا عليه بالسبع وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيرا ، ومن ذلك (الموطأ) ، و (الملخص) وغير ذلك . وابن مضا ، وأبي علي ابن عريب ، وأبوي القاسم : ابن حبيش ، وابن عبد الجبار ، وآباء محمد : ابن سهل الضرير ، وعاشر ، وقاسم ابن دحمان ، وأبي يوسف ابن طلحة ، وأجاز لـه آباء بكر : ابن خير ، وابـن العربي ، وابن فندله ، وابـن نمارة ، وآباء الحسن : شريح ، وابن هذيل ، ويونس ابن مغيث ، وأبو الخليل مفرج ابن سلمة ، وأبو عبد الله حفيد مكي ، وأبو عبد الرحمان ابن مساعد .

وذكر ابن الابار أنه سمع منه ، ولم يذكر ذلك ابن البراق في برنامجه الذي وقفت عليه ، بل سماه في جملة الذين أجازوا له ، ولم يلقهم ، وأبو عامر محمد بن أحمد السالمي ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، وأبو محمد ابن عبيد الله ، ولقيه في قول ابن الرومية ، وهو باطل ، وأبو مروان الباجي ، وابن قزمان ، وأبو الوليد ابن حجاج ، وله برنامج ذكرهم فيه ، وبين كيفية أخذه عنهم .

قال في (الذيل والتكملة) : وقفت على نسخة منه عليها خطه في عقب شعبان أحدى وتسعين وخمسمئة .

روى عنه ابنه القاسم ، وأبو الحسن بن محمد ابـن بقي الغساني ، وأبو عبد الله بن يحيى السكري وغيرهم .

وكان محدثاً حافظاً راوية، مكثراً ضابطاً ثقة، كاتباً بليغاً مكثراً مجيداً، سريع البديهة في النظم والنثر ، والادب أغلب عليـه ، وصنف فـي الآداب مصنفات منها : (بهجة الافكار ، وفرحة التذكار ، في مختار الاشعار) ، ومنها : (القرارة اليثربية ، المخصوصة بشرف الأحناء القدسية) وهي في نحو ستة أوراق ، مع تسميط تلميذه أبي الكرم جودى ،أولها :

يامسبلا من عينه عبراتهـــــــا	أشجتك هاتفة على أثلاثهـــــــا
أم شمت بارقة بعرض فلاتهـــــا	بالهضب هضب زرود أو تلعاتهـــا

شاقتك هاتفة على نغماتهـــــا

وهي مذكورة في (الذيل والتكملة) ، المترجم له فيها في نحو 12 ورقة ، واستوفى الكلام على شيوخه ، وأعترض على ابن الزبير حتى قال : وقد احوجنا فعل ابن الزبير في ذكره أشياخ ابن البراق ، وقلة تثبته في نقله اياهم ، واعتماده ذكر الملاحي اياهم ، وما انجر بسبب ذلك كله الى اطالة ليست من شأننا ، أردنا بذلك التنبيه على عمل ابن الزبير في كثير مما اشتمل عليه كتابه ، ولنبين أن الاتقان له رجال خصهم الله بفضيلته ، نفع الله بهم ، وأوجدنا بركة الاقتداء بهم .

ثم قال : وكلامه نظما ونثرا كثير جيد .

ولد سنة 529 ، وتوفي ودفن لثلاث بقين من رمضان سنة (596) ست وتسعين وخمسمئة ، وكانت منيته من عشرة (1) .

710) محمد بن أحمد ابن فُطَيْس الغافقي

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن فُطَيْس الغافقي ، غرناطي ، الفهري أصل السلف ، سمع من أحمد ابن زرقون نزيل الخضراء وهو آخر من روى عنه ، ومن أبوي بكر : بن عبد الله ابن العربي ، وبن موسى ابن سيد خطيب الجزيرة الخضراء ، وهو آخر من روى عنه ، ومن أبي عياض بن موسى آخر من روى عنه بسماع .

وأخذ القراءات عن أبي جعفر ابن البيذش ، وأبي عبد الله السعدي ، والطب عن أبي مروان ابن زهر وبرع فيه ، روى عنه أبو بكر ابن مسدي ، وقال : ذكره يوما الملاحي فقال خيراً ثم قال : إلا أنه كان بخيلا بالرواية ، فعرفته باجازته لي مرتين ، الأولى سنة خمس وستمئة ، والثانية مقدمه من مراكش سنة احدى عشرة وستمئة ، وبيته نبيه وشهير .

توفي سنة ثلاث عشرة وستمئة عن مئة سنة وثلاث سنين ، وكان ممتعا بحواسه ، ومولده على رأس العشر وخمسمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 457 ع 1241

2) الذيل والتكملة 6 : 505 ع 1293

711) محمد بن عبد الله اليانبي الأنصاري

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان الأنصاري ، أشبيلي ، يانبي الاصل ، سكن مراكش ، أبو بكر اليانبي ، أخذ عن صهره الاستاذ أبي بكر بن عبد العزيز السلاقي ، وبه انتفع وعليه عول ، وخلفه في حلقته بعد وفاته بمراكش فدرس العربية والآداب ، وكان ذا بأو (1) شديد ونزوع بنفسه إلى أكثر مما يجب له ، وكان يقرض شعرا يجيد في أقله ، وتوفي ولم يبلغ الاربعين أو بلغها بمراكش في ذى الحجة عام سبعة عشر وستمئة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

712) محمد بن عبد الرحمان ابن عفير الأموي

محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن عفير ، أموي لبلي ، أبو بكر ، وقد تقدم الخلاف في نسبه في رسم اسماعيل بن سعد السعود ابن عفير ، له رحلة الى المشرق ، لقي فيها أبا الفرج ابن الجوزي وطبقته ، وتلبس بالوعظ ، وسلك فيه طريقة أبي الفرج ، وعاد الى المغرب والاندلس ، ودخل مراكش وأغمات وغيرهما من بلاد العدوة ، وعقد فيها مجالس الذكر والوعظ ، وكان مستظرف المنازع فيما يأتي به منها ، وله في الكدية مآخذ غريبة .

أخبرني التاريخي أبو سعيد عثمان بن . . . المعروف بابن خرزوزة قال : حضرت بعض مجالسه الوعظية بتلمسان ، وقد ذكر للحاضرين أنه يريد التزوج أو التسري ، والتمس منهم كفايتهم اياه النظر في ذلك ، ثم أنشد :

وقلت يارب حملناكم ... لما طغى الماء على الجارية
عبدك هذا قد طغى ماؤه ... فاحمله يارب على الجارية !

فتأثر له الحاضرون وياسروه في مطلبه .

1) البأو : الكبر والتعاظم

2) الذيل والتكملة 6 : 285 ع 735

وذكر لي غير واحد أنه تكلم على أهل أغمات في مجالس ، فلم يصل اليه منهم احسان ، فأدرج في بعض مجالسه تنبيها لهم وعتبا قوله : لاعبت الزمان ، في دست الحدثان ، فضربني في طرة الحرمان ، شاه مات ، فشكوت الحال الى أهل أغمات ، فكلهم قالوا : أغْ مات ، ومعنى أغْ بلسان المصامدة وهم البربر المجاورون لمراكش وما صاقبها من البلاد ، خذ ، فكان معنى ما تقول عليهم : خذ مات ، أي أن الاعطاء لا يوجد منهم .

وكان لأول ما ورد أغمات نزل بقريته بشرقي الجامع الاعظم ، منها داخله كانت قبله متعبداً لبعض أفاضلها ، فلما انصرف الى منزله قصده بعض وجوهها معتذرين إليه ومتنصلين مما نُسب اليهم ، وذكروا له انهم ما زالوا منذ ورد عليهم ناظرين فيما يقابلونه به ! فقال لهم : لا يرضيني الا ألف دينار ، ولا آخذها الا من رجل واحد ، فجمعوها ودفعوها الى بعضهم ، فحملها اليه فقبلها وانصرف عنهم .

ولما قفل الى الاندلس، وقصد أشبيلية وهمَّ بعقد مجالس الوعظ فيها منعه أهله وقرباؤه ، وقالوا : لا نبيح لك ولا نساعدك على التعرض الى الكدية في بلد يعرف فيه شرف أسلافك ، وبمسجد كان فيه أبوك خطيبا ، فانصرف عنهم إلى بلاد الاندلس ثم إلى العدوة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وتلقى الناس أحواله بالاستحسان ، وقابلوه بضروب من الاحسان ، وكان حسن الصوت ، طيب النغمة ، عجيب الايراد ، وتوفي في نحو العشرين وستمئة (1) .

انتهى من (الذيل والتكملة) (2) .

713) **محمد بن طاهر (3) بن عبد الله** ، أندلسي ، أخذ عنه أبو بكر ابن مسدي وهو في عداد أصحابه ، وكان من أهل الادب .

توفي بمراكش سنة أربع وعشرين وستمئة ، وقد بلغ حد الكهولة .

انتهى من (الذيل والتكملة) (4) .

---

1) بهامش احدى نسخ الجزء السادس من **الذيل والتكملة** : روى عنه أبو بكر ابن مسدى، وقال : مولده بعد الخمسين وخمسمئة ، وتوفى بإشبيلية سنة اثنين وعشرين وستمئة ، قال : وذكر لى هو واخوه انهم من ذرية عثمان بن عفان رضى الله عنه .

2) **الذيل والتكملة** 6 : 346 ع 929

3) فى نسخة **الاعلام** المطبوعة بفاس : طافر

4) **الذيل والتكملة** 6 : 507 ع 1303

714) محمد بن اسماعيل ابن عفير

محمد بن اسماعيل بن سعد السعود بن أحمد ابن عفير ، شقيق أبي الوليد محمد الآتي ذكره ، يكنى أبا العباس ، روى عن أبيه ، وكان شاعراً مجيداً مفلقاً ، يفضل على أخيه أبي الوليد في النظم ، كما يفضل أبو الوليد عليه في النثر ، وقد ذكر له في (الذيل والتكملة) قصيدة خاطب بها ابراهيم بن يوسف ابن الحجر ، ويصف له شكاية ألمت به ، ويستدعي طبَّها منه ، أولها :

نظمي ونثري استمدا نخبة الفكـر وقلدا المجد منها خيرة الـــدرر

مولده عام أربع وتسعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش قبل الزوال من يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة أربع وأربعين وستمئة ، ودفن يوم الاربعاء المذكور بمقبرة باب تاغزوت داخل مراكش .

ترجمه في (الذيل والتكملة) (1) .

715) محمد بن أحمد المُسلهَم الرندي القيسي

محمد بــن أحمد بن محمد القيسي رنــدي ، سكن مراكش ، أبــو عبد الله الرندي والمسلهم ، روى عن أبي اسحاق بن أحمد الرندي ، وأبي البركات عمر بن مودود الفارسي ، وأبوي بكر : ابن أبي تليد ، وابن علي بن المرخي ، وأبوي جعفر : بن يحيى الخطيب، وابن يسعون الشريشي ، وأبوي الحجاج : ابن الشيخ وأجاز له شفاهاً ، وابن المعز المكلاتي ، وآباء الحسن : حازم ابن حازم ، وسهل بن مالك ، وابن خروف النحوي ، والدباج ، وابــن السعود ، وابن عفان ، وابن الفضل ، وابن القطان ، ومحمد بن محمد ابــن زرقون ، ويوسف ابن رختاط ، وأحمد بن محمد ابن واجب لقيه وأجاز له ، وأبي الربيع ابن أبي العزيز ، وأبي بكر ــ ويقال أبو زكرياء ــ بن محمد بن أبان الشعباني ، وأبي سليمان ابن حوط الله ، وأبي الصبر السبتي ، وأبا عبــد الله : بن ابراهيم ابن حريرة وتدبج معه ، وابن أبي العباس ابن ورد ، وابن عبد

---

1) **الذيل والتكملة** 6 : 123 ع 311

الله البرنامج ، وآباء العباس : بن ابراهيم الطنجي ، وابن شكيل ، وابن علي بن هارون ، وابن محمد العزفي ، لقيه بسبتة وسمع عليه وناوله وأجاز له ، وأبوي علي : بن الحسن بن عبد الله بن يوسف أجاز له ، وعمر بن عبد المجيد الرندي ولزمه ببلده وبمراكش ، وأبي عمر ابـن عات ، وأبي عمرو محمد بـن عبد الله ابن غياث ، وأبي القاسم ابـن بقي وأكثر عنه ، وابـن الحداد التونسي ، وأبوي محمد : ابن حوط الله، وعبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق، وأبي مروان محمد بن أحمد الباجي، لقيه بطريف ومراكش وناوله، والحاج القلفاط وغيرهم.

كان محدثاً مكثراً متسع الرواية ، أديباً ، من أبرع الناس خطاً ، عاقداً للشروط ، جماعا للكتب وفوائد الشيوخ ، نسابة لخطوط العلماء ، ذاكـرا للتواريخ ، حسن المحاضرة ، جميل اللقاء ، جالسته مرات ، وكان صديقاً لأبي رحمهما الله .

ولاكثاره غمزه بعض أشياخنا ، وتكلموا فيه ، وكان شيخنا الناقـد العدل حسن بن علي ابن القطان يصرح بتكذيبه ، وادعائه تحميل شيوخ ما ليس في روايتهم ، وحمله عنهم ما لا صح له ، وقد كان يظهر ذلك منه ، ولعله بالاجازة والله أعلم .

وكان ذا حظ من الكتابة وقرض الشعر ، يحسن في أقله ، ومنه ونقلته من خطـه :

يسائلني من لا أراع بـــوده	فأكتمه حالي وليس أخا ريْـــب
اذا كان دائي من أماكن لذتـــي	تركت عذولي خائضا ظلم الغيـب

توفي يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس لاربع خلون من صفر 653 ثلاث وخمسين وستمئة ، وقد زاد على الثمانين أربع سنين أو خمسا ، ودفن ضحى يوم الاربعاء تاليه بمقبرة باب أغمات .

انتهى من (الذيل والتكملة) مع حذف باقي شعره المذكور فيه (1) .

---

1) **الذيل والتكملة** 6 : 61 ع 133

716) محمد بن أبي بكر الحرار الانصاري

محمد بن أبي بكر بـن سعيد بن عبد الغفـور الانصارى الاوسي قرطبي ، نزل بآخرة مراكش أبـو عبد الله الحرار ، حرفته التى كـان قديما ينتحلهـا .

كان عدلا عاقدا للشروط ، حسن السياقة لها ، مثابرا على المطالعة ، فكه المحاضرة ، وهو أبو صاحبنا أبي القاسم هبة الله ، جالسته كثيرا وخبرت منه جودة . وتوفي بمراكش يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب 658 ثمان وخمسين وستمئة ، ودفن من الغد اثر صلاة الجمعة بجبانة الشيوخ .

انتهى من (الذيل والتكملة) (1) .

717) محمد بن اسماعيل ابن عُفَيْر الاموي

محمد بن اسماعيل بن سعد السعود بن أحمد بن هشام بن ادريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب ابن عفير الأموي . وقد تقدم في رسم أبيه تحقيق نسبهم ، وما قيل فيه ، لبلي سكن اشبيلية طويلا ثم مراكش، أبو الوليد .

روى عن أبيه أبي أمية ، وأبي بكر ابن طلحة ، وأبي الحسن بن عبد الله ، وأبوي الحسين : ابن زرقون ، وابن عظيمة ، وأبي عبد الله ابن تميـم البهراني ، وأبي علي ابن الشلوبين ، وأبي القاسم موسى ابن نام ، وعبـد الحق بن عبد الله بن عبد الحق وغيرهم .

قرأت عليه وسمعت وأجاز لي ، وانشدني كثيرا من شعره ، وطالعني بجملة من رسائله ، وكان من بيت علم وجلالة ، أديبا جيد الكتابة ، شاعـرا محسنا ، طيب النفس ، كريم الاخلاق ، حسـن اللقاء ، كثير البر ، سالـم الباطن ، ممتع المجالسة ، فكه المحاضرة ، مليح التندير ، مشكور الطريقة ، قديم النجابة .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 139 ع 349

تلبس طويلا في الاندلس ومراكش بعقد الوثائق ، وكان بصيرا بها وبعللها ، نافذاً في معرفتها ، واستقضي ببلد نفيس من أحواز مراكش ، ثم بالسوس وعرف في ذلك كله بالنزاهة والعدالة .

مولده عام ثلاثة وتسعين وخمسمئة ، وتوفي بمراكش بعد عصر يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى ، سنة سبع وستين وستمئة، ودفن عصر يوم الخميس بعده بمقبرة باب الصالحة احد أبواب مراكش الشرقية.

ومن شعره ما انشدنيه ونقلته من خطه :

اقصر ففي الحرص والتطويل للاجل ... عجز يؤدى الى التقصير في العمل
غر الغرور بآمال تكفلها ... فهل تكفل بالتأخير للاجل

ومنه يعزي شيخنا أبا الحسن في ابنه الانجب صاحبنا أبي الحسين محمد رحمه الله ، وسمعته ينشدهما أياه عند الفراغ من مواراته على قبره :

أبا الحسين لئن غيبت في جنن ... فما تغيب ما خلفت من حسن
واذ أجور الرزايا فوق ما رزأت ... فلا كأجرك فاصبر ياأبا الحسن

وذيل بيتي :

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مجنة ... ويبدو لعيني شامة وطفيل ؟

بقوله :

وهل لي لبيت الله حج معجل ... ييسر في قصدي اليه سبيل
أطوف به سعيا والثم ركنه ... وأدعو وعيني بالدموع تسيل
وهل عرفات انتحيها بوقفة ... تحط ذنوبا حملهن ثقيل

وقد مر له ذكر في رسم أبيه ، وسيأتي له ذكر في رسم الشريف يونس .

انتهى من (الذيل والتكملة) مع حذف باقي اشعاره (1) .

---

(1) الذيل والتكملة 6 : 119 ع 310

انتهى ما وقفت عليه في الجزء المذكور مما لم يتقدم في موضعه ، وترجم فيه لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفرح ابن الجد المتقدم ، وضبط فرح – بفاء مفتوح وراء ساكن وحاء غفل – وصرح بانه كان بقصر مراكش سنة 581 ، ولأخيه محمد بن عبد الله بن فرح ابن الجد بعد تمام ترجمة أبي بكر المذكور ، وترجم لابن مرج الكحل المتقدم من محول ورقة 40 الى محول ورقة 43 ، وذكر في ترجمة أبن اغلب المتقدم أنه توفي بمراكش .

وقال ابن الزبير : وتوفي بتلمسان وليس بشيء .

718) محمد المراكشي

قال في الباب الخامس وخمسمئة من (الفتوحات المكية) في معرفة حال قطب كان منزله (واصبرْ لحكم ربك فانك بأعيننا)، كان عليه من أصحابنا محمد المراكشي بمراكش :

ليس قلب الوجود غير وجـــودي	وكذا في الشهود عين شهـــودي
فانا القلب والمهيمن قلبـــــي	وهو مني مكان حبل الوريـــد
لا تحدوه للذي قد سمعتـــــم	انه جل عن قيود الحـــدود
من رآني فقد رآه ومن لـــــم	يرني لم يقل بفرض السجـــود
انما يفرض السجوذ على مـــن	قال في الحق : انه من وجـــودى

يريد قوله صلى عليه وسلم : من عرف نفسه فقد عرف ربه .

رأيت محمد المراكشي بمراكش ، وكان يكاثرني ليلا ونهارا ، وكان هذا هجيره دائماً ، فما رأيته ضاق صدره من شيء قط ، وكانت الشدائـد تمر عليه فلا يتلقاها إلا بالفرح والضحك ، فتفرج عنه في نظرنا وهو ينتقل من فرح الى فرح ، ومن سرور الى سرور ، فكنت أقول له : كيف تصبر علـى حلول هذا النوازل المكروهة طبعا ؟ فيقول : لما صبرت أولا ، فأنتج لي ذلك الصبرُ على الحكم الالاهي مشاهدةَ العين ، فشغلتني عن كل حكم فما أتلقاه الا به ، فهو مجني ، فاياه أسأل ، فان النوازل به تنزل في رؤيتي ، وأنتم ترون حكم النازلة في صورتي ، وكل عند نظره .

ثم كان هذا الشخص من أحفظ الناس على اوقات عباداته ، والله ما رأيت مثله بعده في هذا المقام ، وما تحسر أحد من اخواني على فراقي حين فارقته الى هذه البلاد مثل تحسره على فراقي ، وكان يقول لي : والله لولا مشاهدة العين التي حجبتني عن نفوذ الحكم الرباني في ، لسافرت معك ، فوالله ما يغيب عني منك الا تحول صورة الحق الى صورة أخرى ، فأشهده غيبا ومحضرا ، وهذا ذوق عجيب .

كان كثير الادب ، كثير الكلام ، يكاد لا يصمت بدا عن دلالة الناس على الله عز وجل ، فاذا قيل له في ذلك يقول : أنا أؤدي فريضتي في كلامي ، وأنت بالخيار في مجالستي والاصغاء الى ما نورده ، أنا أتكلم مع مَن يسمع ما أتكلم ، لا مع مَن لا يسمع ، أعلم أن هذا الذكر يعطي الثبوت مع الحكم الرباني لما فيه من المصلحة ، وان لم يشعر به العبد وجهله فهو في نفس الامر مصلحة، كان الامر ما كان ، وهذا مقام الاحسان الاول الذي هو فوق الايمان ، فله الشهود الدائم في أختلاف الاحكام ولا بد من اختلافها ، لانه تعالى كل يوم في شان ، فان كنت صاحب غرض وتحس بمرض وألم ، فاحبس نفسك عن الشكوى لغير من آلمك بحكمه عليك ، كما فعل أيوب عليه السلام ، وهو الادب الالاهي الذي علمه انبياءه ورسله ، فانه ما آلمك ، وحكم عليك بخلاف غرضك وغرضه، جعل حكمه فيك الا لتسأله في دفع ذلك عنك ، بما جعل فيك من العرض الذي بسببه تألمت ، فمن لم يشك الى الله مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغرض ، فقد قاوم القهر الالاهي .

جاع أبو يزيد البسطامي فبكى ، فقيل له في ذلك ، فقال : انما جوعني لأبكي ، فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه ، لا الى غيره ، ويبقى عليه اسم الصبر ، كما قال الله تعالى في رسوله أيوب عليه السلام : « انا وجدناه صابرا » في وقت الاضطراب والركون الى الاسباب ، فلم يضطرب الا الينا ، لا الى غيرنا ، فانه لا بد طبعا عند الاحساس من الاضطراب ، وتغير المزاج ، ولذلك لطخ الحلاج وجهه بالدم ، حين قطعت اطرافه لئلا يظهر الى عين العامة تغير مزاجه غيرة منه على المقام ، لمعرفة بهذا كله ، وهو القائل في وقت هذه الحال :

ما قُدَّ لي عضوٌ ولا مفصـــــل   الا وفيه لكم ذكـــــــر

بخلاف الآلام النفسية اذا وردت الامور التى من شأنها أن تتألم النفوس عندورودها ، فقد يتلقاها بعض عباد الله ، ولا أثر لها فيه على ظاهره ، والامور المؤلمة حسا اذا أحس بها تحرك لها طبعا إما الى الله في إزالتها كأيوب وذي النون عليهما السلام ، الا أن شغله عنها أمر يزيل احساسه بها ، واما الى من ليس بيده من الامر شيء ، كالمعتاد في العموم ، وتلك حالة اكثر العالم عباد الاسباب ، وبها يتستر الاكابر من عباد الله عن أن يشار اليهم ، فاصبر لحكم ربك المأمور به ، فذلك هو الثبوت مع الله ، عند نفوذ الحكم الالاهي فيه ، أي حكم كان من بلاء وعافية ، فان الفرح بنيل الغرض يزيل صاحبه عن الثبوت أكثر من زوال صاحب البلاء ، فان حركة الفرح تدهش ويكثر اضطراب صاحبه، إلا أن يكون له قوة حال أكثر من وارد الفرح ، وأما الهم والغمُّ فانه أقرب إلى الثبوت والسكون لمن حكم عليه به من فرح الواصل الى غرضه ، فهو ذكر يعم الخير والشر معا ، وهما حالان ، والاحوال هي الحاكمة أبدا ، والمحكوم عليه لا بد أن يكون تحت قهر الحاكم لنفوذ حكمه فيه ، وهو الذي جعله يضطرب ، لأن مطلوب الانسان بالطبع الخروج من الضيق الى الانفساح والسعة ، والضياء المشرق لما رآه من ظلمة الطبع وضيقه ، فلا يصبر على القهر فقيل له : اثبت للحكم فانك لا تخلو عن نفوذ حكم فيك ، اما بما يسوءك أو بما يسرك ، فان ساءك فتحرك الينا في رفعه عنك ، وان سرك فتحرك الينا في ابقائه عليـــك بالشكر على ذلك ، فيزيدك ما يتضاعف به سرورك ، ولا يضعف ، فأنت رابح على كل حال ، وما أمرناك بالصبر إلا ليكون الصبر عبادة واجبة ، فتُجازَى جزاء من أدى الواجب ، فتكون عبدا مضطرا مثنى عليك بالصبر والرضا ، ولو تركناك على التخيير وصبرت لكنت عبداً مختاراً ، أي ذا اختيار ، ولم تذق طعماً لسيادتنا عليك، فان المختار يولّينا على نفسه إذا شاء، ويعزلنا إذا شاء ، ويخجلنا اذا شـــاء ، ولا يخجلنا اذا شاء ، فنحن فـــي الاختيار بحكمه ، وفـــي الاضطرار حاكمون عليه ، فانظر الى رحمة الله بك حيث أمرك بالصبر لحكم ربك ، ثم زاد فانك بأعيننا ، أي ما حكمنا عليك الا بما هو الاصلح لك عندنا ، سواء سرك أم ساءك ، هذا قصده بقوله : فانك بأعيننا ، أي ما أنت بحيــث نجهله أو ننساه .

فكن أي عبد شئت بعد هذا ، فأنت لما قصدت ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل (1) .

719) محمد بن المنذر

محمد بن المنذر بن محمد بن أبي عقيل عبد الرحمان بن المنذر المغربي المراكشي، أبو منصور الفقيه الشافعي نزيل حلب ، قدم والده الى بغداد ، واتصل بابن هبيرة قبل وزارته ، وتوفي بالموصل ، وولد المذكور ببغداد ، وسمع بها الحديث من أبي عبد الله ابن خميس ، وتفقه على أبي البركات الشميرجي ، وغيره ، وقرأ القرآن على أبي بكر القرطبي ، وصحب أبا نجيب السهروردي ، وسمع منه الحديث ، ومن المظفر ابن السبلي ، وابن المارح ، وابن البطي وغيرهم ، وسمع كتاب الالكامي هكذا من سعد الله بن أحمد في دار ابن هبيرة ، ولقي عبد القادر الجيلي ، وسافر الى الشام ، وقرأ قطعة من (تاريخ دمشق) على مصنفه علي بن القاسم ابن عساكر ، وكان يمتنع من الرواية ، ويقول مشايخنا اسمعوا ، وهم صغار لا يفهمون ، وكذلك مشايخهم ، وأنا لا أرى الرواية عمن هذه سبيلة ، وعمرت وعلت سنه ، ولم يرو شيئاً ، وكان فقيهاً فاضلا غزير العلم ، عالما بالاب .

قال ابن النجار : اجتمعت به بحلب غير مرة ، وكان حسن الاخلاق ، كيسا ممتعا باحدى عينه .

توفي سنة ثمان وعشرين وستمئة بحلب ، ودفن خارج باب النصر .

وله شعر لم يذكر منه شيئاً ، ومحله بياض .

انتهى من (الوافي بالوفيات) للصفدي ، أقول : وقد تقدم شيء من أخباره في ترجمة القاضي أسعد ابن مماتي .

انتهى من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) ص 376 ج 4 (2) .

---

1) الفتوحات المكية 4 : 181

2) هذا الرجل كان ينبغى ان لا يذكر فى هذا الكتاب لانه بغدادى ولم يدخل أغمات ولا مراكش وان نسب الى الأخيرة



فهرس

الجزء الخامس من (الاعلام)

تابع حرف الميم







رقم الإيداع القانوني : 768 / 1999

ردمك : 8 - 03 - 905 - 9981 (المجموعة)

ردمك : 6 - 21 - 905 - 9981 (الجزء الخامس)

